الجواهر المنبرية

في خطب الجمع والمناسبات الدينية

طه عبد الله العفيفي

طبعة جديدة ومنقحة

وبها إضافات تنشر لأول مرة

المجلد الأول

الناشر
دار البيان العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**» رواه مسلم وغيره.

الجواهر المنبرية

في خطب الجمع والمناسبات الدينية

اسم الكتاب : الجواهر المنبرية

اسم المؤلف : طه عبد الله عفيفي

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات : ١٣١٢

عدد الأجزاء : مجلدان

رقم الإيداع : ٢٢٠٨٣ / ٢٠٠٦



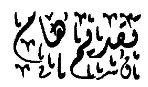
دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

**إلى جميع الإخوة الفضلاء.. من الوعاظ والمرشدين الذين مَنَّ الله عليهم – مثلنا– بارتقاء منبر الرسول ﷺ لكى يقولوا لإخوانهم المسترشدين من فوقه هذا حلال وهذا حرام.. وهذا صواب، وهذا خطأ.. وهذه سنة، وهذه بدعة..

**أقدم إليهم هذه المجموعة المباركة من: (الجواهر المنبرية.. فى خطب الجمع والمناسبات الدينية) التى سيجد فيها الأخ الواعظ ضالته المنشودة.

اللهم آمين،



أخى الواعظ المخلص – إن شاء الله – أحيِّيك أولا بتحية الإسلام.. وهى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ثم أخبرك بكل صدق وإخلاص بأننى أحبك لله وفى الله.. ومن شدة حبى لك.. (فقد) رأيت أن أقدم لك هدية عظيمة.. ألا وهى مجموعة من (الجواهر المنبرية) فى خطب الجمع والمناسبات الدينية التى سيجد الأخ الواعظ فيها ضالته المنشودة.. ولا سيما بالنسبة لخطب الجمع والعيدين.. بالإضافة إلى خطب المناسبات الدينية التى ينبغى أن يكون الأخ الواعظ مستعدا لها على الدوام.. حتى لا يتورط فى أى مناسبة من تلك المناسبات التى كثيرًا ما يُدعى الأخ الواعظ إليها.. لكى يُدلى فيها بدلوه الذى ينبغى أن يفيض بما فيه من العلم النافع القديم منه والحديث..

ولسوف يرى الأخ الواعظ أن النصوص التى سيقف عليها فى كل خطبة – قرآنية كانت أو نبوية – ينبغى أن يحفظها حفظًا جيدًا وبالتشكيل العربى لها.. ولا سيما بالنسبة للنصوص القرآنية خاصة.. وإلا كان المعنى المراد من الآية متغيرًا.. وهذا حرام.. وكذلك بالنسبة للأحاديث النبوية فضلًا عن غيرها من الآثار والأشعار الدينية.. وإلا كان الواعظ هذا مهزوزًا أمام مستمعيه.. وقد ورد فى الحديث الشريف: «**تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها كلام الله تعالى يوم القيامة**».

ولله در من قال:

إن الكلام بلا نحو يماثله ... نبح الكلاب وأصوات السنانير[1]

** هذا، مع ملاحظة: أن الأسلوب الذى ستعرض به (الجواهر) سيكون

---

(١) السنور: حيوان أليف من الفصيلة السنورية، ورتبة اللواحم، من خير ما مأكله الفأر، ومنه أهلى وبرى.

سهلا ميسرًا يفهمه العامة والخاصة.. و(أنه) أيضًا - إن شاء الله تعالى- سيكون واضحًا كل الوضوح حتى يستطيع الأخ الواعظ أن يعبر به بدون تعقيد لفظى أو معنوى.. (ولسوف) يرى الأخ الواعظ كذلك أننى قد وضعت بين يديه - بتوفيق من الله- خمسة خطب لكل شهر عربى.. بالإضافة إلى خطبتين لعيد الفطر المبارك وخطبتين لعيد الأضحى المبارك.. (ولسوف) أعمل أيضًا -إن شاء الله تعالى- على إنشاء جزء خاص.. حول الخطب المتنوعة لإلقائها فى المناسبات التى منها العزاء، وعقد القران، وافتتاح المساجد.. الخ.

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم السريع أن أوجه إلى الأخ الواعظ بعض النصائح والتوجيهات الهامة التى لا بد وأن يكون منفذا لها.. حتى يكون مؤديا لرسالته على أكمل وجه.. ولا سيما إذا كان فى وسط من الأوساط المثقفة التى لن تسمح له.. بأن يقول أى كلام من فوق المنبر لأنه إن كان هكذا.. فإن هذا سيكون معناه أنه لن يعمل لهم حسابا، ولم يحاول كواعظ -درس البلاغة- أن يرتفع إلى مستواهم.. إذا كنت سأحاول أن أنصحه بأمانة وصدق:

فإن أهم وصية أوجهها إليه كناصح أمين: أن يقرأ كثيرًا فى القرآن والسنة والأحكام الفقهية وكل ما يتعلق بالدعوة إلى سبيل الله ورسوله.. مع ملاحظة أن العلم بحر لا شاطئ له ولهذا فقد قال الله تعالى لأعلم خلقه محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ولله در الإمام الشافعى رحمه الله فلقد قال:

أخى لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد ودرهم ... وصحبة أستاذ وطول زمان

** (وليحذر) أن يفتى فى سؤال سيوجه إليه إلا إذا كان متمكنًا من الإجابة عليه.. (فقد) ورد أن الإمام مالك وهو الذى قالوا فى شأنه: لا يُفْتى ومالك فى المدينة سُئل عن أربعين مسألة.. فأجاب عن أربعة فقط، وقال فى باقى المسائل: لا أدرى.

وعندما سُئل فى هذا قال: من قال: لا أدرى فقد أفتى.

(وهذا) ليس بعيب فيه.. وإنما العيب أن يُفتى بدون علم.

(وقد) ورد عن الإمام على كرم الله وجهه أنه كان يقول: من ترك قول لا أدرى

أُصيبت مقاتله.

** (وقد) قرأت كذلك أنه عليه رضوان الله كان ذات يوم يخطب على المنبر فسأله أحد الجالسين فى مسألة من المسائل.. فقال: (الله أعلم) فقال له السائل: هذا مكان من يعلم ولا يجهل[1]. فقال له سيدنا على: (هذا مكان من يعلم ويجهل، أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان)[2].

** (وأحب) بعد ذلك أن أذكِّرك ونفسى بأهم السنن والملاحظات التى ينبغى علينا نحن الوعاظ العاملين بصفة خاصة -إن شاء الله- أن نكون من الحريصين على تنفيذها اقتداء بسيد الخطباء وإمامهم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

* * فقد جاء فى الجزء الرابع من الدين الخالص ما خلاصته:

أنه يستحب الإكثار فى يوم الجمعة وليلتها من قراءة القرآن والذكر والدعاء.

(فقد) ورد أن **«من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة»** وأن **«من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غُفر له»** وأن **«من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»** وأن **«من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس»** وأن **«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له النور ما بين الجمعتين»** وأن **«من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»** وأن **«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يُضىء له يوم القيامة وغُفر له ما بين الجمعتين»**.

فهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة.. إلا أنه (يُسن) قراءة ما ذكر كله أو بعضه

---

(١) يقصد المنبر الذى يقف عليه الإمام على رضى الله عنه.

(٢) أى ليس بمكان محدد.. لأنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث.. وليس كمثله شىء.. فأعقل هذا المعنى أيها الأخ الخطيب.. وإياك أن تكون من أهل الشطط الجهلاء الذين نسأل الله تعالى أن يهديهم كما هدانا.. اللهم آمين.

ليلة الجمعة ويومها[1] لا على وجه يشوش على مصل أو نائم.

(قال ابن الحاج) فى المدخل: ينبغى لإمام المسجد أن ينهى عن قراءة الأسباع فى المسجد.. لأن المسجد إنما بُنى للمصلين والذاكرين (يعنى سرا) وقراءة الأسباع فى المسجد مشوشة، وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم «**لا ضرر ولا ضرار**»[2].

** (وقد سئل) الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى عصره -عليه رحمة الله- عما اعتيد من قراءة فقيه سورة الكهف جهرا يوم الجمعة لأجل عدم غوغاء الفلاحين بالكلام الدنيوى؟.

(فأجاب) بقوله: وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة جاء فى عبارة الأشباه عند تعداد المكروهات ما نصه: ويكره إفراده الصوم[3]، وإفراد ليلته بالقيام، وقراءة الكهف فيه، خصوصا وهى لا تُقرأ إلا بالتلحين وأهل المسجد يلغون ويتحدثون ولا ينصتون، ثم إن القارئ كثيرًا ما يشوش على المصلين، فقراءتها على هذا الوجه محظورة)[4] ا.هـ.

فعلى الأخ الخطيب والإمام المسئول عن إدارة المسجد أن يلاحظ هذا حتى يكون ناهيا عنه.. وإلا فإنه سيُسأل عن تهاونه يوم القيامة أمام الله تعالى وفى حضرة الرسول ﷺ الذى يقول «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»[5].

(ويندب) الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ فلقد قال: «**إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا من الصلاة علىّ**» أخرجه الشافعى فى مسنده.

---

(١) لأنه سيكون من فضائل الأعمال.

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وأخرجه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت.

(٣) يعنى يوم الجمعة.

(٤) هذه بعض فتوى منقولة من دفاتر دار إفتاء الديار المصرية رقم ٣١١ جزء ثالث بتاريخ ٢٢ من ربيع الأول سنة ١٣٢٢ جوابا عن سؤال من مديرية المنوفية فى ٢٤ من مايو سنة ١٩٠٤م نمرة ٧٦٥.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

(وورد) فى حديث أخرجه البيهقى بسند حسن أن رسول الله ﷺ، قال: «**أكثروا علىَّ من الصلاة فى كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتى تعرض علىَّ فى كل يوم جمعة، فمن كان أكثركم علىَّ صلاة كان أقربكم منى منزلة**».

(والحاصل) أن الصلاة على النبى ﷺ فى جميع الأوقات من أجل الطاعات، والإكثار منها لا سيما يوم الجمعة وليلة الجمعة من أعظم العبادات، والأحاديث الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

** (ويطلب) الغسل والسواك والتطيب ولبس أحسن الثياب يوم الجمعة (لحديث) أبى سعيد وأبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومسَّ الطيب ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها**» وكان أبو هريرة يقول: وثلاثة أيام زيادة، إن الله جعل الحسنة بعشر أمثالها. أخرجه أحمد ومسلم والحاكم والأربعة إلا الترمذى.

أى: أن من تحلى يوم لجمعة بالغسل وما بعده ثم سكت مستمعا إذا خرج الإمام للخطبة إلى أن ينتهى من الصلاة، كانت هذه الخصال ماحية للذنوب التى حصلت منه طول الأسبوع وزيادة ثلاثة أيام من الجمعة.. الآتية. والمراد بالذنوب الصغائر لما فى رواية أبى هريرة عند مسلم: ما لم يغْش الكبائر (وظاهره) أن تكفير الذنوب فى هذه المدة مشروط بفعل كل هذه الخصال مع ترك الكبائر.

** (والمراد) بأحسن الثياب البيض (لحديث) ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**» أخرجه أحمد وابن حبان وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

(وقد) كان الغالب من لباسه ﷺ فى الجمعة البياض، فلا ينافى أنه كان أحيانا يلبس غيرها (فقد) أخرج البيهقى عن جابر: كان النبى ﷺ يلبس بُرده الأحمر فى العيدين والجمعة.

* و(حكمة) مشروعية الغسل والسواك والطيب والتجمل بأحسن الثياب يوم الجمعة أن يكون المصلى على أكمل حال وأطيبه فلا يتأذى به أحد، ولأن الملائكة تقف على أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول فربما صافحوه أو لمسوه.

** (ويندب) التكبير إلى صلاة الجمعة (لحديث) أبى هريرة أن النبى صلى عليه وعلى آله وسلم قال: «**المهجر**[1] **إلى الجمعة كالمهدى بدنة، ثم الذى يليه كالمهدى بقرة، ثم الذى يليه كالمهدى كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة**»[2] أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه.

(قال) الشيخ صفى الدين أحمد المرادى الشافعى فى العُباب المحيط: ويستحب البكور لغير الإمام[3]، ووقته من الفجر. وكل ساعة أفضل مما بعدها.

* (ويطلب) المشى إلى الجمعة، والقرب من الإمام، والإنصات له (لقول) أوس بن أوس الثقفى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من غسَّل يوم الجمعة واغتسل**[4]**، ثم بكَّر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغُ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة، أجر صيامها وقيامها**» أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى والأربعة وحسنه الترمذى.

ومعنى (بكر) بالتشديد، أى بادر إلى صلاة الجمعة، وقيل أى تصدق قبل خروجه، لقول أنس رضي الله عنه: (باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة) أخرجه البيهقى والطبرانى فى الأوسط (وابتكر) أى أدرك أول الخطبة، أو أدى ما يؤديه المبكر من صلاة وتسبيح وغيرهما، وقيل: هو بمعنى بكر وجمع بينهما للتأكيد.

** (ويطلب) ممن دخل المسجد ألا يتخطى رقاب الناس (لقول) أبى الزاهرية: كنا مع عبد الله بن بُسر فجاء رجل يتخطى رقاب الناس، فقال ابن بُسر:

---

(١) التهجير؛ أى: التكبير والمبادرة إلى الشىء.

(٢) المراد أن درجات السابقين إلى الجمعة متفاوتة وأن نسبة الثانى إلى الأول كنسبة البقرة إلى البدنة فى قدر ثواب مهديها أو المتصدق بها.

(٣) ومعلوم أن النبى ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلا بالزوال وهو بعد الانفصال السادسة، فدل على أنه لا شىء من الهدى والفضيلة.. لمن جاء بعد الزوال.

(٤) غسل؛ روى بالتشديد، والمعنى جامع امرأته فتسبب فى غُسلها واغتسل من الجنابة.

جاء رجل إلى النبى ﷺ يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب فقال «**اجلس فقد آذيت وآنيت**»[1] أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم وصححه ابن خزيمة وأخرجه ابن ماجه عن جابر.

* * (وبحرمة) تخطى الرقاب يوم الجمعة صرح الشافعى.

* (وقال) النووى فى زوائد الروضة: إنه المختار للأحاديث الصحيحة وعده صاحب الهدى من الكبائر.

* (قال) كعب الأحبار: لأن أدع الجمعة أحب إلىّ من أن أتخطّى الرقاب. قاله العراقى.

* (وقال) ابن المسيب: لأن أصلى الجمعة بالحرة[2] أحب إلىّ من التخطّى.

* (ومشهور) مذهب الشافعية والحنابلة: كراهة التخطى إلا لفُرجة فلا يكره.

* (وقالت) المالكية: يحرم التخطى حال الخطبة يوم الجمعة ولو لفرجة، ولا يكره قبل جلوس الخطيب إن كان لسد فرجة فيجوز.

* وقالت الحنفية: لابأس بالتخطى مالم يخرج الإمام أو يؤذ أحدًا إلا لسد فرجة فيجوز.

* (قال) فى شرح مُنية المصلِّ: وقد عُلِم أن التخطى جائز بشرطين:

أحدهما: أن لا يؤذى أحدا، لأن الإيذاء حرام والدنو مستحب، وترك الحرام مقدم على فعل المستحب.

والثانى: أن لا يكون الإمام فى الخطبة، لأن تخطيه حينئذ عمل وهو حرام فى حال الخطبة فلا يرتكبه لأمر مستحب.

* (وقد) فرق النووى بين التخطى، والتفريق بين الاثنين وهو الظاهر؛ لأن التفريق يحصل بالجلوس بينهما وإن لم يتخط وهو ممنوع إن لم يكن بينهما فُرجة وإلا فلا بأس به.

---

(١) آنيت: أى تأخرت.

(٢) الحرّة؛ بفتح الحاء: أرض ذات حجارة سود.

** فعلى الأخ الواعظ أن يكون على علم بكل هذا حتى ينبه عليه الإخوة المصلين الذين يرتكبون مثل تلك المكروهات فضلا عن غيرها التى ينبغى أن يقف عليها فى كتب الفقه المطولة.. (وعليه) كذلك أن يكون جادًا فى هذا وبدون محاباة لأحد من الوجهاء.. مع ملاحظة قول الرسول ﷺ **«قل الحق وإن كان مُرًّا»**[1] وقوله **«لاتخف فى الله لومة لائم»** مع التذكير بقول الإمام على – كرم الله وجهه –: (إن الله تعالى هو الحق، فمن كره الحق فقد كره الله).

* * هذا، وأحب بعد ذلك أن أذكره بصفة خاصة – وباختصار – بأهم ما يتعلق بشروط وأحكام، وتنبيهات:

خطبة الجمعة

** (فهى) شرط عند الأئمة الأربعة والجمهور:

** (لقوله) تعالى ﴿**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ ، والذكر هو الخطبة لاشتمالها عليه..فإذا كان الله –تعالى– قد أمر بالسعى إليه فإن هذا يشير إلى وجوبه، لأنه لا يجب السعى لغير الواجب – والواجب ما يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه.

* (ولقول) ابن عمر –رضى الله عنهما –: كان النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يخطب خطبتين، كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن، ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم، ثم يقوم فيخطب. أخرجه الدارقطنى والبيهقى والجماعة إلا ابن ماجة وهذا لفظ أبى داود.

(ولم يرد) أنه – عليه الصلاة والسلام – أو واحدًا من الخلفاء الراشدين فمن بعدهم صلى الجمعة بدون خطبة فهى من جملة الخصوصيات التى لم يرد إسقاط الركعتين إلا مع مراعاتها فكانت شرطًا (وقال) النووى: ولأن السلف قالوا: إنما قصرت الجمعة لأجل الخطبة فإذ لم يخطب رجع للأصل. ا.هـ

** (ويشترط) لصحة الخطبة عند الجمهور إثنى عشر شرطًا:

أولًا: كونها قبل الصلاة، لأنها شرط، والشرط يتقدم على المشروط، فلا يُعتد

---

(١) كما جاء فى نص وصية من وصايا الرسول ﷺ رواها ابن حبان فى صحيحه، والحاكم.

بالخطبتين إن تأخرتا عن الصلاة وتعاد معهما عند الأئمة الثلاثة.

(وقالت) المالكية: إن تأخرتا أعيدت الصلاة فقط دون الخطبة إن قرب الزمن عرفًا ولم يخرج الإمام من المسجد، فإن طال أو خرج الأمام أعيدت الخطبتان والصلاة.

ثانيًا: وكونها فى وقت الجمعة، لأن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – لم يُصلها بدون خطبة فى الوقت، فلو خطب قبله وصلى فيه لم تصح.

ثالثًا ورابعًا: و كونهما بحضرة جماعة ممن تنعقد بهم الجمعة بأن يكونوا ذكورًا مكلفين ولوصُمًّا أو نياما فلو خطب بحضرة النساء أو الصبيان أو المجانين فقط لا تصح، وكذا لو خطب بحضرة واحد على الأصح عند الحنفيين، ولكن اعتمد الكمال ابن الهمام رواية صحة الخطبة وإن لم يحضر أحد.

* قال فى كشف القناع: (الرابع) من شروط الجمعة: (أن يتقدمها خطبتان) واشترط تقديمهما على الصلاة، لفعله – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه (ولأنهما) شرط فى صحة الجمعة والشرط مقدم، أولا لاشتغال الناس بمعايشهم، فقدّمَا لأجل التدارك بعد دخول وقت الجمعة لما تقدم من أنهما بدل من ركعتين، والصلاة لا تصح قبل دخول وقتها (من كل مكلف عدل) لما ذُكر من أنهما بدل من ركعتين، وليس المراد أنهما بدل من ركعتين من الظهر، لأن الجمعة ليست بدلًا عن الظهر، بل الظهر بدل عنها إذا فاتت. ا.هـ بتصرف.

* (خامسًا): ويشترط الجهر بالخطبة بحيث يسمع.

أركانها: من تنعقد به الجمعة حيث لا مانع كنوم أو غفلة أو صمم عند الجمهور.

(وقالت) المالكية: الشرط الجهر بها، ولا يشترط سماع الحاضرين ولا إصغاؤهم وإن كان الإصغاء واجبا عليهم، فلو أسر بها لا تصح.

** (وركن) الخطبة عند أبى حنيفة: مطلق ذكر الله – تعالى – بنيتها، فيكفى فيها تسبيحة أو تحميدة أو تهليلة أو تكبيرة (لقوله) تعالى: **﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ﴾** فدل على أن الركن مطلق الذكر طويلًا أو قصيرًا.

(وذكر) ابن بطال فى شرح البخارى، والخلاطى فى شرح مسلم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أول جمعة ولى الخلافة صعد المنبر فقال: (الحمد لله) فارتج عليه[1] فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالًا، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى أمام أقوّل، وستأتيكم الخطب بعد، وأستغفر الله لى ولكم ونزل وصلى، ولم ينكر عليه أحد، فكان إجماعًا منهم على الإكتفاء بهذا القدر، وأن الطول المسمى خطبة فى العرف ليس بشرط، فكان الشرط مطلق الذكر، فلو اقتصر على قوله: (الحمد لله) أو (سبحان الله) أو (لا إله إلا الله) أو نحو ذلك: أجزأ مع الكراهية التنزيهيه[2] لمخالفته المأثور عن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وهو المواظبة على الذكر المسمى خطبة، المشتمل على التحذير وغيره. فكان هذا واجبًا أو سنةُ لا ركنا (وقالت) المالكية و الأوزاعى وإسحاق وأبو يوسف ومحمد ركنها الذكر الطويل المشتمل على تحذير وتبشير والمسمى خطبة عُرفًا (وأقله) قدر التشهد أو ثلاث آيات، لأن التسبيحة ونحوها لا تُسمى خطبة عرفًا ولا لغة.

(وقالت) الشافعية والحنابلة: أركانها: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والوصية بالتقوى فى كل من الخطبتين، وقراءة آية من القرآن فى إحداهما، كذا الدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى الثانية عند الشافعية.

(قال) ابن قدامة فى المغنى: ويشترط لكل واحدة منهما حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لآن النبى ﷺ قال: «**كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله**[3] **فهو أبتر**» أخرجه ابن ماجه والبيهقى عن أبى هريرة بلفظ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع**»، وإذا وجب ذكر الله تعالى وجب ذكر النبى ﷺ . لما روى فى تفسير قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ*وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ *وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ ، فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل – عليه السلام – عن هذه الآية: ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ قال: قال الله تعالى: (**إذا ذِكرتُ ذِكرتَ معى**) أخرجه البغوى و ابن جرير و أبو يعلى.

---

(١) أى لم يقدر على إتمام الخطبة: يقال ارتج على القارىء بالبناء للمفعول إذا لم يقدر على القراءة.

(٢) أى إلى الحلال أقرب.. أما الكراهة التحريمية فهى إلى الحرام أقرب.

(٣) وفى رواية ببسم الله.. (وأبتر) أى ناقص لا بركة فيه.

(ولأنه) موضع وجب فيه ذكر الله تعالى والثناء عليه، فوجب فيه الصلاة على النبى ﷺ كالأذان والتشهد..

(قال) فى الدين الخالص: (ولنا) أن النبى ﷺ فسّر الذكر بفعله فيجب الرجوع إلى تفسيره (قال) جابر بن سمرة: (كانت صلاة رسول الله ﷺ قصرًا وخطبته قصرًا يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس) أخرجه مالك وأحمد والترمذى والنسائى (وقال) جابر: (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس بحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له...) أخرجه الأربعة والبيهقى عن ابن مسعود بلفظ أتم (وهناك) فى كتب السنة نماذج كثيرة (من خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين) [1] بالإضافة إلى غيرهم من الصحابة والتابعين – رضى الله عنهم أجمعين –.

يستطيع الأخ الواعظ الوقوف عليها كنماذج حيَّة ينبغى أن تكون بين يديه حتى يتعلم منها كيف يكون خطيبًا مُجيدًا.. وحسبُه أنه سيكون بهذا مقتديًا بأعظم خطيب فى الوجود..– صلوات الله و سلامة عليه–.. فهو أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء.. وهو من أوتى جوامع الكلم.

*(السادس) من شروط الخطبة: الموالاة بين الخطبة والصلاة، بألاَّ يفصل بينهما بعمل يقطع الخطبة كالأكل والجماع بخلاف غير القاطع كالوضوء والغسل، وقضاء فائتة وافتتاح تطوع بينهما: فإنه لا يبطل الخطبة وإن كان الأولى إعادتها، وهذا مذهب الحنفية.

(وقالت) المالكية والحنبلية: يشترط بين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة بألا يفصل بين ذلك بفاصل طويل عُرفًا.

(وقالت) الشافعية: يشترط الموالاة بين أركانها وبينهما وبين الصلاة بألا يفصل بين ما ذُكر بقدر ركعتين خفيفتين، وإلا بطلت الخطبة.

---

(١) وقد أكرمنى الله تعالى بتأليف كتاب تحت هذا العنوان.. قامت (دار التراث العربى) قبل ذلك بطبعه.. وتقوم الآن (دار الرشاد) ١٤ ش داود حسنى بالقاهرة... بطبعه فاخرة فى جزءين. ويستطيع الأخ الواعظ الحصول عليهما إن شاء الله.

* (السابع): ويشترط كون الخطبة بالعربية للقادر عليها [1] عند أبى يوسف ومحمد والشافعى وأحمد، فإن عجز عن العربية خطب بما يقدر عليه إلا الآية التى هى من أركان الخطبة عند الشافعى وأحمد فلا ينطقها بغير العربية إن عجز عنها، بل يأتى بدلها بذكر أو دعاء عربى، فإن عجز عن ذلك سكت بقدر الآية.

(وقالت) المالكية: يشترط كونها باللغة العربية ولو كان القوم عَجَمًا، فإن لم يوجد فيهم من يحسن العربية سقطت عنهم الجمعة.

(وقال) أبو حنيفة: تصح الخطبة بغير العربية ولو من قادر عليها والقوم عرب.

* (والثامن والتاسع): يشترط للخطبة الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة عند الشافعية وهو رواية عن مالك (ولا يشترط) ما ذكر عند الحنفية والحنبلية، وهو مشهور مذهب المالكية، فلو خطب غير متطهر أو عاريا لا تصح عند الشافعية وتصح عند غيرهم مع الكراهة لمخالفته المتوارث (وكذا) لا يشترط فى الإمام أن يكون هو الخطيب عند الحنفية وهو الأصح عند الشافعية.

(وقالت) المالكية: يشترط أن يكون الخطيب هو الإمام إلا لعذر [2]..

* (العاشر): ويشترط نية الخطبة عند الحنفيين والحنبليين، فلو خطب بلا نية لا يُعتدُّ بالخطبة [3] (وقالت) الشافعية: يشترط عدم الصارف فلو عطس وحمد الله لعطاسه أو سبح تعجبًا، لم يكف عن الخطبة عند الأولين لعدم قصد الخطبة، (وعند) الشافعية للصارف (وعند) المالكية: لا تشترط نية الخطبة.

* (الحادى عشر): ويشترط القيام فيها للقادر (لحديث) ابن عمر – رضى الله عنهما – الذى يقول فيه: (كان النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يخطب

---

(١) وذلك لأن العربية هى لغة القرآن التى لابد أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة حتى يقرأ القرآن بلغته وفى الصلاة بصفة خاصة. ولا سيما بالنسبة للخطيب الذى لابد وأن يتعلمها.

(٢) كأن يكون مريضًا لا يستطيع الوقوف على قدميه طوال الصلاة.

(٣) قال فى الدين الخالص: يؤخذ من هذا الشرط ومما قاله المالكية من أنه يشترط فى إمام الجمعة أن يكون هو الخطيب...

خطبتين، كان: يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن، ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب) أخرجه الدارقطني والبيهقي والجماعة إلا ابن ماجه. وهذا لفظ أبي داود (ولقول) جابر بن سمرة: (إن رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائمًا فمن حدثك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة [1] أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والبيهقي، وأبو داود (وقال) النووي: لأن الخطبة أحد فرضي الجمعة فوجب لها القيام والقعود كالصلاة ا.هـ.

(وقال) أبو حنيفة وأصحابه وأحمد في رواية عنه: القيام في الخطبة سُنة لأنه الثابت من فعله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وفعل الخلفاء الراشدين بعده، وليس بفرض، لأن الفعل بمجرده لا يفيد الفرضية (وهذا) هو الظاهر

وما قاله (النووي) من أن الخطبة أحد فرضي الجمعة فوجب القيام لها كالصلاة (مُعارض) بأنها تخالف الصلاة في عدم اشتراط استقبال القبلة فهي بالأذان أشبه.

(وقال) القاضي: يجزيه الخطبة قاعدًا – للضرورة – وقد نص عليه أحمد وهو مذهب أبي حنيفة لأنه ذكر ليس من شرط الإستقبال فلم يجب له القيام كالأذان. والله أعلم.

(ومما يدل) على عدم وجوب القيام في الخطبة أن كعب بن حجرة دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم حكيم يخطب قاعدًا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا والله – تعالى – يقول: **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾** .أخرجه مسلم والنسائي. ولم يحكم هو ولا غيره ببطلان الخطبة. فعلم أن القيام فيها ليس بشرط بل هو سنة أو واجب كما قال بعض الحنفيين.

(وأول) من جلس على المنبر في الخطبة معاوية لضرورة كثرة شحم بطنه ولحمه..

---

(١) محمول على المبالغة في الكثرة أو المراد الصلوات الخمس، لأن الجمعة التي صلاها النبي ﷺ من وقت افتراض الجمعة إلى موته، لا تبلغ هذا المقدار ولا نصفه.

(وهذه) ضرورة – نسال الله تعالى أن يعافينا منها ومن جميع الأمراض حتى نخطب – نحن الوعاظ – قائمين خروجًا من الخلاف وهذا أفضل – (اللهم أمين).

* (الثانى عشر): والجلوس بين الخطبتين شرط عند الشافعية والإمام يحيى (لما تقدم) من الأحاديث (ولقول) جابر بن سمرة (كان لرسول الله – صلى الله عليه و آله وسلم – خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس) أخرجه مسلم والدارمى والبيهقى والأربعة إلا الترمذى.

(ولقول) ابن عمر (كان النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة مرتين بينهما جلسة) أخرجه أحمد وفى رواية له عن ابن عمر أن النبى – صلى الله عليه و آله وسلم – كان يجلس بين الخطبتين سنة (لما تقدم) من أن مجرد فعل النبى ﷺ لا يدل على الوجوب (قال) فى المغنى: وروى عن أبى إسحاق قال: رأيتُ عليًا: يخطب على المنبر فلم يجلس حتى فرغ (وجلوس) النبى ﷺ كان للإستراحة فلم تكن واجبة كالجلسة الأولى (أى التى قبل الخطبة) ولكن يُستحب فإن خطب جالسًا لعذر فصل بين الخطبتين بسكتة، وكذلك إن خطب قائمًا فلم يجلس.

(قال) ابن عبد البر: ذهب مالك والعراقيون وسائر الفقهاء إلا الشافعى: بأن الجلوس بين الخطبتين لا شىء على من تركه ا.هـ.

ثم بعد ذلك يشير فى الدين الخالص ج ٤ إلى ملاحظة هامة لابد وأن يكون الأخ الخطيب على علم بها ومنفذًا للمراد منها، فيقول:(ويُشترط) فى الخطيب غير ما تقدم:

أن يكون عالمًا بالعقائد الصحيحة حتى لا يزيغ ولا يُضل الناس بسوء عقيدته.

(وأن) يكون عالمًا بما تصح به الصلاة.

(وينبغى) أن يكون ملمًا بأحكام الفقه ليتمكن من إجابة من يسأله عن بينة، ويرشده بنور الشريعة إلى الصراط المستقيم، ولا يخبط خبط عشواء فى أمور الدين.. (أى) لا يقول بدون علم حتى لا يكون من الضالين اُلمضلين. – والعياذ بالله – (لأن هذا) سيكون معناه أن السائل سينفذ فتواه خاطئًا.. – نسأل الله تعالى أن يعافينا من عقابه الشديد يوم القيامة – (وأعنى) بهذا أن أى خطأ سيقع فيه السائل بسبب هذه الفتوى الخاطئة.. سيكون وبالًا على هذا الواعظ الجاهل الذى

لابد وأن يتعلم حتى لا يضر الناس بفتواه الخاطئة.. والتى قد تكون فى العبادات أو المعاملات أو الأحكام المتعلقة بالزواج أو الطلاق أو الميراث وما إلى ذلك.

** وأما عن:

سنن الخطبة

فهى كثيرة، منها:

* سلام الخطيب على الحاضرين قبل صعوده المنبر وبعده، واستقبالهم بوجهه (لحديث) ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم : (كان إذا دنا من المنبر سلم على من عند المنبر ثم صعد، فإذا استقبل الناس بوجهه سلَّم (ثم قعد) أخرجه ابن عدى والطبرانى.. وأخرجه البيهقى وحسنه بلفظ: (كان رسول الله ﷺ إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلم على من عنده من الجلوس، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه ثم سلم قبل أن يجلس).

(ولقول) الشعبى: (كان رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس فقال: السلام عليكم ورحمة الله) أخرجه الأثرم عن أبى بكر بن أبى شيبة (قال) فى الهدى النبوى: وفى مراسيل عطاء وغيره أنه (كان ﷺ إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس ثم قال: السلام عليكم) قال الشعبى: كان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك. ا. هـ.

ويسن الجلوس على المنبر قبل الخطبة حتى يفرغ المؤذن، لما تقدم (ولقول) ابن عمر: (كان النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن) الحديث أخرجه البخارى وغيره كما تقدم، وهذا مجمع عليه.

* ويُسنّ ابتداء الخُطبتين بالحمد لله، والشهادة لله بالوحدانية، وللنبى ﷺ بالرسالة، والصلاة على النبى ﷺ ، والإتيان بأما بعد واشتمالها على الإيصاء بالتقوى – وهى فعل المأمورات وترك المنهيات – وعلى آية قرآنية، وأن يدعوا فى الخطبة الثانية للمؤمنين والمؤمنات بأن يوفقهم الله – تبارك وتعالى – لفعل

الطاعات وترك المنكرات حتى يكونوا أهلًا لنصر الله – تعالى – وتأييده وعونه لهم فى جميع ميادين الحياة الشريفة.. لأنه كما يقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجنى عليه اجتهاده

(وبهذا) قالت الحنفية والمالكية، وكذا الشافعية والحنبلية فى غير ما عدوه مما ذكر ركنًا فى الخطبة كالحمد لله والصلاة على رسول الله وغيرهما مما تقدم.

(ولقول) أبى حنيفة رحمه الله: ينبغى أن يخطب خطبة خفيفة يفتتح بحمد الله، ويثنى عليه، ويتشهد، ويصلى على النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم –، ويعظ ويذكر، ويقرأ سورة (أى آية) ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى يحمد الله –تعالى – ويثنى عليه ويتشهد ويصلى على النبى ﷺ ، ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات ذكره فى البدائع.

* ويسن للناس استقبال الإمام حال الخطبة (لحديث) عدى بن ثابت عن أبيه قال: (كان النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم) أخرجه ابن ماجه بسند رجاله ثقات إلا أنه مرسل (قال) الترمذى: العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وغيرهم، يستحبون استقبال الإمام إذا خطب. ا. هـ.

(والحكمة) فى ذلك أنه بلغ فى الإستماع فاستحب كاستقبال الإمام للمأمومين.

* ويُسنُّ أن يخطب على منبر أو مكان مرتفع لأن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – (كان يخطب على منبر) ويستحب كونه صغيرًا ثلاث درجات بالمقعدة، كما كان منبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم [1].

* ويستحب أن يكون المنبر عن يمين القبلة كما كان منبر النبى .

* ويسن للخطيب رفع صوته لإسماع الحاضرين وإظهار الشهامة، وتفخيم أمر الخطبة، والإتيان فيها بجزيل الكلام (لقول) جابر بن عبد الله: (كان رسول الله –

---

(١) وهذا أفضل حتى لا يقطع الصف أثناء الصلاة خلف الإمام.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يخطب الناس فيحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وخير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) (وكان إذا ذكر الساعة علا صوته، واحمرت وجنتاه، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم [1] (وهذا) متفق عليه.

(قال) النووى فى المجموع: يُستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مُبيِنَة من غير تمطيط ولا تقعير، ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة، فإنها لا تقع فى النفوس موقعًا كاملًا، ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها، بل يختار ألفاظًا جزلة مفهمة.ا.هـ.

* ويسن تقصير الخطبة (لقول) جابر بن سمرة: (صليت) مع النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فكانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا [2]: يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة.

(ولقوله): (كان رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، فإنما هى كلمات يسيرات) أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقى بسند رجاله ثقات.

(ولقول) عمار بن ياسر سمعت رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يقول: «**وإن طُول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة**[3] **من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**» أخرجه أحمد ومسلم.

---

(١) صبحكم ومساكم: أى أتاكم العدو وقت الصباح والمساء.

(٢) القصد فى الشيء: الإعتدال وترك التطويل.. يعنى كانت صلاته وخطبته متوسطتين لا طويلتين ولا قصيرتين. والتوسط فى كل بحسبه، ففى الخطبة بالنسبة لغيرها من الخطب، وفى الصلاة بالنسبة لغيرها من الصلوات.

(٣) مئنة: بفتح فكسر وشد النون مفتوحة، أى أن قصر الخطبة علامة على فقه الرجل.. لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ عن المعانى الكثيرة.. والأمر بتطويل الصلاة هنا، لا ينافى الأحاديث الآمرة بتخفيف الصلاة.. لأن المراد بها هنا أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة للخطبة لاطولًا يشق على المأمومين وهى حينئذ معتدلة..

(ولقول) أبى أوفى: (كان رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يُطيل الصلاة ويُقصر الخطبة) أخرجه النسائى بسند صحيح.

(وهذا) متفق عليه (قال) النووى فى المجموع: يُستحب تقصير الخطبة حتى لا يملها الناس، ويكون قصرها معتدلًا ولا يبالغ فيه بحيث يمحقها.

ويستحب للخطيب ألا يحضر للجمعة إلا بعد دخول الوقت [1] بحيث يشرع فيها أول وصول المنبر، لأن هذا هو المنقول عن رسول الله ﷺ وإذا وصل المنبر صعده ولا يصلى تحية المسجد، وتسقط هنا التحية بسبب الاشتغال بالخطبة كما تسقط فى حق الحاج إذا دخل المسجد الحرام بسبب الطواف.

(وقال) جماعة من أصحابنا: تستحب له تحية المسجد ركعتان عند المنبر. والمذهب أنه لا يصليها لأن النبى ﷺ لم ينقل عنه أنه صلاها.

(وحكمته) ما ذكرته، ولم يذكر الشافعى وجماهير الأصحاب كلامًا هامًا لابد وأن يفهم الأخ الخطيب المراد منه لأنه كما سيرى سيكون بمثابة النقط على الحروف وسيكون هو الحصيلة لكل ما سبق من الشروط والأركان والسنن فيقول:

(وينبغى) أن يكون الخطيب مُلمًا باللغة العربية خصوصًا علم الإنشاء ليقتدر على تأليف كلام بليغ ينيرُ به أفئدة السامعين.

(وأن يكون) نبيهًا لا تعزب عنه شاردة ولا واردة، لَسنا فصحيًا معبرًا عما يخطر بباله من المعانى والأسرار.

(وأن يكون) وجيهًا تهابه القلوب وتعظه النفوس حتى يكون لكلامه تأثير فيها، ويجد له سميعًا يعى ما يقال ويعمل بما يسمع، وأن يكون صالحًا ورعًا غير متجاهر بمعصية، ولا مرتكبًا مخالفة، عاملًا بما يقول، فإن ذلك أدعى إلى قبول موعظته والعمل بها: قال الإمام أبو الأسود الدؤلى رضي الله عنه:

---

(١) على أن يكون قريبا من المسجد.. حتى لا يشغل المصلين به.

يــا أيهــا الرجــلُ المعلــمّ غــيرهُ	هـــلاًّ لنفســـك كـــان ذا التعلـــيمُ
تصفُ الـداءَ لـذى السقام وذى العنا [1]	كـــيما يصـــحَّ بـــه وأنـــت ســـقيمُ
ونـــراك تُصـــلحُ بالرشـــادِ عقولنـــا	أبـــدًا وأنـــت مـــن الرشـــاد عَـــدِيمُ
ابـــدأ بنفسِـــكَ فانهَهَـــا عـــن غيِّهـــا	فـــإذا انتهـــت عنـــه فأنـــت حكـــيمُ
وهنـــاك يُقبـــل مـــا تقـــولُ ويُشْـــتَفى	بـــالقولِ منـــك وينفـــع التعلـــيم
لا تنـــه عـــن خُلـــقٍ وتـــأتى مثلـــه	عـــارٌ عليـــك إذا فعلـــت عظـــيمُ

*(وقد)حذر الله – تعالى – من القول بلا عمل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾[الصف:٢-٣]

*ولله دَرٌّ من قال موضحًا هذا المشار إليه فى الآية الكريمة، وفى النصيحة التى قبلها:

مـــواعظ الـــواعظِ لـــن تُقْـــبلَا	حتـــــى يعيهـــــا قلبُـــــه أولًا
يـــا قـــوم مـــن أظلـــم مـــن واعـــظٍ	خـــالفَ مـــا قـــد قالـــه فى المـــلاَ
أظهـــر بـــين الخلـــق إحســـانه	وخـــالف الـــرحمَنّ لمـــا خـــلاَ

**(هذا) ولابد كذلك فى ختام هذا التذكير الهام.. أن أذكر الأخ الخطيب بأهم:

مكروهات الخطبة:

وهى كما جاء فى الجزء الرابع من الدين الخالص ج٤ أنه:

*يُكرهُ فيها ترك سُنة من هذه السنن، وتغميض الخطيب عينيه، ودقه المنبر بها فى يده من قوسٍ أو عصًا.

(قال) النووى: وهذا باطل لا أصل له وبدعة قبيحة.

*(ويكره): رفع يديه حال الدعاء، بل يقتصر على رفع السبابة (لقول) حصين ابن عبد الرحمن السلمى: كنت إلى جنب عمارة بن رؤيبة السلمى وبشر [2] يخطبنا،

(١) العنا: أى المشقة.

(٢) بشر هو ابن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية.

فلما دعا رفع يديه فقال عمارة: (قبح الله هاتين اليدين أو اليُديتين[1] رأيت رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وهو يخطب إذا دعا يقول هكذا ورفع السبابة وحدها) أخرجه أحمد ومسلم والبيهقى والثلاثة.

(وبكراهة) رفع يدى الخطيب حال الدعاء قال جماعة منهم مالك والشافعى

(قال) القاضى عياض: كره مالك وقوم من السلف رفع اليدين فى الخطبة لهذا الحديث، لأنه – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – رفعهما فى خطبة الجمعة حين استسقى. ا.هـ.

(وأجاب) المانعون بأن رفعه فى الإستسقاء لا يستلزم طلب رفع اليدين حال خطبة الجمعة، فقد تركه – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – مع قيام المقتضى وهو التشريع وعدم المانع، فكان الترك سنة و الرفع بدعة.

* (ويكره): دعاء الخطيب إذا صعد المنبر قبل جلوسه، وربما توهم بعض جهلة الخطباء إنها ساعة إجابة الدعاء وذلك خطأ.

(قال) النووى فى المجموع: (ومنها) أى: من مكروهات الخطبة الإلتفات فى الخطبة الثانية عند الصلاة على النبى ﷺ وهو باطل مكروه.

(ومنها): المجازفة فى أوصاف السلاطين فى الدعاء وكذبهم فى كثير من ذلك كقولهم: السلطان العالم العادل ونحوه...

(ومنها): مبالغتهم فى الإسراع فى الخطبة الثانية وخفض الصوت بها. ا. هـ.

(أما الدعاء) للسلطان بلا مبالغة وكذب فى الوصف فقد اختلف فيه العلماء:

فأفتى ابن عبد السلام بأنه بدعة غير محبوبة .

(وقال) العدوى فى حاشيته على شرح رسالة أبى زيد: الدعاء للصحب بدعة، وذكِر السلاطين والدعاء لهم بدعة.

---

(١) تصغير اليدين.

(وقال) الصاوى فى حاشته على الشرح الصغير: من جملة اللغو الدعاء للسلطان والترضى عن الصحب. ا. هـ.

(وقال) ابن قدامه فى المغنى: ويستحب أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات ولنفسه والحاضرين، وإن دعا لسلطان المسلمين بالصلاح فحسن (وأما) ما يفعله المؤذنون حال الخطبة من الترضى ونحوه فمكروه اتفاقا.

وكذا ما يكون منهم عند ذكر السلطان من قولهم بصوت مرتفع: آمين آمين نصره الله وأدامه وغير ذلك (فهو) بدعة سيئة بلا خلاف (لقول) أبى هريرة: (لا تقل: سبحان الله والإمام يخطب يوم الجمعة) أخرجه سعيد بن منصور (ولقول) ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارًا**[1] **والذى يقول له أنصت ليست له جمعة**[2]) أخرجه الأمام أحمد وسعيد بن منصور والبزار والطبرانى..

(ولما فيه) من التشويش على المستمعين وكثيرًا ما يتكلف فى ذلك حسن الألحان فتنصرف الآذان عن سماع الخطبة.

* (ويكره) للخطيب التكلم حال الخطبة بكلام دنيوى كما فى الأذان والإقامة بل أولى.

* (ويكره) للخطيب الإتيان بالكلمات المشتركة والألفاظ البعيدة عن أفهام السامعين (لقول) على ﷺ: (حدثوا الناس بما يعرفون، اتحبون أن يُكذب الله ورسوله ؟) أخرجه البخارى فى كتاب العلم.

---

(١) جمع سفر كحمل وهو الكتاب: شبه من تكلم حال الخطبة بالحمار يحمل الكتاب بجامع عدم الانتفاع.

(٢) أى ليست له جمعة كاملة الثواب للإجماع على إسقاط فرض الجمعة عنه.

** ثم يقول بعد ذلك فى الدين الخالص ج ٤ مشيرًا إلى ملاحظة هامة ينبغى أن يلاحظها الأخ الخطيب.. حتى يكون موفقًا فى أداء رسالته التى هى ميراث رسول الله ﷺ .. والتى ينبغى عليه أن يبلغها بأمانه إلى العالمين عسى أن يهدى الله على يديه العصاة والكافرين.. وحسبه إن فاز بهذا أن يكون من المشار إليهم فى قول الرسول ﷺ: «**لأن يهدى الله على يديك رجلًا خير لك من الدنيا وما فيها**»(١).

* فقد قال فى الدين الخالص: (وعليه): فيطلب من الخطيب مراعاة حال الناس وتحذيرهم بما هم فيه غارقون من البدع والمخالفات، وأن لا يلتزم فى خطبته الطرق العتيقة من التزام السجع الذى قد يُفوت (عليه) مقصوده، ولولاه لأدى كل إنسان مراده بما يقدر عليه فيعم النفع.

(قال) بعض الفضلاء: أبلغ الخطب ما وافق الزمان والمكان والحال.. (ففى) زمن صيام رمضان مثلا يبين الخطيب للناس حكمه وأحكامه والمقصود منه، وينهاهم عن البدع التى تحدث فيه مبينًا ضررها (وفى) عيد الفطر يبين أحكام صدقة الفطر، ولا يحسن به أن يستبدلها بها ببيان أحكام الأضحية أو غير ذلك ويتركها بتاتا.

(وفى) مكان تفرق فيه أهله يخطب فيهم عن الاتحاد، (أو) تكاسلوا عن طلب العلم حثهم عليه (أو) أهملوا تربية أبنائهم حثهم أيضًا عليه إلى غير ذلك مما يوافق أحوالهم ويلائم مشاربهم ويناسب طباعهم، (يخطب) فى كل مكان بحسبه مراعيًا أحوال العالم، بصيرًا بمفرقاتهم الحاصلة خلال الأسبوع، فينهاهم عنها وينبههم عليها متى رقى منبر الخطابة، عسى أن يهتدوا طريقًا قويمًا ا. هـ.

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن ينفعنا وينفع الأخ الخطيب بهذا التذكير النافع الذى أرجوا أن يكون حجة لنا وله.. لا عليه ولا علينا وأن ينفع به كذلك جميع المسلمين والمسلمات فى مشارق الأرض ومغاربها.. إلى يوم الدين..

اللهم آمين.

---

(١) وهو حديث صحيح، وقد ورد فى مقدمة رياض الصالحين بنحو ذلك.

**والآن وبعد هذه المقدمة الهامة سأبدأ فى (خُطب الجُمع) من أول شهر محرم إلى شهر ذى الحجة.. وذلك مع تلخيص عن كل شهر عربى أذكر فيه أهم ما كان فيه من أحداث دينية أو تاريخية.

والله ولى التوفيق،



خطب شهر محرم

الخطبة الأولى

((الهجرة وأهم أسبابها))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٢] واشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]

أى: هم يدبرون والله تعالى فوق تدبيرهم.. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله) وأصحابه من المهاجرين والأنصار الذين عزروه ونصروه، فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧،٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –..

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الأول من شهر محرم الذى رأيتُ أن أركز معكم فيه على أهم مقدمات هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب التى سُميت بعد ذلك بالمدينة المنورة.. بعد أن نورها الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –.. (وقد) يتساءل الأخوة الفضلاء وهل كانت الهجرة إلى المدينة المنورة فى شهر محرم ؟ وهذا سؤال هام.. لابد وأن أجيب عليه.. فأقول وبالله التوفيق: أن الهجرة لم تكن فى شهر محرم وإنما كانت على الراجح فى اليوم الثانى

عشر من ربيع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة (٦٢٢م) بعد أن مضى ثلاث عشرة سنة من البعثة [1]..(بل) هناك قول يقول: إن ميلاد الرسول –صلى الله عليه و سلم– و بعثته و هجرته ووفاته (كل) هذا كان فى شهر ربيع الأول..(بل) وفى نفس التاريخ الذى ولد فيه – صلوات الله وسلامه عليه – [2] (وكان) وصول الرسول ﷺ إلى المدينة فى يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأول.

* (وقد) كان السبب فى جعل التقويم العربى هجريًا، هو أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خلافته اجتمع بأصحابه ومستشاريه – عليهم جميعًا رضوان الله – .. وأخذ يتشاور معهم فى أمر التقويم العربى – الذى كان لابد منه حتى تؤرخ به المكاتبات الواردة من الأمصار، والصادرة إليها، فمنهم من رأى أن يكون التقويم بميلاد الرسول ﷺ ، ومنهم من رأى أن يكون ببعثته، أو بهجرته، أو وفاته – صلوات الله وسلامه عليه –. (فرأى) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون التقويم هجريًا.. لأن الهجرة كانت ولا تزال – أهم حدث فى الإسلام.. لأنه لولاها لما انتشر الإسلام، ولما ذاع ولما شاع، ولما ملأ البقاع..

(كما) رأوا جميعا أن يبدأ العام الهجرى من شهر محرم.. بعد أشهر الحج مباشرة.. كما قيل . والله أعلم.

* (وعلى) هذا: فإننا سنبدأ الآن وبعد أن وقفنا على الإجابة – بإيجاز – على السؤال الهام الذى طرحناه لكى نجيب عليه، فى الحديث عن الهجرة:

(وإذا) كان لى أن أبدأ الآن فى التركيز على موضوع هام يتعلق بهجرة الرسول ﷺ و أصحابه الفضلاء قبل هجرته أو بعدها.

---

(١) انظر ٢١٤١ من كتاب (فقه السيرة) للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى.. (الطبعة السابعة).

(٢) كما ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٦١. قال ابن كثير: وهذا هو المشهور عند الجمهور. والله أعلم.

*(فإننى) أرى أن أشير أولًا إلى:

أهم الأسباب المتعلقة بالهجرة:

وهى: أن الرسول ﷺ بعد أن، بلغ سن الأربعين فى العام العاشر من القرن السابع الميلادى [1]. كان الله – تعالى – قد أنزل عليه قوله – وهو فى غار حراء –: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق-١:٥]، ثم نزل عليه الوحى بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].. فبدأ رسول الله ﷺ يدعوا إلى الله سرًا فى أول الأمر حتى أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فبدل الدعوة سرًا بالدعوة جهرًا ممتثلا أمر ربه، واثقًا بوعده ونصره فصعد على الصفا وجعل ينادى بطون قريش، فلما اجتمعوا إليه، وأنصتوا إليه.. دعاهم إلى الإسلام بالمنطق السليم، فبدأ يسألهم قائلا: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريدُ أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ فأجابوه جميعا قائلين: نعم: ما جربنا عليك كذبًا، فقال لهم: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد**»، ولكن المنطق هذا لم يعجب عمه أبا لهب – عليه لعنة الله – ولهذا قال: تبا لك [2] ألهذا جمعتنا ؟ فبكى النبى ﷺ الذى ما كان ينتظر أن يكون الإعتراض هذا من أحد أعمامه.. (ولهذا) فقد رد الله تعالى على هذا الملعون بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا [3] حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [4]﴾ [المسد: ١-٥].

* (وأخذت) الدعوة بعد ذلك – رغم أنف المشركين – تسرى فى قلوب الناس

---

(١) وكان هذا فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان على أرجح الأقوال.

(٢) أى ألزمك الله هلاكًا وخسرانًا.. (مختار الصحاح) ص٧٤.

(٣) الجيد: أى العنق.

(٤) أى حبل من ليف.

سريان السحر.. وعلى أساس من الحكمة والموعظة الحسنة.. فكان ذلك صدمة عنيفة لعقائد قريش التى ورثوها عن الآباء والأجداد..

*(ولهذا) فقد شَهَرُوا فى وجه الدعوة كل سلاح وقعدوا لها كل مرصد.

*(وقد) أصاب الرسول ﷺ من هذا العنف والقسوة.. الكثير الذى منه: (ما رواه) البخارى عن ابن مسعود رضي الله عنه، فيقول: كنا مع رسول الله ﷺ فى المسجد وهو يصلى فقال أبو جهل – عليه لعنة الله – ألا رجل يقوم إلى فرث جذور [1] بنى فلان فليلقه على محمد وهو ساجد ؟فقام عُقبة بن أبى مُعيط – عليه لعنة الله – وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى ﷺ وهو ساجد، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم، ولم يزل – عليه السلام – ساجدًا حتى جاءت فاطمة بنته – عليها رضوان الله – فأخذت القذر ورمته.

(ومن) ذلك أيضًا: (ما رواه) البخارى فى صحيحه قال: "بينما ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه حول عنق رسول الله ﷺ فخنقه به خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ ، وهو يتلو قول الله – تعالى –: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[غافر من الآية ٢٨]. (إلى) غير ذلك مما هو مبسوط فى كتب السيرة.. (وكان) هذا العنف يشمل جميع المسلمين وعلى الأخص الضعفاء منهم، كبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وأخوه وأبوه وأمه وخباب بن الأرت.. إلى غير هؤلاء – عليهم جميعًا رضوان الله –.

*(ثم)حدث بعد ذلك.. وعندما تبين لكفار من قريش.. (أنه) لا فائدة من هذا العنف..(أن) قالوا: نجرب معه الحيلة والترغيب عسى أن تجدى معه.. (فأرسلوا) إليه ثعلبا ماكرا من دهاتهم وهو عتبة بن ربيعة ليقول له: (يا ابن أخى،

---

(١) وهو ما يخرج من بطن الناقة بعد نحرها وسلخها...

إنك منّا حيث قد علمت من المكان فى النَّسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورًا: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أكثرنا مالًا، و إن كنت تريد شرفًا سَوَّدناك علينا فلا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رِئْيا[1] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ، فقرأ عليه رسول الله ﷺ بعض آيات من القرآن الكريم تبين مدى تمسكه بدعوته.. وهى من أول سورة فصلت إلى قوله تعالى: ﴿....فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١-١٣]، فكانت الآيات هذه تنزل على رأس الملعون كالمطرقة الحديدية حتى قالوا: أنه وضع يده على فم الرسول ﷺ وهو يناشده أن لا يسترسل فى قراءته.. ثم قام فارًا من أمام الرسول ﷺ عائدا إلى قومه الذين رأوه من بعيد فأقسموا بأنه قد عاد بوجه غير الذى كان قد ذهب به إلى محمد.. (وعندما) سمعوا منه ما كان.. (حذروه) من العودة إليه مرة أخرى.. وإلا أخذه منهم بما أوتى من سحر مبين..

* (ثم) حاولوا بعد ذلك أن يفرقوا بينه وبين عمه أبى طالب الذى كان يحميه ويدافع عنه.. والذى كان يقول له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسَّد فى التراب دفينا

(فذهبوا) إليه المرة بعد المرة بغية هذا التفريق. ولكنهم لم ينجحوا.. (وأخيرًا) هددوه بأنه إذا لم يكف عنهم محمدًا. (فإنهم) سيقاتلونهما معًا حتى يهلك أحد الفريقين.. (وكان) أبو طالب لا يميل إلى سفك الدماء.. (ولهذا) فقد أرسل إلى الرسول فجاءه.. فقال له بلسان الوالد أو العم المشفق عليه: (يا ابن أخى، أبق على نفسك وعلىّ، ولا تُحملنى من الأمر ما لا أُطيق) فظن النبى ﷺ أن عمه سيخزله فأجابه إجابة تنطق بالحزم الصارم والإيمان

---

(١) أى إن كنت مصابا بمس من الجن.

العميق بالله القوى العزيز قائلا: (والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) ثم بكى وقام منصرفًا..(فلما) رأى منه عمه أنه لن يتراجع عن المضى فى أمره.. وأنه لا يبالى بهؤلاء الكفار حتى ولو حققوا له المستحيل الذى عرضه.. اطمأن عليه كل الإطمئنان ثم قال له: (أقبل يا ابن أخى)... فلما أقبل عليه، قال له: اذهب فقل ما أحببت، والله لا أسلمك إليهم أبدًا.

(ثم) بعد ذلك وبعد أن، رأى الكفار أنه لا فائدة من كل تلك المناورات التى كانت دائمًا وأبدًا تنتهى بالفشل الذريع..(قالوا): لابد من التضييق على أهله وعشيرته حتى يسلموه للقتل.. (وكتبوا بذلك) صحيفة علقوها على جدران الكعبة – مضمونها – أن: لا يبيعون لهم، ولا يشترون منهم، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم.. الخ.

(ولكن) بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف كانوا رجالًا وعلى مستوى المحنة.. (فوقفوا) بجوار الرسول ﷺ فلم يخذلوه ولم يسلموه وانحازوا جميعا – مسلمين وكفارًا عدا أبى لهب إلى شِعب أبى طالب.. ومكثوا فى هذا الحال ثلاثة أعوام حتى أكلوا ورق الأشجار من شدة الجوع.. إلى أن شاء الله تعالى لهم أن يخرجوا من هذا السجن الرهيب.. فكان أن قام خمسة نفر من قريش وصمَّمُوا على نقض هذه الصحيفة الظالمة (وفعلًا نجحوا فى استمالة قريش إلى هذا بعد أن أقنعوهم بضرورة تمزيق الصحيفة وإلا هلك القوم.. فخرج بنو هاشم وبنو المطلب إلى الحياة من جديد..

*(ولكن) قريشًا رأت أنهم لابد وأن يتخلصوا من أمر محمد.. (وذلك) بقتله..(فاجتمعوا فى دار الندوة.. وأخذوا يتشاورون فى كيفية تنفيذ هذا القتل فرأوا أن يكون هذا بأيدى شبان من جميع بطون قريش يضربونه جميعا ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل.. (وكان) الله تعالى على علم بكل ما اتفقوا عليه..

فأنزل على الرسول ﷺ قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠] وكان هذا إيذانًا لرسول الله ﷺ بالهجرة (وهذا) معناه أن النبى ﷺ لم يهاجر هربًا من ميدان الدعوة كما يقول المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام – ولكنه هاجر بإذن الله – تبارك وتعالى – بعد أن تآمر الكفار على قتله.. (وكان) لابد وأن يهاجر الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بدعوته – من مكة الظالم أهلها – إلى يثرب حتى يتمكن من نشر هذه الدعوة فى كل مكان.. من خلال هؤلاء الأصحاب الفضلاء من المهاجرين والأنصار.. الذين جاهدوا بعد الهجرة مع رسول الله ﷺ حق الجهاد سواء كان هذا فى جباة الرسول ﷺ أو بعد مماته – تحت راية الإسلام إلى أن، دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما.. – إلى آخر ما سنقف عليه – إن شاء الله تعالى – فى الخطبة القادمة .

والله ولى التوفيق .



خطب شهر محرم

الخطبة الثانية

((ما حدث بعد أن أُذِنَ لرسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نصر حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه نصرًا مُؤزَّرًا: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى أنزل الله عليه وهو فى الغار سكينته، وأيده بجنود لم يرها أحد.. إلى أن خرج منه — صلوات الله وسلامه عليه — مع صاحبه الصديق.. وإلى أن وصلا بعد ذلك إلى المدينة المنورة فى كنف الله تعالى ورعايته.. حيث استقبل هناك استقبالًا رائعًا لا مثيل له..

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هاجروا معه، والذين آوَوْا ونصروا.. وجاهدوا فى الله حق الجهاده (فكانوا) هُداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله — سبحانه وتعالى — عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الثانى من شهرالله المحرم.. الذى وعدت فى اللقاء الأول بأننى سأعود معكم فيه إلى تفصيل ما كان بعد أن أذِنَ لرسول الله ﷺ بالهجرة (وكان) هذا بعد أن، اجتمع الكفار فى دار الندوة.. التى اجتمع رأيهم فيها على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا، ثم يعطى كل واحد منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا جميعًا بضربة رجل واحد فيقتلوه، كى لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعًا.. وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم.. فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ يأمره بالهجرة وينهاه أن ينام فى مضجعه تلك الليلة [1].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ١٥٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢١٢.

* (وكان) أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل ذلك كما جاء فى صحاح السنة قد جاء يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة إلى المدينة كما أذن لباقى الأصحاب.. فقال له الرسول ﷺ : «**على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى**» فقال أبو بكر: (وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟) قال: (نعم) فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده، وأخذ يتعهدهما بالرعاية أربعة أشهر[1].. (إلى) أن أُذِنَ لرسول الله ﷺ فى الهجرة إلى يثرب.

* (تقول) عائشة رضي الله عنها فيما يروى البخارى: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى حر الظهيرة، قال قائل لأبى بكر: (هذا رسول الله ﷺ متقنعًا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها) فقال أبو بكر: (فداءٌ له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا لأمر..)

قالت: فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن له، فدخل، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: «**أخرِج من عندك**»، فقال أبو بكر: (إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله) قال: (فإنى قد أُذِنَ لى فى الخروج) فقال أبو بكر: (الصحبة يا رسول الله) قال رسول الله ﷺ : «**نعم**» فقال أبو بكر (فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحِلَتى)، قال رسول الله ﷺ (**بالثمن**): الذى دفعه فعلًا صلوات الله وسلامه عليه ..

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين[2]..

*(وانطلق) رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس، لأنه لم

---

(١) البخارى: ج٤ ص٢٥٥.
(٢) فى طبقات لابن سعد: أنها شقت نطاقها فأوكأت منه الجراب وشدت فم الجراب بالباقى فسميت ذات النطاقين..

يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته..

* (وكان) النبى ﷺ قد أمر عليًا بأن ينام مكانه على فراشه.. بعد أن، طمأنه بأنه لن يصل إليه مكروه.. من جانب الكفار الملاعين.

(وكان) أبو بكر: قد أمر ابنه عبد الله – بعد خروجهما – أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما فى بياض النهار، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون معه من الأخبار (وأمر) عامر ابن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى إلى الغار (غار ثور) ليطعمهما من ألبانها، (وأمر) أسماء بنته أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما فى كل مساء..

(وروى) ابن اسحاق والإمام أحمد: كلاهما عن: يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أسماء بنت أبى بكر، قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه: خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه.. (فدخل) علينا جدى أبو قحافة، وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلاً يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا ، قالت: فأخذت أحجارًا وضعتها فى كوة [1] فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه.. ثم قال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم. تقول أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أسكت الشيخ بذلك [2].

* (ثم) حدث بعد ذلك – وفى عتمة تلك الليلة التى هاجر فيها النبى ﷺ أن اجتمع المشركون على بابه – صلوات الله وسلامه عليه – وهم يتربصون به ليقتلوه.. (فخرج) من بينهم فلم يروه.. لأن الله تعالى كان قد ألقى عليهم سِنَةً من النوم.. (بل) وورد أن النبى ﷺ أخذ شيئا من التراب فنثره فوق رؤوسهم،

---

(١) الكوة بالفتح: ثقب البيت، والكوة بالضم، لغة.. والمراد طاقة فى جدار البيت كان الصديق يضع فيها ماله..

(٢) سيرة ابن هشام ٤٨٨ وترتيب مسند الإمام أحمد ٢٠/ ٢٨٢.

وهـو يتلـو قـول الله تعـالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] ثـم ذهـب النبى ﷺ بعد ذلك إلى صاحبه الصديق الذى صحبه إلى غار ثور الذى مكثا فيه ثلاثة أيام [١].. فى الوقت الذى كان فيه كل من عبد الله بن أبى بكر، وعامر بن فهيرة وأسماء رضى الله عنهم يقوم بدوره الذى كُلف به.. إلى أن انطلق المشركون يبحثون عنهما بعد أن اكتشفوا خروجهما إلى أن وصلوا فعلا إلى غار ثور وهناك وأمام هذا الغار.. وقفوا فى دهشة وحيرة يتساءلون: كيف يكون محمد مع صاحبه فى داخل هذا الغار مع وجود هذا النسيج.. نسيج العنكبوت الذى نراه قبل أن يولد محمد.. كيف يكون محمد مع صاحبه فى داخل هذا الغار مع وجود تلك الحمامة التى تنام على بيضها.. ثم يقولون: لو دخل محمد الغار مع صاحبه لمزق هذا النسيج ولطارت هذه الحمامة..(هم) يقولون هذا.. والصديق يهمس فى أذن الرسول ﷺ قائلًا له: والله يا رسول الله.. لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.. فيقول له النبى ﷺ مهدئًا من روعه.. ومثبتًا إيمانه بالله القوى العزيز: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.. لا تحزن إن الله معنا**».. (وكان) الله تعالى فعلًا معهما فأعمى أبصار المشركين عنهما.. فى الوقت الذى كان الله – سبحانه وتعالى – قد رتب كل شيء وأعده لحفظهما.. فهو القائل سبحانه: ﴿**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ**[٢] **إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٤٠][٣].

(ثم) بعد ذلك وبعد أن انقطع الطلب عنهما خرجا من الغار.. بعد أن جاءهما عبد الله بن أريقط (وهو من المشركين)، وكان أبو بكر ﷺ قد اتفق معه على أن، يكون دليلًا لهما إلى يثرب.. فكان وفيًا بوعده.. شأن كل عربى أصيل.. رغم كفره..

---

(١) بعد أ، دخله أبو بكر أولًا لكى يطمئن إلى أنه ليس فيه سبع أو حية.. فداء لرسول الله ﷺ.

(٢) لا تحزن: أى لا تهتم وكان حزن الصديق على رسول الله ﷺ لا على نفسه، ورد أنه قال له: إذا مت أنا فأنا رجل واحد وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين.

(٣) قال فى تفسير الجلالين: أى ملائكة فى الغار يحرسونه من أعدائه.. وكذلك فى (حاشية الصاوى) وغيرهما..

(وكانت) قريش قد جعلت لكل من أتى برسول الله ﷺ وأبى بكر ﷺ دية كل منهما أى: مائة ناقة عن كل واحد منهما.. (وكان) سراقة بن مالك قد طمع فى أن يفوز بهذه الجائزة – وقد كان فارسًا مغوارًا – فركب جواده الذى انطلق يجرى به فى عرض الصحراء بعد أن علم باتجاهما حتى دنا منهما.. فلما رآه الصديق.. قال له: يا رسول الله إنه سراقة.. فيقول له النبى ﷺ مذكرا إياه بما قاله له وهما فى الغار: (لا تحزن إن الله معنا).. إلى أن أصبح سراقة أقرب من ذى قبل.. فيقول الصديق يا رسول الله. لقد أصبح على مقربة منا. فعندئذ يتضرع النبى ﷺ بدعاء قال فيه..(اللهم اكفنيه بما شئت وكما شئت) فتسوخ قائمتا فرس سراقة فى الرمال حتى بلغتا الركبتين.. فيخر سُرقة عنها ثم يحاول معها أكثر من مرة أن تنهض به لكى يواصل اللحاق بهما.. ولكنه لم ينجح فى هذا.. (ولا سيما) بعد أن سطع لأثرهما غبار ارتفع فى السماء من الدخان، فعلم سراقة أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ وداخله رعب عظيم، فناداهما طالبًا الأمان..(فوقف) النبى ﷺ ومن معه حتى وصل إليهم.. فاعتذر إليه سراقة، وسأله أن يستغفر له، ثم عرض عليهما الزاد والمتاع. فقالا: لا حاجة لنا، ولكن عَمَّ عنا الخبر أى إذا سُئلت عنا هناك بعد عودتك إلى مكة فقل لسائليك عنا: إنهما الآن فى يثرب وليس فى الإمكان اللحاق بهما – فوعد بهذا. ثم انطلق عائدا إلى أن وصل فعلًا إلى حدود مكة.. وهناك كان المشركون فى انتظاره.. وهم يعلمون أنه لابد أن يعود بهما أو بأحدهما.. ولكنهم فوجئوا به، وقد عاد بلا شيء – ولكنه كان قد عاد بالوفاء الذى وعد به رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ وعندما سأله أبو جهل: لم عاد هكذا بدونهما، أو بدون أحدهما..؟

أخبره بأنه ليس فى الإمكان اللحاق بهما.. (ثم) بعد أن اطمأن إلى أنهما قد وصلا فعلًا إلى يثرب. أخبر أبا جهل بالحقيقة فقال له:

أبا حكم والله لو كنتَ شاهدًا لأمر جَوادى إذ تسوخُ قوائمه
علمتَ ولم تشكك بأن محمدا رَسُولٌ ببرهانٍ فمن ذا يقاومه

(وكان) النبى ﷺ قد وصل فعلًا مع صاحبه إلى يثرب بعد أن تعرضا فى طريقهما إلى الآلام والمتاعب الكثيرة، ثم وصلوا إلى قباء فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول.. فأقام الرسول ﷺ بها أربعة أيام ومعه أبو بكر، وأسس بها مسجدها العظيم الذى قال الله تعالى فيه: **﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾** [التوبة: ١٠٨].

(ثم) قصد إلى المدينة المنورة، فوصلها فى اليوم السادس عشر من شهر ربيع الأول، وكان ذلك فى يوم الجمعة.. فصلى بالناس الجمعة لأول مرة فى الإسلام. كما خطب لأول مرة فى المدينة المنورة.. بتلك الخطبة التى يرويها ابن هشام فى سيرته فيقول: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال [1]:

«أما بعد أيها الناس: فقدموا لأنفسكم تعلمُنَّ والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غَنَمُه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له تُرجمان [2] ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلغَك ؟ وآتيتك مالًا و أفضلت عليك فما قدمت

---

(١) انظر الدين الخالص ج٤ ص٢٣٧.
(٢) أي: مفسر.

لنفسك ؟ فلينظرن يمينًا وشمالًا فلا يرى شيئًا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته» [1].

أسأل الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا بما استمعنا إليه، و أن يجعله حجة لنا لا علينا.. (وإلى) اللقاء القادم مع الرسول الله ﷺ في المدينة المنورة به وبمن معه..

والله ولى التوفيق.

(١) وأخرجها أيضًا البيهقى.



خطب شهر محرم

الخطبة الثالثة

«مع رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وكيف أسس دولة الإسلام؟»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (١) وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثالث الذى وعدتُ فى اللقاء الذى قبله بأننى سأركز معكم فيه على ما حدث فى المدينة المنورة بعد أن هاجر الرسول ﷺ إليها.. (وكذلك) التركيز على موضوع بناء الدولة الإسلامية.. حتى نكون – إن شاء الله تعالى – على صلة بكل تلك الأساسيات التاريخية التى ينبغى علينا أن ندرسها.. ونأخذ منها الدروس المستفادة طوال حياتنا..وإلا كنا والعياذ بالله من الجهلاء بهذا التاريخ المجيد الذى يجب علينا أن نفخر به.. ونحن نحرص على أن نكون أهلًا له.. (وذلك بحسن الإنتماء إلى هذا الدين الحنيف الذى لولاه لكنا من أحط الأمم وصدق الله العظيم فهو القائل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] وهو القائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التمهيد أن أركز على ما أشرتُ إليه فى أول هذا اللقاء المبارك (فإننى) أريد أن، أشير إلى الفرحة التى اسُتقبل بها – صلوات الله وسلامه عليه – من الأنصار من أهل المدينة المنورة عندما وصل إليها ومعه صاحبه الصديق بسلامة الله.. لقد استقبلوه – صلوات الله وسلامه عليه – بهذا النشيد الخالد الذى كانوا يقولون فيه بكل مشاعرهم التى كانت تفيض بالحب

---

(١) أى الفقر.

الصادق لرسول الله ﷺ الذى جاءهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور.. ويهيدهم إلى الصراط المستقيم:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبًا يا خير داع

(ثم) واصل الرسول ﷺ سيره (فالتفَّ) من حوله الأنصار، كل يمسك زمام راحلته يرجوه النزول عنده، فكان الرسول ﷺ يقول لهم: (دعوها فأنها مأمورة)، فلم تزل راحلته تسير فى فجاج المدينة وسككها حتى وصلت إلى مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى، فقال النبى ﷺ : (ههنا المنزل إن شاء الله) وجاء أبو أيوب فاحتمل الرحل إلى بيته. وخرجت ولائد من بنى النجار فيما يرويه ابن هشام فرحات بمقدم النبى ﷺ ، وجواره لهن وهن ينشدن:

نحن جوار من بنى النجار [1] ... يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لهن: «أتُحِبِّنَنِى؟» فقلن: نعم، فقال: «الله يعلم أن قلبى يحبكن».

*(روى) أبو بكر بن أبى شيبة وابن إسحاق والإمام أحمد بن حنبل من طرق متعددة بألفاظ متقاربة (أن) أبا أيوب قال وهو يحدث عن أيام رسول الله ﷺ عنده: لما نزل رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى أسفل البيت وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى، إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى، فأظهر [2] أنت فكن فى الأعلى، وننزل نحن ونكون فى السفل. فقال: (يا أبا أيوب: إنه لأرفق بنا وبمن يغشانا [3] أن تكون فى أسفل البيت).

---

(١) وهم أخوال أبيه – صلوات الله وسلامه عليه – كما جاء فى البداية والنهاية ٢/ ٢٥٣.
(٢) أى كن أنت على ظهر البيت.
(٣) أى يزورنا من الأصحاب..

قال: فكان رسول الله ﷺ فى سفله وكنا فوقه فى المسكن ولقد انكسرت جرة[1] لنا فيها ماء يوما، فقمت أنا وأم ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء، تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه فنزلت إليه وأنا مشفق، فلم أزل استعطفه حتى انتقل إلى العلو (قال) وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه..(فإذا) رد علينا فضله[2] تيممت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبغى بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة وقد جعلنا له بصلًا وثوما فرده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم نر ليده فيه أثرًا، فجئته فزعًا فقلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا وأم أيوب موضع يدك نبغى بذلك البركة ؟ فقال: (إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى[3] فأما أنتم فكلوه) قال فأكلناه ثم لم نضع فى طعامه شيئا من الثوم أو البصل بعد[4].

(وقد) استطاع رسول الله ﷺ بحكمته أن يؤلف بين القلوب المتنافرة ويُوحد الصفوف وينشر الأخوة والتعاون، وكانت الدعائم التى أقام عليها بناء الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت ثلاثة:

أولا: بناء المسجد.. الذى بنى فى نفس الموقع الذى بركت فيه ناقة الرسول ﷺ ، والذى كان ملكا لغلامين يتيمين من الأنصار (وكان) أسعد بن زرارة قد اتخذه مصلى قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان يصلى بأصحابه فيه (فأمر) رسول الله ﷺ أن يُبن ذلك الموضوع مسجدًا (بعد) أن دعا الغلامين، وكانا فى كفالة أسعد بن زراره – رضى الله عنه– فسام رسول الله ﷺ فيه فقالا: بل نهبه

---

(١) وهى إناء من الفخار.

(٢) أى: ما بقى فى القصعة من طعام مبارك.

(٣) أى أذكر ربى وأدعوه ، وأكره أن ينبعث من فمى رائحة هذا الثوم أو البصل.. (كما قال).

(٤) الإصابة لابن حجر: ج١ ص٤٠٥ وسيرة ابن هشام: ج١ ص٤٧١، وترتيب مسند الإمام أحمد: ٢٠/ ٢٩٢.

لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير [1] (وكان) فيه شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت [2] والنخيل والشجر فقطعت، وصفت فى قبلة المسجد، وجعل طوله مما يلى القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع، وفى الجانبين مثل ذلك، ثم بنوه بالطوب اللبن [3] وكان رسول الله ﷺ يباشر البناء مع أصحابه وينقل معهم الحجارة بنفسه، وجعل قبلته إلى بيت المقدس [4] وجعل عمده الجذوع أى من النخل وسقفه بالجريد، وقيل له ألا نسقفه: فقال: عريش كعريش موسى خشيبات وثمام - نبت ضعيف قصير - الشأن أعجل من ذلك [5] (أما) أرضه فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء (وقد) ظل مسجد رسول الله ﷺ على هذا الشكل دون أى زيادة أو تغيير فيه مدة خلافة أبى بكر رضي الله عنه، ثم زاد فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض التحسين، ولكنه بناه على بنائه فى عهد النبى ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا ثم غيره عثمان رضي الله عنه ، فزاد فيه زيادة كبيرة بنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة (الجص)[6].

*(ولم تكن) أهمية المسجد إذ ذاك مقصورة على إقامة الصلاة، (بل) كان المسجد مدرسة لتعليم الدين ومحكمة للقضاء بما أنزل الله، ونُزلًا لاستقبال سفراء القبائل ووفود العرب، وللتشاور فيما يعرض من مهام الأمور.

---

(١) رواه البخارى: ٤/ ٢٥٨ وابن سعد فى الطبقات ج٢ص٤ قال فى الفتح: ووقع عند موسى بن عقبة انه اشتراه منهما بعشرة دنانير، وزاد الواقدى: أن أبا بكر دفعها لهما عنه.

(٢) لكى تنقل العظام منها إلى مكان آخر لتدفن فيه..

(٣) أى الذى لم يحرق بالنار..(وهو معروف) فى الريف.

(٤) وكان النبى ﷺ يصلى متجهًا إلى بيت المقدس لمدة ستة عشر شهرًا، وقيل سبعة عشر شهرًا إلى أن انزل الله تعالى عليه قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٥) طبقات ابن سعد: ٢-٥.

(٦) إعلام المساجد ٢٢٤-٢٥٥.

* (وأما) الدعامة الثانية التى قام عليها بناء الدولة الإسلامية، (فقد) كانت فى مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.. على الحق والمواساة وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد المات، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية فى ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم..(فجعل) جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين، (وجعل) حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين، (وجعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير أخوين (وجعل) عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين (وجعل) عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين.. (وهكذا) [1].

(وقد) قامت هذه الأخوة على أسس مادية أيضًا، وكان حكم التوارث فيما بينهم من بعض هذه الظواهر المادية (وظلت) عقود هذا الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى، حيث نزل فى أعقابها قوله تعالى: ﴿**وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٥]. فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية فى الميراث، ورجع كل إنسان فى ذلك إلى نسبه وذوى رحمه وأصبح المؤمنون كلهم أخوة..(روى) البخارى عن ابن عباس قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ**﴾ [النساء: ٣٣] نسخت ثم قال: ﴿**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء: ٣٣] أى من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث [2].

(وكان) الهدف الأسمى من هذا الترابط الأخوى، هو ربط القلوب بتلك الصورة التى حدثت بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الذى كان الرسول ﷺ قد آخى بينهما (فقد) حدث أن عرض سعد على عبد الرحمن بن عوف أن يشركه فى بيته وأهله وماله فى قسمة متساوية (ولكن) عبد الرحمن شكره وطلب منه أن، يرشده إلى سوق المدينة ليشتغل فيها ولم يكن سعد بن الربيع منفردًا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١-٥٠٤ وطبقات ابن سعد ٢-٣.

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير ٥-١٧٨.

عن غيره من الأنصار فيما عرضه على أخيه كما قد يظن (بل) كان هذا شأن عامة الصحابة فى علاقتهم وتعاونهم مع بعض خصوصًا بعد الهجرة وبعد أن آخى النبى ﷺ فيما بينهم (وهذا) هو المعنى الكبير المشار إليه فى قول الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ﴾ أى: المدينة ﴿الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أى: حسدًا ﴿مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أى: حاجة إلى ما يؤثرون به، حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين (والإيثار) معناه تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية (وذلك) ينشأ عن قوة اليقين، وغاية المحبة، والصبر على المشقة (وهذا) الوصف لا يخص الأنصار فحسب (وإنما) كان شعار جميع المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار.

(فقد) روى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه: أهدى لرجل من أصحاب النبى ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخى فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليهم، فلم يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات، ثم عادت إلى الأول فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم﴾ (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح، ثم امكث عنده فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه، وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية ـ اذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان.. حتى فقدها.. فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه فأخبره، ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إليه وامكث فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك. فقال: رحمه الله ووصله. وقال: يا جارية اذهبى إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا.. فجاءت امرأة معاذ وقالت: نحن والله مساكين فأعطنا.. ولم يبق فى الخرقة إلا

دينارين فرمى بهما إليها.. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.. وروى نحوه عن عائشة وغيرها [1] ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أى: حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

*(ثم) كانت الدعامة الثالثة التى قام عليها بناء الدولة الإسلامية.

معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود:

(فقد) عقد الرسول ﷺ معاهدة بينه وبين اليهود، وكان أساسها الأخوة فى السلم، والدفاع عن المدينة فى وقت الحرب، والتعاون التام بين الفريقين إذا نزلت شدة بأحدهما أو كليهما، كما شرط لجماعة اليهود المساواة مع المسلمين من حيث المصلحة العامة (وبمثل) هذه السياسة الرشيدة وضع رسول الله ﷺ الأساس المتين لبناء الدولة الإسلامية، فلما ثارت العواصف الهوجاء من جانب اليهود والمشركين لم يتأثر ذلك الأساس المتين ومكث رسول الله ﷺ فى يثرب عشرة أعوام يدعم ذلك حتى انتشر دين الله فى شبه الجزيرة العربية..

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها استمعنا إليه..

وإلى الله اللقاء فى الخطبة التالية مع الهجرة العامة.

والله ولى التوفيق

(١) انظر شرح الصاوى على الجلالين ج٤ ص١٤٩.





خطب شهر محرم

الخطبة الرابعة

«الهجرة العامة»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[١] والقائل: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[٢].

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المجاهدين المهاجرين.. الذين جاهدوا أنفسهم حتى قهروها.. وهجروا المعاصي والمخالفات.. فنجوا من عذاب الله.. وكانوا لذلك من الذين أعد الله لهم فى جنات النعيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. وكانوا كذلك من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله –سبحانه وتعالى عنهم– فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الرابع من شهر محرم الذى كنت قد وعدت فى اللقاء الماضى بأننى سألتقى معكم فيه حول الهجرة العامة.. التى ينبغى علينا جميعًا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نكون من المشاركين فيها وذلك حتى نسعد فى الدنيا وننجو فى آخرانا.. (وحتى) يتضح لنا هذا.. فإننى أرى على سبيل التمهيد لهذا الموضوع الهام أن أقف معكم أولا على أهم:

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه.

(فقد) قرأت[1]، أن أصل المهاجرة: المجافاة والترك، و أن اسم الهجرة يقع على أمور:

*(الأول): هجرة الصحابة – رضى الله تعالى عنهم – من مكة إلى الحبشة، حين آذى المشركون رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ففروا منها إلى النجاشى، وكانت هذه الهجرة بعد البعثة بخمس سنين[2].

*(وأما) الهجرة (الثانية) فقد كانت من مكة إلى المدينة، وكانت بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، (وأطلق) جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة، وهذا ليس على إطلاقه، فإنه لا خصوصية للمدينة، وإنما الواجب (هو) الهجرة إلى رسول الله – ﷺ –..(قال) ابن العربى: قسم العلماء – رضى الله تعالى عنهم – الذهاب فى الأرض: إلى الهرب، وإلى الطلب..

(وأن) الأول وهو الهرب: ينقسم إلى ستة أقسام:

(الأول) الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وهى باقية إلى يوم القيامة، والتى انقطعت بالفتح فى قوله – ﷺ –: (لا هجرة بعد الفتح) وهى القصد إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله سلم – حيث كان.

(القسم الثانى) وهو الخروج من أرض البدعة..

*(قال) ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف.

(القسم الثالث): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم.

(القسم الرابع) الفرار من الأذية فى البدن، وذلك فضل من الله تعالى أرخص

---

(١) كما جاء فى شرح الأربعين النووية ص٩، ١٠، ١١.
(٢) قاله البيهقى.

فيه، فإذا خشى على نفسه فى مكان (فقد) أذن الله تعالى له فى الخروج عنه والفرار منه بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور.. (وأول) من فعل ذلك: إبراهيم - عليه السلام - حين خاف من قومه فقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: من الآية ٢٦] وقال تعالى مخبرًا عن موسى ﷺ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

(القسم الخامس): الخروج من خوف المرض فى البلاد الوخمة [1] إلى الأرض النزهة، وقد أذن - صلى الله عليه وآله وسلم - للعرنيين (قبيلة) فى ذلك الحين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج.

(القسم السادس): الخروج خوفًا من الأذية فى المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه..

** ثم بعد ذلك يقول الإمام النووى فى الأربعين: (وأما) القسم الثانى، وهو قسم الطلب، فإنه ينقسم إلى عشرة أقسام: (طلب دين)، (وطلب دنيا)..

(وطلب الدين) ينقسم إلى تسعة أنواع: (الأول) سفر العبرة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٩]. وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها.

(والنوع الثانى): سفر الحج.

(والنوع الثالث): سفر الجهاد.

(والنوع الرابع): سفر المعاش.

(والنوع الخامس): سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، (وهو) جائز لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ [2] أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٨].

(والنوع السادس): طلب العلم.

---

(١) أى التى ينتشر فيها الوباء.

(٢) الجناح بضم الجيم: أى الإثم.

(والنوع السابع): قصد البقاع الشريفة (فقد) ورد فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»**.

(والنوع الثامن) قصد الثغور[1] للرباط بها.

(والنوع التاسع): زيارة الإخوان فى الله تعالى فقد ورد فى حديث صحيح رواه مسلم وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«زار رجل أخًا له فى قرية، فأرسل الله ملكا على مدرجته[2]، فقال أين تريد ؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تؤديها ؟ قال: لا إلا أننى أحبه فى الله تعالى قال: فأنى رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته»**.

** (ثم) بعد ذلك يشير الإمام النووى إلى ما بقى من أقسام الهجرة أو أنواعها، فيقول: (هجرة القبائل): إلى رسول الله ﷺ وآله وسلم ليتعلموا الشرائع ثم يرجعوا إلى قومهم ليعلموهم إياها.

* (وهجرة): من أسلم من أهل مكة ليأتى النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ثم يرجع إلى قومه (والهجرة) من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر (قال) الماوردى: فإن صار له بها أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه: لم يجز له أن يهاجر، لأن المكان الذى هو فيه صار دار إسلام.

* (وهجرة) المسلم أخاه المسلم فوق ثلاثة[3] بغير سبب شرعى (وهى) مكروهة فى الثلاثة، (وفيها) زاد حرام إلا لضرورة (وقد) حُكى أن رجلًا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات، فقال:

يا سيدى عندك لى مظلمة ... فاستفت فيها ابن أبى خيثمة

فإنه يروى لنا عن جده ... ما قد روى الضحاك عن عكرمة

---

(١) أى الخروج إلى ميدان الجهاد.

(٢) أى على طريقة لمواجهة أعداء البلاد على حدود البلاد.

(٣) أى ثلاثة أيام.

عـن ابـن عبـاس عـن المصـطفى نبينـــا المبعـــوث بالمرحمـــة
إن صـــدود الإلـــفِ[1] عـــن إلفـــه فـــوق ثـــلاث ربنـــا حرمـــه

* (وهجر الزوج) زوجته إذا تحقق نشوزها[2]، قال تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: من الآية ٣٤] ومن ذلك هجرة أهل المعاصى فى المكان، والكلام، وجواب السلام، وابتدائه.

* (وهجرة): ما نهى الله عنه، وهى أعم الهجرة.. (وهذه) الهجرة الأخيرة هى موضوعنا الأساسى الذى نريد أن نقف عنده لبضع دقائق عسى أن نفهم المراد منه، ونكون – إن شاء الله – من المنفذين له.

** وإذا كان هذا هو المراد الذى أشار إليه الرسول ﷺ فى قوله: (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه): أى فى قرآنه الكريم وعلى لسان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه..

* (ففى) القرآن الكريم: يأمرنا الله – تبارك وتعالى –: (بالعدل) أى التوحيد والإنصاف فى كل الأمور[3] (والإحسان) أى: أداء الفرائض على الوجه الأكمل – وهذا بالنسبة للإحسان مع الله – تعالى[4] – (وأما) مع العباد، فمعناه أن نعفو عمن ظلمنا ونعطى من رحمنا، ونصل من قطعنا..(وإيتاء) أى: إعطاء (ذى القربى) أى القرابة..(ثم) بعد ذلك ينهانا – سبحانه وتعالى –: (عن الفحشاء) أى: عن الزنا لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله.. قال تعالى ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]، (والمنكر) أى:

---

(١) أى الصديق..
(٢) النشوز: أى الاستعلاء على الزوج وعصيانها لأوامره الشرعية.
(٣) كما جاء فى حاشية الصاوى ج٢ص٢٥٢.
(٤) وهذا المعنى هو المشار إليه فى قول الرسول ﷺ لجبريل – عليه السلام – عندما سأله عن الإحسان، فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فإن المعنى هو أن تعبده ملاحظًا لجلاله كأنك تراه ببصرك، وهذا مقام المشاهدة، فإن لم تصل لهذه المرتبة فلا حظ أنه يراك فإنك فى حضرته فهذا مقام المراقبة. (الصاوى ج٢، ص٢٥٢).

شرعًا من الكفر والمعاصى (والبغى) أى الظلم للناس، فقال – تبارك وتعالى – فى سورة النحل إجمالًا:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ [1] يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] (هذه) أجمع آية فى القرآن للخير والشر..

*وفى القرآن الكريم يأمرنا الله – سبحانه وتعالى – بتنفيذ أوامر الرسول ﷺ واجتناب نواهيه فيقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

* (وعلى هذا) فإننى سأذكر الإخوة الفضلاء ببعض ما نهانا عنه – صلوات الله وسلامه عليه – فى السنة المطهرة كما أشارت الآية الأخيرة.

* (فعن) عمران بن حصين – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال: من صُفْر [2]، فقال: (ويحك ما هذه) ؟ قال: من الواهنة، قال: (أما إنها لا تزيدك إلا وهنا، أنبذها عنك فإنك إن متُ وهى عليك ما أفلحت أبدا) رواه أحمد.

(فهذا) نهى صريح عن تعليق التمائم، جمع تميمة، (وهى) عوذة تعلق لرفع الآفات كالخرزة والعقود التى توضع فى العنق..

*(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف (بالله) أو ليصمت) رواه مالك و البخارى ومسلم .

(وهذا) نهى صريح عن الحلف بغير الله – تعالى – قال الشافعى: وأخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية (نعم) لو اعتقد تعظيمه كما يعظم الله كفر ا. هـ.

---

(١) أى بالأمر والنهى، لعلكم تذكرون أى: فتعظون..

(٢) بالضم وقيل بالكسر: ما صنع منه الأوانى، والواهنة: عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد خير فى منها.. والوهن: الضعف (وويح) كلمة ترحم وتوجع..

(وعن) بريدة أنه سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

* (وعن) ابن عباس – رضى الله عنهما – أن قومًا تفكروا فى الله – عز وجل – فقال النبى ﷺ : «**تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره**» قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف و الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر بإسناد أصح منه.

(وهذا) نهى صريح عن التفكر فى ذات الله – تبارك وتعالى –.. لأننا لن نقدره – سبحانه وتعالى – قدره، ولأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

(وعن) جابر رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) رواه مسلم وأبو داود.

(و هذا) نهى صريح عن سوء الظن بالله عز وجل لأن هذا سيكون معناه والعياذ بالله اليأس من رحمته – سبحانه وتعالى –.. (فهو) القائل سبحانه: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ** [1]**اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف:٨٧].

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا** [2]**، ولا تجسَّسُوا** [3]**، و لا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا** [4]**، وكونوا عباد الله إخوانًا**» رواه مسلم.

(وهذا) نهى صريح عن التحسس والتجسس،والتحاسد، والتباغض، والتدابر (لأن كل هذا يتنافى مع الأخلاق الحسنة (فعن) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) والروح ـ أي الرحمة والآية فى سورة يوسف رقم ٨٧.

(٢) التحسس بالحاء الإستماع لحديث القوم.

(٣) والتجسس بالجيم: أى البحث عن العورات، وقيل معناه هو معنى التحسس بالحاء، وهو تطلب معرفة الأخبار والتفتيش عن بواطن الأمور.

(٤) اى لا يعطى كل واحد منكم أخاه دبُره وقفاه.. وهو كناية عن التفرق.

قال: « **إن من أحبكم إليّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا** » الحديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(وعن) عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد** » رواه مسلم وأبو داود.

(وهذا) نهى صريح عن الكبر الذى هو عكس التواضع الذى أمرنا الرسول ﷺ به فى نص الحديث كما نهانا عن ظلم الناس..(فلنكن) إن شاء الله تعالى من أهل التواضع لا من أهل الكبر، ولنكن من أهل العدل لا من أهل الظلم (ونحن) نسأل الله سبحانه وتعالى أن،يوفقنا لتنفيذ الأوامر، واجتناب المنهيات.. سواء كانت قرآنية أم نبوية.. (حتى) نكون بهذا – إن شاء الله تعالى –.. من أهل الهجرة العامة.. بكل المقاييس الإيمانية.

والله ولى التوفيق.



خطب شهر محرم

الخطبة الخامسة

((الهجرة في سبيل الله طلبًا للرزق الحلال))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [1] [النساء: من الآية ١٠٠].

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه**» متفق عليه.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين يعملون لدنياهم كما يعملون لآخرتهم حتى لا يكونوا عالة على أحد من الناس..(ولا سيما) بعد أن قال رسول الله ﷺ لهم: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» [2] (فكانوا) من الذين أخذوا نصيبهم من الدنيا وأحسنوا كما أحسن الله إليهم[3].

(وكانت) الدنيا فى أيديهم لا فى قلوبهم..(فكانوا) لذلك من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الخامس من شهر محرم الذى رأيت أن يكون لقائى معكم فيه.. حول الهجرة فى سبيل الله طلبًا للرزق الحلال.. أخذًا بالأسباب.. كما أمرنا الله – تعالى – بهذا فى قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١) أى سعة فى أمر دينه، أو فى رزقه.

(٢) الحديث رواه حكيم بن حزام. وهو متفق عليه.

(٣) كما تشير الآية رقم ٧٧ من سورة القصص.

(فهذه) الصلاة المشار إليها فى نص الآية هى (صلاة الجمعة)، (وهذا) معناه أن الله – تبارك وتعالى – يأمرنا بالإنتشار فى الأرض طلبًا للرزق.. حتى فى يوم الجمعة الذى يستريح فيه أكثرنا (وهذا) يشير كذلك إلى أنه ليس فى الإسلام ما يسمى بيوم أجازة، وإنما يأمرنا سبحانه وتعالى بالعمل والإنتاج، وطلب الرزق.. فى أى وقت (بعد) أن نؤدى لله حقه من الصلاة..(وبعد) أن نؤدى للجسد حقه من الراحة..(وبعد) أن نؤدى لكل من نعول حقوقهم.. كما ورد فى السنة المطهرة..(وهذا) معناه كذلك أن الإسلام يحارب الكسل والخمول الذى يؤدى غالبا إلى فقر الناس..(وهذا) هو ما ورد:

(عن) أبى عبد الله الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**» رواه البخارى.

*(وعن) أبى هريرة رضى الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ «**كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده**» رواه البخارى.

*(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال: «**كان زكريا عليه السلام نجارًا**» رواه مسلم.

*(وعن) المقداد بن معد يكرب ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**» رواه البخارى.

(وقد) قرأت بالإضافة إلى هذا.. (أنه) ما من نبى من الأنبياء، ولا عالم من المتقدمين..(إلا) وكانت له صنعة يعملها بيده.. قصدًا للتشريع إن كانت من نبى، وطلبًا للرزق إن كانت من غيره.. (فقد) سئل ابن عباس – رضى الله عنهما – عن صنائع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –؟ فقال:

كان آدم حَراثًا، وإدريس خياطًا – مع كونه ملكًا عظيمًا، وحكيمًا فريدًا وكان نوح عليه السلام نجارًا، وكان إلياس نساجًا، وكان إبراهيم زرَّاعًا، وكان إسماعيل

قناصًا – أى صيادًا – وكان إسحاق راعيًا، وكذلك يعقوب وشُعيب وموسى، وكان داود زَرَّادًا – أى يعمل زُردًا ودُروع الحديد وكان محمد ﷺ تاجرًا ومجاهدًا فى سبيل الله، وكان يقول: (جُعل رزقى تحت ظل رمحى)، وكان يدعو بالبركة لمن يبكر فى السعى على رزقه فيقول: (اللهم بارك لأمتى فى بكورها).. الخ.

(ومن) أجمل ما قرأت أيضًا فى هذا المجال المتعلق بالترغيب فى السعى على الرزق..(أن) سيدنا سليمان – عليه السلام – ناجى ربه ذات يوم فقال: (يا رب أعطيتنى مُلكًا لم تعطه أحدًا قبلى، و سألتك أن لا تُعطيه أحدًا بعدى فأعطيتنيه، فإن قصرتُ فى شكرك لك فدلنى على عبد هو أشكر لك منى.. فأوحى الله تعالى إليه.. يا سليمان.. عبد يكسب بيديه، يسد جوعه، ويستر عورته ويعبدنى.. هو أشكر لى منك..) فقال: يا رب.. اجعل كسبي بيدى. فأتاه جبريل – عليه السلام – فعلمه الخوص يتخذ منه القفاف.. فأول من عمل الخوص سليمان – عليه السلام –.

(وكان) أبوه داود – عليه السلام – قد فعل مثل هذا..(فقد) ورد أنه كان يخرج متنكرًا فى مملكته ليسأل عن نفسه.

أو ليتجسس لحساب نفسه فكان يعود مسرورًا.. لأنه كان يستمع إلى مدح وثناء (وفى) يوم ما.. خرج كعادته متنكرًا.. فتعرض له جبريل – عليه السلام – فى صورة آدمى.. فقال له داود يا فتى ما تقول فى داود ؟ فقال: نعم العبد هو.. غير أن فيه خصلة. قال: وما هى ؟ قال: يأكل من بيت مال المسلمين، وما فى العباد أحب إلى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده. (فبكى) داود – عليه السلام – وتضرع إلى الله – تبارك وتعالى – أن يعلمه صنعة ليعملها بيده.. (فأتاه) جبريل – عليه السلام – وعلمه صنعة الدروع، وألاَنَ الله تعالى له الحديد.. فكان إذا تفرغ من قضاء حوائجه وحوائج أهله.. عمل درعًا فأكل من ثمنها هو وعياله.. وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: من الآية ٨٠] أى: لتحفظكم من القتل إذا لقيتم أعداءكم.

كما قرأت كذلك أن عليًا – رضى الله تعالى عنه –: كان من أوئل الأصحاب

الفضلاء الذين يحبون العمل.. لدرجة أنه كان يتباهى بهذا، فيقول:

لحملُ الصخر من قمم الجبال أحبُّ إلى من مِنَن [1] الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار فقلت العار فى ذُل السؤال

* (ولنستمع) إليه كذلك وهو يحكى لنا ما حدث له ذات يوم فيقول: (جعت يومًا، فذهبت إلى عوالى المدينة [2] أطلب عملًا [3] فوجدت امرأة قد جمعت ترابًا متلبدًا تريد بلَّه [4] بالماء.. فبادلتها كل ذنوب على تمرة.. فملأت لها ستة عشر ذنوبًا حتى مجلت يدى – أى احمرت – فبسطت كفى لترى أثر العمل.. فعدت لى ست عشرة تمرة.. (يقول): فأخذتها وذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما حدث ففرح وأكل معى منها.

* (إنه) كما سمعنا فى هذا الخبر الذى حكاه لنا بكل فخر واعتزاز.. عندما جاع مع أهل بيته.. لم يذهب إلى رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه لكى يطلب منهم طعامًا له ولأهله.

ولو ذهب إليهم لأعطوه – ولكنه – عليه رضوان الله – لم يفعل هذا.. وإنما ذهب إلى عوالى المدينة يبحث عن العمل.. حتى وجده.. (وأى) عمل هذا الذى وجده ؟!! إنه عمل من الأعمال التى قد يحتقرها أكثرنا فى هذا الزمان، إنه عمل من أعمال عمال التراحيل فى هذا الزمان..(ولكنه) أغناه عن السؤال، أو عن منن الرجال.. كما قال فى شعره.. (ثم) انظروا كذلك ماذا حدث بعد أن، عدت له المرأة التمرات التى هى بعدد المرات التى ملأها من الماء.. إنه قد ذكر لنا أنه قد ذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث. ففرح – صلوات الله وسلامه عليه – وأراد أن يشجعه على هذا العمل فأكل معه من تلك التمرات.. التى جاءت عن

---

(١) إنه قد يقصد صدقات الرجال..

(٢) اسم مكان فى المدينة..

(٣) أى ذهب إلى هذا المكان يبحث فيه عن عمل كطلب للرزق.

(٤) حتى تستعمله مثلا فى ضرب طوب أو ما شبه هذا.. التى نعرفها فى بلاد الريف.

طريق العرق والكفاح. (وهكذا) كان النبى ﷺ يشجع أصحابه على السعى على الرزق (فقد) ثبت أنه ﷺ جلس ذات يوم بين أصحابه، فذكروا له أن رجلًا منهم يصوم النهار ويقوم الليل، ويكثر من الذكر وهم يظنون أن النبى ﷺ سيفرح بهذا الرجل ثم سيطلب من كل واحد منهم أن يكون متشبهًا به، ولكنه - صلوات الله وسلامه عليه -لم يفعل هذا.. وإنما سألهم: (أيكم يكفيه طعامه وشرابه)؟ فقالوا: كلنا يا رسول الله.. فقال: (كلكم خير منه).

(وهناك) ملاحظة أخرى، وردت على لسان سيدنا على - كرم الله وجهه - فى النص الذى استمعنا إليه منه، وهو يحكى لنا فيقول: (فعدت لى ست عشرة تمرة) أى: بعدد المرات التى ملأها بالذَنُوب (وأعنى) بهذا أنه لم يطلب زيادة على حقه.. كما يحدث فى هذا الزمان.. من جانب هؤلاء الذين يطلبون ما يسمى بالحوافز، أو بالبقاشيش.. أو ما شابه هذا.. (لأنه كان) يحرص على أن لا يأكل غير الحلال..

(وقد) قرأت أن أحد الصالحين وهو ابن أدهم رحمه الله كان يخرج ليبحث عن العمل.. فكان إذا وجده كعامل فى حقل مثلًا - اتفق مع صاحبه على الأجر - ثم بعد انتهاء العمل الذى أداه على أكمل وجه.. يعطيه صاحب الحقل حقه الذى اتفقا عليه.. فيطلب ابن أدهم نقصانه..(أتدرون) لماذا ؟ لأنه كان يخشى أن لا يكون قد أتقن العمل !!

* (وقرأت) كذلك أن الأسرة المسلمة فى العصر الأول.. كانت إذا خرج عائلها ليسعى على رزقه كانت تقف له على باب الدار لكى تودعه وهى تقول له: اتق الله فينا، ولا تعد إلينا إلا بالرزق الحلال.. فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على عذاب الله.

** (فعلى) الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا و ينفذوا المراد منه.. حتى يكونوا أولا من العاملين.. لأن العمل شرف وواجب (وحسبهم) أن يلاحظوا أن الله تعالى قدم فى آية قرآنية كريمة العمل على الجهاد فى سبيل الله فقال تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل ٢٠] وهذا شرف عظيم للعاملين.

وثانيا: حتى يكونوا من أهل العزة والكرامة.. لأن أكثر الناس فى هذا الزمان للأسف الشديد لا يحترمون ولا يُجلون غير صاحب المال.. كما يقول أحدهم مشيرا إلى هذا:

إن الغنـــى إذا تكلـــم بالخطـــا	قالوا: صدقت وما نطقت محالا
أمـــا الفقـــير إذا تكلـــم صـــادقا	قالوا: كذبت وأبطلوا ما قال
إن الـــدراهم فى المـــواطن كلهـــا	تكسوا الرجال مهابة وجلالا
فهـــى اللســـان لمـــن أراد فصـــاحة	وهـــى الســـلاح لمـــن أراد قتـــالا

*(فليكن) كل هذا التذكير نصب أعيننا حتى نكون – إن شاء الله – من أهل العزة والكرامة.. وحتى نكون من المنفذين لأمر الله – تعالى – فى سورة الملك: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]

والله ولى التوفيق


خطب شهر صفر
الخطبة الأولى
((التحذير من مكائد الشيطان))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنَزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ[1] الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يستعينون بالله سبحانه وتعالى على شياطين الإنس والجن الذين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: من الآية ١١٢].

فكانوا بذلك من المحفوظين برعاية الله تعالى لهم حتى أتاهم اليقين — أي الموت — وكانوا بذلك كذلك من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الأول من شهر صفر الذى رأيت أن، أركز معكم فيه على مكائد الشيطان لنا ..(وذلك) مع التذكير بأهم ما نستطيع به أن نتحصن ضده .. حتى لا يكون له تأثير علينا بتلك لصورة التى كانت ولا تزال سببًا فى جميع الخلافات وارتكاب جميع المنكرات ..

(وأول) ما أريد الإشارة إليه، هو التذكير بأصل العداوة التى بيننا وبين الشيطان الأكبر وجنوده .. (حتى) نقف جميعًا من خلال هذا التذكير على ضرورة

---

(١) أى نزغاتهم بما يوسوسون به.

أن ننتصر عليه بالله سبحانه وتعالى .. وبكل ما سيفتح الله علينا به من أذكار وتعاويذ واردة فى القرآن والسنة (وحتى) لا أطيل عليكم .. فإليكم وباختصار قصته مع أبينا آدم وأمنا حواء .. من بدايتها:

* (ففى) سورة الأعراف، يقول - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أى: أباكم آدم - أى حين كان طينا غير مُصَور ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أى صورناه وأنتم فى ظهره أى حين كان بشرًا بتخطيطه وشق حواسه ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أى: سجود تحية بالإنحناء [1] ﴿فَسَجَدُوا﴾ أى قبل دخول الجنة [2] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [3] وقد كان موجودا بين الملائكة وهو أبو الجن، وهذا أحد قولين، والثانى هو أبو الشياطين وهم فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ فقال الله - تعالى - له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أى: حين أمرتك [4] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ قال هذا استكبارًا مع تحقير آدم (وشبهة) الخيرية: أن النار جسم لطيف نورانى، والطين جسم كثيف ظلمانى، وما كان لطيفًا نوارنيًا خير مما كان كثيفًا ظلمانيًا ..(ولما) كان ما احتج به على ربه باطلًا، لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة، ويتوقف عليه نظام العالم لإحتياجه إليه ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلى، والنار منافعها قليلة ولا يتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها، ولا لما يسوى بها، رد عليه - المولى سبحانه -، بأشنع رد، وأجابه بجواب السائل المتعنت

---

(١) والمراد به السجود اللغوى، وهو الإنحناء .. كسجود إخوة يوسف وأبويه له .. وقد كان الإنحناء تحية الملوك فيالأمم السابقة .. وعليه فلا إشكال فى هذا (انظر حاشية الصاوى على الجلالين) ج٢ص٥٢ وما بعدها بتصرف كبير .

(٢) وأول من سجد جبريل ثم ميكئيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون ..

(٣) وهذا استثناء منقطع يشير إلى أن إبليس ليس من الملائكة .. (قال) فى الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية .. ويدل على هذا قوله تعالى عنه .. ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وقال بعضهم عكس هذا ..والأول أظهر .

(٤) والتقدير أى شيء منعك من السجود حين أمرتك .

المتكبر بقوله تعالى: .. ﴿فَاهْبِطْ[1] مِنْهَا﴾ أى: من الجنة[2]، وقيل من السموات[3] ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ[4] فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ أى: منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ[5]﴾ أى الذليلين ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أى: أخرنى ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أى الناس .. (وهو) بهذا قد قصد استمرار الحياة فى الدنيا والآخرة .. وذلك حتى لا يذوق الموت .. لأنه لا موت بعد البعث فأجابه الله لا على مراده بل أمهله إلى النفخة الأولى .. (وهذا) معناه أنه لا نجاة له من الموت ولا من العذاب، فقال له: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ وفى آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أى وقت النفخة الأولى[6] قال ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أى: بإغوائك لى[7] ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أى لبنى آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أى على الطريق الموصل إليك ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أى من الجهات التى يعتاد الهجوم منها، وهى الجهات الأربع، (ولذلك) لم يذكر الفوق والتحت .. (أما الفوق) فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس – رضى الله عنهما – (وأما) التحت: فلكبره لا يرضى أن يأتى من ذلك ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ويضعف فى اليمين واليسار لحفظ الملائكة .. ثم قال اللعين: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أى مؤمنين .. ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ أى معيبًا أو ممقوتًا[8] ﴿مَدْحُورًا﴾ أى مبعدًا عن الرحمة .. ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أى: من الناس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى: منك بذريتك، ومن الناس – وفيه تغليب الحاضر على الغائب – أى: ومن تبعك أعذبه ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

---

(١) إلقاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين .

(٢) أى: وعليه فبقى فى السموات خارج الجنة .

(٣) أى:فلم يبق له استقرار فى العالم العلوى أصلًا .

(٤) أى ولا غيرها ففى الكلام اكتفاء لأن الكبر مذموم مطلقًا .

(٥) من الصغار وهو بالفتح الذل والضيم .

(٦) أى لا وقت النفخة الثانية التى طلبها اللعين .. والآية الأخيرة هى رقم ٣٨ من سورة الحجر، ورقم ٨١ من سورة ص .

(٧) والباء للقسم، ويصح أن تكون للسببية(وغرضه) بهذا أخذ ثأره منهم – أى من بنى آدم – لأنه طرد ومقت بسببهم .

(٨) المذءوم بالهمزة من ذأمه ذأما، إذا عابه ومقته، أى اخرج ممقوتا معابًا عليك .

شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهى الحنطة[1] ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أى لأنفسهما ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ أى إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ أى يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ أى: ما غطى وستر عنها ﴿مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ أى: عوراتهما[2] .. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ[3] أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ[4] أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا﴾ أى أقسم لهما بالله[5] ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أى فى ذلك ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ[6]﴾ أى حطهما عن منزلتهما الحسية[7] ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أى: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أى ظهر لكل منهما قُبله وقُبل الآخر ودُبره ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أى أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ[8]﴾ وذلك بوضعه على بعض ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أى بين العداوة[9] ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ أى: بمعصيتنا[10] ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وهذا شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ أى: يا آدم ويا حواء بما اشتملتا عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾أى بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أى: من ظلم بعضهم بعضًا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أى: مكان استقرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ أى تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أى: إلى انتهاء آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أى الأرض

---

(١) وقيل الكرم، وقيل التين، وقيل البلح، وقيل الأترج والمشهور هو الحنطة .

(٢) سميت بذلك لأن كشفها يسيء صاحبها، والوسوسة المشار إليها هى الحديث الخفى الذى يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان .

(٣) أى كراهة .

(٤) وقرىء بكسر اللام .

(٥) فهو أول من حلف كاذبًا، بل هو أول من عصى الله مطلقًا .

(٦) التدلى معناه النزول من أعلى لأسفل .. لأن غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض .

(٧) أى لا المعنوية، بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت .

(٨) وقيل أى ظهر لكل منهما عورة الآخر و القبل بضم القاف أى العورة الأمامية، و الدبر بضم الدال أى الصورة الخلفية (معنى) قول المفسر: وقيل الآخر لأن دبر نفسه لايظهر له إلاإن التفت إليه و عاناه هو .ورق التين .

(٩) والإستفهام للتقرير

(١٠) وهذه ليست بمعضية حقيقية . . وإنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ...(انظر حاشية الصاوى ج٢ س٥٥ للإستزاده من هذا البيان) .

﴿تحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي بالبعث ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكى ﴿يُوَارِي﴾ أي يستر ﴿سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ هو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أي: العمل الصالح والسمت الحسن ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي لأنه يستر من فضائح الأخرة ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي دلائل قدرته سبحانه ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ .. ثم بعد ذلك يقول – سبحانه وتعالى – محذرًا إيانا نحن أبناء آدم وحواء من فتن هذا الشيطان الأكبر وجنوده .. فيقول ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا (وهذا) نهى لبنى آدم عن الإصغاء لفتنه واتباعه .. وليس المراد النهى عن تسلطه .. إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك لأنه قضاء مبرم بل المراد الميل إليه ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنه ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ﴾ أي الشيطان .. ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ أي: وجنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ وذلك للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم [1].

(ثم بعد ذلك) يختم الله – سبحانه وتعالى – هذا التحذير بقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أعوانا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآيات ١١ – ٢٧ الأعراف]

والشرح بتصرف من تفسير الجلالين وحاشية الصاوى على ج٢ ص٥٢ – ٥٧.

(وهذا القول الأخير) معناه: أن المؤمنين – إن شاء الله – لا سلطان للشيطان عليهم أى: قوة كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى – فى سورة الحجر [2] على لسان اللعين إبليس بعد أن طرده الله – تعالى – من الجنة، وحكم عليه بالإغواء: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي المعاصى ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين الذى أخلصوا فى أعمالهم فلا تسلط لى عليهم.

---

(١) وذلك لن أجسامهم كالهواء نعلمه و نتحققه ولا نراه للطاقة وعدم تلونه ..(وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلويننا .. (وأما) رؤية بعضهم لبعض فحاصله لقوة أبصارهم ..(وهذا) حيث كانوا بصورتهم الأصلية، (وأما) إذا تصوروا بغيرها فنراهم لأن الله حول لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة .. (انظر حاشية الصاوى ج٢ ص٥٧).

(٢) من الآية ٣٩ – ٤٤ .

(فقال) الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أى المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أى قوة ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أى من الكافرين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى من تبعك معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ وأعلاها جهنم وهى لعصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة: للنصارى ثم السعير: للصابئين، ثم سقر: للمجوس، ثم الجحيم لعباد الوثن، ثم الهاوية: للمنافقين [1].

*(وهذا) أيضًا هو ما أكده الله – تعالى – فى سورة الإسراء [2] حيث يقول – سبحانه وتعالى –: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أى: سجود تحية بالإنحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أى: من طين ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أى أخبرنى [3] ﴿هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أى: فضلت ﴿لَئِنْ [4] أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ أى: لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ أى بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أى: منهم ممن عصمته فقال الله – تعالى – له ﴿اذْهَبْ﴾ أى منظرا إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ أى: أنت وهم ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ أى: وافرًا كاملًا ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أى استخف ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ أى: بدعائك بالغناء [5] والمزامير وكل داع إلى معصية [6] ﴿وَأَجْلِبْ﴾ أى: صح ﴿عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة فى المعاصى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ أى المحرمة كالربا والنصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ أى: من الزنا ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أى بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أى: بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أى: باطلًا.

---

(١) انظر حاشية الصاوى على الجلالين ص٢٣١ بتصرف.
(٢) من الآية ٦١ – ٦٥.
(٣) ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيرًا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله..
(٤) لام القسم أى مقدرة كقوله (والله)، وقوله: { لأحتنكن } جواب القسم..
(٥) الغناء بكسر الغين والمد، وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة..
(٦) كالكلام مع الأجنبية ونحوه.

ثم بعد ذلك يقول – سبحانه وتعالى – مقررا ومؤكدا ما يثلج صدورنا، ويبعث الأمل فى نفوسنا .. وهو يخاطب اللعين إبليس مؤيسًا إياه من إغوائنا نحن المؤمنين الصادقين – إن شاء الله – ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أى المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أى: تسلط وقوة ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أى: حافظا لهم منك [1].

(ومع) هذا، ومع كل تلك البشريات والإشارات، فإنه ينبغى علينا أن نلاحظ أمرًا هامًا وهو أننا نواجه، ونحارب عدوًا مبينًا .. حذرنا الله – تعالى – منه ومن مكائده فى كثير من آياته القرآنية التى منها:

﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٨٣]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ[2] فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا[3]﴾ [النساء٧٦]

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١]

---

(١) انظر تفسير الجلالين مع حاشية الصاوى عليه ج٢ ص٢٧٨ بتصرف .

(٢) وهو الشيطان وقيل: كل ما سوى الله .

(٣) أى إن ما يكيده الشيطان لكم ضعيف، فلا تهابوا أولياء الشيطان .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف الآية رقم ٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ(١) أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١] .

** (وهكذا) أيها الإخوة الفضلاء، ومن كل تلك الآيات البينات .. يتأكد لنا عداوة الشيطان الرجيم لنا .. من يوم أن حكم الله – تعالى – عليه بالإغواء (كما) تأكد لنا كذلك أننا – إن شاء الله تعالى – (إن) كنا من المؤمنين الصادقين فإنه لن يكون له ولا لجنوده سلطان علينا .. (ومع) كل هذه التأكيدات .. (فإننا) لابد وأن نحذره إلى آخر لحظة فى حياتنا حتى لا يتغلب علينا بمكائده المتعددة التى من أخطرها النساء .. (فقد) قرأت أنه قال للمرأة: (أنت نصف جندى) وكذلك ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء** »(٢) .

وكذلك العكس بالنسبة للنساء السافرات إذا اختطلن بالرجال الذى لا خلاق لهم..

*(لسوف) أعود بكم – إن شاء الله تعالى – حول هذا الموضوع بتوسع وتركيز أكثر فى اللقاء القادم .. ونحن نسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ نساءنا وأبناءنا من شياطين الإنس والجن ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى ما تطهر منكم أحدا أبدا .
(٢) حديث صحيح وهو فى صحيح الجامع الصغير (٥٤٧٣) .



خطب شهر صفر
الخطبة الثانية
((خطبة اللعين إبليس التي سيخطبها
يوم القيامة بعد أن يُقضى بالأمر))



الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾ [النساء : من الآية ٨٣] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : **«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت فيلتزمه [١]»** رواه مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع [٢] فى يده فيقع فى حفرة من النار»** رواه البخارى ومسلم .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين ، العاملين المخلصين ، الذين كان أحدهم وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إذا سلك فجًا يسلك الشيطان فجًا [٣] آخر) [٤] وأيضا : كانوا يكثرون من ذكر الله .. فكان الشيطان يجرى أمامهم، ويفر منهم . وكانوا إذا خرجوا للصلاة تنحى

---

(١) أى يعانقه .
(٢) النزع : أى الجذب .
(٣) والفج أى الطريق .
(٤) فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا .

الشيطان عن طريقهم .. (وذلك) لأنهم كانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور : ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الثانى من شهر صفر الذى كنت قد وعدت فى اللقاء الماضى بأننى سأعود معكم فيه .. إلى مواصلة التحذير من مكائد الشيطان ، وذلك من خلال الخطبة التى سيخطبها اللعين إبليس يوم القيامة بعد أن يقضى بالأمر، أى: بعد أن يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة وبأهل النار إلى النار [١] .. تلك الخطبة التى سجلها الله تبارك وتعالى فى سورة إبراهيم [٢] ، فيقول – سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أى : بالبعث والجزاء .. فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُم﴾ أى : تبين خلافه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أى من قوة وقدرة أقهركم بها على متابعتى ﴿إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي﴾ أى: على وسوستى لكم ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أى : وبخوها على إجابتى ومخالفة ربكم ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أى : بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ أى وما أنتم بمغيثى من العذاب ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أى : تبرأت بإشراككم إياى مع الله ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ أى: فى الدنيا ، ثم بعد ذلك يقول–

---

(١) وقد ورد أنه سيلقها وهو يقف على منبر من نار .

(٢) فى نص الآية ٢٢ .

سبحانه وتعالى – مقررا نهاية هذا اللعين : ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .
وقيل: إن التقرير هذا ليس من كلام الله – تعالى – (وإنما) هو من كلام اللعين إبليس الذى حكم بهذا على نفسه..

(وهذا) النص القرآنى معناه أن اللعين إبليس يقرر أمرًا هامًا لابد وأن يقف عليه كل إنسان من بنى آدم حتى يجاهد هذا اللعين إبليس .. وحتى يبرأ منه .. قبل أن يكون اللعين إبليس من المتبرئين منه ومن جميع الذين استجابوا له واتبعوه .. بمجرد أن وعدهم بعكس ما وعدهم الله تعالى به .. فأسرعوا إليه . ونفذوا مطالبه الشيطانية التى نهى الله ورسوله عنها فى قرآنه ، وعلى لسان نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – .. (ثم) إذا كان قد تبرأ وسيتبرأ من الذين اتبعوه بقوله : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ فإن القول هذا يذكرنا بقصة (برصيصا العابد) التى ورد ذكرها فى سورة الحشر حول تفسير قول الله – تبارك وتعالى :

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

(ففى) هذه الآية الكريمة يشير الله – سبحانه وتعالى – إلى ما كان من أمر اللعين إبليس [١] الذى خطط للقضاء على هذا العابد الذى كان يسمى (برصيصا العابد) والذى كان يتعبد فى صومعة بصورة منقطعة النظير فذهب إليه اللعين فى صورة رجل من الصالحين .. ثم جلس أمام الصومعة وأخذ

---

(١) وقيل أى من العذاب : إن اللعين هذا .. كان شيطاناً يسمى بالشيطان الأبيض .. وهو من أوائل تلاميذ إبليس.. الذى تدرب على يديه ..

يرفع صوته بكثير من أنواع الذكر .. حتى فتح له (برصيصا) الباب ثم سأله.. من أنت .. وماذا تريد ؟ فقال له : أنا عبد من عباد الله سمعت عنك فجئت لأعبد الله معك .. فقال له برصيصا بعد أن انخدع به .. مرحبا بك .. ثم أدخله .. ثم بعد ذلك حدث أن بدأ الشيطان هذا .. يتنافس مع العابد فى عبادة الله تعالى .. أى : إذا صلى برصيصا مثلاً مائة ركعة فى الليلة .. يصلى اللعين مائتين وإذا صام يومين يصوم اللعين خمسة أيام .. (وهكذا) حتى اطمأن إليه كل الاطمئنان .. فلما تبين للشيطان هذا .. بدأ ينفذ خطته .. (فقال) للعابد : لقد كنت أظنك أكثر منى نشاطًا فى عبادة الله .. فتبين أن العكس هو الصحيح .. (ولهذا) فإننى سأتركك حتى أذهب إلى أكثر منك نشاطًا فى عبادة الله ..(ولكن) بعد أن أقدم لك هدية وهى أن أعلمك دعاء لو قرأته على مريض سيذهب ما به من مرض .. (ثم) بعد أن علمه الدعاء هذا .. ذهب إلى السلطان فى هذا العصر.. لأنه كانت له ابنة مريضة .. وكان قد عرضها على جميع الأطباء. ولكنهم لم ينجحوا فى علاجها .. (فقال) له الشيطان : أرى أن تذهب بها إلى برصيصا العابد .. لأنه رجل صالح ولسوف تبرأ على يديه بإذن الله .. وفعلاً ذهب بها السلطان إلى صومعة العابد .. (وهناك) قرأ برصيصا الدعاء عليها. فقامت تقف على رجليها وكأنها لم تصب قبل ذلك بسوء .. فأجزل له السلطان العطاء.. ثم أخذ ابنته وعاد.. (ولكن) الشيطان عاد إلى الفتاة مسها. فعاد إليها المرض مرة أخرى.. فقال الشيطان للسلطان: أرى أن تعود بها إلى العابد وتتركها هناك عنده .. حتى تبرأ تماما – وهو رجل صالح ولا يخاف على الفتاة منه – وفعلا ذهب بها السلطان مرة أخرى وتركها مع العابد فى صومعته .. وإذا كان الرسول

قد قال : «**ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**» ، فإن الشيطان فعلاً كان ثالثهما ..

(ولهذا) فقد بدأ يوسوس لهذا العابد .. ويزين له أمر هذه الفتاة .. حتى زنى بها .. (ثم) بعد ذلك وبعد أن ظهر أثر الحمل على الفتاة .. قال له الشيطان لابد وأن تتخلص منها قبل أن تلد .. فتكون مفضوحًا ومهانًا بين الناس .. وربما قتلت بسبب هذا .. (ثم) بعد أن أقنعه بهذا .. (قام) العابد ليلاً.. وخنق الفتاة وهى نائمة .. (ثم) أخذها وذهب بها بمعاونة هذا الشيطان إلى مكان صحراوى ودفناها فيه .. (ثم) بعد ذلك وبعد أن وضع الشيطان علامة عند مكان الجثة أسرع على السلطان وأخبره (فذهب) السلطان بفرقة من جنوده وكان الشيطان دليلاً له إلى المكان ، وهناك وعند العلامة أخرجت جثة الفتاة .. ثم بعد ذلك ذهبوا إلى صومعة العابد .. وهدموها ثم أخذوه وصلبوه .. (ولكن) الشيطان أدركه فى اللحظة الأخيرة، وقبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام . . فقال له : إننى أستطيع إنقاذك من هذا الذى أنت فيه .. ولكن بعد أن تسجد لى من دون الله ولو بقلبك وطمعاً فى الحياة سجد له من دون الله .. فكان بذلك من الكافرين ﴿**فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ**﴾ أى: قال له الشيطان : ﴿ **إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ .

(وهكذا) كان الشيطان الأكبر وجنوده يحاول إغواء الصالحين .. فكان منهم من ينجيه الله تعالى منه .. ومنهم من يقع فى شباكه ..

(وقد) قرأت كذلك ..(أنه) كان هناك عابد كبير من عباد بنى إسرائيل .. وأنه

كان من الجاهلين بالأحكام المتعلقة بأحكام العبادات – والتى من أهمها – مثلًا أحكام الطهارة (فلما) علم الشيطان عنه هذا .. وعرف نقاط الضعف فيه نصب له فخًا أمام صومعته فى اليوم الذى كان قد اعتاد العابد الخروج فيه لكى يسير بعض الوقت حول صومعته .. فوضع الشيطان فى طريقه جثة آدمى تنبعث منها رائحة كريهة .. (فلما) اشتمها العابد .. فر هاربًا بعيدًا عنها فظهر له الشيطان،وقال له: لقد تبخرت حسناتك ولم يعد لك رصيد منها عند الله فقال له ولِمَ؟ فأخبره بأن السبيب فى هذا هو أنك استكبرت وأبيت أن تشم رائحة آدمى مثلك ثم بعد ذلك قال له ناصحًا .. إذا اردت أن يقبل الله – تعالى – توبتك ويغفر الله – تعالى – زلتك .. (فإنه) ينبغى عليك أن تصطاد فأرًا جبليًا وتعلقه فى رقبتك على أن تظل تتعبد به، وتصلى به .. طوال حياتك عسى أن يغفر الله – تعالى – لك .. فلما اقتنع العابد بهذا الجهله . اصطاد له الشيطان الفأر الأول الذى ظل يتعبد به وبغيره من الفئران . لمدة ستين عامًا .. إلى أن مات خاسرًا والعياذ بالله .. فلما علم النبى ﷺ بهذا الخبر قال لأصحابه .. (مسألة علم – وفى رواية – مجلس علم خير من عبادة ستين سنة) (وذلك) لأن الجهل ليس بعذر .. (وقد) ورد فى (الحديث) (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) [1] (وقد) قرأت كذلك توضيحًا لهذا .. (أن) عالمًا من العلماء العاملين .. فى عصر السلف الصالح كان يمشى ذات يوم فى مكان خال على سبيل التأمل فى ملكوت الله – وكان هذا من قبل الغروب – فرأى نورا يشع من كل اتجاه . ثم سمع صوتًا يناديه يا عبد القادر [2] .. أنا الله . (وكان) عبد القادر هذا .. من الراسخين فى العلم – أعنى من الذين أنار الله بصائرهم – ولهذا فإنه لم يصرخ كما يفعل بعضهم (وإنما) سأله بكل ثبات وماذا تريد؟ . فقال له صاحب الصوت: لقد أحللت لك المحرمات .. (فقال) له سيدى عبد القادر

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى . (الترغيب والترهيب) ج١ص١٠٩ .
(٢) وهو سيدى عبد القادر الجيلانى: كما قرأت فى كتاب (الغنية) رضي الله عنه .

إخسأ يا لعين .. (فلما) قال له هذا، عاد الجو إلى سيرته الأولى .. (ثم) سمع الصوت يناديه يا عبد القادر .. لقد أوقعت فى هذه الفتنة سبعين ألف عابد ولولا علمك لوقعت مثلهم أ. هـ .(وعندما) سألوه - عليه رضوان الله -: كيف عرفت أنه إبليس ؟ قال بقوله: أحللت لك المحرمات .. لأن الله - تعالى - يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وقرأت) كذلك أنه جلس ذات يوم [1] فى مجلس الإمام الشافعى ﷺ ثم وجه إليه السؤال الآتى: يا إمام المسلمين: ما قولك فيمن خلقنى كما اختار، واستخدمنى فيما اختار، وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة وإن شاء أدخلنى النار . أعدل فى ذلك أم جار ؟ فقال له الإمام الشافعى ﷺ بنور من الله - تبارك وتعالى - .. حتى لا يترك مجالًا لبلبلة أفكار بعض الذين فى مجلسه من ضعفاء الإيمان الذين أراد إبليس اللعين أن يفتنهم بسؤاله هذا - فقال له الإمام: يا هذا .. إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل،وإلى هذا يشير الله سبحانه وتعالى - فى قوله: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] .

(وذات) يوم: كان سيدنا عيسى - عليه السلام - يقف فوق الجبل .. فجاءه اللعين إبليس وقال له: ألستم تقولون: إن الله تعالى إذا أراد الموت لإنسان لابد من موته ؟ قال: نعم .. قال: وإلا ؟ أى: وإن لم يرد الموت له - قال - فلن يموت .. (فعند) ذلك قال اللعين لسيدنا عيسى- عليه السلام- بعد هذا التمهيد الشيطانى إذن فألق بنفسك من فوق الجبل.. فإن كان الله -تبارك و تعالى- قد أراد لك الموت فإنك ستموت.. وإلا فلا

(فعند) ذلك قطع سيدنا عيسى - عليه السلام - لسانه بقوله: (يا لعين إنا لله تعالى أن يمتحن عبده وليس للعبد أن يمتحن ربه).

---

(١) فى صورة رجل يطلب العلم .. لكى يحدث فتنة .

(فلاحظوا) كل هذا، أيها الإخوة المسلمون .. حتى لا يلعب الشيطان وجنوده بعقولكم من كل الجوانب .. (ولا سيما) من الجانب المتعلق بالثواب والعقاب .. والفقر والغنى .. الخ .

وتحصنوا دائمًا وأبدًا ضده وضد جميع الشياطين من الإنس والجن الذين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] بالعلم النافع الذى سنستطيع به – إن شاء الله – مع الإستعانة بالله من التغلب على مكائده .. (مع) ضرورة التحصن كذلك بذكر الله تبارك وتعالى – الذى يقول ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ أى يغفل ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] .

*(ولسوف) أركز معكم – إن شاء الله تعالى – فى اللقاء القادم .. على موضوع الذكر الصحيح الذى هو من أعظم القربات إلى الله – تبارك وتعالى – ..

والله ولى التوفيق .



خطب شهر صفر

الخطبة الثالثة

«الذكر الصحيح وأهم أنواعه ومقاصده»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت**» رواه البخارى اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين الذاكرين المستغفرين .. الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم وذكروا الله تعالى فذكرهم .. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين .. وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى عنهم – فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثالث من شهر صفر الذى وعدت فى اللقاء الماضى بأننى سأعود فيه معكم إلى موضوع الذكر الصحيح وأهم أنواعه ومقاصده .. (وذلك) لأننا جميعًا وبدون استثناء فى أشد الحاجة إلى نتائجه ولا سيما إذا كان استغفارًا لله تبارك وتعالى .. كما يشير الله تعالى إلى هذا على لسان سيدنا نوح – عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

(هذا) بالإضافة إلى أن الذكر هو رأس الأعمال الصالحة .. (ولهذا) فقد ورد أن رجلًا من أصحاب الرسول ﷺ قال ذات يوم: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على، فأخبرنى بشيء أتشبث به [١] فقال له النبى ﷺ: «**لا يزال فوك [٢] رطبا بذكر الله**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن وبلفظ: لسانك.

---

(١) أى أتمسك به .

(٢) أى فمك .

وفى حديث رواه الترمذى وأحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد: يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه –لأصحابه: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق**(١) **وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله** » .

*(والذكر) أيضًا هو: سبيل النجاة (فعن) معاذ ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله عز وجل**» رواه أحمد .

(وعند) احمد كذلك، ورد أنه ﷺ قال: «**إن ما تذكرون من جلال الله – عز وجل – من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش، لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟**».

(وهذا) الحديث الأخير يشير إلى تعريف الذكر، وهو أنه: ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله- تعالى -، وتنزيهه،وحمده، والثناء عليه، ووصفه سبحانه بصفات الكمال،ونعوت الجلال والجمال .. (وهذا) الذكر بكل ما فيه من تلك الإشارات القدسية .. (قد) أمرنا الله – تبارك وتعالى – بالإكثار منه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا *وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] .

** (كما أخبرنا – سبحانه وتعالى – بأنه يذكر من يذكره، فقال: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢]. أى أذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد، و أذكرونى بالطاعة: أذكركم بالرعاية والعناية والتوفيق .. (وفى الحديث) القدسى يقول تعالى: (أنا عند ظن عبدى بى(٢) وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى،وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه (٣)، وإن تقرب إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعا، وإن

---

(١) الورق: بكسر الراء، أى الفضة .

(٢) أى من ظن أن الله يقبل دعاءه وهو يدعوه قبله، ومن استغفره ظن أن الله يغفر له .. غفر له وهكذا .

(٣) وهم ملأ الملائكة

تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة) رواه البخارى ومسلم .

(كما) أخبر النبى ﷺ فى نص حديث رواه مسلم (بأن) الله – تبارك وتعالى – أختص أهل الذكر بالتفرد والسبق، فقال: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات) .

*(وأيضا) أخبر – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص حديث رواه البخارى أن أهل الذكر هم الأحياء على الحقيقة، فقال: «**مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر: مثل الحى والميت**»

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم،أو التمهيد (أن) أركز على أهم ما ينبغى علينا أن ننتفع به من هذا التذكير .. (فإننى) أرى أن نقف أولًا على بعض الإشارات أو التنبيهات التى ذكرها صاحب كتاب (فقه السنة) [١] أكرمه الله، فقد ذكر بعد أن أشار إلى هذا .. تحت عنوان

حد الذكر الكثير:

أن الله – تبارك وتعالى – قد أمرنا بأن نذكره ذكرًا كثيرًا فقال: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

كما وصف سبحانه وتعالى أولى الألباب .. بأنهم هم الذين ينتفعون بالنظر فى آياته فقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] .

قال مجاهد: لا يكون المسلم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا .. (أى) على أى حال من الأحوال حتى ولو كان مضطجعًا على جنبه .. (وسئل) ابن الصلاح عن القدر الذى يضير به المسلم من الذاكرين الله كثيرًا

---

(٤)ج٤ص١٩٨ وما بعدها بتصرف كبير .. وإضافات موضوعية .

والـذاكرات ؟ فقـال: إذا واظـب عـلى الأذكـار المـأثورة المثبتـة صـباحًا ومسـاءً فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا، كان من الـذاكرين الله كثيرًا والـذاكرات .
(قال) على بن أبى طلحة عن ابن عبـاس –رضى الله عـنهما – فى هـذه الآيـات قـال: إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حـدًا معلومًـا وعـذر أهلهـا فى حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهى إليه، ولم يعـذر أحـدًا فى تركـه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: ﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٣] بالليـل والنهـار، فى الـبر والبحـر، وفى السـفر والحضر، والغنـى والفقـر، والسـقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال.

* (وقد) أشار أيضًا صاحب (فقـه السـنة) إلى ملاحظـة أخـرى قـال فيهـا تحـت عنوان:

شمول الذكر كل الطاعات :

فقال: [١]: قال سعيد بن جبير ﷺ: كل عامل لله بطاعـة فهـو ذاكـر الله .. (وأراد) بعـض السـلف أن يخصـص هـذا العـام، فـقصر الـذكر عـلى بعـض أنواعـه، مـنهم عطاء ﷺ حيث يقول: مجالس الذكر هى: مجالس الحلال والحرام، كيـف تشـترى وتبيع وتصلى وتصوم، وتـنكح [٢] وتطلـق، وتحـج، وأشـباه ذلـك أى مـن العبـادات والمعـاملات (وقـال) القرطبـى: مجلـس ذكـر يعنـى مجلـس علـم وتـذكير [٣] وهـى المجالس التى يذكر رفيها كلام الله وسنة رسوله، وأخبار السلف الصالحين وكـلام الأئمـة الزهـاد مـن المتقـدمين المبرأة عـن التصـنع والبـدع، والمنزهـة عـن المقاصـد الردية[٤] والطمع .. (وأنا) شخصيًا مع كل تلـك الأقـوال الواضـحة التى تشـير إلى

---

(١) بتصرف وإضافات .
(٢) أى تتزوج .
(٣) أى تذكير بالله وباليوم الآخر .. و لما لنا وما علينا .
(٤) أى الحقيرة المذرية .

ضرورة الحرص على تحصيل العلم النافع الذى لن يكون إلا بمجالسة العلماء العاملين الذين تذكرنا بالله تعالى رؤيتهم، وذلك حتى نطلب العلم النافع منهم .

(فقد) جاء فى نص حديث صحيح رواه مسلم (عن) رسول الله ﷺ أنه قال: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ..** » وكفى بالعبد شرفًا أن يذكره الله تعالى فى الملأ الأعلى .. بعد أن ذكره العبد فى هذا الملأ الأرضى وفى بيت من بيوت الله .. مع الدارسين للعلم النافع معه .. ولهذا قيل:

وأكثر ذكره فى الأرض دومًا لتذكر فى السماء إذا ذِكرنا

وقيل كذلك:

وساعة الذكر علم ثروة وغنى وساعة اللهو إفلاس و فاقات

(وللذكر) آداب ينبغى على الأخ الذاكر أن يلاحظها وهى: أنه من الأدب أن يكون الذكر سرًا، لا ترفع به الأصوت، وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم فى بعض الأسفار فقال: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا، إن الذى تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله:﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

* ومن الأدب أن يكون الذاكر نظيف الثوب، طاهر البدن، طيب الرائحة، فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطا، ويستقبل القبلة ما أمكن فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة .

* (هذا) مع ملاحظة أن أفضل الذكر: لا إله إلا الله .

(فعن) أبى هريرة: أن النبى ﷺ قال: «**ما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يقضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**» رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب .

(وعن) جابر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**» رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال: حديث حسن غريب .

* (وأما) عن فضل التسبيح والتحميد، والتهليل،والتكبير .. (فقد) ورد فيه .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» رواه الشيخان الترمذى .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا اله، والله أكبر: أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**» رواه مسلم والترمذى.

(وعن) جابر رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده: غرست له نخلة فى الجنة**» رواه الترمذى وحسنه .

(وعن) أبى سعيد رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**» قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال: «**التكبير، والتهليل والتسنبيح والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله**» رواه النسائى والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

* (وعند) مسلم: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**أحب الكلام إلى الله أربع – لا يضرك بأيهن بدأت –: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،والله أكبر**».

* (مع) الحرص على ملازمة الإستغفار:

(فعن) عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من لزم الإستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا،ورزقه من حيث لا يحتسب**» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

(ولا سيما) إذا كان الإستغفار بسيد الإستغفار: (فعن) شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**سيد الإستغفار**[1]**، ان يقول العبد: اللهم أنت ربى، لا إله إلا**

---

(١) أى أعظم صيغ الإستغفار .

أنتَ، خلقتنى وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ أبوء لك [1] بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى،فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت: من قالها فى النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمُسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مُوقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » رواه البخارى

(فعلى الإخوة المسلمين والأخوات المسلمات: أن يلاحظوا كل هذا .. حتى لا يكونوا من الخاسرين المشار إليهم فى قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[المنافقون: ٩]، (بل) وحتى لا نكون – والعياذ بالله – من المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[المجادلة: ١٩] .

(وأيضًا) حتى لا نكونَ من أهل المعيشة الضنك المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾[طه: ١٢٤ - ١٢٦] .

(وحسبهم) فى النهاية أن يذكروا أنهم ببركة الذكر لن يقترب الشيطان منهم .. كما أشار إلى هذا قول الله – تعالى -: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[الزخرف: ٣٦] وإلى اللقاء مع جوامع الأذكار الصحيحة .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى: أعترف لك .





خطب شهر صفر

الخطبة الرابعة

«جوامع الأذكار وفضل تلاوة القرآن وضرورة التدبر فيه»

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة** » رواه الترمذى وقال: حسن ورواه أحمد بلفظ «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة**[1] **وما من رجل: يمشى طرقًا فلم يذكر الله تعالى إلا كان عليه ترة، وما من رجل آوى إلى فراشه فلم يذكر الله – عز وجل – إلا كان عليه ترة**» وفى رواية: «**إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة للثواب**»[2].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم، وذكروا الله تعالى فذكرهم ن ونصروا الله تعالى فنصرهم فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الرابع من شهر صفر الذى كنت قد وعدت فى

---

(١) الترة: معناها الحسرة، أو النقص، أو التبعة.

(٢) قال فى فتح العلام – كما جاء فى فقه السنة ج٤ ص٢١٠، ٢١١ – الحديث يدل على وجوب الذكر والصلاة على النبى ﷺ فى المجلس، لا سيما مع تفسير الترة بالنار أو العذاب، فقد فسرت بها، فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه – صلى الله عليه وسلم – معًا.

اللقاء الماضى بأننى سأواصل فيه التذكير ببعض جوامع الأذكار، وفضل تلاوة القرآن، وضرورة التدبر فيه .. (وذلك) لأن الذكر كما علمنا قبل هذا، هو طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها (وهو) كما علمنا أيضًا قبل هذا: رأس الأعمال الصالحة .. (ولهذا) فإنه حسبنا أن نكون من هؤلاء المؤمنين الذاكرين الله – تعالى – بالأذكار أو ببعض الأذكار الجوامع التى كان النبى ﷺ يرددها ويعلمها لأصحابه .

(فعن) جُويرية – رضي الله عنها – أن النبى ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن، أضحى [1] وهى جالسة، فقال: «**مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟**» قالت: نعم قال النبى ﷺ : «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد [2] كلماته**» رواه مسلم وأبو داود .

*(ودخل) رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح الله به فقال: «**أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل ؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق فى السماء، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك** » رواه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(وعن) ابن عمر – رضى الله عنهما –، أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدًا من عباد الله، قال: «**يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك، ولعظيم سلطانك: فعضلت [3] بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها**» فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ قال الله – وهو أعلم بما قال عبده – ماذا قال عبدى ؟ قالا: يا رب، إنه قد قال: يا رب لك الحمدكما ينبغى لجلال

---

(١) أى بعد صلاة الضحى .

(٢) وهى ما يوضع فى الدواة ليكتب به .. وهو ما يسمى بالحبر .

(٣) فعضلت: أى اشتدت وعظمت .

وجهك ولعظيم سلطانك . فقال الله لهما: (اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها) رواه أحمد وابن ماجه .

**(وهناك) أذكار (خاصة) ينبغى على الأخ المسلم أن يكون حريصًا على أن يذكر الله – تعالى بها فى الأحوال التى منها:

كفارة المجلس

*(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه [1]، فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك** [2]»وما يقوله:

من اغتاب أخاه المسلم

*(فقد) روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: اللهم اغفر لنا وله**»، قال فى فقه السنة: والمذهب المختار أن الإستغفار لمن اغتبت، وذكر محامده يكفر الغيبة ولا يحتاج إلى إعلامه واستسماحه، وما يقوله:

إذا أتى أهله

*(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله** [3] **قال: بسم الله** [4]، **اللهم جنبنا الشيطان** [5] **وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره** » متفق عليه وما يقوله:

عند نومه واستيقاظه

* (فعن) حذيفة، وأبى ذر رضي الله عنهما قالا كان رسول ﷺ إذا أوى إلى فراشه [6]

---

(١) اللغط: كلام فيه جلبة اختلاط .

(٢) كفر: أى ستر .

(٣) أى: عند إرادة الجماع .رواه أبو داود و الترمذى و اللفظ له و النسائى، و أبن حبان فى صحيحة.

(٤) أى أتحصن .

(٥) أى: أبعده عنا.

(٦) أى: دخل فيه لكى ينام .

قال: «**باسمك اللهم أحيا**[1] **وأموت**» وإذا استيقظ[2] قال: «**الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**[3]»رواه البخارى .

(هذا) بالإضافة إلى أذكار الصباح والمساء التى ينبغى على الأخ المسلم والأخت المسلمة (أن) يحفظاها ويحرصا على ذكر الله – تعالى – بها فى كل صباح ومساء ..

(مع) ملاحظة أن أذكار الصباح يبتدىء وقتها من الفجر إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء ما بين العصر والغروب (ثم) إليكم بعض هذه الأذكار التى – أسأل الله تعالى أن يتقبلها منا ومنكم –:

*(فقد) روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**من قال حين يصبح، وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة: لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**» .

*(وروى) أيضًا عن ابن مسعود ﷺ قال: كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ من عذاب فى النار وعذاب فى القبر**» وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أصبحنا وأصبح الملك لله .

*(وروى) أبو داود عن عبد الله بن حبيب، قال: قال رسول الله ﷺ :(قُل) قلت يا رسول الله ما أقول ؟ قال: «**قل هو الله أحد، والمعوذتين حتى تمسى،وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء**» قال الترمذى: حديث حسن صحيح .

*(وروى) أيضًا عن أبى هريرة: أن النبى ﷺ كان يُعَلم أصحابه، يقول: «**إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور**».

---

(١) أى ما حييت .

(٢) أى: قام من نومه .

(٣) أى الذهاب إلى الله – تعالى – ليجازى العامل بمقتضى عمله .

وإذا أمسى فليقل: «**اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور**»

وإذا أمسى فليقل: «**اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا، وبك نحيا،وبك نموت، وإليك المصير**» قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وفى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: مرنى بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: قل: «**اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض،ورب كل شيء ومليكه، أشهد أن لاإله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا، أو نجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**» قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

*(وفى صحيح) البخارى: عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال: «**سيد الإستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنتَ، خلقتنى وأنى عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت،أبوء لك**[1] **بنعمتك على وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة.

**(وأما) عن:

فضل تلاوة القرآن

وإذا كان لنا أن نستمع إلى بعض الأحاديث الشريفة المرغبة فى تلاوة القرآن الكريم أو الإستماع إليه (فإننى) أحب أن يعلم الإخوة المسلمون أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى – القديم – الذى أنزله الله - تعالى -على حبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – فى ليلة القدر لكى يكون دستورًا للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (كما) قال الله – تعالى – لكى يكون: ﴿**هُدىً لِلنَّاس وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَان**﴾[البقرة: ١٨٥].

---

(١) أى اعترف لك.

وعلى هذا: فإنه ينبغى على الأخ المسلم والأخت المسلمة (أن) يتعاملا مع هذا القرآن الكريم بكل أدب وخشوع ..(سواء) كان التعامل هذا تلاوة أو استماعًا .. (وأيضا) ينبغى عليهما إذا أرادا أن يقرءا من المصحف وهما يحملانه (أن) يكونا متوضئين – فهذا أفضل – أما إذا كانت هناك جنابة، أو حيض أو نفاس بالنسبة للأخت المسلمة: فإنه يحرم عليها مس المصحف فضلًا عن قراءته بصوت مرتفع ولا مانع من القراءة بالنظر بدون مس (لأن) الله –تعالى يقول عن القرآن الكريم فى قرآنه: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] [١] مع الاختلاف فى تفسير المعنى المراد من الآية (فقد) قال الأئمة الأربعة والجمهور: تجب الطهارة لمس المصحف فظاهر الآية التى استمعنا إليها [٢] ولقول حكيم بن حزام: لما بعثنى النبى ﷺ إلى اليمن قال: (لا تمس القرآن إلا وأنت طهر) أخرجه الدارقطنى فى الكبير والأوسط وفيه سويد أبو حاتم ضعفه النسائى ووثقه ابن معين فى رواية .. (مع) ملاحظة أن المنهى عنه هو المس بدون حائل .. (أما) مع وجود الحائل فلا كراهة فيه .. (ومثل) القرآن فى ذالك باقى الكتب السماوية .. (ولما) كان هناك خلاف فى تفصيل كل هذا، (فقد) قال العلماء: إن الإحتياط هو عدم مس المصحف إلا على طهارة [٣].. (ولا يجوز) حمل المصحف لغير ضرورة أثناء الجنابة أو الحيض أو النفاس عند الأئمة الأربعة (ويجوز) مسه وحمله لضرورة كخوف عليه من حرق أو غرق أو نجاسة .. (كما) ينبغى أن يكون القارىء للقرآن أو المستمع إليه حاضر القلب (بحيث) يكون متدبرًا فى كل معانيه . حتى يكون منتفعًا بالتلاوة للقرآن أو الإستماع إليه . (ولكى) يتحقق له هذا – ذكرًا أو أنثى – لابد وأن يكسرا الأقفال التى على قلبيهما كما يشير إلى هذا رب العزة فى قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] (وهذا) أمر واجب التنفيذ لأن التدبر هو الهدف الأسمى من التلاوة أو الإستماع (ولله) در الشافعى ﷺ، فلقد قال: (لو تدبر الناس سورة

---

(١) (فقد) قال الطبرى فى المختصر ص ٤٢١، أيلا يمس ذلك الكتاب المصون، إلا الذين طهرهم الله من الذنوب، كالملائكة الأطهار، والمؤمنين الأبرار .

(٢) انظر ص ٢٩٦ من الدين الخالص ج١

(٣) انظر الدين الخالص ج١ ص ٢٩٦ – ٢٧٠،٢٧٠ بتصرف .

العصر لكفتهم) . (فاذكروا) كل هذا أيها الإخوة الفضلاء .. (ثم) إليكم بعد ذلك بعض الأحاديث الواردة فى فضل العمل بالقرآن وتلاوته:

* (فعن) أبى أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه** [1]» رواه مسلم .

* (وعن) النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه** [2] **سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما**» رواه مسلم .

(وعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» [3] رواه البخارى .

** (فلنكن) - إن شاء الله تعالى - من المؤمنين الصادقين الذين يتعلمون القرآن وأحكامه ومقاصده.

** (ولنكن) مع هذا من المخلصين الذين يعلمونه لغيرهم من طلاب العلم النافع الذى فى مقدمته القرآن والسنة الصحيحة .. (وقد) ورد فى الحديث: (بلغوا عنى ولو آية) [4]، (وهذا) مع ملاحظة أن القرآن الكريم الذى نتلوه أو نستمع إليه بإنصات كامل .. إما أن يكون حجة لنا أو علينا .. (وأعنى) بهذا .. أننا إن نفذنا المراد منه: كان حجة لنا، وإذا لم ننفذه والعياذ بالله: كان حجة علينا .. (فلنحرص) - إن شاء الله على أن، يكون حجة لنا لا علينا ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى شافعا للقارئين المشتغلين به المتمسكين بأمره ونهيه .

(٢) أى تتقدمه .

(٣) أى مخلصا ومبتغيا وجه الله تعالى .

(٤) حديث صحيح عزاه السيوطى لأحمد والبخارى والترمذى عن ابن عمر مرفوعًا للنبى ﷺ والعلم لابن خيثمة



خطب شهر صفر

الخطبة الخامسة

«الدعاء وأهم ما يتعلق به من إشارات وتنبيهات»

الحمد لله القائل: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: (الدعاء هو العبادة) رواه أبو دواد، و الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين سألوه: أين ربنا ؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [1] فكانوا بعد هذا يكثرون من الدعاء فى الرخاء لأن النبى ﷺ قال لهم: «**من سره أن، يستجيب له الله تعالى عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء فى الرخاء**» رواه الترمذى .

كما روى الترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة – رضي الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»، (فكانوا) لهذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الخامس من شهر صفر الذى رأيت أن يكون لقائى معكم فيه حول الدعاء الذى هو العبادة (وذلك) لأن الله – تبارك وتعالى – أمر الناس فى قرآنه بأن يدعوه ويضرعوا إليه .. ووعدهم – سبحانه وتعالى – فى نص الآية التى أمر بها بالدعاء بأنه يستجيب لهم، ويحقق لهم سؤلهم (فقد) روى أحمد

---

(١) الحديث رواه عبد الرزاق عن الحسن (والآية) من رقم ١٨٦ من سورة البقرة .

وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠] .

**(هذا) ولما كان أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه ونحققه . (إذا) أردنا أن يتحقق الهدف من الدعاء هو:

آداب الدعاء:[(١)]

التى أرى أن أبدأ الآن فى التذكير بها وبإيجاز – إن شاء الله تعالى – .. وهى:

**أولا: تحرى الحلال، الذى هو أهم الآداب ومحورها ..

(فقد) أخرج الحافظ بن مردويه عن ابن عباس قال: (تُليت هذه الآية عند النبى ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾[البقرة: ١٨٦] فقام سعد بن أبى وقاص فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال: «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يومًا، وأيما عبد نبت لحمه من السُّحت**[(٢)] **والربا فالنار أولى به**» .

*(وفى) مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس إن الله طيب**[(٣)] **لا يقبل إلا طيبًا**[(٤)] **وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾**[المؤمنون: ٥١]**،وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام، وملبسه حرام وغُذى بالحرام يمد يديه إلى السماء:يارب يا رب فأنَّى يستجاب لذلك**» .

---

(١) كما جاء فى فقه السنة ج٤ بتصرف وإضافات يسيرة .

(٢) السحت: أى الحرام .

(٣) أى منزه عن النقائص ولا يوصف إلا بصفات الكمال .

(٤) أى: إلا ما كان خاليا من الحرام بل ومن الشبهات .

وهذا معناه: أنه ينبغى على الأخ المسلم إذا أراد أن يستجيب الله - تعالى - له دعاءه .. أن يأكل حلالًا ويشرب حلالًا، ويلبس حلالًا: أى أنه ينبغى عليه أن، يتقى الله تعالى فى بيعه وشرائه .. فلا يغش، ولا يسرق من ميزان، أو يطفف فى كيل، ولا يبيع محرما كالدخان، أو الممنوعات، أو البيرة، أو الخمور، أو أن يعمل فى مصنع لكل تلك المحرمات أى أن يشرب بعض تلك المحرمات، أو أن يعمل فى مكان مختلف فى جواز العمل فيه .. وهى التى تتعامل بالربا . أو أماكن اللهو واللعب .. (وإذا) كان موظفًا فإنه ينبغى عليه أن يؤدى عمله على أكمل وجه، وإذا كان عاملًا فى مصنع مثلًا فإنه ينبغى عليه أن يكون متقنًا لعمله .. فقد ورد فى الحديث: « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه** »[1] وذلك حتى يكون مرتبه أو دخله الذى سيتقاضاه عن طريق كل هذا .. حلالًا..

** وثانيًا: من آداب الدعاء، استقبال القبلة إن أمكن

.. لأن القبلة قبلة الصلاة[2] (أما) السماء فهى قبلة الدعاء .

والصلاة لغة الدعاء وقد ثبت أن النبى ﷺ خرج يستسقى فدعا، واستسقى واستقبل القبلة ..(وينبغى) أن يكون متوضأ لأن هذا سيكون أدعى للقبول .

** وثالثًا : من الآداب أن، يلاحظ الأوقات الفاضلة، والحالات الشريفة التى فى مقدمتها ..

يوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل،ووقت السحر، وأثناء السجود، ونزول الغيث، وبين الآذان والإقامة، وعند الوجل، ورقة القلب .. (ومن) الأحاديث الواردة فى هذا، ما ورد (عن) أبى أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أى الدعاء أسمع ؟ قال: (جوف الليل الآخر، ودبر[3]

---

(١) حديث صحيح عزاه السيوطى للبيهقى فى شعبة الإيمان عن عائشة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (١٨٧٦) .

(٢) والصلاة لغة الدعاء .

(٣) أى عقب الصلوات المكتوبات .

الصلوات المكتوبات) رواه الترمذى بسند صحيح (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء، فقمن [1] أن يستجاب لكم** » رواه مسلم .

** ورابعًا: من الآداب: رفع اليدين حذو المنكبين:

لما رواه أبو داود عن ابن عباس قال: المسألة: أن ترفع يديك حذو منكبيك، أو نحوهما، والإستغفار: أن تشير بأصبع واحدة، والإبتهال: أن تمد يديك جميعًا .

(وروى) عن مالك بن يسار أنه ﷺ قال: «**إذا سألتم الله فاسألوا ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها**»، (وروى) عن سلمان انه ﷺ قال: «**إن ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريم، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**» .

(وقد) قرأت لأحدهم قوله الذى كان يتضرع إلى الله به:

قصدت باب الرجا والناسُ	**وقمت أشكو إلى مولاى ما**
وقلتُ يا أملى فى كل نائبة	**ومن عليه كشف الضر أعتمدُ**
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها	**مالى على حملها صبرٌ ولا جلدُ**
وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً	**إليك يا خير منْ مّدت له يدُ**
فلا تَردَّنَّها يا رب خائبة	**فبحر جودك يسقى كل من يردُ**

** وخامسًا: من الآداب أن يبدأ بحمد الله وتمجيده، والثناء عليه، ويصلى على النبى ﷺ : لما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وصححه عن فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعوا فى صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبى، فقال: (عجل هذا) ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلى [2] أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه — جل وعز —، والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ﷺ، ثم يدعوا بما شاء**» .

* وسادسًا: من الآداب: حضور القلب، وإظهار الفاقة، والضراعة إلى الله — جل شأنه —، وخفض الصوت بين المخافتة والجهر:

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾

---

(١) أى جدير .

(٢) أى: دعا .

وقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ قال ابن جرير: تضرعًا: أى: تذللا واستكانة لطاعته، وخفية، أى بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهار مراءاة (وفى) الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال: رسول الله ﷺ : **«أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»** (وروى) أحمد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله – أيها الناس – فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل) .

** السابع: من الآداب: الدعاء بغير إثم أو قطيعة رحم:

(لما) رواه أحمد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: **« ما من مسلم يدعوا الله – عز وجل – بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»** . قالوا: إذًا نكثر . قال: (الله أكثر) .

* الثامن: من الآداب: عدم استبطاء الإجابة:

(لما) رواه مالك، (عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **« يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجاب لى»** .

* التاسع: من الآداب: الدعاء مع الجزم بالإجابة:

(لما) رواه أبو داود (عن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»** .

* العاشر: من الآداب: اختيار جوامع الكلم مثل:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، وإليكم أيها الأخوة الفضلاء، بعض ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأدعية الجوامع التى نرجو أن نتضرع إلى الله تعالى بها:

(ففى) سنن ابن ماجه: أن رجلًا أتى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله: أى الدعاء أفضل ؟ قال: «**سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة**»، ثم أتاه فى اليوم الثانى والثالث، فسأله هذا السؤال، وأجيب بذلك الجواب، ثم قال النبى ﷺ : «**فإذا أعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت**» . (وفيه): أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إنى أسالك المعافاة فى الدنيا والآخرة**» .

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول: «**اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**» [1] رواه مسلم .

* (وعن طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبى ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم اغفر لى وارحمنى، واهدنى، وعافنى، وارزقنى**» رواه مسلم .

(وفى) رواية له (عن) طارق أنه سمع النبى ﷺ وأتاه رجل فقال: يارسول الله، كيف أقول حين أسأل [2] ربى؟ قال: (قل: «**اللهم اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، وارزقنى، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**»

* (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**اللهم مصرف [3] القلوب صرف [4] قلوبنا على طاعتك**» رواه مسلم .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**تعوذُوا بالله من جهد البلاء [5] ودرك الشقاء [6]، وسوء القضاء [7] وشماتة الأعداء [8]**»متفق عليه .

---

(١) أى الهداية، والتقوى، والكف عن المعاصى والقبائح،والإستغناء عن الحاجة إلى الخلق .
(٢) أى حين أدعوا .
(٣) أى مغيرها من شأن إلى شأن .
(٤) أى صرفها على طاعتك، ولا تزغها بعد الهدى .
(٥) أى من شدة المشقة، وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه عن نفسه وعن ابن عمر: قلة المال، وكثرة العيال .
(٦) أى لحاق الشدة وإدراك العسر .
(٧) أى المقضى، إذا حكم الله كله حسن .
(٨) أى الحزن بفرح عدوه، والفرح بحزنه .

وفى رواية قال سفيان: أشك أنى زدت واحدة منها.

(وعنه) قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصلح لى دينى [1] الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى [2]، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى [3]، واجعل الحياة [4] زيادة لى فى كل خير [5]، واجعل الموت [6] راحة لى من كل شر [7]** » رواه مسلم .. الخ تلك الأدعية التى من الممكن حفظها والإستزادة منها من كتب السنة .. التى منها (رياض الصالحين) [8].

** والحادى عشر: من الآداب: تجنب الدعاء على نفسه وأهله وماله:

(فعن) جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم: لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء [9] فيستجاب لكم** » روى مسلم نحوه (رياض الصالحين) .

** الثانى عشر: من الآداب: تكرار الدعاء ثلاثًا: (فعن) عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ «**كان يعجبه أن يدعو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا**» رواه أبو داود .

** الثالث عشر: من الآداب أن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره: (قال) الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر: ١٠]، وعن أبى بن كعب قال: (كان

---

(١) أى توفقنى للقيام بآدابه لأعتصم به فى أمورى .

(٢) أى زمان حياتى بإعطائى الكفاف الذى من الممكن أن أستعين به على طاعتك .

(٣) أى زمان إعادتى بعد البعث .

(٤) أى طول عمرى .

(٥) من 'يتقان العلم وأتقان العمل .

(٦) أى تعجيله .

(٧) أى من الفتن والمحن والإبتلاء بالمعصية والغفلة .

(٨) (باب الدعوات) من ص٥٢٨-٥٣٦ (هذا) بالإضافة إلى فقه السنة ج٤ من ص٢٠٨ – ٢٢٣.

(٩) أى يسأل فيها عطاء .

رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه) رواه الترمذى بإسناد صحيح.

**فعلى الإخوة الفضلاء أن يلاحظوا كل هذا وينفذوه على أساس من كل تلك الآداب التى استمعنا إليها .. (ومع) ضرورة تنفيذ الشرطين المشار إليهما فى قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله ولى التوفيق.



خطب شهر ربيع الأول

الخطبة الأولى

((ميلاد الرسول ﷺ

وما كان قبله من الإرهاصات))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[1] * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ[2] مَأْكُولٍ﴾ [الفيل ١-٥].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه قال: (إنما أنا رحمة مهداة) [3] والمنزل عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أكرمهم الله تعالى به وأسعدهم برسالته التى آمنوا بها، وجاهدوا فى جميع ميادينها، حتى انتشرت وذاعت وشاعت حتى ملأت البقاع.. فكانوا نجومًا يهتدى بهم، ويقتدى بفعالهم، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الأول من شهر ربيع الأول الذى فى مثله، وفى عام الفيل.. ولد حبيبنا المصطفى ﷺ.. والعالم كله فى انتظاره.. (لأنه) كانت هناك قبل مولده جاهلية جهلاء.. لابد وأن نقف على أهم ما كان من أمرها.. حتى ندرك أهمية مولده – صلوات الله وسلامه عليه –.. بالإضافة إلى ما سبق المولد

---

(١) أى جماعات من الطير.
(٢) أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه (مختار الصحاح) ص ٤٣٧.
(٣) وهو صحيح، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٢٣٤١).

الشريف من إرهاصات تلفت قلوب العالم أجمع إلى أنه قد ولد المنقذ لهم من الضلال.. (وأول) ما أريد التذكير به.. (هو) أنه كان فى شبه الجزيرة العربية من كان يعبد الأصنام التى صنعوها بأيديهم.. (وقد) أشار الله – تعالى – فى كتابه الكريم إلى بعض الأصنام مسفهًا العرب الذين كانوا يقدسونها، حيث يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى[1] * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم آية ١٩ وما بعدها].

*(وكان) هناك قوم فى اليمن يعبدون الشمس، وهم الذين ذكر الله – تعالى – قصتهم فى القرآن الكريم مع سليمان – عليه السلام – فى قوله تعالى – حكاية عن الهدهد: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٢-٢٤].

*(كما) كان هناك طائفة من العرب يعبدون النار وهم المجوس، وقد انتقلت إليهم هذه الديانة من الفرس الذين كانوا يجاورونهم.

(وكانت)توجد ديانات أخرى فى شبه الجزيرة العربية.. إلا أن الوثنية كانت هى السائدة.. (وقد) زعم بعض المؤرخين أن بعض العرب وهم قليل كانوا يكرهون المرأة ويحتقرونها،واستدلوا على ذلك بعادة وأد البنات التى كانت موجودة لديهم، و التى أشار الله – عز وجل – إليها فى قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

---

(١) أى قسمة جائرة.

وفى قوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير ٩، ١٠] [١].

** (وكانت) توجد بين العرب فى تلك الحقبة من الزمان عادات سيئة وأنكحة فاسدة..

* (ومنها) نكاح البغايا، وهو نكاح يبيح للمرأة أن تتزوج بأكثر من واحد (وقد) يصل عدد أزواجها إلى عشرة ويكونون معروفين لديها ولدى بعضهم البعض، فإذا ولدت طفلًا من هذا النكاح وأرادوا معرفة أبيه كى ينسب إليه، جاء القائف[٢] وجمع الأزواج كلهم ونظر فى أقدامهم، ثم قارنها بقدمى الطفل الوليد، فيعرف الوالد وينسب إليه ولده.

* (ومنها) نكاح الإستبضاع، وهو أن يقول الرجل لأمرأته – أحيانا – اذهبى إلى فلان فاستبضعى منه، ويمتنع عن القرب منها حتى تحمل من هذا الأجنبى فيعود إلى الإتصال بها (وكانوا) يفعلون ذلك رغبة فى تحسين نسلهم، فيختار الرجل لزوجته شخصًا قويًا نابه الذكر حتى يكون الولد مشابهًا له.

(وكانت) هذه الأنكحة الفاسدة عادات شاذة لا يُعتد بها.. (أما) الرباط المقدس وهو الزواج الشريف فقد كان موجودًا لدى العرب فى العصر الجاهلى ولقد كان حبيبنا المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – من أشرف البيوتات. فقد تناسل – صلوات الله وسلامه عليه – من نكاح مشروع، ولم يكن فى أجداده من تلوث بسفاح الجاهلية، بل طهر الله أصوله تطهيرًا، ثم اصطفاه بعد ذلك من هذه الأصول الطاهرة ليكون هُدىً ونورًا ورحمةً للعالمين، (وفى) ذلك يروى الإمام مسلم (عن) رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم، و اصفانى من بنى هاشم**» (فهو) – صلوات الله وسلامه عليه –: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن

---

(١) وكانت عادة العرب وأد البنات فى قبيلتين اثنتين من ثلاثمائة وستين قبيلة وهى قلة نادرة ضئيلة.. (انظر القول المبين) ص ٥١.

(٢) وهو من يحسن عرفة الأثر وتتبعه به كما جاء فى المعجم الوسيط. الجزء ٢/ ٧٦٦.

هاشم بن عبد مناف، بن قصى، بن كلاب، بن مرة، ابن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر بن مالك، بن النضر، بن خزيمة،بن مدركة، بن إلياس، بن نزار، بن مضر، بن معد، ابن عدنان..

(ويمتد) نسبه بعد ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –.. (وكان) عبد الله بن عبد المطلب قد تزوج من آمنة بنت وهب، وهى يومئذ من أفضل نساء قريش نسبًا وأكرمهن ذكرًا (ولكن) لم يمكث عبد الله مع زوجته إلا وقتًا قصير – كانت قد حملت فيه بسيد الخلق – صلوات الله وسلامه عليه – ثم خرج فى رحلة تجارية إلى الشام.. وقد شاء الله أن، ترجع القافلة التجارية من الشام ويتخلف عبد الله بالمدينة عند أخواله من بنى عدى بن النجار لشدة مرضه، حيث وافته المنية وزوجته آمنة فى شهور الحمل الأولى، وكان عمره ثمانية عشر عامًا (ولما) تم الحمل ووضعت آمنة ولدها الحبيب – صلوات الله وسلامه عليه – (أسرع) البشير إلى جده عبد المطلب، فأخبره بهذا النبأ العظيم ففرح بهذه البشرى فرحًا عظيمًا، ثم أقبل مسرورًا وحمل الوليد المبارك بين يديه، وذهب به إلى الكعبة ليباركه.. وهو يقول:

الحمد لله الذى أعطانى	هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان	أعيذه بالبيت ذى الأركان
أعيذه من شر ذى[1] شنآن	من حاسد مضطرب العيان

*ثم بعد ذلك سماه (محمدًا) بإلهام من الله تعالى – رجاء أن يحمد فى السماء وفى الأرض.

*(ويروون) فى ذلك: أن عبد المطلب قد رأى فى منامه، كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء، وطرف فى الأرض، وطرف فى الشرق، وطرف فى الغرب، ثم عادت كأنه شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل الشرق

---

(١) الشانى أى المبغض.

والمغرب كأنهم يتعلقون بها: (فقصَّها) فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، ولذلك سماه محمدًا [1].

(ولقد) كان مولده – صلوات الله وسلامه عليه – في عام الفيل.. ويذكر الرواة في ذلك: أن الأحباش – وكانوا يدينون بالمسيحية أرادوا أن ينشروا هذا الدين في جزيرة العرب بعد أن استولوا على اليمن (وخصوصًا) بعد أن رأوا تقديس العرب لمكة وللمسجد الحرام وتقديمهم القرابين والنذور والهدايا والهبات إلى سدنة المسجد الحرام والقائمين بأمره.. (فقام) القائد الحبشي في بلاد اليمن ويسمى أبرهة الأشرم ببناء كنيسة سماها (القُلّيس)، وأنفق في بناءها الأموال الطائلة..(حتى) قيل: إنه نقل إليها من قصر (بلقيس) الأعمدة من الرخام المجزع، والحجارة المنقوشة من الذهب، ونصب فيها صلبانًا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس،ودعا الناس إلى الحج إليها [2].

(فغضب) العرب، وثار رجل من بني مالك بن كنانة، وأقسم ليعبثن بهذه الكنيسة وقدم إلى اليمن، ودخل الكنيسة كأنه متعبد، حتى إذا أقبل الليل، وخلا المكان قام يعبث بأثاث الكنيسة ويلطخ جدرانها بالقاذورات.

(ولما) علم أبرهة في الصباح بما أصاب كنيسته، وعرف أن أعرابيًا كان يبيت بها، وأنه المتهم بالعبث ببنائه المقدس.. (أقسم) ليهدمن الكعبة (ثم) جهز لذلك جيشًا جرارًا. كثير العدد والعُدد.. وسار به من اليمن حتى أشرف على مكة.. (ثم) عسكر هناك في مكان قريب منها.. (وكان) بعد ذلك [3] قد سأل عن سيد قريش وشريفها.. فأخبروه بأنه عبد المطلب بن هاشم فأرسل إليه من يخبره بأن أبرهة...

---

(١) الروض الأنف السهيلي ١/ ٥ وقد قال في هامش (القول المبين) ص٦٤: ولا تجد مانعا من تصديق هذه الرواية لأن الرؤيا الصادقة من المؤمن والكافر ومن البر والفاجر، على أن المعروف عن عبد المطلب أنه من أهل الفطرة، وهم ناجون من النار على أرجح الأقوال.

(٢) الأصنام لابن الكلبي ص ٤٧ – والروض الأنف جـ١ ص ٤٠ (القول المبين) ص ١٢ بتصرف.

(٣) أو قبل هذا..

ما جاء مقاتلًا لهم.. وإنما جاء ليهدم الكعبة التى أقسم أن يهدمها بعد أن حدث من الأعرابى الذى لوث كنيسته ما حدث. (فإن) تصدوا له فإنه لا محالة سيغزوهم (ثم) طلب منه (حناطة) الحميرى: الذى كان أبرهة قد أرسله إليه.. أن يذهب معه إلى أبرهة.. لأنه قد أمره بهذا (فانطلق) معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى المعسكر،ووقف بباب أبرهة، فقيل لأبرهة: إن عبد المطلب ببابك، فقال: من هو عبد المطلب ؟ فقيل له: إنه سيد قريش وصاحب عيش مكة، وهو الذى يطعم الناس فى السهل، والوحوش فى رءوس الجبال.. (فأذن) له أبرهة.. (فلما) دخل عبد المطلب، وكان وسيمًا وجميلًا شديد الهيبة والوقار.. (استقبله) أبرهة استقبالًا كريمًا، ثم نزل عن سريره وجلس على بساطه، وأجلس عبد المطلب معه عليه إلى جنبه (ثم) سأله بعد ذلك عن طلبه – عن طريق الترجمان – فقال له: حاجتى أن ترد علىَّ مائتى بعير أصابها جنودك لى.. فتعجب أبرهة ثم قال له: لقد أعجبتنى حين رأيتك، ثم زهَّدتنى فيك حين كلمتنى تسألنى عن الإبل وتترك أمر البيت الذى هو دينك ودين آبائك!! فقال له عبد المطلب قولته المشهورة التى تؤكد اعتماده على ملك الملوك القوى العزيز وهى: أما الإبل فهى لى، وأما البيت فله رب يحميه.. (فرد) أبرهة على عبد المطلب المائتى بعير التى أصابها جنوده بأمره.. (وانطلق) عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر.. (ثم) تعلق بحلقة الكعبة وأستارها فى ضراعة الخائف وهو يقول:

لا هُمَّ [1] إن العبد يمنـ	ـع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ	ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبنَّ صَليبهم	ومحالهم أبدًا محالك
هم جَردوًا لك جمعهم	والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم	جهلًا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وقبـ	ـلتنا، فأمر ما بدا لك

(ثم) طاف بالبيت منشدًا والناس معه يرددون:

---

(١) أى اللهم.

يــا رب لا أرجــوا لهــم ســواكا يــا رب فــامنع مــنهم حماكــا
أمنعهمـــوا أن يخربـــوا قُراكـــا إن عــدوَّ البيــت مــن عاداكــا

(ثم) خرج عبد المطلب بعد ذلك مع قومه من مكة لكى يتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب، وهم ينتظرون عدل الله مع هؤلاء الطغاة الظالمين.. الذين كانوا قد تحركوا فعلًا تجاه الكعبة بجيش كبير جرار، يتقدمه الفيلة بشكلها المهيب المخيف الذى لم تألفه العرب فى حروبها، وكان عددهم ثلاثة عشر فيلا توجهت جميعها فى طريقها إلى الكعبة ما عدا الفيل الأكبر منه، فإنه ظل جامدًا فى مكانه (وكان إذا وجه إلى الكعبة وقف ولم يتحول، وإذا وجه إلى اليمين أسرع وهرول.. (وكان) الله – تبارك وتعالى – قد أرسل إليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر فى أمثال الحمص والعدس – لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك (وذعر الأحباش، واستولى عليهم الرعب والذهول.. ثم أسرعوا يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن الطريق إلى اليمن.. فقال أعرابى رآهم فى هذه الحيرة بعد ما أنزل الله عليهم من نقمته:

أيــن المفــر والإلــه الطالــب والأشرم المغلــوب لــيس الغالــب

* (وكانوا) يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك (وكان) أبرهة قد أصيب فى جسده.. وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، وكلما سقطت أنملة خرج وراءها الدم و القيح الكثير، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يقولون.. وإلى هذا الحادث يُشير الله – سبحانه وتعالى – بقوله فى سورة الفيل:

* ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[1] * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ[2] مَأْكُولٍ﴾ [الفيل ١-٥].

*(وقد) ذكرت بعض كتب السيرة إرهاصات وقعت عند الميلاد

---

(١) أى جماعات من الطير.
(٢) أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه (مختار الصحاح) ص ٤٣٧.

الشريف،وهى أنه سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التى يعبدها المجوس، وغاصت بحيرة ساوة، وانهدمت الكنائس التى حولها.. (وإلى) هذا، أو بعض هذا يشير الإمام محمود خطاب السبكى – عليه رحمة الله – حيث يقول فى (مقاماته العلية) [1]:

نبـــى رأت تولـــدً أمـــه — معـــالم بُصرى مَعلـــمًا ثـــم مَعلـــمًا

نبـى لـه غاصـت بحـيرة (سـاوة) — وضـاءت قصـور الشـام واهتـزت

نبـى لـه قـد شُـقَّ إيـوان فـارس — وأخمـد مـن نيرانـه مـا تَضَرَّمـا

** (وكل) هذا يُشير إلى أن المنقذ من الضلال – صلوات الله وسلامه عليه – قد ولد.. (ولسوف) أواصل معكم –إن شاء الله تعالى – التركيز على هذا المعنى الكبير حتى نحتفل احتفالًا إيجابيًا بذكرى مولده – صلوات الله وسلامه عليه.

والله ولى التوفيق.

(١) أعنى كتابه (المقامات العلية) ص ٩٠.



خطب شهر ربيع الأول

الخطبة الثانية

((ما كان من أمر ميلاد الرسول ﷺ

إلى بدء بعثته،

وكيف يحتفل بذكراه؟))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ (١) ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ (٢) عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦ – ٨]. والقائل له أيضًا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٣) * الَّذِي أَنْقَضَ (٤) ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٥)﴾ [سورة الشرح: ١-٤].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعله فاتحًا وخاتمًا.. وفتح الله به آذانًا صما، وقلوبا غلفًا، وأعينًا عُميا..

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه.. وهو القرآن فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثانى من شهر ربيع الأول الذى ولد فى مثله حبيبنا المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –.. وفى ليلة الثانى عشر منه..

---

(١) أى: وجدك تائهًا عن معرفة الشريعة والدين فهداك إليها ؟

(٢) أى: ووجدك فقيرًا فأغناك من فضله ؟

(٣) أى: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحفظنا ثقل أيام الجاهلية ؟.

(٤) أى الذى أثقل ظهرك فأوهنه.

(٥) أى: جعلنا اسمك مقرونا باسمى، فلا أذكر إلا ذكرت معى فى الآذان مثلًا.

(ولعلكم) تذكرون أننى فى اللقاء الماضى كنت وعدت فى آخره.. بأننى سأعود بكم مرة أخرى إلى مواصلة التذكير بأهم ما يتعلق بمولده إلى بعثته – صلوات الله وسلامه عليه –.. (وذلك) حتى نكون من خلال هذا التذكير النافع – إن شاء الله –. من الذين يعرفون قدر رسول الله ﷺ . فيحتفلون بذكرى مولده احتفالًا إيجابيًا لا سلبيًا.. (وأعنى) بهذا.. أن يكون الاحتفال بصورة أخرى غير تلك الصورة المهزوزة التى نراها من هؤلاء الذين يرقصون، ويطبلون، ويزمرون، ويأكلون النيران، وينامون على المسامير.. (وهم) يحملون الرايات الحمراء، أو الصفراء، أو الخضراء فضلًا عن العمائم الملونة التى يلبسونها.. (وقد) يكون بعضهم فى هذا اليوم المبارك وربما فى غيره كذلك لم يصل صبحًا ولا ظهرًا، ولا عصرًا ولا مغربًا، ولا عشاءً..

(بل) قد يكون بعضهم من أبعد الناس عن كتاب الله وعن هدى رسول الله ﷺ .. (وربما) كانوا من أكبر المجرمين والعياذ بالله وأحب أن أذكِّر كل هؤلاء بصفة خاصة بأن النبى ﷺ لا يريد منا فى ذكرى مولده رقصًا ولا طبلًا ولا زمرًا.. (وإنما) يريد منا خلقًا فاضلًا.. يريد منا تمسكًا بسنته، وتأدبًا بآدابه، وتخلقًا بأخلاقه.. (لأنه) – صلوات الله وسلامه عليه –.. لم يبعث أساسًا إلا ليتمم مكارم الأخلاق.. (ولقد كان) – صلوات الله وسلامه عليه – هو مثلنا الأعلى فى كل هذا.. (ولهذا) فقد قال الله –تعالى – مُوصيًا إيانا نحن المؤمنين – إن شاء الله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

(مع) ملاحظة أنه لم يثبت أن النبى ﷺ احتفل بذكرى مولده بمثل هذا الأسلوب الهمجى المعاصر الذى أشرت إليه وإنما كان يحتفل بذكرى مولده بأسلوب آخر، (ورد) عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم يوم الإثنين والخميس، فقيل له: –أى سئل عن هذا– فقال: «**إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم، أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول: أخرهما**» رواه أحمد بسند صحيح

* (وفى) صحيح مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم الاثنين ؟ فقال: «**ذلك يوم وُلدت فيه وأنزل على فيه**». (ونحن) المؤمنين – إن شاء الله – إن فعلنا هذا،

وواظبنا عليه.. فإننا سنكون به قد احتفلنا احتفالًا إيجابيًا بذكرى مولده – صلوات الله وسلامه عليه –.. (هذا) بالإضافة إلى الأعمال الصالحة، والصلوات الخمس بصفة خاصة.. (و لا) سيما إذا كانت الصلوات الخمس ستؤدى فى المساجد مع الجماعات كلما نادى المنادى قائلًا: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح..

اللهم فاشهد أننى قد بلغت حبًا فى رسول الله ﷺ الذى يقول: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»[1].

(هذا)، وإذا كان لى بعد هذا التذكير السريع (أن) أواصل مع الإخوة الفضلاء الحديث بما كان بعد أن ولد الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – فإننى سأذكرهم بما كان من أمر (رضاعة) النبى – صلوات الله وسلامه عليه –، فى نص جاء فيه[2]:

قالت حليمة بنت الحارث السعدية: خرجت فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على أتان[3] لى قمراء – أى شديدة البياض فى سنة شهباء أى ذات قحط وجدب لم تبق لنا شيئًا، ومعى زوجى الحارث بن عبُد العزى، ومعنا شارف لنا[4] – أى ناقة مسنة – والله ما تبض بفتح فكسر: أى تدر علينا بقطرة من لبن، ومعى صبى لى ما نام ليلتنا مع بكائه، ما فى ثديى ما يمصه، وما فى شارفنا من لبن نغذوه إلا أننا نرجو (فلما) قدمنا مكة، لم يبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه[5] وإنما كنا نرجو كرامة رضاعة من والد المولود، وكان يتيمًا.. فكنا نقول: ما عسى أن تصنع أمه حتى لم يبق من صواحبى امرأة إلا أخذت

---

(١) كما جاء فى الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

(٢) كما جاء فى (مجمع الزوائد) ج٨ ص١٢٠، فى حديث أخرجه أبو يعلى والطبرانى بنحوه ورجالهما ثقات.

(٣)الأتان: الحمارة ولا تقل أتانة..

(٤) أى ناقتنا العجوز

(٥) أى ترفض استلامه لمجرد أنه يتيم.

صبيًا غيري.. (وكرهتُ) أن أرجع و لم آخذ شيئًا وقد أخذ صواحبي فقلت لزوجي: والله لأرجعن إلى ذلك فلآخذنه.. (فأتيته) فأخذته فرجعت إلى رَحْلي.. فقال زوجي: قد أخذتيه ؟ فقلت: نعم والله ذلك أني لم أجد غيره، فقال: قد أصبت فعسى الله أن يجعل فيه خيرًا: (فقالت): والله ما هو إلا أن جعلته في حجري، فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن، فشرب حتى روى (وقام) زوجي إلى شارفنا – أي ناقتنا – من الليل فإذا هي حافل – أي كثيرة اللبن – فحلبت لنا ما شئنا حتى روى وشربت حتى رويت.. فبتنا ليلتنا تلك بخير شباعًا رواء. وقد نام صبينا (يقول) أبوه – يعني زوجها -: والله يا حليمة ما أراك إلا أصبت نسمة مباركة و قد نام صبينا وروى.. (قالت): ثم خرجنا، فوالله لخرجت أتاني أمام الركب قد قطعته حتى ما يبلغونها [١]، حتى أنهم ليقولن: ويحك يا بنت الحارث أربعي – أي ارفقي – علينا أليست هذه بأتانك التي خرجت عليها [٢]؟ فأقول: بلى والله، وهي قدامنا حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر [٣]، (فقدمنا) على أجدب أرض الله، فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، ويسرح راعي غنمي، فتروح غنمي بطانًا لبانًا حُفَّلًا -بضم فشد- فيها أي كثيرة اللبن – وتروح أغنامهم جياعًا هالكة ما بها من لبن.. (فشربنا) ما شئنا من لبن، وما في الحاضر أحد يحلب قطرة ولا يجدها.. (فيقولون) لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة. (فيسرحون) في الشعب الذي يسرح فيه راعينا، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض – أي ما تدر – بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنا – أي كثيرة اللبن – (قالت): وكان ﷺ يشب في اليوم شباب الصبي

---

(١) أي لا يستطيعون سبقها..

(٢) يريدون أن يقولوا لها: أليست هذه دابتك المريضة التي كنت قد خرجت بها من منازل قومك؟!!

(٣) الحاضر: أي المكان الذي ينزله القوم.

فى شهر، ويشب فى الشهر شباب الصبى فى سنة.. (فبلغ) سنتين وهو غلام جفر- أى قوى على الأكل بنفسه - (فقد منابه) على أمه، فقلنا لها، وقال لها أبوه - تعنى زوجها -: رُدى علينا ابنى فلنرجع به فإنا نخشى عليه وباء مكة، ونحن أضن[1] بشأنه لما رأينا فى بركته..(فلم) نزل بها حتى قالت - أى آمنة -: ارجعا به. (فرجعنا به) فمكث عندنا شهرين، (فبينا) هو يلعب وأخوة - أى من الرضاع - خلف البيوت يرعيانَ بْهما - بفتح فسكون.. جمع بهمة وهى الصغير من ولد الغنم - لنا إذ جاءنا أخوه يشتد[2]، فقال لى ولأبيه أدركا أخى القرشى قد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه.. فخرجنا نحوه نشتد.. فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه، فاعتنقه أبوه،واعتنقته ثم قلنا: ما لك أى بنى ؟ قال: أتانى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى، ثم شقا بطنى فوالله ما أدرى ما صنعا ؟ قالت: فاحتملناه فرجعنا به.

(يقول) أبوه: والله يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب، فانطلقى فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه، (فاحتملناه) فقدمنا به على أمه، (فقالت): ما أقدمك يا ظئر[3] وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟

(فقلت): نعم، والله إنا كفلناه، وأدينا الحق الذى يجب علينا فيه، ثم تخوفت الأحداث عليه، فقلت: يكون فى أهله،(فقالت) أمه: والله ما ذلك بكما فأخبرانى خبركما وخبره.. (قالت) فوالله مازالت بنا حتى أخبرناها بخبره

* (قالت): فتخوفتما عليه ؟ كلا والله إن لابنى هذا لشأنًا.. ألا أخبركما عنه ؟ إنى حملت به فلم أر حملًا قط كان أخف ولا أعظم بركة منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج منى حين وضعته أضاءت لى أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعت فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعًا يده بالأرض رافعا رأسه إلى السماء..

---

(١) أى نبخل بتركه بعد أن رأينا منه من البركات والنفحات.
(٢) أى يجرى مسرعًا.
(٣) وهى مرضعة ولد الغير.

(ثم) قالت لهما: دعاه والحقا بشأنكما. ا.هـ.

(قال) [1] فى هامش (المقامات العلية) ص٤٩، وما بعدها:

(حديث) شق صدره ﷺ مروى بالتواتر فى الصحيحين وغيرهما، وهو شق حقيقى (لكن) هل كان بآلة أم لا ؟ وإذا كان بآلة فما هى ؟ ثم يقول: لم أقف فى ذلك على شيء. (ويؤخذ) من تعدد الروايات تعدد الشق مرات (أولها) وهو يرضع عند حليمة وهو مشهور[2]

(وثانيها) عند تمام عشر سنين من مولده، قال أبو هريرة: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فقال: (إنى لفى صحراء وأنا ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسى، وإذا برجل يقول لرجل: أَهُوَ هُوَ؟ قال: نعم. فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط، وأروح لم أجدها من خل قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مسا.

قال أحدهما لصاحبه: أضجعه، فأضجعانى بلا قصر – أى بلا قيد – ولا هصر – أى ولا أخذ بالرأس – فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع.

فقال له: أخرج الغل والحسد.. فأخرج شيئًا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها.. فقال له: أدخل الرحمة والرأفة، فإذا مثل الذى أخرج شبيه الفضة ثم هزَّ إبهام رجلى اليمنى، فقال اغد واسلم. فرجعت بها لم أَعُد به رقة على الصغير، ورحمة على الكبير) [3].

(ثالثها: بغار حراء عند المبعث) [4] (رابعها): ليلة الإسراء [5].

---

(١) أى قال فضيلة الإمام امين محمود خطاب السبكى..عليه رحمة الله.

(٢) وقد تقدم حديثه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات وثقهم ابن حيان انظر ص٢٢٢ج٨ مجمع الزوائد.

(٤) كما فى مسند ابى داود الطيالسى من حديث عائشة.

(٥) كما فى صحيح مسلم. انظر ص٤٢ ج١ بهجة المحافل.

(والآن)، وبعد أن وقفنا إجمالًا على ما كان من أمر الرضاع وشق صدره – صلوات الله وسلامه عليه –.. (أريد) أن أذكر الإخوة الفضلاء بعهد الطفولة والشباب:

بالنسبة للحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – (وهو) العهد الذى يبدأ منذ رجع محمد من بادية بنى سعد وهو فى الخامسة من عمره إلى أن بلغ أربعين سنة، ونزل عليه الوحى ليكون رسولًا نبيا. وبين هذين العمرين كان – صلوات الله وسلامه عليه – قد مر بأحداث كثيرة تركت فى نفسه أعظم الآثار فمنها سفره مع أمه إلى يثرب وهو فى السادسة من عمره لزيارة أخوال جده من بنى عدى بن النجار.. (كما) رأى فى هذه الرحلة قبر والده عبد الله فى يثرب (ثم) رأى والدته وهو عائد من يثرب إلى مكة يتخطفها الموت وتغيب عن عينيه فى أعماق الثرى،ولا يرى معه فى هذا الظرف العصيب إلا جاريته (أم أيمن) التى عادت به بعد ذلك مكلومة إلى جده عبد المطلب وسلمته إياه.. (ولكن) القدر لم يمهل عبد المطلب بعد وفاة آمنة سوى عامين ثم أدركته المنية ومحمد لا يزال فى الثامنة من عمره.. فحزن عليه الحبيب حزنًا شديدًا لأن جده كان يعطف عليه ويقربه إليه، ويجلسه معه على الفراش.. دون غيره من الأعمام أو الأحفاد.. (ومن) ذلك أيضًا سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب الذى كفله بعد وفاة جده، (فكان) خير مثال للعمومة الكريمة، والأبوة الرحيمة.. (ومن) ذلك شهوده حرب الفجار وحلف الفضول مع أعمامه وهو فى سن الخامسة عشر.. (يقول) ابن هشام فى سيرته: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد.. بعد أن تاجر لها فى مالها الذى كان قد سافر به مع عبدها ميسرة إلى بلاد الشام فربح ربحا وفيرا. (وبعد) أن عرفت عنه الكثير من الأخلاق الكبيرة، والصدق والأمانة (وكانت) فى سن الأربعين.. وقد ظلت معه – صلوات الله وسلامه عليه – إلى أن بلغت سن الخامسة والستين.. ثم ماتت فى العام العاشر من البعثة النبوية.. قبل الهجرة.

(وكانت) مثلًا صادقًا للوفاء والإخلاص والأمانة والتعاون.. (وقد) ولدت له – صلوات الله وسلامه عليه – أولاده جميعًا عدا إبراهيم – فإنه من مارية القبطية

– (أعنى) ولدت له: القاسم، والطيب، وفاطمة، ورقية، وزينب وأم كلثوم.. (وقد) ماتوا جميعًا فى حياته، عدا فاطمة فإنها ماتت بعده بشهور[1].

(هذا) بالإضافة إلى الإرهاصات التى سبقت نبوته – صلوات الله وسلامه عليه –.. والتى منها: (حادثة شق الصدر)، وهو فى الثالثة من عمره كما ظهرت بعض البشائر الأخرى وهو فى رحلته التجارية إلى الشام رآه بحيرا الراهب وهو فى صومعته، ورأى غمامة تظله، ورأى بعد ذلك خاتم النبوة بين كتفيه.. وكان أيضًا من البشائر بنبوته أنه لم يسجد لصنم قط.. هذا بالإضافة إلى بعض البشائر بنبوته – صلوات الله وسلامه عليه – فى التوراة والإنجيل (تلك) التى سنلتقى حولها – إن شاء الله – فى اللقاء القادم..

والله ولى التوفيق.

(١) وقد دفنت السيدة خديجة – رضى الله عنها – فى مقبرة المعلاة بمكة المكرمة. (وقد) دفن فى البقيع بالمدينة المنورة بنات النبى ﷺ وولده الصغير إبراهيم، وزوجاته عدا خديجة.. كما دفنت أيضًا فى البقيع: حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ.



خطب شهر ربيع الأول

الخطبة الثالثة

((بعض البشائر بنبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ومقدمات البعثة))



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ(١) مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ(٢) فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ(٣) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، الذى كانت نبوته استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل – عليه السلام – حيث دعا الله – تعالى – فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] كما كانت تحقيقًا لبشرى سيدنا عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى مشيرًا إلى هذا: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: من الآية ٦] (٤).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه.. وهو القرآن فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله:

---

(١) أى علامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى الصلاة .. وذلك فى الدنيا.. وفى الآخرة التحجيل وبياض الوجوه من أثر السجود.

(٢) أى حتى قوى أمره واشتد كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفًا فيقوى شيئًا بعد شيء حتى يغلظ نباته وأفراخه..

(٣) أى من كثرته، حسن نباته.

(٤) (قال) أبو أمامة قلت يا رسول الله ما كان يدبر أول أمرك ؟ قال: دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام. أخرجه أحمد بسند حسن وله شواهد تقويه. انظر ص ٢٢٢ ج٨ مجمع الزوائد.. وأخرجه الطبرانى بنحوه من العرباض بن سارية (انظر هامش المقامات العلية) ص٤٥.

﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

*(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الثالث من شهر ربيع الأول الذى كنت قد وعدت فى اللقاء السابق بأننى سألتقى معكم فيه: حول بعض البشائر بنبوة محمد – صلوات الله وسلامه عليه فى التوراة والإنجيل.. بالإضافة إلى غيرهما من الأحاديث القدسية والنبوية.. (فضلًا) عن القرآن الكريم الذى تحدث الله – سبحانه وتعالى – فيه مشيرًا إلى ما جاء فى التوراة والإنجيل عن محمد – صلوات اله وسلامه عليه، فيقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

*(وقد) جاء فى التوراة والإنجيل أخبار عن النبى محمد ﷺ تشهد له بالصدق فى نبوته.. وأنه – صلوات الله وسلامه عليه –.. (هو) النبى الخاتم الذى أُرسل رحمة للعالمين.

*(وحسبنا) أن نذكر هنا: ما روى عن ثعلبة بن هلال.. وكان من أحبار اليهود، حينما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له: أخبرنى بصفات النبى محمد ﷺ فى التوراة: (فقال): إن صفته فى توراة بنى هارون التى لم تغير ولم تبدل، وهى:

(أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبى العربى الذى يأتى بدين إبراهيم الحنيف، معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة

(يولد) بمكة وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب (وهو) الحماد يحمد الله فى الشدة والرخاء (صاحبه) من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديدًا، ثم تكون له الدولة عليهم، فيحصدهم حصيدًا، تكون الواقعات بيثرب منها عليه ومنه عليها، ثم له العاقبة، معه قوم هم أسرع إلى الموت من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم، وقربانهم دماؤهم، ليوث[1] النهار، رُهبان الليل، (وهو) يرعب العدو مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه، ثم يخرج ويحكم لا حرس ولا حجاب، الله يحرسه.

(وجاء) فى إنجيل برنابا فى الفصل التاسع والثلاثين.

(إن آدم لما انتصب على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فلما سال عن محمد قال الله له: إنه ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد آلاف السنين، والذى متى جاء سيعطى للعالم الهدى والنور..)[2].

* (ومن دلائل النبوة): ما جاء فى المقامات العلية[3].

* (قال) ابن سيد الناس: وكان فى حفر الخندق آيات من أعلام النبوة، منها خبر الحفنة من التمر الذى جاءت به ابنة بشير بن سعد لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة ليتغديا به فقال لها رسول الله ﷺ : (هاتيه) فصبته فى كف رسول الله ﷺ فما ملأها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم قال لإنسان عنده (اصرخ فى أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء) فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب[4].

---

(١) أى أنهم أسود نهارا فى ميادين العمل، ورهبان ليلًا فى قيام اليل وذكر الله – عز وجل –.

(٢) راجع كتاب: (منحة القريب المجيب فى الرد على عبادة الصليب) لعبد العزيز آل معمر.. وكتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن.. للأستاذ الطهطاوى.. كما جاء فى كتاب: القول المبين للأستاذ الدكتور: محمد الطيب النجار.. – عليه رحمة الله – ص ٧٨، ٧٩.

(٣) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى ص٧٩، وما بعدها...

(٤) انظر ص ٥٧ ج٢ عيون الأثر (غزوة الخندق).

(وعن) جابر رضي الله عنه قال: كنا فى حفر الخندق فرأيت برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – خمصًا شديدًا وانكفأت [1] إلى امرأتى، فقلت: هل عندك شيء. فإنى رأيت برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – خمصًا [2] شديدًا فأخرجت إلىَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة [3] داجن فذبحتها وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى وقطعت فى برمتها [4] ثم وليت إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–. فقالت: لا تفضحنى برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وبمن معه [5] فجئته فساررته وقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنّا صاعا من شعير كان عندنا. فتعال أنت ونفر معك فصاح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: (يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سورًا فحيهلًا بكم) [6] فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -: **((لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء))** فجئت وجاء رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك [7] فقلت: قد فعلت الذى قلت .فأخرجت له العجين فبصق فيه وبارك [8] ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: (ادعى خبازة معك، واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها) يقول جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط [9] كما هى: وإن عجيننا ليخبز كما هو. أخرجه الشيخان.

---

(١) أى رجعت إلى امرأتى.
(٢) أى جوعًا شديدًا .
(٣) البهيمة: تصغير بهمة وهى ولد الضأن ذكرًا أو أنثى (والداجن) أى الشاة التى تألف البيت وتتربى فيه.
(٤) البُرمة: بضم الباء، أى القدر.
(٥) تريد أن تقول له: إياك أن تأتى مع رسول الله بمن لا يكفيهم الطعام الذى عندنا..
(٦) السور: بالضم – كلمة فارسية – معناها الوليمة والطعام الذى يدعى إليه (وحيهلا) أى: تعالوا وعجلوا.
(٧) أبى فعل الله بك كذا، وفعل بك كذا.. على سبيل العتاب.. لأنه خالف قولها..
(٨) وبارك: أى دعا بالبركة.
(٩) (وغطت) القدر: أى غلت. وغطيطها: أى صوتها.

* (وعن) جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وبين يديه ركوة [1]، وقالوا: ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك، فوضع – صلى الله عليه وآله وسلم – يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضأ وشربنا قيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كان مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة [2]. أخرجه الشيخان.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – فى مسير فنفدت أزواد القوم حتى هموا بنحر حمائلهم [3]. فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها، ففعل فجاء ذو البر ببره [4]، وذو التمر بتمره، وذو النواة بنواته. قيل: ما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء. فدعا عليها حتى ملأ القوم مزاودهم [5] فقال عند ذلك: (أشهد أن إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة) أخرجه مسلم.

** (والآن) أيها الأخوة الفضلاء وبعد أن وقفنا على بعض البشائر والدلائل.. التى أرجو أن نكون قد انتفعنا بها.. وعرفنا من خلالها درجة النبى ﷺ وعُلو رتبته. إليكم كذلك هذين الحديثين اللذين أرجو كذلك أن تنتفعوا بهما وأن تكونوا بعد ذلك كهذا الرجل الذى يقول:

وممـا زادنـى شرفًـا وتيهًـا ... وكـدتُ بـأخمصى أطـأ الثريـا [6]
دخـولى تحـت قولـك يـا عبـادى ... وأن صـيرت أحمـد لى نبيـا

---

(١) الركوة: بفتح فسكون – ما يعد للماء وجمعها: ركاء و ركوات – بفتحات.
(٢) أى ألفًا ونصف ألف.
(٣) أى النوق التى يحملون عليها أمتعتهم.. ويركبونها.
(٤) وهو حب القمح.
(٥) جمع مزود، وهو ما تشبه الكيس الذى يوضع فيه زاد المسافر.. أو نحو ذلك.
(٦) أى كدت أن أضع قدمى فوق النجوم.

* (بل) وحتى نفهم المراد من قول القائل:

يا رب إن ذنوبى فى الورى كثرت	وليس لى عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه	حب النبى وهذا القدر يكفينى

** (وحتى) لا أطيل عليكم فإليكم الحديث الأول:

* (عن) أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «**إن موسى لما نزلت عليه التوراة قرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال: يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتى) قال: تلك أمة أحمد. قال (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم فأجعلها أمتى)..قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم [1] يقرءونها ظاهرا فاجعلها أمتى). قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة يأكلون الفىء [2] فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد). قال: (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها [3] فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد) قال (يا رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هَمَّ أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب[4]، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب إنى وجدت فى الألواح أمة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب إنى أجد فى**

---

(١) أى قرآنهم فى صدورهم يقرءونه بدون نظر فى مصحف.. أو صحيفة (وهذه) خصوصية اختص الله تعالى أمة أحمد.. دون جميع الأمم.
(٢) أى الغنائم.
(٣) أى أن الرجل إذا سعى فى طلب رزقه يثاب على هذا..
(٤) وفى رواية كتبت له حسنة.

الألواح أمة يؤتون العلم الأول والآخر[1] فيقتلون قرون الضلالة المسيخ الدجال[2] فاجعلها أمتى).. قال: (تلك أمة أحمد).. قال: (يا رب فاجعلنى من أمة أحمد) فأعطى عند ذلك خصلتين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فقال: (قد رضيت يا رب)».

* (وعن) قتادة عن كعب قال: أوحى الله إلى أشعياء النبى (إنى مبتعث نبيًا أمينًا.. أفتح به آذانًا صُمًا، وقلوبًا غُلفًا، وأعينًا عميًا.. مولده مكة، ومهاجره طيبة[3] وملكه الشام. عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار.. لا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر. رحيمًا بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة، ويبكى لليتيم فى حجر الأرملة ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا متزى بالفحش،ولا قوال بالخنا، أُسدده بكل جميل،وأهب كل خلق كريم.. أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمغفرة والمعروف خلقه، والعدل سيرته،والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأُعلم به بعد الجهالة، وأرفع به الخمالة[4] وأسمى به النكرة[5]، وأكثر بعد القلة، وأُغنى به بعد العَيلة[6]، وأؤلف به بين القلوب وأهواء مشتتة وأمم مختلفة،وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس.. أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وتوحيدًا لى، وإيمانًا بى، وإخلاصًا لى،

---

(١) أى علم الأولين والآخرين.. الذى فى القرآن الكريم كما ورد فى الحديث الشريف.
(٢)أىُ يقتل فى زمانهم المسيخ الدجال.
(٣) أى المدينة المنورة التى سيهاجر إليها..
(٤) أى الكسل.
(٥) أى: أجعلها معرفة.
(٦) أى الفقر.

وتصديقًا لما جاءت به رُسلى وهم رعاة الشمس (١).. طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التى أخلصت لى.. ألهتهم التسبيح والتحميد والتوحيد فى مجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم.. يصفون فى المساجد كما تصف الملائكة حول عرشى.. هم ولاتى وأنصارى أنتقم بهم من أعدائى عبدة الأوثان.. يصلون لى قيامًا وقعودًا، وركوعًا وسجودًا،ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ألوفًا، ويقاتلون فى سبيلى صفوفًا وزحوفًا.. أختم بكتابهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان، فمن أدركهم علم يؤمن بكتابهم و لم يدخل فى دينهم و شريعتهم فليس منى وهو منى برىء، وأجعلهم أفضل الأمم، وأجعلهم أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس.. إذا غضبوا هللونى، وإذا قُبضوا كبرونى، وإذا تنازعوا سبحونى، يطهرون الوجوه والأطراف، ويشدون الثياب إلى الأنصاف، ويكبرون ويهللون على التلال والأشراف.. قربانهم دماؤهم (٢) وأناجيلهم صدورهم.. رهبانًا بالليل ليوثا بالنهار.. ينادى مناديهم فى جو السماء (٣).. لهم دوى كدوى النحل (٤).. طوبى لمن كان منهم، وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم، ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم..

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل هذا الفضل العظيم.

والله ولى التوفيق.

---

(١) أى يعملون بالنهار.
(٢) أى عندما يجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم.
(٣) كناية عن الآذان.
(٤) كناية عن قراءة القرآن.



خطب شهر ربيع الأول

الخطبة الرابعة

((مقدمات بعثة الرسول ﷺ))

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أكرمهم الله تبارك وتعالى كما أكرمنا بعدهم ببعثة هذا النبى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى أخرجهم وأخرجنا من الظلمات إلى النور وهداهم و هدانا إلى الصراط المستقيم: ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣].

(فكانوا) لهذا، كما كنا تبعًا لهم والحمد لله من المهتدين المُنقذين من الضلال المبين الذى لولا بعثة الرسول ﷺ لكنا بسببه من الهالكين الخاسرين فى الدنيا والآخرة.. فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.. والحمد لله الذى جعلنا مسلمين.. (ونحن) نسأله – سبحانه وتعالى – أن يجعلنا مثل أصحاب الرسول الأوائل من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنًا جميعا فى اللقاء الرابع من شهر ربيع الأول.. الذى رأيت أن أركز معكم فيه على أهم مقدمات بعثة الرسول ﷺ ..

(حتى) نعرف كيف أعدَّ الله رسوله وجَهَّزه لحمل تبعات هذه الرسالة الخاتمة.. (فلقد) كان الإعداد هذا (وأبوه ما بين الثرى والماء.. ثم استمر النور فى الآباء.. فتوارثوه كريمة وكريمًا) [(١)].

---

(١) كما جاء فى المقامات العلية..ص٨.

(قال) ابن عباس رضي الله عنهما : (قيل يا رسول الله متى كُتبت نبيًا ؟ قال: ((وآدم بين الروح والجسد[1])) (بل) وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي[2] قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

.. (قال) على وابن عباس رضي الله عنهم : ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمدًا وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرُنَّهُ، وأمر أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه..

(بل) وجعل الله – تعالى – أصوله من الآباء والأمهات الطاهرين والطاهرات. حتى يكون نسبه – صلوات الله وسلامه عليه – فى قمة الشرف والكمال.. فقد روى واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل،واصطفى قريشًا من كنانة،واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم) [3].

(وعن) ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: (من صلب نبى إلى نبى حتى صرت نبيًا) [4].

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إن الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم، فاختار منهم العرب، ثم اختار منهم قريشًا، فاختار منهم بنى هاشم، ثم اختارنى من بنى هاشم، فلم أزل خيارًا من خيار**» [5].

* (بل) وهو فى بطن أمه أتاها وهى بين النائمة واليقظانة من بشرها بأنها قد حملت بسيد الأنام.. (قالت) آمنة: وأتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة، فقال:

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبزار. وفيه جابر بن زيد الجعفى وهو ضعيف وأخرجه احمد والطبرانى بسند رجاله رجال الصحيح عن ميسرة الفخر.. (انظر ص ٢٢٣ ج٨ مجمع الزوائد).

(٢) أى عهدى.

(٣) أخرجه مسلم والترمذى وصححه (انظر ص ٣١٣ ج٣ تيسير الوصول).

(٤) أخرجه البزار بسند رجاله ثقات انظر ٢١٤ ج٨ مجمع الزوائد.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبرى (انظر ص ١١ ج١ بهجة المحافل).

(هل شعرت بأنك قد حملت بسيد الأنام ؟. ثم أمهَلنى حتى إذا دنت ولادتى فقال لى: قولى إذا وضعتَيه: أُعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سَمِّيه محمدًا) [1].

(بل) ولما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ : ارتجس [2] إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة [3]، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة [4]، ورأى الموبذان [5] إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا [6]، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك ثم بعث إلى مرابذته [7] فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم ؟ قالوا: لا إلا أن يُخبرنا الملك فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران، فازداد غمًا إلى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله.

فقال الموبذان: وأنا قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه فى الإبل.

فقال: أى شيء يكون هذا يا موبذان ؟ فقال: حدث يكون فى ناحية العرب [8].

(بل) وهو ابن الذبيح: عبد الله الذى افتداه الله – تعالى – بمائة من الإبل و (كان) عبد المطلب قد نذر عند حفر بئر زمزم لئن رزقه الله عشرة من الولد يمنعونه لينحرنَّ أحدهم – قربانًا لله – فلما تم عددهم عشرة أسهم فيهم –أى اقترع – فخرج السهم على عبد الله فزاد عشرًا ثم عشرًا حتى بلغت الإبل مائة، فخرج السهم على الإبل فنحرها عنه، ثم استمرت الدية كذلك، وإليه الإشارة

---

(١) ذكره ابن إسحاق (انظر ص١٠٦ ج١ الزرقانى على المواهب).
(٢) أى اضطرب.
(٣) كغرفة: أعلى القصر.
(٤) مدينة بين الرى وهمدان.
(٥) بضم الميم وفتح الباء: فقيه الفرس وحاكم المجوس.
(٦) عرابا بكسر العين: وهى خلاف البرازين وهى الخيل التركى.
(٧) جمع مرزبان بفتح فسكون فضم.. وهو الرئيس.
(٨) ذكره الحافظ الخرائطى فى كتاب هواتف الجان.. عن مخزوم بن هانىء عن أبيه.. (و تمامه نص ٢٦٨ ج٢ البداية و النهاية).

بقوله ﷺ : «**أنا ابن الذبيحين**»، يعنى آباه وإسماعيل بن إبراهيم ﷺ [1] الذى افتداه الله بكبش واحد [2].

(بل): كما قال فى المواهب وشرحها كان ﷺ يَشبُ شبابًا لا شبه الغلمان (وروى) أنه ﷺ لما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع الصبيان إلى كل جانب، وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفى أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفى خمسة حصل له القدرة على المشى، ولما تم له ستة أشهر كان يسرع فى المشى وفى سبعة أشهر كان يسعى ويغدو إلى كل جانب، ولما مضى له ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح، وفى عشرة أشهر كان يرمى السهام مع الصبيان [3].

(ولما) تم له من العمر اثنتا عشر سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام فى ركب للتجارة فأخذه معه،ولما نزل الركب (بصرى) مروا على راهب هناك يقال له (بحيرًا) وكان عليمًا بالإنجيل، خبيرًا بشئون النصرانية... (وهناك) أبصر (بحيرًا) النبى ﷺ يتأمله ويكلمه، ثم التفت إلى أبى طالب فقال له: ما هذا الغلام منك ؟ فقال: ابنى وكان أبو طالب يدعوه ابنه لشدة محبته له،وشفقته عليه – فقال له (بحيرًا): ما هو بابنك، وما ينبغى أن يكون أبو هذا الغلام حيًا.. فقال: هو ابن أخى. قال: فما فعل أبوه ؟ قال: مات وأمه حُبلى، قال بحيرًا: صدقت فارجع به إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه هنا سيحاولون إيذاءه أو التخلص منه – فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. (فأسرع) أبو طالب عائدا إلى مكة [4].

(ثم) أخذ رسول الله ﷺ يستقبل فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعى للرزق،وراح يشتغل يرعى الغنم (ولقد) قال – عليه الصلاة والسلام – عن نفسه

---

(١) انظر ص ٣٥ ج١ بهجة المحافل
(٢) وافتدى عبد الله والد الرسول ﷺ بمائة من الإبل.
(٣) انظر ص ١٤٨ ج زرقاى المواهب. (ويتزحلف) بالفاء أى يتدحرج مع الصبيان.
(٤) كما جاء فى سيرة ابن هشام باختصار: ١-١٨٠، وروا الطبرانى فى تاريخه: ٢-٢٨٧.

فيما بعد: (كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة)[1] وحفظه الله من كل ما قد ينحرف إليه الشبان من مظاهر اللهو والعَبث (قال) – عليه الصلاة والسلام – فيما يرويه عن نفسه (ما هممت بشيء مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله بالرسالة. قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال: افعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: عرس، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى، فنمت فما أيقظنى إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبى، فسألنى فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابنى مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء)[2].

(وهذا) معناه أن الله – عز وجل – قد عصمه من جميع مظاهر الإنحراف وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التى هيأه الله لها.

(وفى) سن الخامسة والعشرين تزوج – صلوات الله وسلامه عليه – بالسيدة خديجة – رضي الله عنها –[3].. (وكان) هذا بعد أن سافر فى تجارة لها مع عبدها ميسرة إلى بلاد الشام فربح ربحًا وفيرًا.. فخطبته لنفسها. ولا سيما بعد أن أخبرها عبدها ميسرة بأخلاقه الرفيعة ونبله وأمانته.. (فأنجب) منها جميع أبنائه إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

(ولقد) شارك الرسول ﷺ قبل البعثة فى بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة

---

(١) رواه البخارى (ومعنى) قراريط: جمع واحد على ستة عشر من الدرهم وقيل القراريط موضع
(٢) رواه ابن الأثير ورواه الحاكم عن على بن أبى طالب وقال عنه صحيح على شرط مسلم، وروا الطبرانى من حديث عمار بن ياسر.
(٣) وقد كانت قد تزوجت قبل زواجها من رسول الله ﷺ برجلين الأول منهما عتيق ابن عائذ التميمى، ثم خلفه عليها أبو هالة التميمى واسمه بن زراره.. (رواه) ابن سيد الناس فى(عيون الأثر) وابن حجر فى الإصابة..

فعالة.. فكان ينقل الحجارة على كتفه ما بينها وبينه إلا إزاره وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة فى الأصح (وكان) هذا بعد أن تعرضت الكعبة للعوادى التى أوهت بنيانها وصدعت جدرانها، وكان من بين هذه العوادى سيل العرم الذى جرف مكة قبل البعثة بسنوات قليلة.. (وبعد) أن أعادوا بناءها اختلفوا حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود مكانه..

(وأخيرًا) وافقوا على رأى الصادق الأمين – صلوات الله وسلامه عليه – قبل – البعثة – بعد أن وضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين فوق ردائه بعد أن بسطه على الأرض ثم أمر مجموعة منهم كنائبين عن جميع القبائل بحمله ثم السير به إلى حيث سيوضع فى مكانه.. وهناك كما وضعه الحبيب – صلوات الله وسلامه عليه – فوق الرداء بيديه الشريفتين رفعه من فوق الرداء بيديه الشريفتين ووضعه فى مكانه.. – صلوات الله وسلامه عليه –.

(ولما) أخذت سنة تدنوا نحو الأربعين نشأ لديه حب للعزلة بين الفترة والأخرى، وحبب الله إليه الاختلاء فى غار حراء [1]، فكان يخلو فيه ويتعبد فيه الليالى ذوات العدد فتارة عشرة، وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلًا حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكَرَّة إلى غار حراء، وهكذا إلى أن جاءه الوحى وهو فى إحدى خلواته تلك.. (وروى) الإمام البخارى عن السيدة عائشة تصف كيفية بدء الوحى، وتقول: (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث [2] فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك،فقال له اقرأ فقال: ما أنا بقارىء..

---

(١) (وحراء) جبل يقع فى جانب الشمال الغربى من مكة.
(٢) أى يتعبد.

قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثـم أرسلنى فقـال اقـرأ: فقلـت: مـا أنـا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١-٥]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال: (زمّلونى، زمّلونى) فزملوه حى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيتُ على نفسى)، فقالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل فى العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا تَرى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس - أى جبريل أو الوحى - الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا - أى شابًا قويًا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك،فقال رسول الله ﷺ : أومخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرًا، ثم لم يلبث أن توفى ورقة وفتر الوحى.. (وقد) اختلف فى الزمن الذى فتر فيه الوحى، فقيل: ثلاث سنوات، وقيل أقل من ذلك (والراجح) ما رواه البيهقى من أن المدة كانت ستة أشهر [1].

*(ثم) روى البخارى عن جابر عن عبد الله قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه: بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه،

---

(١) راجع فتح البارى ج١ ص٢١. (وفتر الوحى): أى انقطع.

فرجعت فقلت: (زملونى زملونى)، فأنزل الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾** إلى قوله: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** فحمى الوحى وتواتر.

* (فعلى) الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا ويذكروه حتى يعرفوا قدر نبيهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. المبعوث رحمة للعالمين.

والله ولى التوفيق.

خطب شهر ربيع الأول

الخطبة الخامسة

((أهم الملاحظات والتنبيهات التي لابد وأن نكون قد انتفعنا بها من خلال التذكير بأهم ما يتعلق بميلاد الرسول ﷺ وبعثته))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه،واتبعوا النور الذى أنزل معه.. (فكانوا) هداة مهديين، وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الأخير من شهر ربيع الأول.. الذى رأيت أن أذكركم و نفسى فيه بأهم ماينبغى علينا أن نذكره وننفذه بعد أن استمعنا إلى كل ما استمعنا إليه فى اللقاءات الماضية.. حول ما يتعلق بميلاد الرسول ﷺ وبعثته.. بالإضافة إلى أهم ما يتعلق بكل هذا من إشارات وتنبيهات.

(وأول) ما أريد أن نذكره جميعًا.. هو أن ميلاد الرسول ﷺ كان ميلادًا لنا.. نحن المؤمنين بصفة خاصة.. (وأعنى) بهذا أنه لو لا ميلاده – صلوات الله وسلامه عليه –.. (لما) ولدنا حقيقة.. (و لكانت) بطن الأرض خير لنا من ظاهرها.. (ولكُنا) إلى لحظتنا هذه فى ضلال مبين (كما) كان الحال قبل أن يولد الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –.. (بل) وقبل أن يبعث..(وإلى) هذا يشير الله تعالى فى سورة آل عمران.. حيث يقول ممتنا على المؤمنين ببعثته – صلوات الله وسلامه عليه –.. ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ[1]

(١) وفى قراءة من أنفسهم بفتح الفاء، أى من أفضلهم ومن أعظمهم.

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

(وذلك) لأنهم قبل الإسلام كانوا يتخبطون فى ظلمات الجهل وينقادون إلى الخرافات والأوهام.. كما كان منهم من يعبد الأحجار الصماء التى لا تنفع ولا تضر.. كما كان منهم من يعبد الشمس والقمر. ومن يقتل البنات مخافة الفاقة أو مخافة العار.. (وإلى هذا)يشير الله تعالى فى قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

(وقد) قرأت توضيحا لهذا (أن) عمر بن الخطاب ﷺ جلس ذات يوم بين أصحابه فبكى ثم ضحك.. فتعجب أصحابه، ثم سألوه: لماذا يا أمير المؤمنين نراك تبكى ثم تضحك فى آن واحد ؟ فعند ذلك يقول – عليه رضوان الله –: أما بكائى، فلأنى تذكرت ما حدث منى فى الجاهلية أى قبل الإسلام فقد أخذت ابنتى وذهبت بها إلى الصحراء، وهناك حفرت لها حفرة ثم ألقيتها فى هذه الحفرة وأخذت وأُهيل عليها التراب.. فرأيتها تزيل ما تعلق باللحية من الأتربة.. ومع هذا فقد واريتها تحت التراب.. (ومن) أجل هذا فإننى أبكى الآن وأنا أتساءل: أين كان قلبى حينئذ ؟ لأنه لو كان حيًا أو موجودًا لما سمح لى أن أفعل فعلًا مشينًا كهذا.. (لأن) هذا الفعل يتنافى مع الأبوة فضلًا عن الإنسانية.. التى لابد وأن يلاحظها الإنسان عندما يريد قتل أخيه الإنسان.

*(وأيضا) لأن العربى الأصيل يقول:

وإنما أطفالنا بيننا	أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبَّت الريح على بعضهم	لامتنعت عينى عن الغمض

(ثم) بعد ذلك يقول – عليه رضوان الله –: (وأما) ضحكى فلأننى تذكرت كذلك ما كنت أصنعه فى الجاهلية. لقد كنت أصنع الإله من الحلوى – أو من العجوة كما يقول – ثم أظل طوال النهار أسجد له وأركع، وأسأله العون والنصر، والرزق الكثير والبركة فى المال والولد.. ثم فى نهاية النهار أقوم مع أبنائى بأكل هذا

الإله.. (فأنا) الآن أضحك وأتساءل: أين كان عقلى حينئذ ؟ لأنه لو كان سليمًا أو موجودًا لما سمح لى بأن أفعل فعلًا مضحكًا كهذا !

* (وإن) صح الخبر هذا.. (فإنه) يشير إلى أنه كان لابد وأن يولد المنقذ من الضلال – صلوات الله وسلامه عليه –..(الذى ولد بعد ذلك فعلًا والعالم كله فى انتظاره.. لأنه كان السيل قد بلغ الزُّبى، وطفح الكيل..(ولهذا) فإنه فى ليلة مولده.. كانت هناك فرحة فى السماء وفى الأرض.. أشار إليها أحدهم فى قوله الذى يعبر فيه عن فرحته بميلاد أفضل خلق الله على الإطلاق:

ولـــد المشرف فى ربيـــع الأول ... والكون يرقص والكواكب تنجلى
وتقـــول آمنـــة رأيـــت جمالـــه ... كالبـــدر فى تـــم يلـــوح ويـــنجلى
ورأيـــت أمـــلاك الســـماء تزفـــه ... والكـــون يـــرقص والهنـــا فى منـــزلى
ناديت مـن هـذا ؟ فقيـل مـن العـلا ... لا تســـألى عـــن فخـــره لا تســـألى
لا تحجبـــه عـــن ملائكـــة الســـما ... بإلـــــه بإلـــــه لا تفعـــــلى
هـــذا المشرف والمفضـــل والـــذى ... فاق الأنام وصاحب القدر العلى

(نعم) هو صاحب القدر العلى.. الذى مهما تحدثنا عنه لن نوفيه حقه سنرانا نتحدث عنه طويلًا إلى أن نعجز عن مواصلة الحديث. كما عجز الإمام البوصيرى – عليه رحمة الله – بعد أن تحدث عنه طويلا ثم قال:

ومبلـــغ القـــول فيـــه أنـــه بشر ... وأنـــه خـــير خلـــق الله كلهـــم

(وهذا) معناه كذلك أن النبى ﷺ ليس فى حاجة إلى مدح أحد..(لأن) الله تعالى قد جمله وكمله.. (أعنى) أن الله تعالى أعطاه الجمال كله، والكمال كله: (أعطاه) صفوة آدم، ومولد شيث، وشجاعة نوح، وحلم إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لقمان، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وصبر أيوب، وقوة موسى، وتسبيح يونس، وجهاد يُوشع، ونعمة داود، وهيبة سليمان، ووقار إلياس، وزهد عيسى، وعلم الخضر فكان أهلا لأن يخاطبه الله – عز وجل – بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٤].

(إنها) الشهادة العظيمة التى لم يعطها الله تبارك وتعالى إلا لحبيبه المصطفى –

صلوات الله وسلامه عليه- (ثم) أوصانا جميعا نحن المؤمنين- إن شاء الله- بأن نقتدى به ونتخذه مثلًا أعلى لنا فى الطريق إلى الله إذا أردنا الله واليوم الآخر، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(وهذه) هى الملاحظة الثانية التى أريد كذلك أن أركز عليها وبإيجاز (خلاصته) أننا إذا كنا فعلًا نحب رسول الله ﷺ فإنه ينبغى علينا أن نحرص على التمسك بسنته والتأدب بآدابه.. (لأن) هذا سيكون معناه أننا قد عرفنا قدر رسول الله ﷺ (وأدركنا) ضرورة السير فى طريقه الذى يوصل وبدون شك إلى الله تعالى وإلى جنته وهذا الطريق الذى أعنيه هو السنة التى أوصانا بها – صلوات الله وسلامه عليه –، كما حذرنا من البدع المخالفة لها.. فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم – ذات يوم ـ ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه البيهقى والترمذى، وقال حسن صحيح.

(مع) ملاحظة: أن من زعم أن بعض البدع فى العبادة قد تكون حسنة فقد أخطأ وذلك أنه ﷺ أخبر أن كل بدعة ضلالة، فإن لفظ كل موضوع للأفراد (فمعنى) الحديث: أن كل فرد من أفراد البدع ضلالة وموضوعه فى العبادة كما علمنا (ومن ادعى) أن الحديث دخله التخصيص بحدبث: «**من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من علم بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن، ينقص من أوزارهم شيء**» أخرجه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه.

(فدعواه) باطلة: لأن الحديث إنما ورد فى الحث على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب، واتفاق الكلمة، على اجتناب أسباب التباغض والنفور

(وأيضًا) فإن الإستنان فيه ليس المراد به الإختراع [1] (وإنما) المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية (وذلك) لأن سبب الحديث هو الحث على الصدقة المشروعة (فقد) قال جرير بن عبد الله: كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار [2] متقلدى السيوف عامتهم، بل كلهم من مضر فتمعَّر وجه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – لما رآهم من الفاقة [3]، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: الآية رقم ١] **الآية، والآية التى فى سورة الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾** [الحشر: ١٨]. **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة. فجاءه رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يتهلل كأنه مذهبة** [4]**، فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – «من سن فى الإسلام»** الحديث أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه (قال) فى الإعتصام [5] فتأملوا أين قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «**من سن فى الإسلام سنة حسنة**». تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه حتى أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، فسر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –حتى قال (من سن فى

---

(١) الإختراع: اي الإنشاء، وإلا كان تشريعًا وهو ليس لأحد كائنا من كان، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، وهذا أمر له – صلى الله عليه وآله وسلم – بالإستقامة ومن تاب معه على ما ينزل عليه من عند الله لا من عنده بحسب رأيه وهواه وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ لم يقل الله تعالى له ﷺ وهو المعصوم: بما رأيته: بل ﴿بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ وفى هذا غاية البيان لمن شرح الله صدره للإتباع والبعد عن الإبتداع.

(٢) النمار – جمع نمرة كساء من صوف مخطط ومجتابيها: أى لابسيها، وتمعر: أى تغير (انظر ص٤ وما بعدها.. من الدين الخالص ج١ مع الهامش).

(٣) أى الفقر.

(٤) ومذهبة كمرسلة: أى مستنيرة صافية.

(٥) ص٢٣٩ج١.

الإسلام..) الحديث: فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابى.. وهو العمل بها ثبت كونه سنة ا. هـ.

(وأما) البدعة التى قسموها إلى حسنة وغيرها فهى اللغوية (ومن المعلوم) أن البدع ليست من الدين: فكيف يتقرب بها إلى الله – عز وجل – وهل يصح من عاقل أن يعبد الله تعالى بغير ما شرع ؟

(وأن): سنة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – هى قوله وفعله وتقريره وإن ما ترك مع قيام المقتضى فتركه سنته وفعله بدعة: كالأولى والثانية يوم الجمعة(1) تركهما النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – مع قيام المقتضى وهو التشريع فتركهما سنة(وكذا) الترقية بين يدى الخطيب، ورفع صوت حال السير مع الجنازة وسائر البدع فى العبادة: تركها مطلوب شرعًا لأنها ضلالة يجب البعد عنها (وقد) أجمعوا على أن كل بدعة حدثت رفع مثلها من السنة، لحديث غضيف بن الحارث أن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة) أخرجه أحمد وقال عبد الله بن الديلمى: (بلغنى أن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة) أخرجه الدارمى.

(فعلى) الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا حتى لا يكونوا من أهل البدع.. لأن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الأمة، وكشف الغُمة.. (ولم) يفارق الدنيا إلا بعد أن أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ألا هل بلغت.. اللهم فأشهد..

والله ولى التوفيق

---

(١) أى كالأذان الأول والثانى يوم الجمعة.



خطب شهر ربيع الثاني

الخطبة الأولى

«وصية جامعة من وصايا الرسول ﷺ»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا وخياركم خياركم لنسائهم** » [١] .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين المتقين الذين كانوا يكثرون من فعل الحسنات ويخالقون الناس بخلق حسن . (فكانوا) هداة مهديين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى– عنهم في قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا في الخطبة الأولى من شهر ربيع الثاني التي رأيت أن أركز معكم فيها –بتوفيق من الله– على وصية جامعة من وصايا رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، أو معاذ ابن جبل – رضي الله عنه–، أو لهما معًا وهي (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [٢] .

(وإذا) كان لي أن أبدأ في شرح المراد من هذه الوصية . (فإنني) أريد أن ألفت قلوبكم أولا إلى أن الوصية هذه من جوامع كلم الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – .. فقد (روى) أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فضلتُ على الأنبياء بست: أُعطيتُ جوامع الكلم ونُصرتُ بالرعب، وأُحلت لي الغنائم وجُعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**» [٣] .

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم والترمذي وصححه .

(وتلك) إشارة لابد وأن نتنفع بها، حتى ندرك تمامًا ما فى هذا الحديث العظيم من الإشارات الهامة التى فى مقدمتها .. (أن) النبى ﷺ يوصينا جميعًا بالتقوى التى هى رأس الأمر كله (وذلك) حيثما كنا، وفى أى عمل شريف أو، صالح سنؤديه فى كل زمان ومكان .. (بل) وفى صلاتنا، وزكاتنا، وصيامنا، وحجنا .. (وكذلك) فى معاملاتنا، (وفى) معاشرتنا لأزواجنا، وتربية أولادنا، وحسن معاملتنا لجيراننا، ومراقبة الله تعالى فى بيعنا وشرائنا، وفى جميع ميادين أعمالنا الشريفة .. (وذلك) حتى تؤدى كل تلك الأعمال أو الواجبات دون نقص أو تقصير .

(وهذا) هو المراد الذى أوصانا به الرسول ﷺ .. (مع) ملاحظة أن الله – تعالى – قد أوصانا بها – أى بالتقوى – كذلك كما أوصى الأمم السابقة فقال تعالى مخاطبًا إيانا: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١] .

(وقد) يسأل أحدنا عن المعنى المراد من كلمة التقوى ؟ فأجيبه بنفس الإجابة التى أجاب بها الإمام على – كرم الله وجهه – الذى كان قد سئل عنها فقال: (التقوى: هى الخوف من الجليل) أى: من الله تبارك وتعالى مع الرجاء فيه – سبحانه وتعالى – حتى لا يكون هناك يأس من رحمته –والعياذ بالله – لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧] .

* (والتقوى هى: العمل بالتنزيل) أى: بالقرآن الكريم .. و إلا كان حجة علينا لا لنا .. (لأنه) من المفروض أن ينفذ ما فى القرآن من الأوامر، ويجتنب ما فيه من المنهيات .. وأن يتعظ بما فيه من المواعظ المشار إليها فى قول الله تعالى لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠] .

(والتقوى هى: الاستعداد ليوم الرحيل أى: إلى الله تعالى، وهو آت لا ريب فيه – إن عاجلًا وإن آجلًا – (مع) ملاحظة أن الاستعداد معناه أن يجهز الإنسان المؤمن – ذكرًا كان أم أنثى – نفسه للحظة الرحيل .. (بمعنى) أن يكثر من الزاد الذى سيحتاج إليه هناك .. ﴿**يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ [النبأ: ٤٠] .

(والتقوى، هى: الرضا بالقليل) أى الذى قسمه الله تعالى لنا . (مع) الأخذ بأسباب التوسعة .. لأن الله تعالى يقول: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا[1] فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ.. ﴾** [البقرة: ١٩٨] ويقول: **﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً[2]﴾** [النساء: ١٠٠].

*(هذا) وإذا كنا قد استمعنا إلى وصف التقوى من الإمام على – كرم الله وجهه– (فإننى) أرى كذلك أن نستمع إليه ﷺ وهو يصف المتقين، فيقول عندما سئل عن وصفهم:

* (فالمتقون فيها – أى فى هذه الدنيا – هم: أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع .. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لا يرضون من أعمالهم القليل،ولا يستكثرون الكثير،فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون) ثم يقول: (ومن علامة أحدهم: أنك ترى له قوة فى دين، وحزمًا فى لين، وإيمانًا فى يقين،وحرصًا فى علم، وعلمًا فى حلم، وقصدا فى غنى، وخشوعًا فى عبادة،وتجملًا فى فاقة، وصبرًا فى شدة، وطلبًا فى حلال .. يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ... يمسى وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يمزج الحلم بالعلم،والقول بالعمل، تراه قريبًا أمله، قليلًا زَللَه، خاشعًا قلبه، قانعة نفسه، مكظومًا غيظه، ميتة شهواته .. الخير منه مأمول، والشر فيه مأمون، يعفو عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه ..)

*(فلنكن) جميعًا من أهل التقوى، حتى نكون – إن شاء الله تعالى – من المتقين الذين تحدث الله– سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**

---

(١) أى إثم .
(٢) أى سعة فى أمر دينه، أو فى رزقه .

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ*أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]

(وقد) يسأل الإخوة الفضلاء: وما الذى نستطيع أن نفعله، إذا ما استطاع الشيطان أن يضحك علينا، أو يوقعنا فى شباكه التى هى المخالفات والمنكرات التى يحرص دائمًا وأبدًا بمعاونة شياطين الإنس على أن يجعلنا من المرتكبين لها ؟.
فأقول: (إن) المطلوب منا لكى نمحوا هذه السيئات الصغائر .. هو أن نتبعها بالحسنات التى من أهمها - بل هى أهمها - الصلوات الخمس - كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فالمراد بالحسنات - هنا - الصلوات الخمس، (والمراد) بالسيئات: الصغائر [١] (بدليل) قوله ﷺ: «**الصلوات الخمس،والجمعة إلى الجمعة،ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» رواه مسلم .

(والكبائر) المشار إليها فى هذا الحديث الأخير هى ما ورد فيها تحذير شديد وغلظت عقوبتها فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة -وأكبرها: الشرك بالله، ويليه قتل النفس بغير حق، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر،وعقوق الوالدين، والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو: رمى العفيف بالزنا ..
(فهذه) الكبائر بالإضافة إلى غيرها قد اشترط الله تعالى اجتنابها لمن أراد أن يغفر الله تعالى له صغائره فى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] .، (مع) ملاحظة أن الكبائر لن يغفرها الله لمرتكبيها إلا بالتوبة الصادقة منها ..

(وأنه) من أهم شروط هذه التوبة: الإقلاع عن المعصية،والندم على فعلها، ورد الحقوق إلى أصحابها (لأن الله تعالى يسامح فى حقه ولا يسامح فى حقوق العباد).
** (واعلم) أن ظاهر هذا الحديث - الذى ندور حوله - يدل على أن الحسنة

---

(١) التى منها اللهو واللعب، النظرة الثانية،والاستماع إلى الأغانى الخليعة.

لا تمحو إلا سيئة واحدة، وإن كانت بعشر، وأن التضعيف لا يمحو السيئة .

(وليس)هذا على ظاهره، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات، (وقد) ورد فى هذا الحديث ما يشهد لذلك (وهو) قوله ﷺ : « **تكبرون دبر كل صلاة عشرا، وتحمدون عشرا، وتسبحون عشرا، فذلك مائة وخمسون باللسان،وألف وخمسمائة فى الميزان**». ثم قال ﷺ : «**فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة**» (١) .

(فقد) دل هذا الحديث – الأخير – على أن التضعيف يمحو السيئات، (وظاهر) الحديث أن الحسنة تمحو السيئة مطلقًا، وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله .. (أما) السيئة المتعلقة بحق العباد من الغضب والغيبة والنميمة فلا يمحوها إلا الإستحلال (٢) من العباد، ولابد أن يعين له جهة الظلامة، فيقول: قلت عليك كيت وكيت (وفى) الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة .. (وفى) الأثر (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) (٣) .

**(وقد) يسأل الإخوة الفضلاء كذلك .. (وإذا) كنا سنجاهد أنفسنا ونحاسبها .. فكيف نحافظ على رصيدنا من الحسنات التى ستعود علينا بعد كل هذا ؟ فنقول لهم، أو نذكرهم بما ختم الرسول ﷺ به وصيته، وهو (وخالق الناس بخلق حسن) .

(وذلك) لأنه إذا لم يكن المسلم مخالقا للناس بخلق حسن .. فإن رصيده من الحسنات التى جناها .. ستكون من نصيب هؤلاء الذين أساء إليهم (كما) أشار النبى ﷺ إلى هذا فى نص حديث شريف، قال فيه لأصحابه: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة: بصلاة وصيام، وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا،وسفك دم هذا، وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته،وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه: أخذ من خطاياهم، فطرحت**

---

(١) الحديث أخرجه أحمد والأربعة بسند صحيح (الدين الخالص ج٢ ص٢١) .

(٢) أى طلب المسامحة .

(٣) وهو موقوف من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أحمد فى الزهد (٦/ ١٤٩) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٥٢) .

عليه ثم طرح فى النار» رواه مسلم .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»** رواه البخارى .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء [1] من الشاة القرناء [2]»** رواه مسلم.

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين»** متفق عليه .

*(فعلى) الإخوة الفضلاء أن يلاحظوا كل هذا، و ينفذوا المراد منه .. حتى يكونوا من المنتفعين بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم .. (ولا سيما) بالنسبة للجانب الأخلاقى الذى هو الأساس فى هذا الدين الحنيف الذى بعث رسوله .. (ليتمم مكارم الأخلاق) [3]، بعد أن أعطاه الله تعالى شهادة لم يعطها لأحد قبله، ولن يعطيها لأحد بعده .. وهى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم: ٤]، (ولهذا) فقد سئل — صلوات الله وسلامه عليه — عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: (تقوى الله وحسن الخلق) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال: (الفم والفرج) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

** أسأل الله — سبحانه وتعالى — أن ينفعنا بما استمعنا إليه .. وأن يجعله حُجة لنا لا علينا، حتى نكون — إنشاء الله — .. من أهل التقوى وأهل المغفرة.

والله ولى التوفيق،

---

(١) أى التى لا قرن لها .

(٢) أى التى لها قرنان . وهذا تصريح بحشر البهائم، كناية عن نهاية عدل الله تبارك وتعالى فى خلقه.

(٣) حديث صحيح، وصححه .. الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٤٥) .



خطب شهر ربيع الثاني

الخطبة الثانية

((الاستقامة والترغيب فيها))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ..﴾، أى: كما أمرت ونهيت ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢] .

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه قال مشيرًا إلى قول الله – تعالى – فى سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ..﴾: « شيبتنى هود وأخواتها »(١) .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المبشرين فى قول الله – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٢) ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

(فكانوا) بهذا، أو بسبب هذا من الرجال الحقيقيين المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثانى من شهر ربيع الثانى .. الذى رأيت أن يكون لقائى معكم فيه، حول حديث صحيح رواه مسلم (ورد) عن أبى عمرو،

---

(١) حديث ضعيف وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير (٣٤١٧، ٣٤١٨)

(٢) (وقد قال) ابن عباس رضى الله عنهما: أن هذه الآيات تنزلت فى أبى بكر الصديق ﷺ ... (انظر حاشية الصاوى) .

وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: « **قل: آمنت بالله، ثم استقم**». (فهذا) الحديث أيضًا – من جوامع كلم الجيب المصطفى – صلوات الله وسلامة عليه – (وهو) مع إيجازه .. يحتاج إلى مجلدات لكى يشرح فيها .. و لكى نستطيع أن نقف من خلال الشرح على أبعاد المراد منه .. (ولهذا) فإنه حسبنا أن نركز على أهم ما فيه من الإشارات التى لابد وأن ننتفع بها . إذا أردنا أن نكون من أهل الاستقامة – إن شاء الله – .

**(وأول) ما أريد التركيز عليه، هو قوله – صلوات الله وسلامه عليه – للرجل الذى سأله (قل آمنت بالله)، فهذا القول المحمدى هو أساس كل أساس . (وأعنى) بهذا .. أن الإيمان بالله .. لابد وأن يكون أول درس نتعلمه فى حياتنا الإيمانية .. (وأعنى) بهذا . مرة أخرى .. أن نعرف حقيقة هذا الإيمان الذى ينبغى أن يكون متربعا على قلوبنا ..

(أولًا) قبل أن نعلن إسلامنا . قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤]. لأنهم تلفظوا بكلمة الشهادة بلا تصديق أولًا بأن محمدًا رسول الله .. (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يسلم قد خرج من داره شاهرًا سيفه ليقتل رسول الله ﷺ .. فرآه أحد أصحابه، وهو يتجه إلى دار الأرقم بن الأرقم التى كان النبى ﷺ يدعوا فيها إلى الله – تعالى – سرًا .. فسأله إلى أين يا بن الخطاب ؟ فقال له إنى ذاهب إلى هذا الرجل الذي يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا لأريح الناس منه . فقال له صاحبه هذا الذى كان سببًا فى هدايته: أرى أن تذهب أولا إلى أختك وزوجها [1] لأنهما قد آمنا بمحمد . (وفعلا) بعد أن كان متجها إلى دار الأرقم بن الأرقم اتجه إلى دار أخته .. (وهناك) طرق الباب طرقة قوية عرف طارقها .. لأنه كان قويا

(١) وهو سعيد بن زيد ﷺ . أحد العشرة المبشرين بالجنة ..

بطبيعته (وكانت) أخته فى هذه اللحظة تقرأ القرآن مع زوجها . وكان معهما صحابى جليل يعلمهما القرآن وهو الخباب بن الأرت – عليه رضوان الله – .

فلما علموا أن الطارق هو عمر أختبأ الخباب فى مكان ما .. لأنه لا يستطيع مواجهة عمر .. (ثم) ذهبت أخته وفتحت الباب .. فلطمها على وجهها لطمة شجت وجهها (ثم) ذهب إلى زوجها وأخذ يضربه حتى كاد أن يقتله .. لولا أن الله – تعالى – قد شاء لهذا الزوج أن يعيش .. فكان السبب فى هذا، هو أن عمر نظر إلى وجه أخته .. فلما رأى الدماء تسيل حن قلبه . ثم قام من على صدر زوجها وقال لها: أين الصحيفة التى كنتما تقرآن فيها – لأنه وهو يطرق الباب سمع همهمة فى داخل الدار – فقالت له أخته: اذهب أولا واغتسل لأنه قرآن، والقرآن: **﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** [الواقعة: ٧٩] .

إنها تقصد نجاسة الشرك ولهذا فقد ذهب فاغتسل ثم عاد، فناولته الصحيفة .. فبدأ يقرأ بفهم وتدبر بعض آيات من أو سورة (طه) .. ولأن الله تعالى قد أراد له الهداية فقد تذوق حلاوة القرآن ولأنه كان على علم بلغة القرآن، التى نزل بها فقد تأكد له من خلال تلاوته .. أنه لا يمكن أن يكون من كلام البشر .. (ولهذا) صرخ من أعماقه قائلا: دلونى على محمد .. فلما قال هذا .. خرج المختبىء وهو الخباب بن الأرت من مخبئه، وقال له: أبشر يا عمر .. لقد سمعت الرسول ﷺ يقول: **«اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين: عمرو بن هشام** (١) **أو عمر بن الخطاب»**، وها هى الدعوة قد أصابتك .. هلم بنا إلى رسول الله ﷺ .. (فذهب) مع زوج أخته ومع الخباب .. إلى دار الأرقم بن الأرقم (وهناك) أطرق الباب طرقة قوية عرف أيضًا طارقها .. (فعرف) الأصحاب الذين كانوا فى داخل الدار مع رسول ﷺ أن الطارق هو عمر .. (ولهذا) لم يجرؤ أحدهم على فتح الباب – لأنهم يعرفون أيضًا قوته – إلا الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه، (فإنه) قام وفتح

---

(١) وهو أبو جهل عليه لعنة الله.

الباب، ثم جذب عمر من تلابيبه جذبة هاشمية ، فكان عمر القوى فى يد الرسول لا شيء .. (ثم) قال له النبى ﷺ : «**أما آن لك يا بن الخطاب أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، (فقال) عمر: ما جئت إلا من أجل هذا .. (أشهد أن لا إله إلا الله وأن، محمدا رسول الله) فكبر الأصحاب تكبيرة ارتجت لها أرجاء مكة .. (ثم) جلس عمر رضي الله عنه بعد ذلك بين يدى الرسول ﷺ ، واستمع إلى القرآن من فمه الطاهر .. (ثم أراد بعد ذلك كذلك أن، يكون مسلما لا متمسلمًا .. فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال: نعم. قال: فلماذا نختبيء ؟ هل بنا يا رسول الله لنجهر بالدعوة أمام الملأ – وقد كان قول عمر هذا موافقا للوحى – ولهذا فقد خرج النبى ﷺ ، وخرج عمر على رأس الأصحاب الفضلاء – عليهم جميعا رضوان الله - .. (فكان) عيدًا كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه: كان إسلام عمر فتحًا،وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة .. ا. هـ .

(أتدرون) لماذا ؟ لأن عمر دخل الإسلام مؤمنًا ..

(وهذا) هو المطلوب .. لأن الإيمان هو الأساس ..

(بل) هو أساس الأساس .. كما قلت لكم قبل هذا .. (ولهذا) فقد رأيت بعد هذا التنبيه الهام – أن أذكركم ونفسى بكلام طيب جاء فى (الجزء الأول) من الدين الخالص ص٨ وما بعدها حيث يقول مشيرا إلى حقيقة الدين الذى لا وجود لنا، ولا حياة إلا به: (والدين): يطلق على الطاعة وعلى الطريقة الثابتة والملة المتبعة، فهو يشمل الشرائع كلها .. (فإذا) صدق العبد بكل ما جاء به النبى ﷺ فهو مؤمن .. (والإيمان) لغة التصديق القلبى .. قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف – عليه السلام -: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾ [يوسف: ١٧]: أى بمصدق

(وشرعا): التصديق بكل ما جاء به النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – واعتقاده اعتقادًا جازمًا، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر،

والقضاء والقدر.. (والتصديق) بالأوامر والنواهى كافتراض الصلاة وتحريم قتل النفس المعصومة [1] والزنا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[المجادلة: ٢٢].

(وعن) أبى ذر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة** » قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « **وإن زنى وإن سرق** » قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « **وإن زنى وإن سرق** » قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « **وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر** » . أخرجه أحمد والشيخان وابن ماجه .

(ثم) يقول بعد ذلك: (والإسلام) لغة: الإنقياد والإستسلام (ومنه) إيمان الأعراب الذين قالوا الله – تعالى – فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: ١٤]: لأنهم تلفظوا بكلمة الشهادة بلا تصديق (وشرعا): الإسلام: انقياد ظاهرى مع اعتقاد باطنى لكل ما جاء به النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وعلم من الدين بالضرورة، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج . (فكل) من الإيمان والإسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر وكل مؤمن مسلم، وكل مسلم – على هذا الأساس - مؤمن (لأن) المصدق ذلك التصديق للرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –، والخاضع هذا الخضوع لابد وأن يكون مصدقًا ذلك التصديق .. (فليكن) هذا هو مفهومنا عن الإيمان والإسلام .. حتى نكون من المؤمنين الحقيقيين المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى –:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٢- ٤] .

** (ثم) بعد ذلك لابد وأن نؤكد الإيمان هذا .. بالإستقامة التى هى: ملازمة

(١) أى التى لا يحل قتلها إلا بإحدى ثلاث: (الثيب الزانى، النفس بالنفس،والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخارى ومسلم .

الطريق، بفعل الواجبات وترك المنهيات .. (وهذا) يتطلب من الإخوة المسلمين. أن يكونوا على صلة بالقرآن والسنة .. حتى يكونوا على علم بالأوامر فينفذوها، وبالمنهيات فيجتنبوها .. (مثل) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٣] وقوله: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] .

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] .

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون بعدى أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: «تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم» متفق عليه .

(والأثرة): الإنفراد بالشيء عمن له فيه حق .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى، قال: «لا تغضب» فردد مرارا، قال: (لا تغضب) رواه البخارى .

(وعن) أبى ذر رضي الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»[1] رواه مسلم .

** (هذا)،وإذا كان الرسول ﷺ قد قال للرجل فى نص الحديث الذى ندور حوله: (قل آمنت بالله ..) فإنه ليس المراد – كما قد يتصور البعض أن يردد هذا بلسانه فقط .. ثم يكون سلوكه مخالفا لهذا القول .. (إنه) حينئذ لن يكون ..والعياذ بالله – صادقًا فى إيمانه .. (وإنما) سيكون البعيد عنا .. من المنافقين المشار إليهم فى قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠]

---

(١) أى بوجه ضاحك مستبشر .

(فلنكن) – إن شاء الله تعالى – على عكس هؤلاء المنافقين .. (حتى) نكون – إن شاء الله تعالى – من أهل الإيمان المؤكد بالإستقامة .. (لنكون) من المبشرين فى قول الله– تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ [فصلت: من الآية ٣٠] أى: عند الموت تبشرهم بقوله – تعالى –: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وفى التفسير: أنهم إذا بشروا بالجنة، قالوا: وأولادنا ماذا يأكلون وما حالهم بعدنا ؟ فيقال لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أى: نتولى أمرهم بعدكم .. فتقر بذلك أعينهم: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أى: تطلبون ﴿نُزُلًا﴾ أى: رزقًا مهيأ ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢] (١).

(نسأل) الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من أهل الإيمان والاستقامة المبشرين فى تلك الآيات الثلاث ..

والله ولى التوفيق،

---

(١) والشرح من الأربعين النووية ص ٢٥٤ ومن حاشية الصاوى على الجلالين ج٤ ص ١٩ وبتصريف كبير وإضافات .





خطب شهر ربيع الثاني

الخطبة الثالثة

«المعنى الحقيقي للحب الأخوي الذي لا يكمل الإيمان إلا به وأهم شروطه»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل فى الحديث القدسى يوم القيامة (أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى) (١).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**والذى نفسى بيده لا تدخلو الجنة حتى تؤمنوا،ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**» (٢).

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المتحابين فى الله، و المتجالسين فى الله، والمتزاورين فى الله: الذين وجبت لهم محبة الله (٣) والذين أعد الله تعالى لهم منابر من نور يوم القيامة (٤)،(فكانوا) لهذا أو من أجل هذا:

كما تحدث الله – سبحانه وتعالى عنهم فى قرآنه: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]

(وكانوا) رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى - عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الثالث من شهر ربيع الثانى الذى رأيت أن أدور معكم فيه حول حديث صحيح رواه البخارى ومسلم.

(عن) أبى حمزة أنس بن مالك – رضى الله تعالى عنه – خادم رسول الله ﷺ قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ».

*(فهذا) الحديث كما هو واضح من نصه .. من جوامع كلم الحبيب المصطفى

---

(١) رواه مسلم: كما أخبر النبى ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ.

(٣) كما جاء فى حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ بإسناد صحيح.

(٤) كما جاء فى حديث رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح. (انظر ص ١٧٩ من رياض الصالحين – للإمام النووى).

– صلوات الله وسلامه عليه – .. (وهو) أيضًا من الأحاديث الهامة التى ينبغى أن يدرسها جميع المسلمين حتى لا يستطيع الشيطان أن يفرق بينهم ..(فقد) ورد فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم**» (١) .

(وهذا) معناه – كما أشرت – أنه لابد وأن يكون هناك تراحم وتلاحم وتعاطف بين المسلمين والمسلمات حتى لا يستطيع الشيطان أن يدخل فى صفوفهم (وذلك) لن يكون إلا بالحب الصادق المشار إليه فى الحديث الصحيح الذى ندور حوله .. (بمعنى) أن نفهم جميعا أننا إخوة ينبغى أن يكونوا كمؤمنين صادقين على قلب رجل واحد ..(حتى) يكونوا كما وصفهم الرسول ﷺ أو كما تحدث عنهم فى الحديث الشريف الذى ورد (عن) أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» (٢) .

*(وعن) النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (٣) .

* (وعنه) أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ : «**المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله**» (٤) .

(ففى) هذه الروايات الثلاثة (يشير) النبى ﷺ إلى أهم مظاهر الحب الأخوى لله وفى الله: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١] (٥) .. (ويوم) أن تتحقق الولاية هذه .. (فإنه) لن يكون بيننا جائع ولا محروم، ولكننا فى استغناء كامل عن الشرق والغرب .

---

(١) رواه مسلم .. (والتحريش)، أى تغيير القلوب والتقاطع .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم: (وتداعى) أى كأن بعضه دعا بعضا فى الأساس .. وتداعت عليهم الحيطان، أى تهدمت، وتداعت إبل فلان: أى هزلت أو أهلكت .. فيظهر أن ما فى هذا الحديث من هذا القبيل.
(٤) رواه مسلم .
(٥) من حديث رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(هذا) بالإضافة إلى الثواب المشار إليه فى قول الرسول ﷺ : «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ..**» [1] .

**(ولا سيما) إذا كانوا من أولاد المتصدق أو أهله، أو ذوى قرباه ..

(فعن) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أحدكم فقيرا فليبدأ بنفسه، وإن كان فضلٌ [2] فعلى عياله، وإن كان فضل فعلى ذوى قرابته، أو قال: ذوى رحمه، وإن كان فضل فها هنا، وها هنا**» [3] .

*(وقال): (تصدقوا) قال رجل: عندى دينار، قال (تصدق به على نفسك) قال: عندى دينار آخر، قال: (تصدق به على زوجتك)، قال: عندى دينار آخر، قال: (تصدق به على ولدك)، قال: عندى دينار آخر، قال: (تصدق به على خادمك) قال عندى دينار آخر، قال: (أنت به أبصر) [4] .

*(وقال): « **كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت**» [5] .

*(وقال): «**أفضل الصدقة: الصدقة على ذى الرحم الكاشح** [6]» [7] (ويشترط) لكى تكون الصدقة مقبولة عند الله: (أن تكون) خالية من المنّ أو الأذى أو الرياء، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقوله: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً**﴾ [البقرة: ٢٦٣] .

**(فعلى) الإخوة المسلمين والمسلمات أن، يلاحظوا كل هذا، وينفذوا المراد منه (لأنه) هو المفتاح الحقيقى لجميع القلوب المغلقة على ما فيها من الأحقاد ..

---

(١) من حديث رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه .
(٢) أى فائض عنده من المال .
(٣) رواه أحمد ومسلم .
(٤) رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصححه .
(٥) رواه مسلم وأبو داود .
(٦) الكاشح: أى الضمير والعداوة فى باطنه .
(٧) رواه الطبرانى والحاكم وصححه .

والتفكير فى إيذاء الآخرين من هؤلاء الذين لا يصلون إخوانهم الفقراء بما ييسر عليهم أعباء الحياة .. (ويوم) أن تتفتح القلوب هذه بالبر البعيد عن المن والأذى .. (فإنه) لن يكون هناك بغض أو كره (وإنما) سيكون فى القلوب الطاهرة – إن شاء الله – البديل الذى يحبه الله ورسوله وسائر المؤمنين (ألا) وهو الحب لله وفى الله (الذى) لن يكمل الإيمان إلا به .. كما أشار النبى ﷺ فى نص الحديث الذى ندور حوله ..

(وقد) رغب النبى ﷺ فى هذا الحب:

* (فعن) أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار**»[1].

(وعن) معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[2].

** (هذا) وإذا كان المراد من الحديث الأول الذى ندور حوله، هو الترغيب والتنبيه على كل من يريد أن يكمل إيمانه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. (فإننى) أرى أن أستمع معكم الآن إلى ما جاء فى الأربعين النووية حول شرح هذا الحديث .. (فلقد)قال ما نصه:

* (قوله) ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»: الأولى أن يحمل ذلك على عموم الإخوة حتى يشمل الكافر والمسلم: فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، (ولهذا) كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبًا .. (والحديث) محمول على نص الإيمان الكامل على من لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه (والمراد) بالمحبة إرادة الخير والمنفعة (ثم) المراد المحبة الدينية، لا المحبة البشرية (فإن) الطباع البشرية قد تكره الخير وتمييز غيرها عليها،والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه، ويتمنى له ما يحب لنفسه، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسودا.

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

(ثم يقول): والحسد كما قال الغزالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (الأول) أن يتمنى زوال نعمة الغير، وحصولها لنفسه (الثانى) أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل له، كما إذا كان عنده مثلها، ولم يكن يحبها، وهذا أشر من الأول (الثالث): أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير، ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة، ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة (وهذا) أيضًا محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فمن لم يرضى بالقسمة فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته، وعلى الإنسان أن يعالج نفسه، ويحملها على الرضا بالقضاء، ويخالفها بالدعاء بما يخالف النفس .. (وينتهى) بهذا قول الإمام النووى [1] (وأحب أن أضيف إلى قوله عن الحسد المذموم، قول القائل:

ألا قل لمن بات لى حاسدًا ... أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت إلى الله فى فعله ... كأنك لم ترض لى ما وهب

فكان جزاؤك أن خصنىً ... وسَدَّ عليك طريق الطلب

(كما) أحب أن أذكر الإخوة الفضلاء بأنه إذا كان هناك كما سمعنا ما يسمى بالحسد المذموم .. (فإن) هناك ما يسمى كذلك بالحسد المحمود الذى لا يكون إلا فى شيئين: (فعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله مالًا فسلطه على هلكته [2] فى الحق [3]، ورجل أتاه الله الحكمة [4] فهو يقضى بها ويعلمها»** [5] .

(وهذا) معناه: أنه يجوز للإنسان إذا رأى إنسانًا مؤمنًا منَّ الله عليه بالمال الحلال، ورآه ينفق منه فى أبواب الخير المشروعة .. أن يسأل الله تعالى أن يعطيه مثله

---

(١) انظر الأربعين النووية شرح الحديث الثالث عشر ص ٣٩، ٤٠ .
(٢) يعنى على إهلاكه وإنفاقه .
(٣) أى .. فى وجوه الخير والبر التى أمر الله بالإنفاق فيها .
(٤) وهى العلم النافع والفقه فى الدين .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

حتى ينفق مثله .. (وكذلك) إذا رأى إنسانًا منَّ الله تعالى عليه بالعلم النافع، ورآه يقضى به ويعلمه للناس .. (فإنه) لا مانع شرعا أن يسأل الله تعالى أن يعلمه مثله حتى يعلم الناس مثله (فهذا) حسد محمود لا حرمة فيه .. (أما) الحسد المذموم، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود .. (وهو حرام) كما علمنا قبل هذا .. ينبغى علينا أن نستعيذ بالله تعالى منه بالمعوذتين (١) .. أو بالدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ وهو « **أعوذ بكلمات الله التامة** (٢)، **من كل شيطان وهامة** (٣)، **ومن كل عين لامه** (٤)» أى حاسدة .

**(وأحب) أن أذكر الإخوة المسلمين كذلك .. (بأنه) من كمال الإيمان (أن) نكره لإخواننا المسلمين ما نكره لأنفسنا: من مرض، أو جهل، أو مصائب فى الدين، أو فى الأهل، أو فى المال، أو فى الولد .. الخ .

(وأحب) فى الختام أن أدعوهم جميعًا وأدعوا نفسى .. للمساهمة فى (بنك المحبة) الذى أسسه الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –، وساهم فيه مع أصحابه الفضلاء بقسط كبير من المحبة والأخوة الصادقة لله وفى الله ..

(وهو): (بنك خزائنه فى القلوب، وسبائكه من نور، شيكاته ابتسامات، وعُملته السهلة الصفاء، سنداته الإخلاص، وضماناته المعروف، وهو يتسع لكافة المعاملات، لا تصدمك أرقامه، ولا يفزعك تقلب أسعاره، يدوم دوام المحبة، والمحبة زهرة إن ذبلت يومًا عاش عطرها أبدًا .. لا يفرق بين الناس وفقًا

---

(١) أى بسورتى: ﴿قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس﴾ .

(٢) وهى القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور .. وصحف إبراهيم وموسى والأحاديث القدسية .

(٣) والهامة: أى الثعابين والعقارب .

(٤) واللامة: أى الحاسدة .

لوضعهم المادى بل إن أولاهم بثقتة من عظمت تضحيته، وأوفرهم رصيدا من شفَّ قلبه حنانًا، ورقت روحه سلاما .. يجمع القلوب ولا يجمع الأرقام .. يحصى الخير ويطرح السيئات، ولا يبالى إلا بالكلمة الطيبة .

لو تعامل الناس مع هذا البنك .. لتناسَوا أحقادهم، وارتفع رصيدا إنسانية كل منهم إلى ما فوق الغنى، وغنى النفوس لا يقدر بمال، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء) .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعًا من المساهمين فى بنك المحبة وأن يجعلنا كذلك أهلًا لأن نكون من المتحابين لله وفى الله .. إلى يوم أن نلقاه .

والله ولى التوفيق،





خطب شهر ربيع الثاني

الخطبة الرابعة

«النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: من الآية ١٢٥].

وأشهد أ، سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله المنزل عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥] اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الدعاة المخلصين والحكماء الناصحين. (الذين) كانوا يدعون إلى الله على بصيرة اقتداء بحبيبهم المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - .. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله - سبحانه وتعالى عنهم - فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد - صلوات الله وسلامه عليه - (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا، فى اللقاء الرابع من شهر ربيع الثانى، الذى رأيت أن يكون لقائى معكم فيه، حول حديث صحيح رواه مسلم (عن) أبى رقية تميم بن أوس الدارى - رضى الله تعالى عنه - أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: **(الدين النصيحة)** قلنا لمن ؟ قال: **(لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)**.

(ولكى) أدور معكم حول هذا الحديث الهام . الذى لابد وأن نقف على المراد منه .. (فإننى) أرى أن أستمع معكم (أولًا) إلى ما كتبه الإمام النووى، تعليقًا على هذا الحديث فى (شرح الأربعين النووية)، حيث يقول ما نصه [1]: قوله صلى الله علي وآله وسلم « **الدين النصيحة: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»: قال الخطابى: (النصيحة) كلمة جامعة معناها، حيازة الحظ للمنصوح له .

---

(١) انظر الأربعين النووية ص ٢٧، ٢٨، ٢٩ حول شرح الحديث السابع ٧.

(وقيل): النصيحة مأخوذة من: نصح الرجل ثوبه إذا خاطه .. (فشبهوا) فعل الناصح بما يتحراه من صلاح المنصوح له، بما يسد من خلل الثوب ..(وقيل): إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع . (شبهوا) تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط ..

(قال) العلماء: أما (النصيحة لله تعالى)، فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله، ونفى الشرك عنه، وترك الإلحاد فى صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها.. (وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، ومودة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والإعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص فى جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف بجميع الناس،أو من أمكن منهم .. (وحقيقة) هذه الأوصاف راجعه إلى العبد فى نصحه نفسه، والله – تعالى – غنى عن نصح الناصح ..(ثم يقول) الإمام النووى – عليه رحمة الله –: (وأما النصيحة) لكتاب الله – تعالى –: (فالإيمان) بأنه كلام الله – تعالى –، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الناس ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها،والخشوع عندها، وإقامة حروفه فى التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين،والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله والإعتبار بمواعظه،والتفكر فى عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه،والبحث عن عمومه وخصومه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه إلى ما ذكرناه من نصيحته، ثم يقول: (وأما النصيحة) لرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – .. (فتصديقه) على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته فى أمره ونهيه، ونصرته حيًا وميتا ومعاداة من عاداه،وموالاة من والاه، وإعظام حقه،وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، ونفى التهم عنها، ونشر علومها، والفقه بها، والدعاء لها، والتلطف فى تعلمها وتسليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قرائتها، والإمساك عن الكلام، ومحبة أهل بيته وأصحابه،ومجانبة من ابتدع فى سنته،أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك .

(ثم) يقول: (وأما النصيحة) لأئمة المسلمين .. (فمعاونتهم) على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق، و إعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم..

(قال) الخطابى:ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم،وأداء الصدقات إليهم،وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف، أو سوء عشرة، وألا يُغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح ..(قال) ابن بطال – رحمه الله تعالى –، (فى) هذا الحديث: إن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ..(قال): والنصيحة فرض يجزىء فيه من قال به، ويسقط عن الباقين .. (قال): والنصيحة واجبة على قدر الطاقة، إذا علم أن يقبل نصحه ويطاع أمره،وأمن على نفسه المكروه، فإن خشى أذى، فهو فى وسعه، – والله تعالى أعلم – .

(فإن) قيل: (ففى) صحيح البخارى أنه – صلى الله عليه وآله وسلم –، قال: (إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له)، وهو يدل على تعليق الوجوب بالإستنصاح لا مطلقًا .. (ومفهوم) الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق (فجوابه): أنه يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية، كنكاح امرأة، ومعاملة رجل ونحو ذلك، والأول يحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم ..والله تعالى أعلم .. ا.هـ.

**(والآن) أيها الإخوة (أريد) أن أقول شيئًا، (وهو) أن الناصح بصفة عامة (لابد) وأن يكون نصحه على أساس من الصدق والأمانة .. (حتى) يكون نصحه مُؤديًا للهدف الأسمى منه (ولا سيما) إذا كان النصح هذا: (لأئمة المسلمين وعامتهم) كما قرأنا عن السادة الأوائل الذين كانوا لا يخشون إلا الله – تبارك وتعالى – ..

(وقد) قرأت أن، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى (طاووس) – رحمه الله تعالى– كتابًا يسأله فيه عن بعض ما هو فيه، فأجابه بعشر كلمات لم يزده حرفًا، فقال: (سلام عليك يا أمير المؤمنين، فأن الله عز وجل أنزل كتابًا،وأحل فيه

حلالًا، وحرم فيه حراما، وضرب فيه أمثالًا، وجعل بعضه محكمًا وبعضه متشابهًا: فأحل حلال الله، وحرم حرام الله، وتفكر فى أمثال الله، وأعمل بحكمه، وآمن بمتشابهه والسلام عليك)[1].

(ولم) يكن عمر بن عبد العزيز ﷺ يطلب النصح من العلماء فحسب .. (وإنما) كان يحسن اختيار الصاحب .. (فعن) سلام بن سليم قال: لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكانت أول خطبة خطبها – حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا ايها الناس .. من صحبنا فليصحبنا بخمس،و إلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخبر بجهده ويدلنا من الخير على مالا نهتدى إليه،ولا يغتابن عندنا الرعية،ولا يعترض فيما لا يعينه).

(إنه) – عليه رضوان الله –، قد وضع النقط على الحروف . التى ينبغى أن يضعها جميع الرؤساء والمسئولين فى كل زمان ومكان .. حتى يستطيعوا أن يحققوا العدل الذى هو (أساس) الملك، وذلك لأن اختيار الصاحب على المستوى العام والخاص هو الأساس الذى لابد وأن نلاحظه .. (وإلا) كان التخبط والتردى فى أسباب المهالك بسبب هذا الصاحب السوء (ولهذا)، فإن اختيار الصاحب .. كان هو شغلهم الشاغل .. (وقد) قرأت حول أهم الأوصاف التى ينبغى أن تكون من أهم أخلاق الصاحب .. (أن) عليًا ﷺ قال: (لا يكون الصديق صديقًا، حتى يحفظ أخاه فى ثلاث: فى نكبته، وغيبته، ووفاته)، (وقال) عمر ﷺ : (ثلاث يثبتن الود فى صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وأن توسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه).

(وقال) آخر: (أبعد الناس سفرًا من كان سفره فى طلب أخ صالح) وقال أبوالحسن:

تطلبت فى الدنيا خليلًا فلم أجد ... وما أحد غيرى لذلك واجد
فكم مضمر بغضًا يريك محبة ... وفى الذند نار، وهو فى اللمس بارد

---

(١) انظر الوصايا الخالدة ص١٣٨ للأستاذين / عبد البديع صقر، ومصطفى جبر (الناشر مكتبة وهبة).

(وهذا) كله يشير إلى أن العثور على الصاحب الأمين قد لا يكون ميسرًا (ولهذا) فإنه ينبغى علينا إذا عثرنا عليه . (أن) نحافظ عليه وأن نستمع إلى نصحه ..(ولاسيما) إذا كان عالمًا عاملًا .. بكل تواضع وإعتزاز .. (فقد) قرأت أن (سعيد) بن المسيب رضي الله عنه ذات ليلة كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت، وهو إذ ذاك أمير المدينة فرفع سعيد صوته وقال: أيها المصلى إن كنت تريد الله بصلاتك: فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس: فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا.. (فسكت) وخفف ركعته ثم أخذ نعله وخرج (وهذا) نموذج قد لا يكون موجودًا فى هذا الزمان .. (ولكن) لابد وأن نذكر الأمراء به حتى يقتدوا بأسلافهم من الأمراء المؤمنين العادلين الذين قل أن يجود الزمان بمثلهم ..

(ومن) الصور النادرة التى يسعدنى أن أذكر بها الإخوة الأمراء، ما جاء فى نصه[1] تحت عنوان: (واعظ الرشيد): قال الفضيل بن الربيع: حج هارون الرشيد فأتانى فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىَّ لأتيتك، فقال: ويحك قد حاك فى نفسى شيء، فانظر لى رجلًا، فقلت ها هنا سفيان بن عيينه . فقال امض بنا إليه .. فأتيناه . فقرعت الباب، فقال: من هذا ؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى لأتيتك ...قال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحادثه ساعة، ثم قال: عليك دين ؟ فقال: نعم، فقال: يا عباس اقض دينه .. فلما خرجنا قال لى: ما أغنى صاحبك عنى شيئا انظر لى رجلًا أسأله، قلت: هذا هذا عبد الرازق بن همام .. قال: امض إليه .. فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من هذا ؟ قلت: أجب أمير المؤمنين .. فخرج مسرعًا فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلىَّ لأتيتك .. فقال: خذ لما جئناك له .. فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دين ؟ قال: نعم قال: يا عباس اقض دينه .. فلما خرجنا، قال ما

---

(١) فى المتفرقات للشيخ أحمد عيسى هاشور – عليه رحمة الله – ج١ .

أغنى صاحبك عنى شيئًا .. انظر لى رجلا أسأله .. قلت: الفضيل بن عياض .. قال: امض بنا إليه .. فأتيناه، فإذا هو قائم يصلى، ويتلو آية من القرآن يرددها .. قال: اقرع الباب فقرعت الباب . فقال: من هذا ؟ قلت: أجب أمير المؤمنين: قال: مالى ولأمير المؤمنين . فقلت: سبحان الله أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير المؤمنين قبلى إليه، قال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله عز وجل . فقلت فى نفسى ليكلمه الليلة بكلام من قلب تقى .. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله .. فقال الفضيل: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى ابتليت بهذا البلاء، فشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة .. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها الموت .. وقال محمد بن كعب إن أردت النجاة من عذاب الله: فليكن كبير المؤمنين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك . وقال رجاء ابن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله – عز وجل –فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إن شئت .. (وإنى) أقول لك:إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام (فهل) معك رحمك الله مثل هؤلاء، أو من يشير عليك بمثل هذا (فبكى) هارون بكاء شديدًا حتى غشى عليه .. فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين.. بلغنى أن عاملًا لعمر ابن عبد العزيز رحمه الله شكا إليه، فكتب إليه عمر يا أخى أذكرك سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك العمل عن الله، فيكون ذلك آخر العهد بك وانقطاع الرجاء منك .. فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن العزيز، فقال له: ما أقدمك ؟ قال: خلعت قلبى بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله – عز وجل فبكى هارون بكاء شديدًا فقال له؟ ذدنى رحمك الله، فقال له:

يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبى ﷺ جاء إليه فقال: يا رسول الله أمرنى على إمارة، فقال له النبى ﷺ : «**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل**» فبكى هارون بكاء شديدًا، ثم قال: زدنى - رحمك الله -، فقال: يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن أردت أن تقى هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن، النبى ﷺ قال: (من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة)، (فبكى) هارون،وقال له عليك دين ؟ قال: دين لربى لم يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى .. (قال) إنما أعنى دين العباد .. قال: إن ربى لم يأمرنى بذلك إنما أمرنى أن أصدق وعده،وأطيع أمره، فقال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٦: ٥٨]، (فقال له) هارون: هذه ألف دينار خذها أنفقها على عيالك،وتقوى بها على طاعة ربك .. (قال): - سبحان الله - . أنا ادلك على طريق النجاة،وأنت تكافئنى بمثل هذا .. سلمك الله ووفقك .. (ثم) صمت ولم يكلمه .. فخرجنا من عنده .. لما صرنا إلى الباب قال هارون: إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا .. هذا سيد المسلمين .. (فدخلت) عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا ألا ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به؟ فقال لها: مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه... (فلما) سمع هارون الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال .. (فلما) علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة (فجاء) هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه .. قال الفضل: فبينما نحن كذلك إذا خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ فانصرف رحمك الله .. فانصرفنا .. !! ا. هـ .

(ففى) هذه الصورة النادرة .. نستطيع أن نفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة.. (كما) نستطيع أن نتعلم (نحن) العلماء بصفة خاصة .. كيف تكون

النصيحة للأمراء .. (كما) يستطيع الإخوة الأمراء كذلك أن يلاحظوا كيف كان الأمراء يستمعون إلى العلماء العاملين وهم ينصحونهم بكل أدب وخشوع .. (ولابد) أن نلاحظ كذلك قول الرسول ﷺ : (إثنان إذا صلحا صلحت الرعية، وإذا فسدا فسدت الرعية: العلماء والأمراء) فقد بدأ بالعلماء .. لأن العلماء هم القدوة .. (ولسوف) أدور معكم فى اللقاء القادم – إن شاء الله - .. حول النصيحة للعامة والأهل و المال والولد ..

والله ولى التوفيق .



خطب شهر ربيع الثاني

الخطبة الخامسة

«النصيحة للعامة والأهل والمال والولد»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه -: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [الأعلى:٩-١٣].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٣].

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين انتفعوا بتذكير الرسول ﷺ لهم، فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (ها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الخامس من شهر ربيع الثانى الذى كنت قد وعدت فى ختام اللقاء الماضى بأننى سأعود معكم فيه إلى موضوع النصيحة للعامة، والأهل والمال، والولد .. (وذلك) حتى تتم الفائدة بالنسبة لموضوع النصيحة الذى هو من أهم المواضيع التى ينبغى أن نركز عليها دائمًا وأبدًا .. (وذلك) أيضًا .. لأننا بصفة عامة .. وبدون النصيحة على المستوى العام والخاص ستتخبط فى ظلمات الضلالة وسنكون كالريشة المعلقة فى الهواء تميلها الريح حيث مالت .. (ولهذا) فقد قال أحدهم فى تعريف الموعظة التى هى النصيحة: (الموعظة موقظة للقلوب من سِنة [1] الغفلة، ومنقذة للبصائر [2] من سكرة الحيرة، ومحيية لها

---

(١) قال مجاهد: السنة: أى النعاس .

(٢) قوة الإدراك والفطنة .

من موت الجهالة، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة) ولا سيما إذا كانت الموعظة هذه – أو النصيحة هذه من قلب عامر بالإيمان،كما يشير إلى هذا أحدهم في قوله:

مــواعظ الــواعظ لنــا تُقــبلاً ... حتــى يعيهــا قلبــه أولا

يــا قــوم مــن أظلــم مــن واعــظ ... خــالف مــا قــد قالــه فى المــلا

أظهــر بــين الخلــق إحســانه ... وخــالف الــرحمن لمــا خــلا

(ولابد) كذلك وأن يكون من أهل الحكمة التى هى شجرة تنبت فى القلب وتثمر فى اللسان ..(وقد) أثنى الله – سبحانه وتعالى – على الحكمة فقال: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ، ووصف الله بها لقمان – عليه السلام – فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢] وقال ﷺ : **قلب ليس فيه من الحكمة شيء كبيت خراب ولا عامر له**» وقال ﷺ : «**الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها**» وقال لقمان: (إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر) وقال ابان بن مسلم: (كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك لأن المال يطغيك، والكلمة من الحكمة تهديك)، وقال بقراط: (من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما) .

** (ولكى) تتحقق الحكمة هذه، وتؤدى الثمار المطلوبة منها . فإننى أرجوا من الأخ الناصح أن يحقق المراد من قول القائل الحكيم [1]:

وإذا طلبــت إلى كــريم حاجــة ... فلقــاؤه يكفيــك والتســليم

أتــرك مجــازاة الســفيه فإنهــا ... نــدم وغــب [2] بعــد ذاك وخــيم [3]

يــا أيهــا الرجــل المعلــم غــيره ... هــلاَّ لنفســك كــان ذا التعلــيم

نصــف الــدواء لــذى السقام [4] وذى ... كــيما يصــح بــه وأنــت ســقيم

---

(١) وهو أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) أى العاقبة .

(٣) أى السيىء .

(٤) أى المرض .

وتـراكُ تصـلح بالرشـاد عقولنـا	أبـدا وأنـت مـن الرشـاد [1] عـديم
إبـدأ بنفسـك فانهـا عـن غيهـا [2]	فـإذا انتهـت عنـه فأنـت حكـيم
فهنـاك يسـمع مـا تقـول ويهتـدى	بـالقول منـك وينفـع التعلـيم
لا تنـه عـن خلـق وتـأتى مثلـه	عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم

** (هذا)، وإذا كان لى بعد هذا التمهيد الهام .. أن أتحدث معكم عن:

** (النصيحة للعامة): فإننى أعنى بها أن أكون ناصحًا لهم بما ينبغى أن يكونوا على علم به .. حتى لا يكون هناك شطط فى جميع مراحل حياتهم .. بما يناسب كل حال من أحوالهم .. فالتاجر له نصح يتعلق بتجارته، والصانع له نصح يتعلق بصناعته، والموظف له نصح يتعلق بوظيفته، والصديق له نصح يتعلق بصداقته، والجار له نصح يتعلق بحسن جيرته .. (وهكذا) حتى يكون هناك التزام أخلاقى يكون سببًا فى استمرار الحياة النظيفة التى بدونها ستكون بطن الأرض خير من ظاهرها.. (وهناك) خلق فاضل ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى وصف المؤمنين، وفيه يقول: (عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه، دينهم النصيحة، وخُلُقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..)

(وأنا) أنصح كل فرد من العامة .. بأن يكون متخلقا بهذا الخلق الكريم .. الذى لا شك أنه سيكون سببًا فى التزام كل فرد منهم فى موقعه بالأصول الثابتة فى مكارم الأخلاق .. التى من أهمها عدم الخروج على حدود الشرع، وعدم الخروج على الأصول المتعلقة بهذا العمل الشريف الذى قد كلف بأدائه .. وكذلك بالنسبة لكل طرف سيتعامل معه على أساس من الصدق وعدم التقصير .. (وإن) أهم ما

---

(١) أى الهدى

(٢) أى الضلال .

أريد أن أذكرهم به، هو قول الرسول ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا).

(مع ملاحظة) أن جميع أركان الإسلام تدعو إلى مكارم الأخلاق ...

(فالتوحيد) كان أساسًا فى عدم الفساد فى هذا الكون .. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] (والصلاة) ما شرعت إلا لتنهى عن الفحشاء والمنكر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(والزكاة): ما أمر الله تعالى رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بأن يأخذها من أغنياء المسلمين ليعطيها لفقرائهم إلا لكى يطهرهم ويزكيهم بها فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٨٣] (والصيام): ما كتبه الله تعالى على المؤمنين كما كتبه على الذين من قبلهم إلا لكى يكون سببًا فى تحقيق التقوى فيهم .. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] (والحج): لابد وأن يلتزم فيه المؤمنون هناك فى الأراضى الحجازية بالأخلاقيات الكريمة المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] (وذلك) حتى يعودوا من هناك كيوم ولدتهم أمهاتهم .. (وعلى هذا) فإننا نوصى العامة والخاصة بتنفيذ أركان الإسلام تنفيذًا حقيقيًا بالإضافة إلى الأخلاقيات الكريمة المشار إليها قبل ذلك حتى يكونوا جميعا أهلا لفضل الله دون شطط أو خسران .

* (وكذلك) أوصى بهذا الأهل الذين هم الأقارب غالبًا، وقد يطلق هذا كثيرًا على الزوجة .

(ولا سيما) بالنسبة للصلوات الخمس .. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله للحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه -: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] .. (وذلك) لأن الصلاة بالنسبة للدين كالرأس بالنسبة للجسد .. (والأهل) فى الآية هم أمة النبى ﷺ جميعًا كما قال القرطبى فى تفسيره [(١)].

---

(١) ص ٢٦٣ جـ١١ الطبعة دار الكتب .

(ولا بأس) [1] أن يراد بالأهل فى الآية : كل مسلم ، تستطيع أن تأمره بالصلاة .. فالمسلمون جميعا أخوة، والإخوة أهل، والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجب ، بل هو من أهم الواجبات ، ولا ريب أن ترك الصلاة من أكبر المنكرات.. (لهذا) وجب على ولى أمر المسلمين – على الخصوص – أن يأمر تارك الصلاة بإقامتها، فإن أقامها فيها ونعمت..وإلا حمله عليها قسرا [2] ، وذلك بأن يعذبه بالضرب والسجن ،ولو أدى تعذيبه وسجنه إلى موته .. (ويجب) أن يقوم بهذا الأمر – أعنى الأمر بإقامة الصلاة – العلماء أيضا .. (فهم) أولياء الأمر شرعاً ،وهم شركاء الوالى فى إصلاح شئون المسلمين ، وهم المسئولون أمام الله ، عن كل انحراف ، وعن كل فريضة من فرائض الإسلام .

(والزوجة) يطلق عليها لفظ الأهل كثيراً – كما علمنا قبل هذا – (ولهذا) فإنه يجب على الزوج أن يأمرها بالصلاة ، من أول ليلة تدخل عليه فيها ،أمراً لا هوادة فيه .. (فإن) امتثلت لأمر الله ، فذلك توفيق من الله ، يحمد عليه .. (و إلا) وجب عليه – أولاً – أن يعظها، ويذكرها بعذاب الله – عز وجل – ، ويحذرها مقته وغضبه ، فإن قبلت النصح ، فذلك . و إلا وجب عليه أن يهجرها فى المضجع ،فإن خضعت لأمر الله – تعالى – وأقامت الصلاة ، فبها .. و إلا ..وجب عليه أن يضربها – ضرباً غير برح – حتى تفىء إلى أمر الله ، وتقيم الصلاة (فالزوجة) : هى ربة البيت ، وهى مدرسة لأولادها ، وهى الأمينة على مال زوجها وعرضه .. (فإن) أقامت الصلاة صح دينها وصلح حالها، واقتدى بها أولاده، فصلوا بصلاتها، فيكون بيتها مثلاً صالحًا للبيوت المؤمنة .

(والمرأة) التى تستنكف أن تقيم الصلاة ، أو تتكاسل عن أدائها، امرأة لا دين لها، و بالتالى لا أمان ، ولا أمانة لها (وقد) أوصانا النبى ﷺ : أن ننكح ذات الدين فقال: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (ومعنى) الظفر : نهاية البغية (أى):

---

(١) كما جاء فى الفقه الواضح جـ٢ ص١٩ وما بعدها . بتصرف يسير .

(٢) قسره على الأمر : أى أكرهه عليه وقهره (مختار الصحاح) ص ٥٣٤ .

وليكن أسمى ما تبتغيه من الزوجه: دينها، فإن لم تفعل تربت يداك، أى افتقرت حتى تلتصق بالتراب، من شدة الحاجة [1] . (والحديث رواه البخارى) .

** (وأما) عن النصيحة بالنسبة للمال .. (فهى) تخليصه وتنقيته من الشوائب الحرامية [2] حتى يكون حلالًا خالصًا (وهذا) معناه، أنه ينبغى على الأخ المؤمن أن يتحرى الحلال دائمًا وأبدًا فى كل مصادر رزقه ورزق أولاده .. حتى يبارك الله - تعالى - له فى هذا الرزق .. (وبالتالى) حتى يبارك الله - تعالى - له فى مأكله ومشربه وملبسه (وحتى) تكون البركات فى بيته وفى جميع أولاده (مع) ملاحظة أنه إذا اختلط الحرام بالحلال كان سببًا فى ضياعه .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

جمع الحرام على الحلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعثره

(وقد) ورد فى الحديث: «**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**» [3] (وكان) أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (كنا نترك [4] سبعين بابا من الحلال، مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام) .

** (وأما) عن النصيحة للولد: فإنها تكون بوعظه وإرشاده .. بكل ما فيه ترغيب له فى فعل الخيرات وترك المنكرات ..

(وليكن) هذا النصح بوصية لقمان الحكيم لولده، كما يحكى الله تعالى فيقول: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي**

---

(١) قيل: إن المعنى المراد من كلمة: « تربت يداك » أى ربحت يداك .. لأن التراب من أهم مصادر الخير .

(٢) كما جاء فى شرح المغنى المراد من كلمة نصيحة .. (انظر شرح الحديث فى الأربعين النووية ص ٢٧ شرح الحديث السابع .

(٣) وهو حديث ورد نحوه فى حديث رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٤) والمعنى: كنا ولا زلنا، مثل قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ .

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩].

(ولسوف) أدور معكم - إن شاء الله تعالى - فى اللقاء القادم حول هذا الموضوع بتوسع ..

والله ولى التوفيق .





خطب شهر جمادى الأولى

الخطبة الأولى

((وصايا لقمان الحكيم لولده))



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ [لقمان: ١٢]

وأشهد أن، سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «الحكمة ضالة المؤمن .. » اللهم صل وسلم عليه وآله وأصحابه الذين مَنَّ الله – تعالى – عليهم بالكتاب والحكمة اللذين هما القرآن والسنة .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] (فكانوا) من أهل الحكمة [١]

(وكانوا) رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الأول من شهر جمادى الأولى الذى وعدت فى ختام اللقاء الماضى .. أن أدور معكم فيه حول (وصايا لقمان الحكيم في القرآن الكريم) تفصيلاً بعد أن استمعنا إليها إجمالًا .. (وإذا كان) لى أن أبدأ فى تنفيذ هذا الذى وعدت به .. (فإننى) أرى أن أقف معكم أولًا وبإيجاز على تعريف سيدنا لقمان .. (فهو) [٢]: لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر .. (فعلى هذا) هو ابن أخى إبراهيم الخليل – عليه السلام –، وقيل كان ابن أخت أيوب – عليه السلام –، (وقيل):

---

(١) وهم أهل الصواب فى القول والعمل .. بالإضافة إلى أنهم من أهل السنة .

(٢) كما جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين ج٣ ص١٩٤، وما بعدها ..

كان ابن خالته (ويقال) أنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود – عليه السلام – .. (واتفق) العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا إلا عكرمة والشعبى فقالا بنبوته .. (وقيل): خُير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة .. (وروى) أنه كان نائمًا فى وسط النهار فنُودى: يا لقمان: هل لك أن يجعلك الله – خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت، فقال: إن خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء .. (وإن) عزم على فسمعًا وطاعة، فإنى أعلم أن الله –تعالى –إن فعل ذلك أعاننى و عصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان ؟ قال: إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان . إن عدل نجا وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة .. ومن يكن فى الدنيا ذليلًا [1] خير من أن يكون شريفًا .. ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يُصب الآخرة (فعجبت) الملائكة من حسن منطقه (فنام) نومة فأُعطىَ الحكمة .. فانتبه وهو يتكلم بها .. (ثم) نودى بها داود بعده فقبلها .. (وكان) لقمان يوازر [2] داود لحكمته وقيل كان خياطًا .. (وقيل): كان راعيًا للغنم (وقد) روى فى هذا: أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلانًا الراعى؟ قال: بلى . قال: فبم بلغتَ مابلغتَ ؟ قال: (بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنينى) .

* (مع) ملاحظة: أن الحكمة هى العلم والعمل .. (ولا) يسمى الرجل حكيمًا حتى يجمعهما .. (وقيل): الحكمة: المعرفة والأمانة .. (وقيل): هى نور فى القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر .. (هذا) وإذا كان لى أن أبدأ الآن فى شرح الآيات البينات التى وردت فى جملتها الوصايا. (ومن) أول قوله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] أى التى منها العلم والديانة والإصابة فى القول .. (وحكمه) كثيرة مأثورة .. (وورد) أنه كان يفتى قبل بعثة داود – عليه السلام – .. وأدرك

---

(١) أى فقيرا .
(٢) أى كان وزيرا لداود – عليه السلام –.

بعثته وأخذ عنه العلم، وترك الفتيا وقال في ذلك: ألا أكتفى إذا كفيتُ (وقيل) له: أي الناس شر ؟ قال: الذى لا يبالى إن رآه الناس مسيئًا .. (وقال) وهب: تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم .. ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢] وقلنا له: أن اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أى: أن ثواب شكره سيعود عليه ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أى النعمة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ أى: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ أى محمود فى صنعه .. (ثم) بعد ذلك يقول: { و } أى اذكر ﴿ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾: وكان هذا الإبن يسمى (تاران)، (وقيل) مشكم (وقيل): أنعم .. (وقيل) كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما . (وقيل): وضع لقمان جرابًا من خردل إلى جنبه، وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل فقال: يا بنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلًا لنفطر [١] .. فتفطر ابنه ومات ..

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] فرجع إليه وأسلم .. (ثم) بعد ذلك يذكر الله تعالى آيتين نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص ﷺ .. فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .. فيقول: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أى: أمرناه أن يبرهما بالإحسان إليهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أى: ضعفًا كائنًا على ضعف .. فى الحمل، والطلق،والولادة .. ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أى: وفطامه فى عامين . ثم قلنا له: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أى المرجع .. لكى أجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [العنكبوت: ٨] أى موافقة للواقع .. وهو جواب عما يقال إن الشريك مستحيل على الله تعالى، فربما يتوهم وجود شريك له يعلم ﴿فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أى بالمعروف الذى هو البر والصلة﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ أى طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾

---

(١) تفطر الشيء: أى تشقق .

أى رجع ﴿إلَـى﴾ أى بالطاعة ..(وقيـل) إن الخطاب للمكلفـين جميعًـا أو عمومًـا، (ويرادُ بمن أناب النبى ﷺ وأصحابه، ومن على قـدمهم (وقيـل) الخطـب لسـعد بن ابى وقاص (والمراد) بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه (وذلـك) أنـه حـين أسـلم أتاه عثمان وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنهم[1] – فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به ؟ قال: نعم هو صـادق .. فآمنوا به – صلوات الله وسلامه عليه – ثم جاء بهم إلى النبى ﷺ حتى أسلموا .

(فهؤلاء) سابقون للإسلام بإرشاد أبى بكر رضي الله عنه .. ﴿ثُمَّ إِلَـيَّ مَـرْجِعُكُمْ فَـأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْـتُمْ تَعْمَلُـونَ﴾ أى: فأجـازيكم عليـه .. أى عـلى العمـل الحسـن والسيء (ثـم) يستأنف الله –سبحانه وتعالى – وصية لقمان لولده فيقـول: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ إنهـا أى الخصلة السيئة ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّـةٍ مِـنْ خَـرْدَلٍ﴾ وهـو أصـغر شيء[2] ﴿فَتَكُنْ فِـي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أى: فى أخفى مكان مـن ذلـك ﴿ يَـأْتِ بِهَـا اللَّهُ﴾ أى: لكى يحاسب عليهـا ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَطِيـفٌ خَـبِيرٌ﴾ عـالم بخفيـات الأمـور .. وببواطن الأشياء كظواهرهـا .. (وقـد) قيـل إن هـذه الكلمـة آخـر كلمـة تكلـم بهـا لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمتها فـمات مسـلمًا شـهيدًا رضي الله عنه .. (وقيـل) إن السبب فى تلك المقالة أنه قال له ولده: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يرانـى أحد كيف يعلمها الله ؟ فقـال لـه تلـك المقالـة . (وهـذا) السـؤال لـيس عـن اعتقـاد لمضمونه .. إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليـه خافيـة وإنـما مقصـوده الإنتقـال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة .. (ولذا) مات من استيلاء الهيبة على قلبه .

(ثم) يواصل لقمان وصاياه فيقول لولـده: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِـمِ الصَّـلَاةَ﴾ أى: بشروطهـا وأركانها وآدابها .. ﴿وَأْمُـرْ بِـالْمَعْرُوفِ وَانْـهَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ﴾ أى: باليـد أو اللسـان أو القلب .. على حسب الطاقة .. (فإن) لم يفد فالهجر أولى بالمعروف .. ﴿وَاصْـبِرْ عَلَـى

---

(١) باعتبار ما كان بعد إسلامهم .

(٢) وقيل هو حب الكبر .

مَا أَصَابَكَ ﴾ أى بسبب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. (والمراد) بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه سبحانه ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أى المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أى: من معزوماتها التى يعزم عليها لوجودها .. أى نحتمها على المكلفين .. فلا ترخيص فى تركها ..

(ثم) يقول لقمان لولده ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ [1] وفى قراءة تصاعر ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أى: لا تُمل وجهك عنهم تكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أى: خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أى: متبختر فى مشيته ﴿فَخُورٍ﴾ أى: على الناس ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أى: توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أى اخفض ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أى: أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ..وذلك لأن أوله زفير وأخره شهيق ..وهما صفة صوت أهل النار . (وهو) أيضًا صوت خال من الثمرة والفائدة .. (وقد) قرأت لأحدهم قوله: (إن نهيق الحمير لا يصل إلى السماء، ولا يُضلِّل العقول ولكنه يُعكِّر السكون) .

** (هذا)، وإذا كان لنا بعد ذلك أن ننتفع بوصية أخرى من وصايا لقمان الحكيم. فإلينا جميعًا نصها [2] الذى أرجو كذلك أن ننتفع به جميعًا وأن نوصِى به أبناءنا بصفة خاصة ..

* (يا بنى): اتخذ تقوى الله تجارة يأتيك الربح من خير بضاعة.

(يا بنى) احضر الجنائز ولا تحضر العُرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة، والعُرس يشهيك [3] الدنيا.

(يا بنى): لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يُصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك.

---

(١) الصعر بفتحتين فى الأصل داء يصيب البعير يلوى عنقه، ثم استعمل فى ميل العنق وانقلاب الوجه على أحد الشدقين لأجل الفخر على الناس .. (انظر حاشية الصاويج٣ ص ١٩٦) .

(٢) كما جاء فيحاشية الصاوى على الجلالين ج٣ ص ١٩٤، ١٩٥ .

(٣) أى يجعلك مشغولًا بها ومؤثرًا لها على الآخرة .. (والآخرة خير وأبقى) .

(يا بنى): لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتى بغتة.

(يا بنى): لا ترغب فى ودُ الجاهل فيرى أنك ترضى عمله.

(يا بنى): اتق الله ولا تُر الناس أنك تخشى ليُكرموك بذلك وقلبك فاجر ..

(يا بنى): ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضة كان السكوت من ذهب.

(يا بنى): اعتزل الشر كما يعتزلك فإن الشر للشر خُلق.

(يا بنى): عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يُحيى القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض بوابل المطر. فإن من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

(يا بنى): لا ترسل رسولك جاهلًا، فإن لم تجد حكيمًا، فكن رسول نفسك .

(يا بنى): لا تنكح أمة غيرك [1] فتورث بنيك حزنًا طويلًا.

(يا بنى) يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم.

(يا بنى) اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله - عز وجل - فاجلس معهم فإنك إن تك عالمًا ينفعك علمك، وإن تك غبيًا يعلموك، وإن يطلع الله - عز وجل - عليهم برحمة تصبك معهم.

(يابنى): لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله - عز وجل -، فإنك إن تكن عالمًا ينفعك علمك وإن تك غبيًا يزيدوك غباوة، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم.

(يا بنى): لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور فى أمرك العلماء.

(يا بنى): إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو [2] .

---

(١) أى لاتزن بزوجة غيرك . والعياذ بالله . ولا سيما إذا كان جارًا .. لانه قد ورد الترهيب منه خاصة .

(٢) وفى نص أخر بزيادة(وما أراك ناجيًا) .

(يا بنى): إنى حملت الجندل والحديد، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر.

(يا بنى): إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

(يا بنى) لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم.

(يا بنى) إذا أردت أن تؤاخى أحدا فأغضبه قبل ذلك [1] فإن أنصفك عند غضبه و إلا فاحذره.

(يا بنى) إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل.

(يا بنى) عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لى، فإن لله ساعات لا ترد.

(يا بنى) إياك والدَّين فإنه همٌّ بالليل وذلٌّ فى النهار.

(يا بنى): ارج الله رجاء لا يُجرِئك على معصيته، وخَف الله خوفًا لا يؤيسك من رحمته) .. أسأل الله تعالى أن ينفعنا جميعًا نحن الاباء والأبناء بهذه الوصية اللقمانية .. وأن يجعلها حجة لنا لا علينا ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى أجر له امتحانًا قبل مصادقته .. لترى إذا كان من الأقوياء الذين يملكون أنفسهم عند الغضب أم لا ..





خطب شهر جمادى الأولى

الخطبة الثانية

((أهم حقوق الأبناء على الآباء))



الحمد لله القائل:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾**[لقمان: ٣٣] والقائل: **﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾** [الانفطار:١٩]

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده،ومسئول عن رعيته: فكلكم راع ومسئول عن رعيته»** متفق عليه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين علَّمهم المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- كيف يُعلمون أولادهم ..وكيف يغرسون فى قلوبهم حب الخيرات، وبغض المنكرات . (فكانوا) بسبب هذا مع أبنائهم من المستقيمين على الطريق المستقيم (وكانوا) رجالًا كما تحدث الله - سبحانه وتعالى - عنهم فى قوله: **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [النور:٣٧،٣٨]

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد - صلوات الله وسلامه عليه -

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثانى من شهر جُمادى الأولى، الذى رأيت أن ألتقى فيه معكم حول موضوع من أهم المواضيع وأخطرها .. ألا وهو (حق الأبناء على الآباء) وذلك لأن بعض الآباء - وللأسف الشديد- لا يفكرون ولا يطالبون إلا بحقوقهم على الأبناء .. وهم فى نفس الوقت لا يؤدون للأبناء حقوقهم... (فنراهم) مثلا يطالبون أبناءهم بما لا يطيقون وبأسلوب فيه من القسوة ما فيه .. (وعندما) يحاول الإبن الإعتذار عن بعض هذا المطلوب ..

يقول له الوالد: (أنت ومالك لأبيك)[1] بل ويذكره - مثلًا بقول الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] .لدرجة أن أحد الأبناء قال ذات يوم لأبيه الذى هو من النوع الذى أشرتُ إليه:

لو كان مثلك فى زمان المصطفى ... ما كان فى القرآن بِرٌّ لوالد

**(لهذا) فقد رأيتُ - كما أشرت قبل هذا - أن أدور معكم حول أهم (حقوق الأبناء على الآباء) وذلك من خلال خبر جاء فيه .. (أن) رجلًا ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو له عقوق ولده .. (فأرسل) سيدنا عمر إلى الولد فجاءه .. فقال له عمر رضي الله عنه (لِمَ عققتَ أباكَ) ؟ فقال الولد متسائلا: يا أمير المؤمنين .. أليس للولد حقوق على أبيهَ ؟ قال: (نعم) قال: وما هى ؟ قال: (أن يُحسن اختيار أمه، وأن يُحسن اختيار اسمه،وأن يعلمه القرآن، فعند ذلك قال الإبن والدموع تنحدر من عينيه: يا أمير المؤمنين لم يعطنى حقًا واحدًا من تلك الحقوق .. (فأمى) كانت جارية لمجوسى وكانت قبيحة المنظر (وسمانى) جُعرانًا[2] ولم يعلمنى حرفًا واحدًا من القرآن (فعند) ذلك قال أمير المؤمنين - عليه رضوان الله - (اذهب يا رجل . لقد عققته قبل أن يعقك) .

**(فمن) هذا النص الواضح نستطيع جميعًا نحن الآباء أن نحدد المسئولية المطلوبة منا نحو أبنائنا الذين ننتظر منهم خيرًا بعد هذا .. (وأعنى) بهذا . أنه ينبغى علينا أن نتقى الله فى أبنائنا .. ابتداء من اختيار الأم التى ينبغى أن تكون من أصل طيب وذات جمال وحسب ونسب .. وعلى أساس من الدين الذى لابد وأن يكون أساسًا فيها[3] .

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تُنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسابها، ولجمالها،ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

---

(١) هذا جزء من حديث شريف .

(٢) أو ما شابه هذا .

(٣) أى فى اختيارها .

(فمعنى) قوله ﷺ : «**تنكح المرأة لأربع**»: أى لأجل أربع خصال قال النووى (الصحيح فى معنى هذا الحديث أنه ﷺ أخبر بما تفعله الناس فى العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع، وقال القرطبى: (معنى الحديث أن هذه الخصال الأربع هى التى ترغب فى نكاح المرأة لأجلها، فهو خبر عما فى الوجود من ذلك لأنه وقع الأمر بذلك، بل ظاهره إباحة النكاح لقصد كل من ذلك لكن قصد الدين أولى) (ومعنى) قوله ﷺ «**فاظفر بذات الدين** » أى اخترها وآثرها على من سواها، ولا تنظر لغير ذلك [1] ..(ومعنى) قوله: «**تربت يداك**» أى افتقرتا والتصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل وهى جملة دعائية .. (وقيل) بكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والآخر هنا أظهر، ومعناه أظفر بذات الدين، ولا تلتفت إلى المال، اكثر الله مالك [2] .. (مع) ملاحظة أنه لا ينبغى التركيز على ذات الجمال أو ذات المال، دون التركيز على ذات الدين .

*(فعن) عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزوجوا [3] النساء لحسنهن فعسى حُسنهن أن يرديهن [4]، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن [5]، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء [6] سوداء ذات دين أفضل**» رواه ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم .... (بل) وينبغى أن تكون الزوجة ودودًا ولودًا (فعن) معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت امرأة [7] ذات حسب ومنصب [8]

---

(١) قال الكرمانى: (فاظفر) جزاء شرط محذوف، أى إذا تحقق تفضيلها فاظفر أيها المسترشد بها (انظر هامش الترغيب والترهيب) ج٣ ص٧٨ .

(٢) انظر الترغيب والترهيب ج٣ ص ٧٨.

(٣) أى لا تتزوجوا.

(٤) أى يجلب لهن أى لا تتزوجوا الهلاك والشقاء.

(٥) أى تزيديهن طغيانًا وتجبرًا .

(٦) أى التى شقت أذنها عرضًا .

(٧) يعنى صادفتها عثرت عليها .

(٨) يعنى المركز والجاه .

ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له: مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فقاله له: «**تزوجوا الودود**[1] **الولود**[2] **فإنى مكاثر بكم الأمم**»[3] رواه أبو داود والنسائى والحاكم واللفظ له،وقال: صحيح الإسناد .

**(وبعد) أن تحسن اختيار الزوجة على هذا الأساس الذى وقفت عليه فإنه يجب عليك أن تؤدى للزوجة حقها ..(وعلى) الزوجة كذلك أن تؤدى لك حقك.

*(فعن) عمرو بن الأحوص الجشمى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ . ثم قال: «**ألا و استوصوا بالنساء خيرًا**[4]، **فإنما هن عوان**[5] **عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك**[6]، **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**[7] **فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع**[8] **واضربوهن ضربًا غير مبرح**[9]، **فإن أطعنكم**[10] **فلا تبغوا عليهن سبيلًا**[11] **ألا إن لكم على نسائكم حقًا، فحقكم عليهن أن لا يوسطئن فرشكم من تكرهون**[12]، **ولا يأذن فى بيوتكم**

---

(١) أى الكثيرة الود لزوجها .

(٢) أى الكثيرة الولادة .

(٣) أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم .

(٤) أى ليوصى بعضكم بعضًا خيرًا بأهله بأن يحسن عشرتها ويؤدى إليها حقها .

(٥) أى أسيرات عندكم فى بيوتكم .

(٦) يعنى غير ما جعل لكم الشرع من حق عليهن فى الطاعة ولزوم البيت ونحو ذلك .

(٧) أى إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة أى ظاهرة وفحشًا وقبحًا، والمراد النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله باللسان واليد . وليس المراد بها الزنا .. (فهذه) قضية أخرى لها حكم آخر غير الوارد فى الحديث .. بعد ذلك .

(٨) قال ابن عباس: (الهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره، ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها) وقال قتادة: الهجر هو أن لا يضاجعها .

(٩) قال الحسن البصرى: يعنى غير مؤثر بأن لا يكسر فيها عضوًا ولا يحدث فيها شيئًا . والمبرح هو الشديد الشاق .

(١٠)أى فى ترك النشوز .

(١١) أى لا تتلمسوا الأسباب لأذيتهن وتوبيخهن .

(١٢) قال ابن جرير: (معناه أن لا يمكن من أنفسهن أحدا سواكم)، وقال الخطابى: (معناه أن لا يأذن لأحد من الرجال فيتحدث إليهن..) وقيل: المختار منعهن عن إذن احد فى الدخول والجلوس فى المنازل حتى ولو كان محرمًا أو امرأة لا برضا الزوج .

لمن تكرهون، **ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا عليهن فى كسوتهن وطعامهن** [1]» رواه ابن ماجه، والترمذى، وقال حديث حسن صحيح .

(مع) ملاحظة: أن الأخت المسلمة ينبغى أن تكون مطيعة لزوجها ما دام يأمرها بطاعة الله وإلا فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

* (فعن) أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» [2] رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم كلهم عن مساور الحميرى، عن أمه، عنها، وقال الحاكم صحيح الإسناد.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا صلت المرأة خمسها** [3] **وحصنت فرجها** [4]، **وأطاعت بعلها** [5] **دخلت من أى أبواب الجنة شاءت** [6]» رواه ابن حبان فى صحيحه .

** (ثم) بعد ذلك .. إذا رزق الزوجان بمولود مبارك إن شاء الله – ذكرًا كان أم أنثى – فإنه ينبغى عليهما أن يحُسنا اختيار اسم هذا المولود مع الحذر من تسمية الأبناء بالأسماء القبيحة [7] ..أو المستوردة [8]، وحسبنا أن نسميهم بأسماء الأنبياء والصالحين ..

(فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله،وعبد الرحمن**» رواه مسلم وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه.

---

(١) أي فيما يلزمن من كسوة وطعام بالمعروف.
(٢) أى ابتداء من غير سابقة عذاب ولكن بشرط إتيانها ببقية المأمورات،وتجنب المنهيات .
(٣) أى الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليها فى اليوم والليلة .
(٤) أى حفظته من الزنا .
(٥) يعنى زوجها .
(٦) يعنى فتحت لها سائر أبواب الجنة لتدخل من أيها أرادت .
(٧) التى منها: مليم، ونكلة، وخيشة،وفلفل، وجحش، وحلوف، وبغل .. الخ .
(٨) التى منها: فيفى،وشوشو، وميرفت، وسوسو، وميمى .. الخ.

*(وعن) أبى وهب الجشمى، وكانت له صحبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب ومرة»** رواه أبو داود واللفظ له، والنسائى وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء، لأن الحارث هو الكاسب والهمام هو الذى يهم مرة بعد أخرى، وكل إنسان لا ينفك عن هذين . (وقد) ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع اسمًا من الأسماء القبيحة غَيَّره إلى ما هو حسن ..

(فعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم (جميلة) رواه الترمذى وابن ماجه، وقال الترمذى: حديث حسن ورواه مسلم باختصار قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصية، قال: أنت جميلة [1] .

** (وعلى) الأخ الوالد أن يكون مؤدِّبًا لأولاده بأدب الإسلام (فعن) جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لأن يؤدب الرجل ولده، خير له من أن يتصدق بصاع»** رواه الترمذى من رواية ناصح عن سماك عنه وقال: حديث حسن غريب .

(وروى) ابن ماجه عن ابن عباس – رضي الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«أكرموا أولادكم فأحسنوا أدبهم»**: (مع) ملاحظة أن أفضل ما ينبغى أن يؤدب ولده به .. هو القرآن الكريم .. حفظا وتلاوة، وفهمًا مع تجويده، ودراسة أحكامه .. (فعن) سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من قرأ القرآن، وعمل به ألبس والده تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذى عمل بهذا»** رواه أبو داود والحاكم كلاهما عن زياده عن سهل، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(١) قال بعضهم: لعله لم يسمها مطيعة مع أنها ضد العاصية كراهة التزكية .

(وعن) بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به**[1] **ألبس والده يوم القيامة تاجًا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والده حلتين لاُ يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا ؟فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**» رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم .

** (وذلك) لأن القرآن هو النور الذى نسير جميعًا على هداه .. ويوم أن نتأدب مع أبنائنا بأدب القرآن . فإن القرآن سيكون سببًا فى هدايتنا .. وحفظنا من الزلل . فهو كما قال عنه الله – تعالى– فى قرآنه: ﴿**هدى للمتقين**﴾ [البقرة: ٢] ..

(ولهذا) فقد قال أحدهم – عليه رضوان الله –:

نحن نبغى القرآن علمًا وفهمًا ... يخلقان الكمال فى الشُّبان
نحن نبغى القرآن لفظًا ومعنى[2] **... فهو صقل الحجا**[3] **وصَقْل اللسان**
نحن نبغى القرآن دينا ودُنْيا ... يتجَلَّى فى هَديه الحُسنيان
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر ... س وفى كل منزل ومكان

(نسأل الله) سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن بهذا المعنى الذى وقفنا عليه حتى نربى أولادنا على موائده . ونحن نؤدى لهم جميع حقوقهم على أكمل وجه تحت راية الإسلام .. وعلى هدى من أنوار الحبيب المصطفى – عليه الصلاة والسلام – ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) يعنى أحل حلاله ورحم حرامه،ووقف عند حدوده،وتأدب بأدبه .
(٢) أى تقوم العقل واللسان بلغة القرآن الكريم
(٣). أى العقل .



خطب شهر جمادى الأولى

الخطبة الثالثة

((أهم حقوق الآباء على الأبناء))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: **«ثلاث لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف»**[1] رواه الطبراني فى الكبير.

والقائل - صلوات الله وسلامه عليه -: **«بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعِفُّوا تعف نساؤكم»** رواه الطبراني بإسناد حسن.

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البارين بآبائهم، والواصلين لأحبائهم وأصدقائهم بعد مماتهم .. (فكانوا) بهذا أهلًا لدخول الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة ..

(وكانوا) رجالًا كما تحدث الله - سبحانه وتعالى - عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وها نحن كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثالث من شهر جُمادى الأولى الذى رأيت أن يكون لقائى معكم فيه حول: أهم حقوق الآباء على الأبناء .. الذى كان لابد وأن أركز عليه معكم بعد أن استمعنا فى اللقاء الماضى إلى أهم حقوق الأبناء على لآباء.

(١) الزحف تقارب القوم من القوم فى الحرب.

(وذلك) لأن كليهما يرتبط بالآخر ارتباطًا وثيقًا .

(وأعنى) بهذا أنه كان لابد وأن نبدأ بأهم حقوق الأبناء . حتى يكون الأبناء بعد أداء حقوقهم من البارين بآبائهم وأمهاتهم .. (وهذا) أمر حتمى لابد وأن نلاحظه جميعًا نحن الآباء .. إذا أردنا أن نجنى ثمرة فلذات أكبادنا الذين أحسنا تربيتهم وأدبناهم بآدب القرآن الذى يأمرهم الله تعالى فيه بأن يحسنوا إلينا،ويدعوا لنا بالرحمة والمغفرة بعد مماتنا .

(ولابد) وأن نكون نحن كذلك قد أحسنا إلى آبائنا وأمهاتنا حتى نُعامل بالمثل من أبنائنا.. (وهذا) هو المعنى المراد من قول الرسول – ﷺ -: «**بروا آبائكم تبركم أبناؤكم ..** » (وقد) ورد كذلك فى الأثر: «**اعمل ما شئت كما تديُن تُدان** » .

(والآن) وبعد هذا التمهيد الذى كان لابد منه .. (أريد) أن أقف معكم على المعنى المراد من الآيات القرآنية التى استمعنا إليها فى أول الخطبة ..

*(وهى)﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ أى أمر [1] أمرًا جازمًا ﴿ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ أى: بأن لا تشركوا معه فى العبادة غيره، فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه .. ودخل فى ذلك الإقرار لرسول الله ﷺ بالرسالة ومحبته وتعظيمه .. لأن ذلك من جملة المأمور به .. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١] أى: بأن تبروهما بالإحسان:إليهما .. وتطيعوا أمرهما فى غير معصية الله﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا**﴾ فاعل ﴿**أَوْ كِلاهُمَا**﴾ وفى قراءة يبلغان، فأحدهما بدل من ألفه .. والتقييد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب لأن الولد غالبًا إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله: عندك .. أن يكون فى منزلك وكفالتك، ومعدودًا من عيالك،وهذا بحسب الغالب،وإلا فالولد مطلوب [2] ببر والديه مطلقًا كان

---

(١) وقيل إن قضى: بمعنى أوصى،وقيل بمعنى حكم، وقيل بمعنى الزم، وقيل: بمعنى أوجب ..وكل صحيح .

(٢) أو مطالب .

عنده أولاً ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبًا وقبحًا ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ أى : تزجرهما عما لا يعجبك منهما بإغلاظ بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما ولو كان ذلك الأمر غير مناسب بل إذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ أى : جميلاً ليناً حسناً. كأن يقول لهما يا أبتاه يا أماه .. ولا يسميهما باسمهما ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ أى : ألن لهما جانبك الذليل ﴿ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أى : لرقتك عليهما ..والمعنى من أجل الرحمة لا خوفًا من العار مثلاً . ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ أى: من أجل أنهما رحمانى صغيرًا ..

(وقد) روى أن رجلا قال لرسول الله : إن أبوى بلغا منى فى الكبر أنى آلى منهما ما ولياً منى فى الصغر .. فهل قضيت حقهما ؟ قال : «**لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك ، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما**» . ثم بعد ذلك يقول – سبحانه وتعالى – مشيراً إلى ملاحظة هامة لابد وأن يعيها جميع الأبناء من الذكور والإناث﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ أى: من إضمار البر والعقوق.. (وهذا) وعد ووعيد .. والمعنى لا عبرة بادعاء البر باللسان ، فإن الله عالم بالسرائر ..﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أى : طائعين لله . فى حق الوالدين ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ أى : الرجاعين إلى طاعته﴿ غَفُورًا﴾ أى : لما صدر منهم فى حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً . وعلى هذا ، فإنه يجب على جميع الأبناء المؤمنين من الذكور والإناث أن يكونوا من البارين بآبائهم وأمهاتهم فى حياتهم وبعد مماتهم .. (فقد) روى أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال : عن البر بعد الموت «**أن تصلى لهما مع صلاتك ، وأن تصوم لهما مع صيامك**» رواه الدارقطنى .

(قال) فى الدين الخالص [1] : وأعلم أن العبادة مالية وبدنية ، فالمالية كالصدقة ،

---

(١) ج٨ ص ٧٥ .

نبه الشارع بوصول ثوابها على وصول سائر الأعمال المالية، أما أداء الدَّين فبالإجماع ولو كان من أجنبى بلا إذن، ونبه بوصول ثواب الصوم وهو من العبادة البدنية على وصول ثواب العبادات البدنية،ونبه بوصول ثواب الحج المركب من عبادتين مالية وبدنية على وصول ثواب المركب منهما .. (ومشهور) مذهب مالك والشافعى: أن ثواب العبادة البدنية لا يصل كالصلاة،والصيام و قراءة القرآن، أخذًا بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩] .قال ابن القيم – رحمه الله – .. أفضل ما يهدى إلى الميت العتق، والصدقة والإستغفار،والدعاء له، والحج عنه (وأما) قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعًا بغير أجرة فيصل إليه ثوابها كما يصل ثواب الصوم والحج (ولذا) اختار المحققون من أصحاب مالك والشافعى أن ثواب القراءة يصل إلى الميت إذا جعلت من قبيل الدعاء بأن يقول: اللهم اجعل لفلان مثل ثواب ما قرأت ،وقال النووى رحمه الله: أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصل ثوابه إليهم لقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] وغيرها من الآيات والأحاديث لقول النبى ﷺ (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) (١) وقوله: (اللهم اغفر لحينا وميتنا) (٢) .

(فعلى) الإخوة الأبناء أن يلاحظوا كل هذا وينفذوه حتى يكونوا من البارين بآبائهم وأمهاتهم .. (وعليهم) أن يلاحظوا كذلك أن البر بالآباء والأمهات من أعظم القربات إلى الله – تبارك وتعالى – ..

*(فعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبى ﷺ : أى العمل أحب إلى الله تعالى (٣) ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أى: قال «**بر الوالدين**» قلت: ثم أى ؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» متفق عليه .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الحديث صحيح، انظر الدين الخالص ج٨ ص ٧٦ .
(٣) أى أكثر تقربا إلى الله – تعالى – .

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يجزىء ولد[1] والدا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**» رواه مسلم .

*(وعنه) رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى [2] ؟ قال: أمُك قال: ثم من ؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمُك قال: ثم من ؟ قال: أبوُك) متفق عليه.

(وفى) رواية : يا رسول الله من أحق بحسُن الصحبة ؟: قال: (أمُك، ثم أمُك، ثم أمُك، ثم أباك أدناك ثم أدناك).

*(وعنه) رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**رغم أنف [3] ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر: أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة** » رواه مسلم .

*(وحتى) لا نكون جميعًا من الأبناء المشار إليهم فى هذا الحديث الأخير من أهل الذل والصغار (والعياذ بالله)، فإننى أرى أن أقف كذلك مع الأخوة الفضلاء من الأبناء على الأحاديث الآتية المرهبة من عقوق الآباء والأمهات . (فعن) أبى بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ؟ ثلاثا، قلنا بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين) وكان متكئا فجلس فقال: (ألا وقول الزور،وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**» متفق عليه .

*(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراك بالله،وعقوق الوالدين، وقتل النفس واليمين الغموس[4]**» رواه البخارى .

(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر: شتم الرجل والديه !** » قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال: نعم «**يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**» متفق عليه .

*وفى رواية: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ؟!** » قيل: يا رسول

---

(١) أى لا يكافىء .

(٢) الصحابة بمعنيالصحبة، وقوله: (ثم أباك) هكذا. منصوص بفعل محذوف: أى ثم بر أباك

(٣) كناية عن الذل .. كأن أنفه لصق بالتراب حقيرًا هوانًا ...

(٤) اليمين الغموس: أى التى يحلفها كاذبًا عامدًا سميت غموسًا لأنها تغمس الحالف فى الإثم .

الله كيف يلعن الرجل والديه ؟! قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**» .

*(وعن) عمرو بن مرة الجهنى رضي الله عنه ، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله شهدتُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ وصليت الخمس، وأديت زكاة مالى، وصمت رمضان ؟ فقال النبى ﷺ : «**من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا – ونصب إصبعيه – ما لم يعق والديه**» رواه أحمد والطبرانى بإسناد أحدهما صحيح، ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .

(فعلى) الإخوة الأبناء بصفة خاصة أن يذكر واكل هذا التذكير حتى يكونوا إن شاء الله – تعالى – من البارين بآبائهم وأمهاتهم . إذا أرادوا أن يبارك الله – تعالى – لهم فى أعمارهم ... وأرزاقهم .

(فعن) أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من سره أن يُمد له فى عمره،ويزاد فى رزقه، فليبر والديه،وليصل رحمه**» رواه أحمد .

(وعن) معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من بر والديه طوبى له**[1] **زاد الله فى عمره**» رواه أبو يعلى والطبرانى و الأصبهانى والحاكم، وقال صحيح الإسناد .

(وحسبنا) جميعًا نحن الأبناء أننا سنفوز – إن شاء الله – بدعاء الآباء والأمهات لنا .. (فعن) أنس رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر** » رواه أبو الحسن فى الثلاثيات،والضياء المقدس فى المختارة .

والله ولى التوفيق .

(١) أى الفلاح له .. وقيل: طوبى شجرة فى الجنة .



خطب شهر جمادى الأولى

الخطبة الرابعة

((صلة الأرحام الخاصة والعامة))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] والقائل: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له**[1] **فى أثره: فليصل رحمه**» رواه البخارى ومسلم.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين الذين وصلوا أرحامهم ..وعرفوا ما لهم وما عليهم نحو إخوانهم فى الدين فكانوا هداة مهديين،وقادة منتصرين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) الآن فى اللقاء الرابع من شهر جمادى الأولى الذى رأيت أن يكون لقائى فيه معكم حول الترغيب فى صلة الأرحام الخاصة والعامة .. (وذلك) حتى يكون هناك تراحم متواصل بين المؤمنين والمؤمنات بصفة خاصة أو عامة كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى–:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣]

---

(١) النسأ التأخير، والأثر الأجل ولعله كناية عن البركة فى الأجل.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، وكما يشير إلى هذا قول رسول الله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » رواه مسلم .

(ولكى) ندور حول هذا المعنى المراد من هاتين الآيتين الكريمتين، بالإضافة إلى هذا الحديث الشريف الصحيح – فضلا عن الآيات والأحاديث الأخرى – (فإننا) لابد وأن نفهم أولا أننا كمؤمنين صادقين ينبغى أن نكون من الذين يصلون أرحامهم حتى يتحقق الترابط الأسرى تحت شعار ﴿ذوى القربى**﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهم الذين عبر القرآن عنهم بقوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٧٥] أى: أصحاب القرابة بعضهم أحق ببعض فى الميراث، فى حكم الله وقضائه . وقوله تعالى: ﴿.. **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾ [الأحزاب: ٦] .أى أولوا الأرحام أحق بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا بالهجرة والإيمان دون الرحم [١] .

﴿ **وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ هم: الأخ والأخت، والخال والخالة، والعمُّ والعمة .. وما بثَّ الله – تعالى – منهم من الرجال والنساء إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها .. (وفى) أى موقع من الأرض كانوا، أو كان بعضهم فيه ..

(وتوضيحًا لهذا) فإن (الأخ والأخت): يلتقيان معك فى رحم الأم . (والخال والخالة): يلتقيان معك فى رحم أم الأم . (والعم والعمة): يلتقيان معك فى رحم أم الأب .. (فهؤلاء) هم أولو الأرحام الخاصة التى ينبغى علينا نحن المؤمنين أن نصل أصحابها بالمودة والرحمة ..

حتى تتحقق الولاية المتبادلة بين المؤمنين والمؤمنات .. كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١] أى بعضهم أنصار بعض وأعوانهم .. (ولا سيما) فى الأزمات والنكبات التى لابد وأن

---

(١) وهذه الآية ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التى كانت بين المهاجرين والأنصار.

نتعاون جميعًا نحن الأقرباء الذين يملكون المال على حلها بالنسبة لأقربائنا الفقراء الذين لا يملكون . إننا إن فعلنا هذا بصدق وإخلاص سنكون قد أكدنا أخوتنا لله وفى الله . وسنكون بهذا كذلك قد فهمنا المراد من صلة الأرحام فهمًا جيدًا .. وأعنى بهذا أن صلة الأرحام لابد وأن تكون بمعنى العون فى الأزمات .. والمواساة والرحمة .. فى الكربات .. حتى نكون جميعًا بسبب هذا أسرة واحدة بمعنى الكلمة .. (وحتى) نكون أيضًا من المشار إليهم فى قول الرسول -ﷺ -: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** رواه مسلم .

* (وروى) أيضًا عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«المسلمون كرجل واحد أن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»** .. (هذا) بالإضافة إلى الثواب المشار إليه فى الحديث الشريف الذى ورد (عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«من نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نَفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر يسر عليه فى الدنيا والآخرة،والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.. »** الحديث رواه مسلم .

** (وأما) عن الرحم العامة، فهى المشار إليها فى قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾ [النساء: ١] أى: خافوا أيها الناس ربكم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ﴿ **الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ أى: من آدم - عليه السلام - ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ أى: حواء، فقد خلقت من ضلع من أضلاعه[1] ﴿ **وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾ أى: ونشر من آدم وحواء، رجالًا ونسّاء كثيرين ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾ أى: وخافوا الله الذى يسأل بعضكم بعضًا به، فيقول الرجل: أسألك بالله، وأنشدك بالله واتقوا الأرحام أن تقطعوها

---

(١) كما ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم وغيره .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أى: حفيظًا على أعمالكم، يحصيها عليكم، ويعلمها ويعرفها. (وقد) وصف الله تعالى نفسه بأنه المتفرد بخلق جميع الأنام، معرفًا عباده أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة ليتناصفوا ولا يتظالمو، وليبدل القوى نفسه للضعيف .. (ثم) ختم سبحانه وتعالى بأنه لم يزل عليهم رقيبًا، يحصى عليهم أعمالهم،ويتفقد رعايتهم لحرمة الأرحام [1] (وهذا) معناه أنه ينبغى على جميع الآباء والأبناء من الذكور والإناث أن يعلموا أننا جميعًا من أب واحد وأم واحدة .. (وأنه) ينبغى عليهم جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتزاوروا .. وأن يتبادلوا الخيرات، والكفاءات، (بل) والثمرات، وفلذات الأكباد .. فى جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية.

(ولا سيما) إذا كانوا مسلمين لأننا جميعًا كمسلمين – إن شاء الله – ننتسب إلى أب واحد فوق جميع الآباء .. ألا وهو الإسلام كما يشير أحدهم إلى هذا المعنى الكبير فى قوله:

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

(وحتى) لو كانوا غير مسلمين .. لأن الله – سبحانه وتعالى – لم ينهنا عن التعامل معهم فى قرآنه ما داموا لم يتعرضوا لنا بالإيذاء، ولم يخرجونا من ديارنا .. فهو القائل – سبحانه–: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨] أى: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم من أجل دينكم، من جميع أصناف الملل والأديان، ولم يخرجوكم من بلادكم ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أى: أن تصلوهم وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبركم بهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أى: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم .. ثم بعد ذلك يقول سبحانه مبينًا من هم الذين ينهانا عنهم ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة: ٩] أى: إنما ينهاكم الله – أيها

(١) الآية رقم ١ من سورة النساء، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف يسير.

المؤمنون – أن تكونوا نصراء للذين قاتلوكم فى الدين .. وأخرجوكم من بلادكم، وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أى: ومن يجعلهم أولياء منكم أو من غيركم، فأولئك هم الذين وضعوا ولايتهم فى غير موضعها، فخالفوا أمر الله فى ذلك [1] .

**(بل) ورد فى السنة البر بالوالدين حتى ولو كانا غير مسلمين .. (ففى) صحيح البخارى .

* (عن) أسماء – رضي الله عنها –، أنها قالت: قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبى ﷺ مع أبيها، فاستفتيت النبى ﷺ ، فقلت: إن أمى قدمت وهى راغبة عن الإسلام كارهة[2] له أفأصلها ؟ قال: (نعم صلى أمك) .

*(وروى)[3] أيضًا عن أسماء، قالت: أتتنى أمى راغبة فى عهد النبى ﷺ ، فسألت النبى ﷺ : أفأصلها ؟ قال: (نعم): قال ابن عيينة فأنزل الله – عز وجل – فيها: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾.

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه ، قال: مر رسول الله ﷺ على ابن بن أبى سلول[4]، وهو فى ظل، فقال: قد غبر علينا ابن أبى كبشة يعنى رسول الله ﷺ فقال ابنه عبد الله: والذى أكرمك وأنزل الكتاب لئن شئت لأتيتك برأسه؟ فقال ﷺ : (لا،ولكن بر أباك وأحسن صحبته) رواه الطبرانى فى الأوسط .

*(ولكن المنهى عنه) هو الإستغفار للأبوين المشركين .. (وكذلك) الإستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولى القربى .. بدليل قوله – تبارك وتعالى –: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

---

(١) سورة الممتحنة : ٨، ٩ (والتفسير من مختصر الطبرى جـ٢ص ٤٤٦) بتصرف يسير .
(٢) وقيل أى طامعة فيما عندى من بر ..
(٣) أى البخارى .
(٤) وهو زعيم المنافقين .

(قال القرطبى): فإذا كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما أمره الله به ها هنا، إلا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر، لأن هذا وحده نسخ بالآية المذكورة. وقيل: ليس هذا موضع نسخ، فهو دعاء بالرحمة الدنيوية للأبوين المشركين ما داما حيين، كما تقدم، أو يكون عموم هذه الآية خص بتلك، لا رحمة الآخرة، لا سيما وقد قيل إن قوله: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا** ﴾ نزلت فى سعد ابن أبى وقاص، فإنه أسلم، فألقت أمه نفسها فى الرمضاء متجردة – أى من ثيابها – فذكر ذلك لسعد، فقال: لتمت .. فنزلت الآية . وقيل: الآية خاصة فى الدعاء للأبوين المسلمين والصواب أن ذلك عموم كما ذكرنا .. وقال ابن عباس: قال النبى ﷺ : «**من أمسى مُرضيا لوالديه وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة، وإن واحدًا فواحدًا، ومن أمسى وأصبح مسخطا لوالديه: أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان إلى النار وإن واحدًا فواحدًا**» فقال رجل: يا رسول الله،وإن ظلماه ؟ قال: « **وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه**» .

** (فعلى) الإخوة المسلمين والمسلمات أن يذكرو كل هذا حتى يكونوا – إن شاء الله – من الذين يصلون أرحامهم الخاصة والعامة .. مع ملاحظة ما ورد .

* (عن) عائشة – رضي الله عنها – عن النبى ﷺ قال: « **الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله**» رواه البخارى ومسلم .

والله ولى التوفيق .



خطب شهر جمادى الأولى

الخطبة الخامسة

((الترغيب في أهم أعمال أهل الجنة، والتحذير من أهم أعمال أهل النار))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا[1]﴾ [الكهف١٠٧:١٠٨]

والقائل: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * [2]يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [سورة القمر: ٤٧، ٤٨].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**قال الله – عز وجل – أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» ثم بعد ذلك قال الرسول ﷺ: واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. رواه البخارى ومسلم.

والقائل: «**عذبت امرأة فى هرة[3]: حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها، إذ هى حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض[4]**» متفق عليه.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين الذين أعد الله تعالى لهم فى جنة الخلد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. كما بشرهم الله ورسوله .. لأنهم كانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨]

---

(١) وحولًا: أى تحولا.

(٢) أى عناء وعذاب.

(٣) أى بسبب قطة.

(٤) (خشاش الأرض) بفتح الخاء المعجمة وبالشين المعجمة المكررة هى: هوامها وحشراتها.

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الخامس من شهر جُمادى الأولى، الذى رأيت أن ألتقى معكم فيه حول: أهم أعمال أهل الجنة، وأهم أعمال أهل النار .. (وذلك) حتى نحرص – إن شاء الله – بعد أن نستمع إلى هذا التذكير على أن نكون من أهل الجنة لا من أهل النار ..لأن الله – تعالى – يقول فى قرآنه: ﴿ .. **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] ويقول: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [الحشر: ٢٠] (وأيضا) لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «**اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**» رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب [(١)].

(وإذا) كان لى بعد هذا التقديم أن أبدأ فى التذكير أو التركيز على أهم أعمال أهل الجنة ..فإنه حسبنا أن نقف – أولًا – على المعنى المراد من الستة السابقة – فى الحديث السابق – والتى ضمن النبى ﷺ لمن ينفذها ..بأن يكون من أهل الجنة – مع ملاحظة – أن النبى ﷺ لا يعد بهذا إلا بوحى من الله – تبارك وتعالى – ..لأنه كما قال الله – تعالى – فى قرآنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم ٣-٥] وهذا حكم عام لابد وأن يلاحظه جميع المسلمين بالنسبة لكل ما نقل عن رسول الله ﷺ من السنة الصحيحة ..حتى لا يضلوا أو يزلوا .

---

(١) قال الحافظ المنذرى: المطلب لم يسمع من عبادة .. ومع هذا فهو حديث عظيم ينبغى أن ينتفع به ... فى فضائل الأعمال .

(٢) بلفظ ﴿**وما ينطق ..**﴾ وشديد القوى هو سيدنا جبريل – عليه السلام – ..

*(وقد) بدأ النبى ﷺ بأهم ما ينبغى علينا كمؤمنين أن ننفذه وأن نتحراه دائمًا وأبدًا فى جميع أقوالنا وأفعالنا .. ألا وهو: (الصدق) الذى هو الموصل – إن شاء الله – إلى الجنة ..(فعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل**[1] **يصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» رواه البخارى ومسلم.

(مع) ملاحظة: أن الصديقية التى ينبغى أن يصل المؤمن إليها عن طريق تحرى الصدق – مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة .. كما أشار الله – تعالى – إلى هذا مرتين فى سورة مريم .. فقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:٤١] وقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: ٥٦].

(وعلى) هذا: فإنه ينبغى على الأخ المسلم أن يتحرى الصدق فى أقواله وأفعاله .. حتى يكون – إن شاء الله – من الصادقين أو الصديقين .. (مع) الحذر من الوقوع فى الكذب حتى لا يكون من المنافقين والعياذ بالله .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر**» رواه البخارى ومسلم، وزاد مسلم فى رواية له: «**وإن صام وصلى و زعم أنه مسلم**» .

(وأما) عن الصفة الثانية التى هى من أهم صفات أهل الجنة، فهى (الوفاء بالوعد) أو بالعهد كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤] وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١].

(وحسب) المصاب بداء عدم الوفاء بالوعد، أو العهد أن يعلم أن هذا سيكون معناه الخيانة .

---

(١) والمرأة كذلك تبعا للرجل .

(فعن) ابى هريرة رضي الله عنه : قال: رسول الله ﷺ : « **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى – أى أعطى عهدًا بى – ثم غدر** [1] **ورجل باع حرًا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره** » رواه البخارى .

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة**» رواه أبو داود والنسائى .

* (وأما) عن الصفة الثالثة التى هى من صفات أهل الجنة، فهى: (أداء الأمانات إلى أهلها)، كما أمرنا الله تعالى بهذا فى قوله ﴿**إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[النساء: ٥٨].

(وحسب) هذا الذى يخالف أمر الله تعالى فى هذه الآية .. أن يعلم أنه لا دين له .. (فعن) على رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فطلع علينا رجل من أهل العالية فقال: يا رسول الله أخبرنى بأشد شيء فى هذا الدين وألينه ؟ فقال: « **ألينه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأشده – يا أخا العالية – الأمانة، إنه لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة له ولا زكاة له**» الحديث رواه البزار .

* (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «« **لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهر له**»» رواه الطبراني.

(مع) ملاحظة: أن الدين أمانة، وأن جميع العبادات والمعاملات، والأسرار والزوجة، والأولاد، والجيران، .. أمانات لابد وأن نحسن رعايتها .. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى وصفه للمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٨].

*(وأما) عن الصفة الرابعة من أهم صفات أهل الجنة، فهى: (حفظ الفروج) أى: البعد عن جميع الأسباب التى تكون سببًا فى تلويثها – والعياذ بالله – بجريمة الزنا الذى حرمه الله تعالى على المؤمنين والمؤمنات .. لأنه من الفواحش المشار إليها فى قول الله – تبارك وتعالى-:﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[الأعراف: ٣٣].

---

(١) الغدر ترك الوفاء .

*أى: أن الله – تبارك وتعالى – حرم علينا جميع القبائح من الأشياء، ما كان منها علانية وما كان منها سرّا فى خفاء .. (وعن) ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ : (أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أى ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قلت: ثم أى ؟ قال: «**أن تزانى حليلة جارك**» أخرجه الشيخان وغيرهما.

*(وعن) سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يا شباب قريش: احفظوا فروجكم لا تزنوا ألا من حفظ فرجه فله الجنة» رواه الحاكم والبيهقى وقال: صحيح على شرطهما.

(وأما) عن الصفة الخامسة من أهم صفات أهل الجنة، فهى: (غَضُّ الأبصار) أى عن النظر إلى الأجنبيات المحرمات على الإنسان .. (وذلك) لأن النظرة الخبيثة هى بريد الزنا (ولهذا) فقد أمر الله تعالى حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى سورة النور ..بأن يأمر المؤمنين والمؤمنات .. بأن يغضوا من أبصارهم .. فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ أى: قل للمؤمنين بالله يكفوا عن النظر إلى ما يشتهون مما نهوا عن النظر إليه ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾ أى: من أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم – وقد رجح القرطبى أن المراد بالآية ستر الفروج عن الأبصار وحفظها من الزنى لعموم اللفظ ﴿**ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾ أى: إن الغض والحفظ أطهر لهم عند الله وأفضل ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠] أى: إن الله مطلع على ما تصنعون من غض البصر، وحفظ الفروج .. ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...**﴾ [النور:٣١] أى: وقل للمؤمنات من أمتك، يغضضن من أبصارهن عما يُكره الله النظر إليه ﴿ **وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ أى: عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾ أى: ولا يُظهرن زينتهن للناس، الذين ليسوا لهن بمحرم ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ أى: إلا الوجه والكفين [1]

---

(١) قال فى هامش (مختصر تفسير الطبرى) ج٢ ث ٩٦ وما بعدها: رأى ابن جرير هذا مبناه على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، والصحيح الذى تؤيده النصوص، ويتمشى مع روح الإسلام أن الوجه من العورة التى يجب سترها ولا يجوز إبداؤها إلا لضرورة أو حاجة كما بينه العلماء

=

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور: ٣١] أى: وليلقين خمرهن على جيوبهن – أى صدورهن – لتستترن بذلك شعورهن وأعناقهن ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾أى: ولا يظهرن الزينة الخفية غير الظاهرة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾أى: إلا لأزواجهن ﴿ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ أى: أو لأحد من هؤلاء المذكورين ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾أى: أو نساء المسلمين ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾أى: من الإماء المشركات ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾أى: أو من الذين يتبعونكم بطعام يأكلونه عندكم، ممن لا حاجة له فى النساء ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾أى: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء لصغرهن ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾أى: ولا يجعلن فى أرجلهن من الحلى – كالخلخال الذى يوضع فى القدم – ما إذا مشين، أو حركتهن علم الناس ما يخفين من ذلك﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾أى: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله، فيما أمركم ونهاكم . لتكونوا من أهل الفوز بالجنة – إن شاء الله –[1] .

**(وأما) عن الصفة السادسة من أهم صفات أهل الجنة فهى: (كف الأيدى) عن إيذاء الناس بصفة عامة، أو المسلمين بصفة خاصة .. فهى الدليل القاطع على صدق الإنتماء إلى الإسلام .. (ففى) الحديث المتفق عليه يقول – صلوات الله وسلامه عليه –: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)، بل وهو من أهم حقوق الطريق .. كما ورد فى حديث متفق عليه .

**(وأما) عن أهم الصفات الموصلة إلى النار والعياذ بالله .. فهى الكبائر المشدد عليها فى القرآن والسنة .. وهى: الشرك بالله ويليه قتل النفس بغير حق، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين،

لأن الوجه اصل الجمال ومصدر الفتنة والإغراء . وان المراد بالآية: ما ظهر منها من غير قصد وليس المراد الإظهار بكشف الوجه .. (والله أعلم) .

(١) انظر تفسير (مختصر الطبرى) ج٦، ٩٧ للآيتين ٣٠، ٣١ من سورة النور – مع الهامش – بتصريف يسير .

والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر، والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو رمى العفيف أو العفيفة بالزنا ... (فهذه) الكبائر بالإضافة إلى غيرها إذا لم يتب العبد من فعلها إلى الله -تبارك وتعالى- بصدق، فإنه سيكون من المعذبين فى نار جهنم - والعياذ بالله -

(هذا) ولما كانت التوبة الصادقة لها شروط لابد من تنفيذها .. فإننى - إن شاء الله - سأدور معكم حولها فى اللقاء القادم ..

والله ولى التوفيق .





خطب شهر جمادى الآخرة

الخطبة الأولى

((التوبة النصوح، وأهم شروطها))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة**» رواه مسلم.

والقائل: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة**» رواه البخارى.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله الذين تابوا إلى الله تبارك وتعالى توبة نصوحًا .. على أمل أن يمحو الله تعالى سيئات أعمالهم التى سلفت منهم ويدخلهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨].

فكانوا بهذه التوبة الصادقة .. من المبشرين بالجنة .. مع الأبرار، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. (وكانوا) رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧،٣٨]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الأول من شهر جُمادى الثانية الذى وعدت في اللقاء القادم بأن التقى معكم فيه حول التوبة النصوح وأهم شروطها، وذلك من خلال آية كريمة يقول الله – تبارك وتعالى – فيها:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم:٨]: أى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله،وإلى ما يرضيه عنكم (توبة نصوحًا) أى: رجوعًا لا تعودون فيه أبدًا ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ أى: لعل الله يمحو سيئات أعمالكم، التى سلفت منكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾أى: وأن يدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار﴿ يَوْمَ لا

﴿يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: يوم لا يخزى الله النبى محمدا ﷺ والذين آمنوا معه ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: يسعى نورهم أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: وبأيمانهم كتبهم (1) ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أي: يقولون يا ربنا: أبق لنا نورنا فلا تطفئه، حتى نجوز الصراط (2) ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أي: واستر علينا ذنوبنا بفضلك وكرمك، فلا تفضحنا بها ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

**(ففى) هذه الآية الكريمة يشير الله - تبارك وتعالى - وبوضوح - إلى التوبة الصادقة التى يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يكونا من أهلها .. حتى يكونا من أهل الفلاح - وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار - كما أشار الله - تبارك وتعالى - إلى هذا فى الآية التى استمعنا إليها قبل هذا، وهى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31] ﴿وَتُوبُوا﴾ فعل أمر .. (وفعل) الأمر ينصرف إلى الوجوب .. (والواجب) ما يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه. (مع) ملاحظة أنه إذا كانت التوبة واجبة فإن هناك ما هو أوجب منها .. ألا وهو ترك الذنب (كما) أشار إلى هذا الإمام الشافعى ﷺ .. وكان قد سئل عن ثمانية أمور: عن الواجب والأوجب، والعجيب والأعجب، والصعب والأصعب، والقريب والأقرب ؟ فأجاب عليه - رضوان الله تعالى - بقوله:

من واجب الناس أن يتوبوا	لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر فى صرفه عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب	لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجى قريب	والموت من دون ذاك أقرب

** (وإذا كان شاهدنا فى قوله هذا، هو: (لكن ترك الذنوب أوجب): فإن هذا

(1) وقال غير الطبرى: هو معطوف على ما قبله، ومعنى الآية نور هؤلاء المؤمنين يضىء لهم على الصراط، ويسطع أمامهم وخلفهم، وعن أيمانهم وشمائلهم كنور القمر فى سواد الليل .
(2) قال مجاهد: هذا قول المؤمنين حين يطفأ نور المنافقين ..(انظر هامش مختصر تفسير الطبرى) ج2 ص 468 .

الشاهد من أهم شروط التوبة .. بل هو أهمها .. كما أشار إلى هذا الإمام النووى فى كتابه (رياض الصالحين) حيث يقول تحت عنوان:

باب التوبة:

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله – تعالى – لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاث شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية [1]، والثانى: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا ..

ثم يقول العلماء: فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ..

ثم يقولون: وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى [2] فشروطها اربعة:

هذه الثلاثة – أى الماضية – وأن يبرأ من حق صاحبها – أى من استيفاء الحق منه – فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه منه – أى من نفسه – أو طلب عفوه،وإن كان غيبة استحله منها – أى طلب منه المسامحة – ثم يقولون: ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى ثم يقولون: وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة .

(هذا) وهناك شرط آخر لابد من تنفيذه إذا أردنا أن يقبل الله تعالى توبتنا .. (ألا) وهو المسارعة بالتوبة ..(كما) أشار الله – تعالى – إلى هذا فى قوله فى سورة النساء: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ**﴾ [النساء: ١٧] أى: إنما يتقبل الله التوبة ممن عصوا ربهم حال جهالتهم وهم به مؤمنون﴿ **ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ** ﴾ أى: ثم يتوبون سريعًا إلى الله – تعالى – قبل نزول الموت بهم ﴿**فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ أى: يتقبل توبتهم ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ أى: عليمًا

---

(١) أى يكف .

(٢) أى بحق آدمى.

بالمنيين من عباده، حكيمًا فى أفعاله وتدبيره ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: ١٨] أى: وليست التوبة المقبولة عند الله للمصرين على معاصى الله ﴿حتى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ أى: حتى إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه وقد أقبلت لقبض روحه، تاب و أناب، فليس لهذا عند الله توبة لحديث: ((أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)) ﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أى: وليست التوبة لمن ماتوا على الكفر ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أى: أعتدنا لهم عذاباً موجعًا [٢] .

(بل) وهناك شرط آخر لابد كذلك وأن ننفذه .. (ألا) وهو اجتناب الكبائر إذا أردنا أن يغفر الله – تعالى – لنا الصغائر التى منها اللهو واللعب، والنظرة الثانية والتقصير فى أداء الطاعات .. كما أشار الله – تعالى – إلى هذا فى قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ أى: إن تجتنبوا أيها المؤمنون – كبائر الذنوب، نكفر الصغائر ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١] **أى: وندخلكم الجنة دار الهناء والسعادة التى لا هموم فيها، ولا أحزان، وأكدار [٣] ..

(وهذا) معناه، أن الله – تعالى – لن يغفر الصغائر إلا إذا اجتنبنا الكبائر وهى المشدد عليها فى القرآن والسنة الصحيحة ..(وقد) جمعها أبو طالب المكى – عليه رحمة الله – على النحو الآتى:

---

(١) أى ما لم يصبح فى سكرات الموت تبلغ الروح الحلقوم، والحديث صحيح أخرجه أحمد.

(٢) الآيتان رقم ١٧، ١٨ من سورة النساء والتفسير مع الهامش من (مختصر تفسير الطبرى) ج١ ص١٤٤، ١٤٥ بتصريف يسير .

(٣) الآية رقم ٣١ من سورة النساء، والتفسير من (مختصر تفسير الطبرى) ج١ ص ١٤٩ بتصرف يسير .

(أربعة) فى القلب، وهى: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله تعالى[1].

(وأربعة) فى اللسان وهى: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنيات، واليمين الغموس [2]، والسحر.

(وثلاثة) فى البطن، وهى: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم.

(واثنان) فى اليدين، وهما: القتل، والسرقة.

(واثنان) فى الفرج، وهما: الزنا واللواط.

(وواحدة) فى الرجل، وهى: الفرار من الزحف.

(وواحدة) فى جميع البدن وهى: عقوق الوالدين.

** (مع) ملاحظة أن هذه الكبائر بالإضافة إلى غيرها [3] .. لا يكفرها إلا التوبة الصادقة التى وقفنا على أهم شروطها .. (أما) بالنسبة للصغائر .. (فإنه) يكفرها كل عمل صالح وخالص لوجه الله تعالى، وكذلك الذكر، والإستغفار (وأيضًا) يكفرها الوضوء فضلا عن الصلاة والصيام ..

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اسباغ الوضوء على المكاره [4]، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط [5]**». رواه الترمذى ومسلم.

* (وعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة، فيُحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تُؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» رواه مسلم.

---

(١) أى من عذاب الله تعالى.

(٢) وهى أن يقسم بأنه قد فعل كذا، او لم يفعل كذا .. وهو يعلم أنه كاذب. وقد سمى بهذا الإسم لأنه يغمس صاحبه فى النار ..

(٣) اى من الكبائر.

(٤) أى على الرغم من وجود ما يكره معه الاستعمال للماء كالبرد وغيره.

(٥) أى أن انتظار الصلاة بعد الصلاة يعدل الجهاد فى سبيل الله.

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» رواه مسلم .

*(وعن) أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه كفر ما قبله**» رواه أحمد والبيهقى بسند جيد .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه أحمد وأصحاب السنن .

** (فلنكن) جميعًا أيها الإخوة الفضلاء من المؤمنين الصادقين الذين يحسنون التوبة إلى الله – تبارك وتعالى – .. وعلى أساس من تلك الشروط التى وقفنا عليها .. (وحسبنا) فى الختام هذا الحديث الشريف الصحيح:

* (عن) أبى نجيد – بضم النون وفتح الجيم – عمران بن الحصين الخزاعى – – أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت [1] حدًا فأقمه علىَّ، فدعا نبى الله ﷺ وليها، فقال: (أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى) ففعل، فأمر بها نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها فرجمت ثم صلى عليها . فقال له عمر: تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال: (**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله – عز وجل**) رواه مسلم .

(نسأل) الله تعالى أن يجعلنا من أهل التوبة الصادقة التى نسأل الله تعالى أن يتقبلها منا ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى فعلت ما يلزمه العقاب .


خطب شهر جمادى الآخرة
الخطبة الثانية
«التحذير من الشرك الأكبر،
والشرك الأصغر»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» رواه البخارى ومسلم.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين، العاملين المخلصين.. الذين أخلصوا دينهم لله كما أمرهم ..(فكانوا) هداة مهديين وقادة منتصرين، (وكانوا) رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) الآن كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثانى من شهر جُمادى الثانى الذى رأيت أن ألتقى معكم فيه، حول موضوعين، من أخطر المواضيع التى يتوقف عليها قبول الأعمال أو رفضها .. ألا وهما الشرك الأكبر .. والشرك الأصغر .. اللذين يجب على جميع الوعاظ والمرشدين أن يحذروا جميع المسلمين والمسلمات من الوقوع فى شباكهما .. بتلك الصورة التى وقع فيها الكثيرون من الضالين المضلين الذين يجهلون حقيقة التوحيد الذى هو الأساس فى هذا الدين الحنيف ..والذى بدونه والعياذ بالله سنكون من الهالكين ولن يغفر الله – تعالى – لنا .. كما يشير الله – تعالى – إلى هذا فى قوله: [النساء: ١١٦]

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا بن آدم إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا [1] ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح. رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

** (ولهذا) فقد قال الله – تبارك وتعالى – على لسان سيدنا لقمان فى وصاياه لولده: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].. (وذلك) لأن المشرك بالله – والعياذ بالله – سيكون قد ارتكب فى حق نفسه ذنبا كبيرا سيكون من أكبر الأسباب الموصلة له إلى النار . قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦]. ولهذا فقد ورد،

* (عن) أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) ثلاثًا**، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**) وكان متكئا فجلس فقال: (**ألا وقول الزور وشهادة الزور**) فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت». رواه البخارى ومسلم .

(وعن) ثوبان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **ثلاث لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف**» رواه الطبرانى فى الكبير .

* (وقد) يسأل الإخوة المسلمون المستمعون عن المعنى المراد من كلمة (الشرك بالله) أو: (التوحيد) ؟ فأجيبهم وبإيجاز: بأن الشرك بالله معناه: عدم إفراد العبودية لله – تبارك وتعالى –، (وأما) التوحيد الخالص، فهو: إفراد العبودية لله – تبارك وتعالى – .. كما يشير إلى هذا المعنى المراد من كلمة التوحيد، وهى (لا إله إلا الله): أى لا معبود بحق إلا الله .. أى: لا خالق إلا الله لا رازق إلا الله . لا نافع إلا الله .. لا ضار إلا الله .. لا محيى إلا الله .. لا مميت إلا الله .. (وعلى) هذا فإنه لابد وأن يكون الموحد منفذًا لهذا المعنى الكبير فى كل أقواله وأفعاله .. (بمعنى) أن لا يسأل إلا الله، وألا

(١) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا ..

يخاف إلا من الله، وأن لا ينحنى إلا لله، وأن لا يتوكل أو يعتمد إلا على الله .

(وأن) يكون شعاره فى كل هذا، هو: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، (وحسبه) أن فعل هذا، أنه سيكون قد فاز بأهم ما كان ينبغى عليه – كمؤمن – أن يفوز به .. (ألا) وهو التوحيد الخالص الذى لا فلاح ولا نجاح ولا نجاة فى الدنيا والآخرة إلا به .. كما يشير إلى هذا قول القائل الموحد:

يا رب إن ذنوبى فى الورى كثرت ... وليس لى عمل فى الحشر ينجين

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حب النبى وهذا القدر يكفينى

**(وأما) عن الشرك الأصغر، فهو الرياء الذى هو عكس الإخلاص كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

*وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣] .

*(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل يا رسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى[1] ؟ فلم يرد عليه ﷺ حتى نزل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

---

(١) الموطن: أى المشهد من مشاهد الحرب .

* (وعن) جندب بن عبد الله قال: قال النبى ﷺ : « **من سَّمع سَّمع الله بـه [1]، ومن يُراء يُراء الله به**» رواه البخارى ومسلم .

* (وعن) أبى سعيد بن أبى فضالة، قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منـاد: مـن كـان أشرك فى عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنـى الشركـاء عـن الشرك**» رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وابن ماجه .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **قـال الله – عـز وجـل – أنـا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملًا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء، وهو للذى أشرك**» [2] رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

** (بل) وقد ورد فى السنة الصحيحة أن المرائين فى أعمالهم، هم أول مـن تُسـعَّر النار بهم يوم القيامة .

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول النـاس يُقضى يوم القيامـة عليـه (رجـل) استشـهد فـأتى بـه فعرفـه نعمـه فعرفهـا، قـال: فـما عملت فيها ؟ قال: قاتلتُ فيك [3] حتـى استشـهدت، قـال كـذبت، ولكنـك قاتلـت لأن يقال فلان جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب عـلى وجهـه حتـى ألقـى فى النـار . (ورجل) تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتى بـه فعرفـه نعمـه فعرفهـا .. قـال: فـما عملت فيها ؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلمتُ وقـرأتُ فيـك القـرآن [4] .. قـال: كـذبت ولكنك تعلمتَ ليقال عالم، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارىء فقد قيـل .. ثـم أمـر بـه فسـحب عـلى وجهـه حتـى ألقـى فى النـار، (ورجـل): وسـع الله عليـه وأعطـاه مـن أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. قال: فما عملـتَ فيهـا ؟ قـال: مـا تركـت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ .. قـال: كـذبت، ولكنـك فعلـت ليقـال هـو جوادٌ فقد قيل .. ثـم أمـر بـه فسـحب عـلى وجهـه حتـى ألقـى فى النـار**» رواه مسـلم والنسائى والترمذى وحسنه وابن ماجه .

---

(١) سمع وراءى به، أى فضحه .

(٢) أى أن عمله الذى أشركه مع الله، ان الله برىء منه .

(٣) أى فى سبيلك .

(٤) أى فى سبيلك .

***(وقد) قال العلماء: مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة أى ملأ كيس نقوده بالحصى أو ما شابهه ثم خرج بعد ذلك إلى السوق، فأخذ الناس يقولون أى عندما رأو كيس نقوده ممتلئًا وهم لا يعرفون ما فيه: ما أملأ كيس هذا الرجل ؟ !! ولكنه إذا أراد أن يشترى به شيئا لا يُعطى به شيء . ثم يقولون: وكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة ثم استدلوا على هذا بقول الله – تبارك وتعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] أى: وعمدنا إلى أعمال المجرمين – المنافقين – التى عملوها فى الدنيا، فجعلناها باطلًا كالهباء، لأنهم عملوها للشيطان لا لله .. (هذا) بالإضافة إلى براءة الله – تبارك وتعالى – من هذا العمل .. والوقوع فى الإثم .. الذى غالبًا ما يوصل إلى النار – والعياذ بالله – (والخلاصة) التى أريد أن نختم بها هى: أن الرياء نوعان [1]:

(أحدهما): أن المرائى لا يريد بطاعته إلا الناس.

(والثانى): أنه يريد الناس ورب الناس وكلاهما محبط للعمل .. ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن بعض السلف (واستدل) بعضهم على ذلك أيضًا بقوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]، فكما أنه – سبحانه وتعالى – تكبر عن الزوجة والولد والشريك .. تكبر أن يقبل عملًا أشرك فيه غيره، فهو تعالى أكبر وكبير ومتكبر .

(وقال) السمرقندى – رحمه الله تعالى -: ما فعله لله تعالى قُبل، وما فعله من أجل الناس رُدَّ .

(ومثال) ذلك من صلى الظهر مثلًا وقصد أداء فرض الله تعالى عليه ولكنه طول أركانها، وحسن هيأتها من أجل الناس فأصل الصلاة مقبول وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس (وسئل) الشيخ عز الدين بن عبد السلام عمن صلى فطول صلاته من أجل الناس ؟ فقال: أرجوا ألا يحبط عمله هذا كله إذا حصل التشريك به فى صفة العمل فإن حصل فى أصل العمل بأن صلى

---

(١) كما جاء فى الأربعين النووية ص٦،٥ .

الفريضة من أجل الله تعالى والناس فلا تقبل صلاته لأجل التشريك فى أصل العمل (وكما) أن الرياء فى العمل، فإنه أيضًا يكون فى ترك العمل وإلى هذا يشير الفضيل بن عياض – رحمه الله تعالى – فى قوله: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما (ومعنى) كلامه – رحمه الله تعالى -: أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو مراء لأنه ترك العمل لأجل الناس أما لو تركها ليصليها فى الخلوة، فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة أو يكون عالمًا يقتدى به فالجهر بالعبادة فى ذلك أفضل (وكما) أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع وهو أن يعمل لله تعالى فى الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل .. قال ﷺ : « **من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به**» قال العلماء: فإن كان عالمًا يقتدى به وذكر ذلك تنشيطا للسامعين ليعملوا به فلا بأس (وقال) المرزبانى – رحمه الله تعالى -: يحتاج المصلى إلى أربع خصال حتى ترتفع صلاته: حضور القلب، وشهود العقل، وخضوع الأركان، وخشوع الجوارح .. فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصل لاه، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصل ساه، ومن صلى بلا خضوع الأركان، فهو مصل جاف، ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصل خاطىء ومن صلى بهذه الأركان فهو مصل واف .

** (فليكن) كل هذا التذكير الذى استمعنا إليه – أيها الإخوة الفضلاء – من أهم الأسباب المبعدة لنا عن الشرك الأكبر، والشرك الأصغر حتى نكون على عكس هذا من الموحدين المخلصين الذين ستنفتح لهم أبواب الجنة – إن شاء الله .

والله نسأل أن يحقق لنا هذا بفضله وكرمه .

والله ولى التوفيق .



خطب شهر جمادى الآخرة

الخطبة الثالثة

((الترغيب في الحياء، والترهيب من عكسه))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**الحياء لا يأتى إلا بخير**» رواه البخارى ومسلم، وفى رواية لمسلم: «**الحياء خير كله**».

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين . الذين كان الحياء من أهم صفاتهم وأخلاقهم . فى كل أقوالهم وأفعالهم . فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – (وها نحن) الآن كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الثالث من شهر جُمادى الثانية الذى رأيت أن ألتقى معكم فيه حول موضوع من أهم المواضيع الأخلاقية ألا وهو الترغيب فى الحياء والترهيب من عكسه ..

(هذا) وإذا كان لى أن أبدأ أولا فى توضيح المعنى المراد من كلمة (حياء) فإن الحياء كما قال الراغب[1]: (.. انقباض النفس عن القبيح وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتكى، فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة، فلذلك لا يكون المستحى فاسقًا، وقلما يكون الشجاع مستحييًا، وقد يكون لطلق الإنقباض كما فى بعض الصبيان)، وقال بعضهم: هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره أعم من أن يكون شرعيًا أو عقليًا أو عرقيًا، ومقابل الأول فاسق،والثانى مجنون، والثالث أبله ..

---

(١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب ج٣ ص ٦٣٥ بتصرف يسير .

(وقد) ورد فى توضيح هذا .. (عن) ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه فى الحياء فقال رسول الله ﷺ : «**دعه أى أتركه على ما هو عليه من الحياء ولا تنصحه بتركه – فإن الحياء من الإيمان**» رواه البخارى ومسلم وأبو دواد والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(مع) ملاحظة: أن جملة: (فإن الحياء من الإيمان): تعليل للأمر السابق، فإذا كان الحياء من الإيمان: فلا يجوز النصح بتركه (قال) ابن قتيبة: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الإيمان .. فسمى إيمانًا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه .. وحاصله أن إطلاق كونه من الإيمان مجاز .. ولكن الذى فى الحديث هو اعتبار الحياء شعبة من الإيمان،وخصلة من خصاله لأنه سماه إيمانًا.

* (وعن) عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الحياء لا يأتى إلا بخير**» رواه البخارى ومسلم، وفى رواية لمسلم: «**الحياء كله خير**»: أى أن كل ما يترتب على الحياء من ثمار ونتائج خير لصاحبه، حتى ولو ترتب عليه ضياع بعض حقوقه عند الناس فإنه يؤجر على ما ترك منها، لا سيما إذا كان المتروك له مستحقًا، وفى الحديث: «**الحياء خير كله،ومن لا حياء فيه لا خير فيه**»

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع [2] وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها [3]: قول لا إله إلا الله وأدناها [4]: إماطة الأذى عن الطريق [5]، والحياء شعبة من الإيمان**» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

---

(١) انظر الترغيب والترهيب مع الهامش ج٣ ص ٦٣٥، ٦٣٦ بتصرف .

(٢) البضعة والبضع بكسر الباء،وحكى فتحها: القطعة من الشيء،وهى فى العدد من الثلاثة إلى التسع لأنه قطعة من العدد، ومعنى الشعبة،أى خصلة، و عندا بن ماجه: (بابًا)

(٣) أى أشرفها وأعلاها،وعند ابن ماجه (أرفعها)

(٤) أى دونها وأقلها مقدارًا .

(٥) يعنى إذهابه .. ٠(انظر هامش الترغيب والترهيب ج٣ ص ٦٣٦) .

** (فمعنى) أنه شعبة من الإيمان، أى: خصلة من خصاله، وأثر من آثاره .. والحياء بالمد لغة: تغير وانكسار يعترى الإنسان عند خوف ما يعاب به وفى الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان،والإيمان فى الجنة،والبذاء من الجفاء، والجفاء من النار**» رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

** (لهذا)، فإنه من الخير للإنسان المؤمن ذكرًا كان أم أنثى .. أن يكون متخلقًا بخلق الإسلام الذى هو الحياء . الذى ما كان فى شيء إلا زانه .. أما عكسه وهو الفحش فى القول و الفعل - ما كان فى شيء إلا شانه .. كما ورد عن الحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - [1] .. كما ورد كذلك أن (الحياء والإيمان قرناء جميعًا، فإذا جاء أحدهما رفع الآخر) [2]، أى: لا يبقى الإيمان بعد فقد الحياء.

** (وإذا) كان الفحش فى القول و الفعل هو عكس الحياء، وهو عكس الخلق الحسن الذى لن يكمل الإيمان إلا به.

(فإننى) أرى أن أزود الإخوة الفضلاء ببعض الأحاديث الشريفة التى ترغب فى الخلق الحسن وترهب من عكسه. فقد ورد:

* (عن) النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر [3] حسن الخلق،والإثم [4] ما حاك فى صدرك وكرهتَ أن يطلع عليه الناس» رواه مسلم والترمذى .

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه والترمذى، وقال حديث حسن غريب .
(٢) والحديث رواه الحاكم،وقال صحيح على شرط الشيخين ..
(٣) البر: اسم جامع لكل خير .
(٤) الإثم: اسم جامع لكل شر .

* (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا مَتفَحِّشاً [1]، وكان يقول: « **أن من خياركم أحسنكم أخلاقًا** » رواه البخاري ومسلم، والترمذى .

** (وحسب) الإخوة المؤمنين أن يكونوا من المتخلقين بأخلاق سيد المرسلين – صلوات الله وسلامه عليه –، (بل) وحسبهم أن يكونوا من المتشبهين به فى خلق الحياء.

فلقد ورد:

* (عن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء[2] فى خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه) متفق عليه .

* (وعن) عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : (**إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا، وألطفهم** [3] **بأهله**) رواه الترمذى والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما .. وقال الترمذى: حديث حسن ..

* (وعنها) رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم والقائم**) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحهما، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما ولفظه: (**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار**) ورواه الطبرانى من حديث أبى أمة إلا أنه قال: (**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر** [4])

** (وهناك) حديث هام لابد كذلك وأن نقف على المراد منه حتى نكون –إن شاء الله تعالى – من أهل الحياء .. فقد ورد:

---

(١) قال فى الفتح: (الفحش ما خرج من مقداره حتى يستقبح ويدخل فى القول والفعل والصفة.. والفاحش الذى يقول الفحش.. والمتفحش الذى يستعمل الفحش ليضحك الناس ..) ا. هـ. باختصار .

(٢) أى البكر حال اختلائها بالزوج الذى لا تعرفه من قبل تستحى منه .

(٣) يعنى أكثرهم لطفًا ورقة وحسن عشرة .

(٤) وهو كناية عن ملازمته للصيام فى أيام الصيف واشتداد الحر .

(عن) أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم : (**إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) رواه البخارى .

(فقد) قال الإمام النووى فى شرح الأربعين النووية: معلقا على الحديث[1]: معناه: إذا أردت فعل شيء، فإن كان مما لا يستحى من فعله من الله ولا من الناس فافعله و إلا فلا .. (وعلى) الحديث يدور مدار الإسلام كله،وعلى هذا يكون قوله - صلى الله عليه وآله وسلم : «**فاصنع ما شئت**» : **أمر إباحة لأن الفعل إذا لم يكن منهيًا عنه شرعًا كان مباحًا** .. (ثم) بعد ذلك يقول الإمام النووى: (ومنهم) من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحى من الله تعالى ولا تراقبه فأعطِ نفسك مناها وافعل ما تشاء فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة .. ويكون كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]. وكقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الاسراء: ٦٤] والكلام موجه إلى اللعين إبليس حتى يعلم أنه لن يستطيع أن يخدع عباد الله المؤمنين .. لأنه لا سلطان له عليهم بدليل قول الله - تعالى - فى الآية التى بعدها .

** (وهذا) معناه أننا لابد كمؤمنين صادقين أن نكون من أهل الحياء بكل أنواعه .. وأعنى بهذا أن ننفذ الوصية التى يقول فيها الإمام على - كرم الله وجهه- لابنه الحسن - عليه رضوان الله -: (يابنى: استحى من ثلاث: (استحى) من مطالعة الله إياك وأنت مقيم على ما يكره): أى إذا كنت تعتقد أن الله تعالى يراك، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية . فإنه ينبغى عليك أن تستحى منه إذا أردت أن تعصيه . (وإلا) فإن العبد سيكون متجرئا على الله - تبارك وتعالى - ويستحق العقاب بعد ذلك إن لم يكن فى الدنيا ففى الآخرة .. (واستحى من الحفظة الكرام الكاتبين) أى: إذا كنت تعتقد أن عليك عشرة من الملائكة نهارا، وعشرة من الملائكة ليلا يحفظونك من أمر الله أى بأمر الله كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]: فإنه ينبغى عليك أن تستحى منهم إذا أردت أن ترتكب معصية أمامهم ..

---

(١) رقم ٢٠ ص ٥٣ .

(بل) وقد ورد فى حديث شريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم**» [1] وإكرامهم يتحقق بأن تذهب بهم إلى المساجد فى كل وقت من أوقات الصلاة،وإلى مجالس العلم النافع،وإلى جميع ميادين الخير .. لا أن تذهب بهم إلى أماكن اللهو واللعب .. (وذلك) حتى يشهدوا لك لا عليك . (واستحى: من صالحى المؤمنين) أى أنه ينبغى عليك كمؤمن أن تستحى من إخوانك المؤمنين . إذا أردت أن ترتكب أمامهم معصية أو مخالفة من المخالفات المنهى عن فعلها (وذلك) حتى يشهدوا لك يوم القيامة بالصلاح والتقوى .

(فقد) ورد فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ كان يجلس ذات يوم مع بعض أصحابه، فمرت جنازة، فأخذ الأصحاب يقولون عن المحمول فيها خيرا [2] .. فقال النبى ﷺ : **(وجبت)**، ثم مرت جنازة أخرى، فأخذ الأصحاب يقولون عن المحمول فيها شرا [3] .. فقال النبى ﷺ **(وجبت)**، فقال الأصحاب يا رسول الله لماذا وجبت بالنسبة للجنازة الأولى، وبالنسبة للجنازة الثانية ؟ فقال – صلوات الله وسلامه عليه –: **(عندما مرت الأولى وقلتم عنها خيرًا، قلت وجبت، أى وجبت الجنة، وعندما مرت الجنازة الثانية وقلتم عنها شرًا قلت: وجبت أى وجبت النار (أنتم شهداء الله فى الأرض)** أو كما قال رسول الله ﷺ [4]

** (فلننتفع) جميعًا – إن شاء الله – بكل هذا التذكير الذى استمعنا إليه حتى نكون من أهل الحياء .

والله ولى التوفيق .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير حول تفسير الآية ..

(٢) أى قالوا عنه أنه كان محافظًا على الصلوات الخمس .. وكان صواما وقوامًا . ومن أهل الصدق .. الخ .

(٣) أى ذكروا عنه انه كان كذابًا، وكان تاركًا للصلاة .. الخ .

(٤) والحديث فى رياض الصالين .



خطب شهر جمادى الآخرة

الخطبة الرابعة

«الترهيب من النميمة، والترغيب في الإصلاح بين الناس»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**لا يدخل الجنة قتات**» رواه البخارى ومسلم، ورواه مسلم بلفظ: (نمام).

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين الذين كانوا غير همازين ولا مشائين بالنميمة بين الناس فكانوا بهذا الخلق الفاضل من أصحاب القلوب السليمة، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى اللقاء الرابع من شهر جُمادى الثانى الذى رأيت أن ألتقى معكم فيه حول موضوع من أخطر أمراض المجتمع .. التى لابد وأن نتعاون جميعًا كمسلمين وكمسلمات على تطهير المجتمع الإسلامى منها .. ألا وهو النميمة التى هى السعى بالفساد بين المتحابين بنقل الأقوال التى تهيج بينهم العداوة والبغضاء إليهم .. (وهذا) الفعل فى حد ذاته من الفسوق الذى ينبغى علينا كمؤمنين أن، لا نستمع إلى صاحبه، أو نعتبر كلامه صدقًا إلا بعد أن نتثبت منه .. كما يشير إلى هذا رب العزة – سبحانه وتعالى – فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] (ففى) هذه الآية الكريمة سمى القرآن أصحاب الخبر المنقول فساقًا حتى قبل أن نتبين صدقهم من كذبهم . .(وذلك) لأن الخبر هذا إذا لم يكن صدقًا

سيؤدى إلى قطع الصلات، والتنازع والتشاحن بين الفئات [1] بالإضافة إلى الخلافات التى ستكون سببًا فى خراب الديار، وضياع الثروات .. وما إلى ذلك من القتل والسلب والنهب .. وتدخل المغرضين بالفتنة التى هى أشد من القتل .. (ولهذا) كان النبى ﷺ يحارب النميمة ويرهب منها بكل ما أوتى من حكمة وفصاحة .

* (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان، فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير [2] بلى إنه كبير [3]: أما أحدهما: فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله [4]**» الحديث رواه البخارى،واللفظ له، ومسلم وأبو داودا والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا نمشى مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغير [5] حتى رعدكم قميصه [6]، فقلنا: مالك يا رسول الله [7]؟ فقال: «**أما تسمعون ما أسمع ؟**» فقلنا: وماذا يا نبى الله؟ قال « **هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابًا شديدًا فى ذنب هين [8]**» قلنا: فيم ذلك؟ قال: «**كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه، ويمشى بينهم بالنميمة**» فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل فى كل قبر واحدة، قلنا: وهل ينفعهم ذلك ؟ قال: «**نعم: تخفف عنهما ما دامتا رطبتين [9]**» رواه ابن حبان فى صحيحه .

** (ومعنى قوله: فى ذنب هين): أى هين عندهما، وفى ظنهما، لا أنه هين فى

---

(١) من الأفراد والجماعات .
(٢) أى لا يقع العذاب على عمل يعدونه كبيرا .
(٣) أى معصية كبيرة .
(٤) أى لا يجعل بينه وبين بوله سترة ولا يتحفظ منه ،وفى رواية (لا يستنزه) .
(٥) أى يَمتقع ويصفر .
(٦) أى اضطرب واهتز .
(٧) يعنى أى شيء حصل لك سبب خوفك وارتعادك .
(٨) أى صغير بالنسبة لما فوقه من كبار الذنوب كالقتل والزنا ونحوهما .
(٩) يعنى ما لم تيبسا .

نفس الأمر .. وقد أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله تعالى .. (وهذا) التعليق الأخير الذى أورده صاحب الترغيب والترهيب بعد الحديث السابق .. يشير إلى أنه ليس من الإسلام أن يكون المسلم نمامًا، أو مغتابًا، أو لعانًا، أو سبابًا، أو غاشًا، أو خائنًا .. (وإنما) ينبغى أن يكون عكس هذا .. أداة إصلاح لا إفساد ..

* (وقد) روى عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منى**[1] **ذو حسد**[2] **ولا نميمة**[3]**، ولا كهانة**[4]**، ولا أنا منه**» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب:٥٨] رواه الطبرانى، قال العزيزى: (قال الشيخ: حديث حسن) .

* (وعن) عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبى ﷺ : «**خيار عباد الله**[5]**: الذين إذا رءوا**[6] **ذكر الله، وشرار عباد الله**[7]**: المشاءون بالنميمة**[8]**، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت**[9]» رواه أحمد عن شهر عنه، وبقية إسناده محتج بهم فى الصحيح .

* (وعن) العلاء بن الحارث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الهمازون، واللمازون**[10]**، والمشاءون بالنميمة الباغون للبرآء العنت يحشرهم الله فى وجوه الكلاب**[11]» رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب التوبيخ[12] .

---

(١) أى ليس متمسكًا بهديى ولا سائرًا على طريقتى .
(٢) وهو الذى يتمنى زوال النعمة عن أخيه .
(٣) وهو الذى يسعى بالحديث بين الناس لإحداث النفرة وتهيج العداوة .
(٤) وهو الذى يدعى العلم بالأمور المستقبلة والأشياء الخفية .
(٥) أى أكثرهم خيرًا وأعظمهم نفعا .
(٦) أى الذين إذا رآهم غيرهم من الناس ذكروا الله –تعالى – ..
(٧) أى أكثرهم شرا وأبعدهم عن الخير .
(٨) أى الساعون بين الناس بالفساد .
(٩) أى الملتمسون الطالبون العنت وهو الحرج لأهل النزاهة والشرف .
(١٠) الهماز بالقول واللماز بالفعل يعنى يزدرى الناس وينتقص بهم .. كا قال ابن كثير .
(١١) يعنى أن وجوههم يوم القيامة تكون على صورة وجوه الكلاب ..
(١٢) معضلا هكذا .. انظر الترغيب والترهيب ج٣ ص ٧٥٧ .

** (وعلى) هذا، فإنه ينبغي على الإخوة المسلمين .. أن يكونوا على عكس هذا من أهل الإصلاح . على جميع المستويات العامة والخاصة .. (أعنى) بين المتخاصمين، أو بين الزوجين، أو بين طائفتين من المؤمنين متقاتلتين لأن: (الصلح خير) [1] رغب الله تعالى فيه فى قرآنه وعلى لسان نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – (ففى) القرآن الكريم يقول – تبارك وتعالى -: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:١١٤] ويقول: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ [النساء:٣٥]، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد أرسل حكمين فى قضية زوجية ليصلحا بين الزوجين – كما تشير الآية – ولكنهما لم يُوفقا فعادا إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأخبراه .. فضربهما – عليه رضوان الله – بالدرة [2]، وهو يقول لهما: إن أردتما إصلاحًا لوفقكما الله .

(وورد) أنهما عادا بعد ذلك بنية صادقة فحقق الله – تعالى – الإصلاح على يديهما وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات:٩، ١٠] .

** (وقد) ورد فى السنة المطهرة مثل هذا ..

* (فعن) جابر رضي الله عنه قال: اقتتل غلامان .. غلام من المهاجرين،وغلام من الأنصار .. فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين، ونادى الأنصارى يا للأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذا ؟ دعوى أهل الجاهلية**»قالوا: لا يا

(١) قال – تعالى – فى سورة النساء الآية ١٢٨: ﴿**والصلح خير ..**﴾ .
(٢) وهى تشبه السوط .

رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع (1) أحدهما الآخر، قال: «**فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا فلينصره**» رواه مسلم .

* (وعن) أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة (2)** » قالوا: بلى (3)، قال «**إصلاح ذات البين(4)**، **فإن فساد ذات البين هى الحالقة (5)**»رواه أبو داود،والترمذى وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حديث صحيح . قال: ويروى عنه النبى ﷺ أنه قال: « **هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر،ولكن تحلق الدين**» انتهى .

* (وروى) عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال لأبى أيوب: «**ألا أدلك على تجارة؟(6)**» قال: بلى . قال: «**صِل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا**»

رواه الطبرانى، وعنده «**ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟**» قال: بلى قال: «**صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا** » رواه الطبرانى وعنده: (ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله ؟) قال: فذكره .. الخ هذه الأحاديث الشريفة التى ترغب فى الإصلاح بين الناس، وترهيب الإفساد بينهم ..

** (فلنكن) جميعا كمؤمنين صادقين على صلة بكل هذا التذكير حتى لا نكون من المصابين بداء النميمة التى هى الأساس فى كل تمزيق أواصر المودة والرحمة بين المسلمين .. (بل) وهى السبب فى عدم استجابة الله تعالى لنا إذا ما دعوناه .. أو استغثنا به إذا نزلت بنا نازلة .

---

(1) كسعه: أى ضرب دبُرُه بيده وهو بكاف ثم سين .
(2) يعنى أنها ارفع درجة من القيام بهذه العبادات على سبيل التطوع .
(3) أى أخبرنا ..
(4) أى إصلاح ما وقع من فساد وخصومة بين الرجلين ..
(5) أى هى الخصلة التى من شانها أن تحلق الدين، أى تهلكه وتستأصله كما يستأصل الموس الشعر .
(6) أى تجارة عظيمة تربحك النجاة من عذاب الله والفوز برضاه وثوابه .

* (وقد) قرأت فى (إحياء علوم الدين) أن سيدنا موسى عليه السلام .. خرج ذات يوم ببنى إسرائيل لكى يستسقى لهم – أعنى لكى يصلى بهم صلاة الإستسقاء فى الفضاء – وهناك أخذ يدعوا الله تعالى معهم أن يمطرهم الله تعالى بغيثه وغوثه .. ولكن الله تعالى لم يستجب لهم . فقال موسى: يا رب قد دعوناك وسألناك ولكنك لم تستجب لنا .. فما هو السبب فى هذا ..؟ فقال الله تعالى يا موسى كيف أستجيب لكم وفيكم نمام !! فقال سيدنا موسى: دلنا عليه يا رب حتى نخرجه من صفوفنا .. وحتى تستجيب لنا .. فقال الله تعالى يا موسى: كيف أنهاكم عن النميمة وأكون نماما .. فلما سمع النمام هذا ..[1] تاب توبة صادقة إلى الله . فنزل المطر ..

(نسأل الله تعالى) أن ينفعنا بما استمعنا إليه وأن يجعله حجة لنا لا علينا ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى بعد أن أخبرهم سيدنا بهذا .



خطب شهر جمادى الآخرة

الخطبة الخامسة

«الترغيب في الصدق، والتحذير من الكذب»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: «**أربع إذا كن فيك، فلا عليك بما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طُعمة**[1]» رواه أحمد والطبراني بأسانيد حسنة، والحديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما.

* (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر**» رواه البخاري ومسلم، زاد في رواية له: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**».

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين الذين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين .. وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا في اللقاء الخامس من شهر جُمادى الثانية الذى رأيت أن ألتقى معكم فيه حول موضوع من أهم المواضيع الدينية التى لابد وأن يكون دائمًا وأبدًا موضع دراسة وتنفيذ ألا وهو الترغيب في الصدق، والتحذير من الكذب .. (وذلك) من خلال حديث صحيح روه البخاري ومسلم[2] يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق**

---

(١) الطعمة بالضم: وجه المكسب، يقال: عفيف الطعمة، إذا كان طيب المكسب، ورديء الطعمة إذا كان خبيث المكسب.

(٢) والحديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه.

يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

** ففى هذا الحديث الصحيح يشير النبى ﷺ إلى أهم نتائج الصدق، كما يشير إلى أهم عواقب الكذب .

(وذلك) حتى نحرض كمؤمنين صادقين على أن نكون من أهل الصدق لا من أهل الكذب .

** (فقد) أشار أولا إلى أن الصدق يهدى إلى البر .. الذى هو (حسن الخلق)[1] وهو أيضًا: (ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب)[2] وإذا كان هذا هو وصف البر .. فإنه حسبنا أن نعلم كذلك أنه الموصل إلى الجنة التى فيها لعباد الله الصالحين .. ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

(بل) وحسبنا أن نعلم أن الرجل إذا تحرى الصدق فى أقواله وأفعاله .. فإنه سيصل عن طريقه إلى الصِّديقية التى هى قبل مرتبة النبوة مباشرة .. كما أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم، فقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: ٤١].

وقال: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: ٥٦] كما قال تعالى فى ترتيب تنازلى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

** (وإذا) كان هذا هو أهم ما يميز الصدق .. فإنه حسبنا كذلك أن نعلم أن الله تعالى قد وصف به أهل البر فى ختام (آية البر) التى يقول فيها سبحانه وتعالى:

---

(١) كما جاء فى نص حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) كما جاء فى حديث حسن رواه الإمام أحمد ابن حنبل والإمام الدارامى بإسناد حسن .

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

** (وإذا) كان الله تعالى قد وصفهم كذلك بأنهم المتقون .. (فإنهم) بهذا الوصف الآخر سيكونون أهلًا لما أشار الله تعالى إليه فى قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر:٥٤] أى إن الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فى بساتين وأنهار يوم القيامة ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أى فى مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] أى: عند إله مقتدر على ما يشاء، وهو الله ذو القوة المتين، تبارك وتعالى [1].

** (ولهذا) فإنه حسبنا من أجل الفوز بكل هذا الخير المشار إليه فى كل الآيات التى استمعنا إليها – فضلًا عن غيرها – أن نكون من أهل الصدق الذى كان أهم ما وصف به الرسول ﷺ فى الجاهلية والإسلام .. حتى أنه كان ملقبًا بالصادق الأمين .

* (ولقد) تجلى هذا اللقب فى الجاهلية يوم أن اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه – وكان هذا بعد أن هدموا الكعبة وأعادوا بناءها – فكانت كل قبيلة ترى أنها أولى بهذا الشرف من غيرها .حتى كادت الدماء أن تسيل بسبب هذا الإختلاف .. لولا أن الله تعالى هداهم إلى رأى .. وهو أن ينتظروا أول داخل من إحدى أبواب الكعبة الذى حددوه .. وقالوا: عندما سيأتى هذا الداخل أيًا كان هذا الداخل سنحكمه بيننا وسنرتضى حكمه فكان هذا الداخل هو الصادق الأمين الذى فرحوا عندما رأوه ..وهم يقولون فى صوت واحد: هذا الصادق

---

(١) والتفسير من (مختصر تفسير الطبرى) ج٢ ص ٤١٠ بتصرف يسير .

الأمين رضينا به حكمًا (وذهب) الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى حيث يقفون .. وهناك استمع إلى كلامهم (فما كان منه بعد ذلك إلا أن بسط رداءه على الأرض .. (ثم) ذهب إلى الحجر الأسود وحمله بيديه الشريفتين .. ثم وضعه فوق الرداء .. (ثم) طلب من كل قبيلة منهم مندوبًا ينوب عنها فى حمل الرداء والسير به إلى حيث سيوضع الحجر الأسود فى مكانه .. ففعلوا .. وهناك كما وضع الرسول ﷺ الحجر الأسود فوق الرداء .. رفعه صلوات الله وسلامه عليه من فوق الرداء بيديه الشريفتين ثم وضعه فى مكانه .. وبهذا يكون النزاع قد انتهى .. ببركة الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه ..

(ويوم) أن أمره الله تعالى بأن ينذر عشيرته الأقربين [1] ..وقف فوق الصفا . وأخذ ينادى بطون قريش حتى اجتمعوا حوله من كل اتجاه فسألهم سؤالًا واحدًا طلب منهم أن يجيبوا عليه .. وهو: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟) فعند ذلك قالوا جميعًا فى صوت واحد: نعم ما جربنا عليك كذبًا فأنت الصادق الأمين . فقال لهم بعد ذلك: (فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد)، وكادوا جميعًا أن يؤمنوا به لولا أن اللعين أبا لهب قال مخاطبًا إياه . تبا لك [2] ألهذا جمعتنا .. فبكى رسول الله ﷺ .. لأنه كان ينتظر اعتراضًا كهذا من غير أعمامه .. (ولهذا) فقد تولى الله تعالى بنفسه الرد على هذا اللعين، فأنزل قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ [المسد ١: ٥] .

** (فلنكن) أيها الإخوة الفضلاء من المتخلقين بأهم أخلاق رسول الله ﷺ .. ألا وهو:

* الصدق: مع الله تبارك وتعالى . بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه .. وعبادته حق عبادته .

---

(١) كما قال تعالى فى نص الآية رقم ٢١٤ من سورة الشعراء .
(٢) أى خسرت يداك .

*والصدق: مع رسول الله ﷺ .. بالتمسك بسنته والتأدب بأدبه، والتخلق بأخلاقه،وتنفيذ أمر الله تعالى فى قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

*والصدق: مع القرآن .. بتنفيذ ما فيه من الأوامر،واجتناب ما فيه من المنهيات، والإتعاظ بما فيه من القصص .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى لنبيه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] .

*والصدق: مع سنة رسول الله ﷺ .. بالإلتزام بها .. وفهم القرآن عن طريقها .. والبعد عن البدع المخالفة لها .. كما أوصانا رسول الله ﷺ فى قوله: « .. **فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ**[١]،**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة**[٢] **ضلالة**» رواه أبو داود .

* والصدق: فى الصلاة، والزكاة، والصيام،والحج .. بتنفيذ كل هذه الأركان على أساس فقهى سليم .. وكما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة ..

* والصدق: مع الزوج أو مع الزوجة بحسن المعاشرة والطاعة فى تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه . لا فى معاصيه ..

* والصدق: مع الأبناء .. وذلك بحسن تربيتهم وأمرهم بالصلاة لسبع، وضربهم عليها لعشر،والتفريق بينهم فى المضاجع .. كما أوصانا رسول الله ﷺ .. فى السنة المطهرة[٣] ..

* والصدق: مع الأبوين .. وذلك بالبر بهما، وحسن التعامل معهما فى حياتهما، والدعاء لهما بعد وفاتهما .. والتصدق لحسابهما فى أبواب البر ..

* و الصدق: مع الجيران .. بالإحسان إليهم،وحسن التعامل معهم .. وعدم التعرض لهم بالإيذاء لأن هذا يتنافى مع الإيمان الحق.. كما ورد فى السنة المطهرة[٤]..

---

(١) أى تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه، والنواجذ آخر الأضراس . والواحد ناجذ وهو الذى يبدوا عند الضحك .

(٢) والبدعة ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله – ﷺ – .

(٣) كما جاء فى نص حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٤) كما جاء فى نص حديث صحيح متفق عليه .

* والصدق: مع أولى الأرحام .. وذلك بصلتهم والعطف عليهم،والوقوف بجوارهم عند الشدائد .. فهم أولى بالعطف والحنان من غيرهم ..

* والصدق: فى أداء الأعمال الشريفة .. وذلك بأن نؤديها بإتقان .. حتى يكون الدخل الذى سيعود علينا منها حلالًا لا حرامًا .. الخ .

** (وأما) عن الكذب الذى حذرنا منه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه – فى الحديث الأول الذى ندور حوله – بعد أن رغبنا فى الصدق .. (فإنه) حسبنا أن نعلم أنه (يهدى إلى الفجور) الذى هو الخروج عن الطاعة، والفاجر هو المنبعث فى المعاصى والمحارم ..

* (وهو) أيضًا، أى الفجور يهدى إلى النار – والعياذ بالله – تلك التى أشار الله تعالى إلى بعض ما فيها من الأهوال فقال:﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** (1) **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨] .

** (وحسب) الكذاب فى أقواله وأفعاله . أنه سيكتب عند الله كذابًا وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر: ٨]. كما يقول تبارك وتعالى:﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٠] ..

(فلنكن) أيها الإخوة الفضلاء من المتفعين بكل هذا التذكير الذى استمعنا إليه .. حتى يكون حجة لنا لا علينا .. وحتى نكون بسببه إن شاء الله من أهل الصدق لا من أهل الكذب .. (ولنكن) كذلك من المنفذين لأمر الله تعالى الذى استمعنا إليه فى أول الخطبة وهو قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩]. وذلك حتى نتعاون معهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

والله ولى التوفيق .

---

(1) أى عناء وعذاب .



خطب شهر رجب

الخطبة الأولى

((الإشارة إلى فضل الأشهر الحرم))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ورجب مضر بين جمادى وشعبان** »(١).

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين .. الذين عرفوا كيف يتقربون إلى الله فى كل مناسبة من المناسبات، وفى كل لحظة من اللحظات .. فكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) فيا جماعة المسلمين: ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –:

(نحن) فى الجمعة الأولى من شهر رجب الذى هو من الأشهر الحرم المشار إليها فى الآية الكريمة التى استمعنا إليها فى أول الخطبة.

و (أولهن رجب ومُضر بين جمادى(٢) وشعبان، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) وقد سميت بالأشهر الحرم لأن القتال – فى الجاهلية كان محرما فيها – من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام –.. وكان هذا بأمر من الله – تعالى –: وإذا كان الله تعالى يقول بعد ذلك فى نص الآية: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[التوبة٣٦]، فإن

---

(١) تفسير الطبرى الأثر ١٦٦٨٥: ١٤ / ٢٣٥.

(٢) أى جمادى الآخر.

المعنى هو أن ذلك التحريم لهذه الشهور فى مواضعها التى بينها النبى ﷺ : هو الدين القيم الذى دان به إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وتوارثه العرب منهما (ثم) إذا كان الله تعالى قد قال بعد ذلك: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: أى لا تهتكوا حرمتها بارتكاب ما حرم فيها من القتال وحرمات الإحرام، ما لم يعتد العدو على بلادنا – نحن المسلمين – أو يكون وشيك الإعتداء عليها فيحل قتاله (قال) عطاء: لا يحل للناس أن يغزوا فى الحُرم ولا فى الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا .. لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: من الآية٣٦] أى: وقاتلوا المشركين مجتمعين غير متفرقين، كما يقاتلونكم كذلك، ومن العلماء من قال: إن الآية أوجبت القتال على كل قادر، ثم نسخ ذلك فجعل فرض كفاية، وقد أنكر ذلك ابن عطية قائلا: لم يعلم قط عن شرع النبى ﷺ أنه الزم الأُمَّة جميعًا النفر [1] وإنما معنى هذه الآية الحض على قتال المشركين وجمع الكلمة .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه بشارة وضمان لنصر المؤمنين بسبب تقواهم، أى واعلموا أن الله – تعالى – مع أهل التقوى بالنصر والمعونة على الأعداء [2] .

*هذا، وإذا كان موضوع الخطبة – أساسًا – هو ما ينبغى علينا أن نفعله أو أن نجتنبه فى شهر رجب:

*(فإننى) أحب أن أذكِّر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة . بأن النبى ﷺ كان إذا دخل شهر رجب يقول: (اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان)، وهذا معناه أن النبى ﷺ كان يعرف قدر هذا الشهر المبارك الذى هو شهر رجب – فضلًا عن شهر شعبان – ولهذا فإنه – صلوات الله وسلامه عليه – كان يسأل الله – تعالى – أن يبارك الله له ولنا فى هذين الشهرين وأن يبلغنا بعدهما رمضان

(١) أى الخروج للقتال فى سبيل الله .
(٢) انظر التفسير الوسيط صـ١٦٩٨ وما بعدها حول تفسير الآية ٣٦ من سورة التوبة .

الذى (أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار) . وهو أفضل الشهور عند الله ..

* (إذا) كان لى أن أركِّز بعد ذلك على أهم ما ينبغى علينا أن نقف عليه بالنسبة لموضوع: الصوم فى رجب: فهو أنه لم يثبت من طريق صحيح فى صوم رجب نهى ولا ندب، إلا ما ورد فى صوم الأشهر الحُرُم [1] التى منها شهر رجب (فعن) رجل من باهلة أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أنا الرجل الذى جئتك عام الأول، فقال: «**فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟**» قال: ما أكلت طعامًا إلا بليل منذ فارقتُك . فقال رسول الله ﷺ «**لم عذبت نفسك ؟ ثم قال: صُم شهر الصبر ويومًا من كل شهر**» قال: زدنى فإن بى قوة قال: (صم يومين) قال: زدنى، قال: «**صم من الحرم واترك، صُم من الحُرمُ واترك، صُم من الحُرمُ واترك . وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها** [2]»رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى بسند جيد.

*قال فى (فقه السنة) [3]: وصيام رجب ليس له فضل زائد على غيره من الشهور إلا أنه من الأشهر الحرم ولم يرد فى السنة الصحيحة أن للصيام فيه فضيلة بخصوصه،وأن ما جاء فى ذلك مما لا ينتهض للإحتجاج به ..

قال ابن حجر: (لم يرد فى فضله، ولا فى صيامه، ولا فى صيام شيء منه مُعَيَّن، ولا فى قيام ليلة من صومه منه حديث صحيح يصلح للحجة) .

*(ومع هذا)، فإنه يجوز للأخ المسلم .. والأخت المسلمة أن يصوما فيه أو منه ما شاءا من الصيام [4] -كأى شهر عربى آخر - بنية الصيام فى سبيل الله (فعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**من صام يومًا فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك سبعين خريفًا** [5] » أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه.

---

(١) أى أنه يستحب الإكثار من الصيام فيها .
(٢) أى انه - صلوات الله وسلامه عليه - أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أخرى .
(٣) جـ٣صـ٢١٣ ،
(٤) أى التطوع .
(٥) أى سنة .

* (وحسبهما) إن أرادا ثوابًا مضاعفا: أن يصوما [1] الصيام المسنون الذى رغب فيه الحبيب -صلوات الله وسلامه عليه -، وهو:

(١) صيام ستة أيام من شوال:

(فعن) أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر** » [2].

رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى.

مع ملاحظة: أنها تؤدى متتابعة وغير متتابعة ولا فضل لأحدهما على الآخر وعند الإمام أحمد وعند الحنفية والشافعية الأفضل صومها متتابعة عقب العيد.

(٢) صوم عشر ذى الحجة وتأكيد يوم عرفة لغير الحاج:

* (فعن) أبى قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومُستقبلة، وصوم يوم عاشوراء يكفِّر سنة ماضية** » رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى.

*(وعن) حفصة قالت: (أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ صيام يوم عاشوراء والعشر [3] وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة [4]) رواه أحمد والنسائى.

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات**» ورواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

*(قال الترمذى): قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة.

*(وأما) عن أيام التشريق الثلاثة بعد يوم عيد النحر فإنه لا يجوز صيامها (فقد روى) الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ أرسل

---

(١) أى أن يصوما بالصيام الوارد فى السنن المؤكدة عن رسول الله ﷺ.

(٢) هذا لمن صام رمضان كل سنة، قال العلماء: الحسنة بعشر أمثالها ورمضان بعشرة شهور، والأيام الستة بشهرين. فيكون العدد اثنى عشر شهر. أى سنة..

(٣) أى الأول من ذى الحجة باستثناء اليوم العاشر الذى هو يوم عيد النحر. الذى يحرم صيامه وكذلك بالنسبة ليوم عيد الفطر.. وهذا بإجماع العلماء.

(٤) أى صلاة الصبح.

صائحًا يصيح أن لا تصوموا هذه الأيام، فإنها أيام أكل، وشرب، وبَعِال[1]).

* (وقد) أجاز أصحاب الشافعى – رضى الله عنهم –: صيام أيام التشريق فيما له سبب من نذر، أو كفارة، أو قضاء، أما ما لا سبب له فلا يجوز فيها بلا خلاف..

** (وأيضًا) نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة منفردًا:

* (فعن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على جُوَيْرية بنت الحارث وهى صائمة فى يوم جمعة، فقال لها: (أصُمْت أمس ؟) فقالت: لا، قال: (فأفطرى إذن) رواه أحمد والنسائى بسند جيد (وعن) عامر الأشعرى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموه إلا أن تصوموا قبله أو بعده**) رواه البزار بسند حسن .

* (وكذلك) الحكم بالنسبة لصيام يوم السبت منفردًا:

* (فعن) بُسّر السَّلمى عن أُخته الصماء أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم [2] وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء [3] عنب أو عود شجرة فليمضغه**» رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الترمذى وقال: ومعنى الكراهة فى هذا أن يختص الرجل يوم السبت بصيام لأن اليهود يعظمون يوم السبت .

** (وأيضًا) منهى عن صيام المرأة وزوجها حاضر إلا بإذنه:

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا تصم المرأة يوما واحدا، وزوجها شاهد إلا بإذنه، إلا رمضان**» رواه أحمد والبخارى ومسلم .

* (وقد) حمل العلماء هذا النهى على التحريم،وأجازوا للزوج أن يُفسد صيام زوجته لو صامت دون أن يأذن لها . لافتياتها على حقه، وهذا فى غير رمضان كما جاء فى الحديث، فإنه لا يحتاج إلى إذن من الزوج وكذلك لها أن تصوم من غير إذنه

---

(١) وهو وطء الرجل زوجته .
(٢) ويشمل القضاء والنذور والنفل إلا إذا وافق عادة، أو كان يوم عرفة ونحو ذلك .
(٣) أى قشر .

إذا كان غائبا فإذا قَدِم [1] له أن يُفسدَ صيامها [2]، وجعلوا مرض الزوج وعجزه عن مباشرتها مثل غيبته عنها فى جواز صومها دون أن تستأذنه ..

*(كما يحرم) صيام السنة كلها بما فيها الأيام التى نهى الشارع عن صيامها (لقول) رسول الله ﷺ : «**لا صام من صام الأبد**» رواه أحمد والبخارى ومسلم .

*(فإن) أفطر يوم العيد وأيام التشريق وصام بقية الأيام انتفت الكراهة إذا كان ممن يقدر على صيامها قال الترمذى: وقد كره قوم من أهل العلم صيام الدهر إذا لم يُفطر يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق .

*(فمن) أفطر فى هذه الأيام فقد خرج من حَدِّ الكراهة ولا يكون قد صام الدهَر كُلَّه.

*(هكذا) روى مالك والشافعى وأحمد وإسحاق ..

*(وقد) أقر النبى ﷺ حمزة الأسلمى على سرد الصيام، وقال له: «**صم إن شئت وأفطر إن شئت**» [3] والأفضل أن يصوم يومًا ويفطر يوما فإن ذلك أحب الصيام إلى الله ..

*(وهو) صيام داود عليه السلام .

*(فعن) عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «**أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود: كان ينام نصفه، ويقوم ثُلُثَهُ، وينام سُدُسَهُ، وكان يصوم يومًا ويُفطر يومًا** » رواه أحمد وغيره .

**(وكذلك) من الصيام المسنون المرَّغب فيه:

(٣) صوم يومى الإثنين والخميس:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس.

---

(١) أى عاد من سفره .

(٢) أرجو من الأخ الزوج أن يكون معينا لزوجته على إتمام صيام هذا اليوم ولا سيما إذا كان المغرب قد قرب .. والليل طويل .

(٣) انظر فقه السنة جـ٣ صـ١٩٥ .

فقيل له: فقال: « **إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم، أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول: أخرهما** » رواه أحمد بسند صحيح .

(٤) وصيام ثلاثة أيام من كل شهر (عربى):

*(قال أبو ذر) رضي الله عنه : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض[1] ثلاث عشر، وأربع عشر، وخمس عشر . وقال: (هى كصوم الدهر) .

رواه النسائى وصححه ابن حبان، وجاء عنه ﷺ أنه كان يصوم من الشهر السبت والأحد، والإثنين، ومن الشهر الآخر: الثلاثاء، و الأربعاء، والخميس، وأنه كان يصوم الخميس من أول الشهر، والإثنين الذى يليه، والإثنين الذى يليه .

**(وأيضًا) أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم:

*(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «**الصلاة فى جوف الليل** » قيل: ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال: «**شهر الله**[2] **الذى تدعونه المحرم**» رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

(وكذلك) ورد تأكيد صوم عاشوراء[3] ويومًا قبلها ويوما بعدها:

*(فعن) معاوية بن أبى سفيان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء صام ومن شاء فليفطر** » متفق عليه.

*(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه .. قالوا يا رسول الله: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى .. ؟

فقال: « **إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**» . قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ رواه مسلم وأبو داود .

(وقد) ذكر العلماء: أن صيام يوم عاشوراء على ثلاث مراتب:

---

(١) أى القمرية .

(٢) الإضافة لتشريف الشهر المحرم .

(٣) وهو اليوم العاشر من شهر محرم .

المرتبة الأولى: صوم ثلاثة أيام: التاسع ، والعاشر، والحادى عشر .
المرتبة الثانية: صوم التاسع والعاشر .
المرتبة الثالثة: صوم العاشر وحده .

** (وهناك حكم هام) أورده صاحب كتاب (فقه السنة) وهو: جواز فطر الصائم المتطوع:

(فعن) أم هانىء: (أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فأتى بشراب فشرب، ثم ناولنى، فقلت: إنى صائمة، فقال: (إن المتطوع أمير على نفسه، فإن شئت فصومى، وإن شئت فأفطرى) رواه أحمد والدارقطنى والبيهقى، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ولفظه (الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام،وإن شاء أفطر) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. على أساس من هذا الفقه السليم . حتى يكونا –إن شاء الله تعالى – من الذين سيتقربون إلى الله – تبارك وتعالى – ولا سيما فى شهر رجب بما يحب الله ويرضى .

** (هذا) بالإضافة إلى ضرورة المحافظة على الصلوات الخمس وفى أوقاتها – مع الجماعات – مع الحرص على السنُّن القبلية والبعدية لكل صلاة .

* (وكذلك) الإكثار من تلاوة القرآن بصفة خاصة وذكر الله - تعالى- بصفة عامة..

(وأيضًا) الإكثار من الصدقات بدون مَنٍّ أو أذى .. إلى آخر تلك الأعمال الصالحة – التى نسأل الله – تعالى – أن يتقبلها منا .. إنه سبحانه وتعالى قريب مجيب الدعوات ..

والله ولى التوفيق .



خطب شهر رجب

الخطبة الثانية

((البدع التي أحدثها الناس في شهر رجب))



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: من الآية ٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى** » قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** » رواه البخارى .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٧] فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –:

(نحن) الآن فى يومنا المبارك هذا .. فى يوم الجمعة .. الثانية من شهر رجب ..

(الذى) رأيت أن أقف معكم فيه على أهم البدع التى أحدثها الناس فى شهر رجب .

(وذلك) حتى نكون – إن شاء الله تعالى – بعد الوقوف عليها من المجتنبين لها ولغيرها من البدع المذمومة . كما حذرنا النبى ﷺ :

(فعن) العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مُوَدِّع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء**

الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كُلَّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» أخرجه أحمد أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال حسن صحيح .

(ففى) هذا الحديث الشريف الصحيح يحذرنا النبى ﷺ من البدع الدينية .. ثم بعد أن يذمها يخبرنا بأنها ضلالة ..

*(وقد) قال فى (الدين الخالص) [1] بعد ذكر هذا الحديث الشريف:

(فمن) زعم أن بعض البدع فى العبادة قد تكون حسنة .

(فقد) أخطأ وذلك لأنه ﷺ قد أخبر بأن كل بدعة ضلالة ..

(فإن) لفظ (كل) موضوع للأفراد ...

(ثم يقول): فمعنى الحديث: أن كل فرد من أفراد البدع ضلالة . وموضوعه العبادة كما علمت .

(ومن ادعى) أن الحديث دخله التخصيص بحديث «من سَنَّ فى الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء،ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(فدعواه) باطلة: لأن الحديث إنما ورد فى الحث على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب، واتفاق الكلمة والقضاء على أسباب التباغض والنفور، وأيضا فإن الإستنان فيه ليس المراد به الإختراع [2] . إنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية .

(وذلك) لأن سبب الحديث هو الحث على الصدقة المشروعة .

---

(١) جـ١ صـ٤ .

(٢) أى الإنشاء و إلا كان تشريعا وهو ليس لأحد كائنا من كان قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: من الآية١١٢] وهذا أمر-له ﷺ بالإستقامة ومن تاب معه على ما ينزل عليه من عند الله لا من عنده بحسب رأيه وهواه من (هامش الدين الخالص) جـ١ صـ٥ .

(فقد) قال جرير بن عبد الله: كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار فجاءه قوم حُفاة عُراة مجتابى النمار مُتقلدّى السيوف، عامتهم، بل كُلهم من مُضَرَ فتمعر[1] وجه رسول الله ﷺ لما رآهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]. الآية . والآية التى فى سورة الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾ [الحشر: ١٨] . تصدق رجل من ديناره من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشِقِّ تمرة . فجاءه رجل من الأنصار بصُرة كادت كَفه تَعجزُ عنها بل عجزت، ثم تتابع الناسُ حتى رأيتُ كُومَين من طعام وثياب، حتى رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهَلَّلُ كأنَّه مُذْهَبة[2] فقال رسول الله ﷺ مَن سَنَّ فى الإسلام ..) الحديث أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه .

**(هذا) ولما كان موضوعنا هو الوقوف بعد هذا التقديم على البدع التى أحدثها الناس فى شهر رجب .. فهى:

أولا: زيارة النساء المقابر والخروج إليها فى الجمعة الأولى منه وغيرها مما يعد عندهم موسمًا يختلط فيه الحابل بالنابل .. وهى من البدع القبيحة والعادة المستنكرة .. لأنه فى هذا الموسم المبتدع تجتمع المفاسد العديدة، والشرور الكثيرة .. التى ستكون بسبب انتهاك الحرمات، وابتذال الأعراض، وإضاعة الأموال، وإيذاء الموتى وتهتك النساء، واختلاطهن بالرجال .. مع فساد الأخلاق،وإنتشار الفساد، وإحياء عادة الجاهلية من الندب والنياحة وشق الجيوب، ولطم الخدود،وصبغ الوجوه والأيدى بالسواد.. ولا يخشين الوعيد فيما روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**ليس منا من شق الجيوب، ولطم الخدود، ودعا بدعوى الجاهلية**» أخرجه السبعة إلا أبا داود، وقال الترمذى: حسن صحيح

---

(١) تمعر: أى تغير .
(٢) أى مستنيرة صافية

قال فى (الدين الخالص) بعد ذلك [1]: كل المواسم بزعمهم - رجب أو غيره - فتصير النساء لا هَمَّ لَهُن إلا ما يعدُّونه للخروج إلى المقابر من ألوان الطعام، وأنواع الفواكه، وطاقات الأزهار، فالغَنِيُّ ينفق عن سَعة، والفقير يُضيِّعُ ما تحتاج إليه عياله وقد يقترض لذلك بفوائد أو يرهن مَتاع بيته عند المرابين، ويكثر النزاع بين المرء وزوجه، وقد يؤدى إلى الفراق أو دوام الخصام والشقاق، وإذا خرجن إلى المقابر رفعت النساء أصواتهن بالبكاء، وأظهرن الحزن والجزع، وتكلمن بكلمات كُفريَّة فيها السخط على القَدَر والإعتراض على الله - تعالى - فى حكمه وقضائه، وبعد قليل توضع الموائد فوق المقابر وعلى رؤوس الموتى، ومنها يأكلون كما تأكل الأنعام ناسين الموت وسكراته وغافلين عن الموتى وماهم فيه من ظلمة ووحشة فإذا أكلوا انتشروا فى الصحراء يتزاورون كأنهم فى منازل الأحياء لا فى مقابر الأموات وأماكن الخشية والإعتبار هذا مع ملاحظة ما قد يحدث غالبا من جانب هؤلاء المعتدين .. من تبوُّل، أو وقوف بالأحذية فوق المقابر .. أو الجلوس فوقها .. وقد ورد فى السنة ما يحذر من كل هذا .. ولا سيَّما الجلوس على القبر ..

* (ففى) الحديث: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**».

* فما بالك بمن يفعل أشنع من هذا .. من تبول، أو وقوف أو جلوس .. الخ (إن الموتى) فى داخل القبور يستغيثون بسبب هذا التعدى عليهم ..

* (وإن) زيارة النساء للمقابر - أساسًا ليست مشروعة . (قال فى الدين الخالص) [2] يحرم على النساء زيارة القبور إن ارتكبن فى زيارتها ما يغضب الواحد الغيور .. وعليه تحمل الأحاديث الواردة فى لعن زائرات القبور .

*(ومنها) حديث ابن عباس قال: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور**» الحديث أخرجه أحمد والأربعة والبزار وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذى .

---

(١) ج ٨ ص ٣٣٧ وما بعدها بتصرف .

(٢) ج٨ ص ٦٨ وما بعدها بتصرف .

*(وحديث) أبى هريرة رضي الله عنه : «**أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور**» أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه وابن حبان ..

*(أى) دعا عليهن بالطرد عن رحمه الله - تعالى - لما يقع منهن حال الزيارة من الجزع وشق الجيوب ولطم الخدود و التبرج .

*(وإذا) كان العلماء قد تحدثوا حول كل هذا .. فمنهم من رأى أنها لا تزور المقابر .. ومنهم من رأى جواز الزيارة .. للعظة والإعتبار .. على شريطة أن تكون مع محرم، وأن تلبس الملابس الساترة والتى ليست بكاشفة لما تحتها .. وأن لا تكون متعطرة .. وأن تكون ملتزمة بأن لا تبكى هناك أو تقول كلامًا جاهليًا ..

* (وقد) ذهب شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية إلى عدم جواز الزيارة للنساء..

* (وذلك) لأن أمن الفتنة فى زماننا معدوم بل مستحيل عادة إذ المرأة لو خرجت إلى زيارة القبور لا تسلم من ارتكاب الفجور وعبث الفساق وأهل الشرور ..

**(هذا) مع ملاحظة أنه لم يأت فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ أن أول جمعة من رجب أو أى موسم جُعل لزيارة القبور .

*(ولم) يثبت أن أحدًا من الصحابة أو أئمة السَّلفَ كان يخرج هو أو نساؤه فى هذه المواسم لزيارة الموتى ..

*(وكذا) حمل الأطعمة إلى المقابر لم يعرف عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من السلف الصالح، بل هو مُناف للعبرة والإتعاظ مبطل لثواب الصدقة لما فيه من الرياء ولو تصدقوا فى البيوت سرًا على المحتاجين لكان أرجى للقبول، وأقرب إلى الوصول ولكفُّوا حملها وحمل أوزارها ..

**(وربما) كان أبناء المتوفى فى أشد الحاجة إلى هذا الطعام، أو تلك الفطائر التى توزع هناك عند المقابر على هؤلاء المحترفين الذين يبيعون القرآن بثمن بخس. وهم كما هو معلوم لأكثرنا يسيئون إلى القرآن وأهله . ولا يمتون إلى المحتاجين بصلة ..

* (فهم) كما يعلم أكثرنا كذلك يجمعون هذه الأطعمة لكى يبيعونها فى أماكن محددة ..

*(وربما) كان أبناء الحى الفقراء أحوج الناس إلى جزء من هذا الطعام فضلا عن الأطعمة الأخرى التى ربما لم يتذوقوها إلا فى المواسم أو الأعياد ..

* (فعلى) الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا . حتى لا تكون أئمة بالذهاب إلى المقابر ..

*(وعليها) أن تدعو لفقيدها وهى فى قعر بيتها فى كل وقت ولا سيما بعد أن تصلى كل وقت من أوقات الصلاة .

*(وكذلك) عليها أن تطعم أبناءها اليتامى فهم أولى من هؤلاء المحترفين .

*(وأن) تكون كذلك بارة بأهلها عن طريق هذا الإطعام .. الذى سيكون – إن شاء الله – سببا فى رحمتها ورحمة الفقيد .. على شريطة أن يكون فى حدود استطاعتها ..وليس من أموال اليتامى لأن الله – تعالى – يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] .

وثانيا: من بدع رجب: صلوات غير مشروعة فى أول ليلة من رجب وليلة الجمعة الأولى منه وهى (صلاة الرغائب) وليلة النصف منه ..

*(وقد) ورد فى تلك الصلوات أحاديث موضوعة منها:

ما قيل عن ابن عباس – وهو منها براء -: من صلى ليلة سبع وعشرين اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة منها فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغ من صلاته قرأ فاتحة الكتاب سبع مرات وهو جالس ثم قال: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أربع مرات ثم أصبح صائمًا حط الله عنه ذنوب ستين سنة، وهى الليلة التى يبعث فيها محمد ﷺ .

*(قال) العجلونى: وكذلك صلاة عاشوراء، وصلاة الرغائب موضوع – ما ورد فيها – بالإتفاق وكذلك ليالى رجب وليلة السابع والعشرين منه [1] .

* (ومن الموضوع) ما روى حصين بن مخارق بسنده إلى الحسين رضي الله عنه مرفوعًا: من أحيا ليلة من رجب، وصام يومًا أطعمه الله من ثمار الجنة، وكساه من حلل

---

(١) انظر ص ٦٤ الباعث على إنكار البدع والحوادث .

الجنة، وسقاه من الرحيق المختوم، إلا من فعل ثلاثًا: من قتل نفسًا، أو سمع مستغيثًا بليل أو نهار فلم يُغثِه، أو شكا إليه أخوه حاجة فلم يفرج عنه .

* (قال) السيوطى: موضوع آفته حُصَين [1] .

* (ومن البدع): الإجتماع فى المساجد وزيادة النور فيها، وعلى المآذن، واختلاط الرجال والنساء إحتفالًا بالإسراء فى ليلة السابع والعشرين من رجب مع القراءة والذكر بالتحريف والتلحين فى أسماء الله تعالى وغير ذلك من المنكرات والمفاسد[2].

* فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا – حتى لا يقعا فى المنهى عنه منه – على هذا الأساس التذكيرى السليم ..وحتى يكونا – إن شاء الله – من أهل الإتباع لا من أهل الإبتداع .. لأن الخير كله فى الإتباع والشر كله فى الإبتداع .. والله تعالى يقول لحبيبه – صلوات الله وسلامه عليه – حتى يُبَلِّغَنَا.. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] ويقول:﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾ [الأعراف: ١٥٨] . وفى الحديث يقول النبى ﷺ : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» [3]، وهذا معناه: أن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

*(ولم) يفارق الدنيا إلا بعد أن أنزل الله تعالى عليه قوله:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهذا معناه .

*(كذلك) أن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا وهناك ثغرة فى الإسلام لم تسد .

(ولهذا فقد قال الإئمه الأعلام – عليهم رضوان اللة – لأصحابهم: "ليس لأحد كلام مع رسول الله ﷺ لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاما، و جعل قوله

(١) انظر ص ٦٦ ج٢ اللآلى المصنوعة .

(٢) اللهم إلا إذا كان الإجتماع هذا فى المسجد بنية الإستماع إلى محاضرة دينية حول فرضية الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج .. بدون تحريف أو تشويش ..الخ.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

يقطع كل قول "، وقال الشافعى فى رسالته: (إذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله ﷺ فاعملوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولى عرض الحائط ".

وقال مالك رحمه الله: " من استحسن بدعة [1] فقد زعم أن محمدا خان الرسالة)، وقال: " ما لم يكن فى زمان النبى ﷺ دينا لم يكن اليوم دينًا " .

** إننى أختم بهذا لأن بعض المبتدعين – هداهم الله – إذا ما أردت أن تذكره بأنه من السنة كذا أو كذا زعم أو أدعى أنه ينتسب إلى مذهب أحد الأئمة – رضى الله عنهم – ..

*(وهو) لجهله يعتقد أن تلك العقائد والبدع قالها هذا الإمام الذى ينتسب إليه – ظلمًا وعدوانًا – ولم يفقه أن جميع الأئمة المجتهدين متبرئون من كل عقيدة فاسدة وبدعة فى العبادة [2] .

– نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا – ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى فى الدين .. لأنه ليست هناك بدعة حسنة فى الدين . ولكن من الممكن أن تكون هناك بدعة حسنة فى الدنيا .. بأن نخترع لنا ما شئت من المخترعات الدنيوية التى تغنينا عن الشرق أو الغرب .. فإن هذا سيكون حسنا منك .. أما فى الدين فلا .. .

(٢) ارجع إلى الجزء الأول من الدين الخالص ص ٣ بتصرف .



خطب شهر رجب

الخطبة الثالثة

((معجزتي الإسراء والمعراج))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية الأولى من سورة الإسراء] .

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **أرسله ربه رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونيرًا، وأنزل عليه القرآن فيه تبيانُ كل شيء، وجعل أمته أمة وسطًا، وجعل أمته هم الأولون وهم الآخرون وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره،وجعله فاتحا وخاتما** » [1] اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين .. الذين عرفوا رسول الله ﷺ وآمنوا بمعجزاته فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين،وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –:

(قبل) الهجرة بعام واحد، أو بعام ونصف – كما يقولون – [2] وكان النبي ﷺ قد فقد عمه أبا طالب ذلك الذى كان يحميه ويدافع عنه، كلما أراد الأعداء أن ينالوا منه.. كما كان النبي ﷺ بعد ذلك قد فقد زوجته الحنون أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تلك التي كانت تخفف من آلامه وأحزانه كلما عاد كئيبًا حزينًا من معاملة الكفار له ..

* (فقدهما) ﷺ في عام واحد [3] سماه عام الحزن .لأنه في هذا العام المشار إليه وبعد أن فقدهما .. اشتد إيذاء الكفار له ولأصحابه الضعفاء ..

---

(١) كما قال النبي ﷺ في الخطبة التي خطبها في المسجد الأقصى أمام جميع الأنبياء والمرسلين بعد أن صلى بهم إماما، وبعد ان استمع إلى خطبهم ..

(٢) وقال آخرون: قبل الهجرة بستة أشهر .

(٣) وكان بينهما شهر وخمسة أيام . (الوفا بأحوال المصطفى) ص ٣٣٥ .

* (فخرج) صلوات الله وسلامه عليه إلى الطائف [1] وكان معه زيد بن حارثة ﷺ :

*(وهناك) أقام النبى ﷺ عشرة أيام [2]، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه . فلم يجيبوه .. وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرجمونه بالحجارة .. حتى اجتمعت عليه الناس، وألجأوه إلى حائط [3] لابنى ربيعة ..

*(ومن) هناك رفع شكواه إلى الله تعالى – وهو أعلم – فقال: «**اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى ؟! إلى بعيد يتجهمنى [4] أو إلى عدو ملكته أمرى .. إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو تحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك**» .

*(فلما) دعا الله – تعالى – بهذا الدعاء الذى اهتزت له السموات السبع ومن فيهن، والأراضين السبع ومن فيهن .. أرسل الله – تعالى – إليه ملك الجبال [5] ليقول له لقد أمرنى الله تعالى أن أطيعك فى قومك .. فإن أردت أطبقت عليهم الأخشبين –جبلان بمكة – ولكن النبى ﷺ وهو صاحب القلب الكبير – لم يطلب من الملك هذا، ولم يطلب منه أن يجعل عاليها سافلها .

*(وإنما) كل ما حدث منه – صلوات الله وسلامه عليه – .. هو انه جفف دموعه ثم قال قولته الخالدة .. (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون . عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فيتعجب الملك الذى كان ينتظر منه عكس هذا .. ثم يقول مخاطبا إياه .. (صدق من سماك الرءوف الرحيم)،

---

(١) وذلك فى ليال من شوال سنة عشر .
(٢) وقيل شهرا .
(٣) أى بستان .
(٤) أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه .
(٥) أى الملك الموكل بالجبال .

و الملك يعنى بهذه الكلمة قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

* ويعود الرسول ﷺ بعد ذلك – وباختصار – إلى مكة كئيبا حزينا .. لأنه كان ينتظر من أهل الطائف عكس ما حدث منهم .. ولهذا .. فقد أراد الله – تعالى – أن يسرى عنه، أعنى يزيل ما فى قلبه من الكآبة والحزن ..

* (فأعدَّ له) رحله أرضية، و رحلة سماوية

أما الرحلة الأرضية:

* (فهى) الإسراء من المسجد الحرام – بمكة – إلى المسجد الأقصى – فى بلاد الشام – ليريه من آياته .. كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله – تعالى – فيها مقررا هذا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)﴾ [الآية الأولى من الإسراء].

وأما الرحلة السماوية:

* (فهى) المعراج من المسجد الأقصى .. إلى ما فوق الفوق.. حيث فرض الله – تعالى – عليه وعلى أمته الصلاة .. كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * (٢)فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا

---

(١) المشهور أن الضمير فى (إنه) يعود إلى الله – تعالى – . أى هو السميع للأقوال ..البصير بالأحوال والأفعال .. (وقيل): عائد على النبى ﷺ أى السميع لكل ما سيجاب به ...البصير بكل ما سيراه من الآيات والعجائب .

(٢) الآيات الكريمة تشير إلى رؤية الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام فى صورته الحقيقية مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء .. وذلك حين عرج برسول الله ﷺ إلى السموات العلى ..فلقد روى عن ابن مسعود –انه قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من الدر والياقوت ما الله به عليم) أخرجه الإمام أحمد .. وأما المرة التى رآه فيها فى الأرض فمن جانب المشرق حين كان رسول الله ﷺ بحراء، فطلع

رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * [1] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى [2] عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [سورة النجم: ١: ١٨] .

** وإذا كان لى أن ألخص ما كان من أمر الإسراء والمعراج ..

* (فإن) الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح وفى اليقظة، وهذا هو الإعجاز الذى لابد وأن نؤمن به .. لأنهما لو كانا منامًا أو بالروح فقط لما كانت فيهما آية ولا معجزة [3] .

* (وكان) النبى ﷺ فى المسجد الحرام أو فى بيت أم هانىء – بنت عمه أبى طالب – فاحتملته الملائكة [4] وجاءوا به إلى المسجد الحرام .. وعند زمزم أضجعوه وشقوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، وأخرجوا قلبه، وغسلوه ثلاث مرات، ثم ملئوه حلما وعلما ويقينا وإسلاما، ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة [5]، ثم أُتِىَ له بالبراق ..

* (وإذا) كان لى أن أواصل مع الإخوة المسلمين ما كان بعد ذلك ..

(فإنه) حسبى أن أستمع معهم إلى نص رواية البخارى ومسلم التى يقول

عليه جبريل وفتح جناحيه فسد ما بين المشرق والمغرب، وإليه تشير الآية الكريمة ﴿**وهو بالأفق الأعلى**﴾ (هامش مختصر تفسير الطبرى) ج٢ ص ٣٩٩ .

(١) أى مرة أخرى ...

(٢) أى التى ينتهى إليها علم الخلائق .

(٣) قال فى التفسير الوسيط: (والجمهور على أنهما كانا بالجسد والروح يقظة ويشهد لذلك التعبير عنه ﷺ بقوله: (بعبده) والعبد يشمل الجسد والروح معا، كما يشهد له إعداد البراق له وركوبه إياه ووصفه بأنه كان يضع حافره عند منتهى بصره .

(وأما) بالنسبة للمعراج، فقوله – تعالى – فى سورة النجم: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾ أى رأى النبى ﷺ جبريل عليه السلام مرة أخرى عند سدرة المنتهى – فى السماء السابعة – على صورته الحقيقية .. والدليل على ذلك كذلك الحديث الصحيح المتفق عليه .. الذى سنقف عليه بعد سطور .. بالنسبة لمعجزتى الإسراء والمعراج معا .

(٤) وهم كما جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين: جبريل وميكائيل، ومعهما ملك ثالث قيل هو إسرافيل – عليهم السلام – .

(٥) كما جاء أيضًا فى المرجع السابق .

فيها – صلوات الله وسلامه عليه – «أُتيت بالبراق [١] وهو دابة أبيض [٢] فوق الحمار ودون البغل [٣] يضع حافره عند منتهى طرفه [٤]، فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس [٥] فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء [٦]، ثم دخلت [٧] فصليت [٨] فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل [٩] بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن وقال جبريل: أصبت الفطرة [١٠]، قال [١١]: ثم عرج بى إلى السماء الدنيا[١٢] فاستفتح [١٣] جبريل، قيل: من أنت ؟[١] قال: جبريل، قيل: ومن

---

(١) تضم الباء مأخوذ من البرق لسرعة سيره، أو من البرق لشدة،أو صفاء لونه ولمعانه .

(٢) ولم يقل بيضاء ..إشاره إلى أنها – أى الدابة – لا تذكر ولا تؤنث .. وفيالإستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبًا، ويؤنث باعتبار كونه دابة .. وهو من جملة أربعين ألف براق ترتع فى ربض الجنة معدة له ﷺ(حاشية الصاوى) .

(٣) أى فهو متوسط بينهما .

(٤) أى بصره .

(٥) فى هذه الرواية اختصار، وزيد فى غيرها أنه نزل بالمدينة، ومدين، وطور سيناء،وبيت لحم فصلى فى كل موضع ركعتين بأمر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن، ليقتدى به فى غيره فى العبادة بالأماكن المشرفة .

(٦) تعليمًا لنا حتى نأخذ بالأسباب كما قال للأعرابى: (أعقلها وتوكل) .

(٧) أى المسجد الأقصى .

(٨) أى إماما بالأنبياء أجسادًا أو أرواحًا، والملائكة وأرواح المؤمنين، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضًا أو نفلًا .. غاية ما يقال أنه أمر بها، وهو مطيع .. ويحتمل أنها تحية المسجد،وطوى ذكر الركعتين اللتين أم فيهما الناس (حاشية الصاوى) .

(٩) أى حين أخذنى من العطش ما أخذنى .

(١٠) أى الخلقة الأصلية وهى فطرة الإسلام،وفى بعض الروايات أن جبريل قال له، ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل وفى رواية أن الآنية كانت ثلاثًا، والثالث فيه ماء وأن جبريل قال له .. ولو اخترت الماء لغرقت أمتك .

(١١) أى الراوى وهو أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ

(١٢) أى بعد أن أتى بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق إحداها من ذهب، والأخرى من فضة،وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء، والأخرى من ياقوتة بيضاء، وهو مكلل بالدر ..سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدرة،والتاسعة للكرسى،والعاشرة للعرش، فلما هما بالصعود نزلت المرقاة التى عند السماء الدنيا فركباها وصعدت بهما إلى محلها، ثم نزلت الثانية لهما وهكذا ..

(١٣) أى طلب الفتح من الملك الموكل بالباب .. (وحكمة) غلقها إذ ذاك لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له ﷺ..

معك ؟ قال: محمد . قيل وقد أرسل إليه؟ [٢] قال: قد أرسل إليه، ففتح فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير [٣] ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى [٤] فرحبا بى ودعوا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك ؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا بيوسف، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن [٥]، فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس [٦]، فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك ؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون [٧] فرحب بى ودعا لى

---

(١) فيه اختصار، وفى الرواية المشهورة، قيل: مرحبا وأهلا حياء الله من أخ ومن خليقة فنعم الأخ ونعم الخليقة،ونعم المجىء جاء،

(٢) المعنى أجاء وقد أرسل إليه للعروج إلى السموات والمكالمة .

(٣) أى قال مرحبا بالإبن الصالح والنبى الصالح .

(٤) فيه مسامحة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى، ويحيى ابن خالة أم عيسى، لأن عيسى ابن مريم، وهى بنت حنه وحنة أخت أشاع، وأشاع أم يحيى، وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام .

(٥) أى نصفه، والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق .

(أما) حسنه – صلوات الله وسلامه عليه – منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم (والفرق) بين الجمالين هو أن الله – تعالى – كسى جمال حبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – بالمهابة والوقار .. فلم يكن هناك من يستطيع أن يتملى طويلا من وجهه ﷺ

(٦) وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط . وكانوا قبل ذلك يلبسون جلود الحيوانات .(وهو) اول من درس الكتب و خط بالقلم.

(وقيل) أنه رفع به إلى السماء الرابعة بجسده وروحه كما يشير إلى هذا قول الله – تعالى – فى سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وقيل: أن الرفعة المشار إليها فى نص الآية كانت رفعة معنوية .. والله أعم .

(٧) فى بعض الروايات: ونصف لحيته سوداء، ونصف لحيته بيضاء، وذلك من مسك أخيه موسى لها حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل .

بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك ؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى [(١)]، فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل: فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، قيل ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم [(٢)]، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور [(٣)]، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه[(٤)]، ثم ذهب بى[(٥)] إلى سدرة المنتهى[(٦)]، فإذا أوراقها كآذان الفيلة[(٧)]، وإذا ثمرها كالقلال[(٨)]، فلما غشيها[(٩)] من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله – تعالى – يستطيع يصفها من حسنها قال: فأوحى الله إلىَّ ما أوحى[(١٠)]، وفرض على فى

---

(١) وفى بعض الروايات وحوله نفر من قومه، فلما جاوزته بكى، فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: أبكى لأن غلامًا بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى، فلو أنه فى نفسه لم أبال وفى رواية: أنه سأل الله – تعالى – أن يجعله من أمة محمد ﷺ فأجابه الله – تعالى.

(٢) أى خليل الرحمن، فقال لى مرحبًا بالإبن الصالح و النبى الصالح ودعا لى بخير، وقال: أقرىء أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء،وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر .

(٣) وهو كما ورد فوق الكعبة مباشرة . بحيث لو سقط منه حجر لسقط فى وسط الكعبة ..

(٤) أى يدخلونه للعبادة، ومن دخله مرة من الملائكة لا يعود إليه مرة أخرى ..
(وهذا) معناه أنه لا يعلم عدة الملائكة إلا الله – تبارك وتعالى – .. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

(٥) أى عرج بى لأن هذا هو المعراج الثامن .

(٦) أى إلى أعلاها، فإن السدرة أصلها فى السماء السادسة، وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة...
(والمنتهى) أى عند شجرة النبق التى ينتهى إليها علم الخلائق (عندها جنة المأوى) أى جنة منازل الشهداء أو المتقين أو لأن أهل السعادة يأتون إليها .

(٧) أى فى الشكل .

(٨) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين .

(٩) أى قام بها من الحسن والبهاء .

(١٠) فيه اختصار، أى: ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام وهو المعراج التاسع، ثم دلى الرفوف فزج به فى النور، فعند ذلك تأخر جبريل، فقال له: أهنا يفارق الخليل خليله ؟ فقال له: هذا مكانى فلو فارقته لاحترقت من النور، أى: ذهب نورى وتلاشيت لشدة الأنوار وظهورها ..(قال) رسول الله ﷺ فخاطبنى ربى، ورأيته بعينى بصرى .. وإلى هذا المعنى الكبير الذى لابد وأن يقف عليه الأخ القارىء أو الخطيب يقول الإمام محمود خطاب

كل يوم وليلة خمسين صلاة [1] فنزلت [2] حتى انتهيت إلى موسى [3] فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . قال: أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم [4]، قال:

السبكى فى كتابه (المقامات العلية):

صلوا على من قد رأى الرحمن ... بالقلب بل بالعين منه عيانًا

من قاب أو أدنى قريبًا نا ... فخذ الفوائد واحذر التجسيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

(ومعنى) قول الرسول ﷺ(فأوحى الله إلى ما أوحى): يشير إلى أنه أبهم هذا إشارة إلى عظم ما أوحى به إليه، وعدم إحاطة جميع الخلق به .. ويجب علينا الإيمان به إجمالًا .. وقيل: أوحى الله إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الأضحى ٦:٨] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح ١:٤] (وقيل): أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (حاشية الصاوى) .

(١) عطف خاص على عام وإنما صرح به لتعلقه بالأمة ..و أما عطاياه التى تخصه فلم يعبر عنها إذ لا تحيطها العبارة ولا تحصيها الإشارة . وقوله: على،أى وعلى أمتى لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل يدل على التخصيص، فذكر الغرض عليه يستلزم الغرض على أمته ..

(٢) أى: ومررت على إبراهيم فلم يقل شيئًا .

(٣) أى فى السماء السادسة (و الحكمة) فى أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء: أن أمته كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم فرفق موسى بأمة محمد ﷺ لكونه طلب أن يكون منها . (وأيضًا) فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها، ومحمد نالها من غير طلب فأحب مراجعته وتردده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسى من تلك الأنوار ليكون رائيا من رأى

قال ابن الفارض:

ابق لى مقلة لعلى يومًا ... قبل موتى أرى بها من رآك

وفى هذا المعنى قال ابن وقى:

والسر فى قول موسى إذ يردده ... ليجتلى النور فيه حيث يشهده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا ... لله حسن جمال كان يشهده

(٤) أى جربتهم حيث كلفهم الله بركعتين فى الغداة – أى فى الصباح – وركعتين فى وقت الزوال – أى فى وقت الظهر – وركعتين فى العشى – أى فى المساء – فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه .

فرجعت إلى ربى [1] فقلت: أى ربى خفف عن أمتى، فحط عنى خمسا، قال [2] إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال [3] يا محمد، هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشرة [4]، فتلك خمسون صلاة، ومن بحسنة[5] فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت [6] حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: "ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقلت: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت» رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

*** ثم بعد تمام الأمر: هبط من السموات السبع على بيت المقدس فركب البراق وأتى مكة قبيل الصبح، فلما أصبح قطع أن الناس تكذبه، فقعد حزينا، فمر به أبو جهل فجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء ؟ قال: نعم أسرى بى الليلة، قال: إلى أين ؟ قال: إلى بيت المقدس .

---

(١) أى على المكان الذى ناجيت فيه ربى، وليس المراد أن الله كان فى ذلك المكان ورجع له، فإن اعتقاد ذلك كفر ..(بل) المراد أن الله جعل هذا المكان محلا لسيدنا محمد ﷺ يناجيه فيه ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية .

(٢) أى موسى عليه السلام .

(٣) أى الله – تبارك وتعالى – .

(وهذا) حديث قدسى من هنا إلى قوله: كتبت سيئة واحدة ..

(وكان) النبى ﷺ قد رجع إلى ربه تسع مرات، وكان يرى ربه فى كل مرة، كما رآه فى المرة الأولى فقد رأى ربه فى تلك الليلة المباركة عشر مرات .

(٤) أى فى المضاعفة والثواب فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة.

(٥) المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لأنه الذى يكتب فى الخير ولا يكتب فى الشر، وأما العزم والتصميم فيكتب فى الخير والشر، وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس: فلا يؤاخذ الإنسان بها لا فى الخير ولا الشر، وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم، فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

(٥) فى بعض الروايات: أن الله قال له: (قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى هى خمس فى العدد وخمسون فى الأجر) .

(٦) فى بعض الروايات: أن الله قال له: (قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى هى خمس فى العدد وخمسون فى الأجر) .

* (قال): ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: إذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: يا معشر بنى كعب بن لؤى، هلموا فجاءوا حتى جلسوا إليهما ..

*(فحدثهم) – صلوات الله وسلامه عليه – بذلك،فبقى الناس بين مصفق وواضع يديه على رأسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء أبو بكر فحدثه – صلى الله عله وسلم – بذلك، فقال: صدقت صدقت ..

*(فقالوا): أتصدقه إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح ؟

*(فقال) نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة .. (فلذلك) سمى: الصِّديق [1] ..

*(فقال) القوم لرسول الله ﷺ : صف لنا بيت المقدس .. فشرع فى وصفه حتى أن جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه ﷺ ..

*(وجعل) ينظر إليه ويصف لهم .. فقال القوم: أما النعت [2] فوالله لقد أصاب .. ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا ؟ فأخبرهم عنها تفصيلًا ..

*(فقالوا): إن هذا لسحر مبين فأنزل الله – تعالى –: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [من الآية ٦٠ من سورة الإسراء] . أى أن ما أطلعناك عليه عيانًا من آياتنا الكبرى ليلة الإسراء والمعراج، لم نجعله إلا إختبارًا لإيمان المؤمنين، وامتحانًا للمشركين (وقد) أشار فى حاشية الصاوى على الجلالين إلى ملاحظة هامة لابد وأن نقف عليها،وأن نفهم المرادمنها، وهى: أن المراد الرؤية بالبصر، واستعمالها بالألف قليل، والكثير استعمال البصرية بالتاء.

(والحلمية) بالألف .وإنما عبر عنها بالألف لوقوعها بالليل،وسرعة تقضيها كأنها منام .

* (ولقد) كان ما حدث بسبب هذه الفتنة سببًا فى:

* (غربلة) المنتسبين إلى الإسلام .. حتى أنه لم يثبت مع النبى ﷺ بعدها إلا المخلص من المؤمنين الصادقين الذين هاجروا معه بعد ذلك إلى المدينة المنورة .. فكانوا رجالًا صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ودنت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيمًا ..

---

(١) انظر التفسير الوسيط ص ٧٧٥ ..
(٢) أى الوصف.

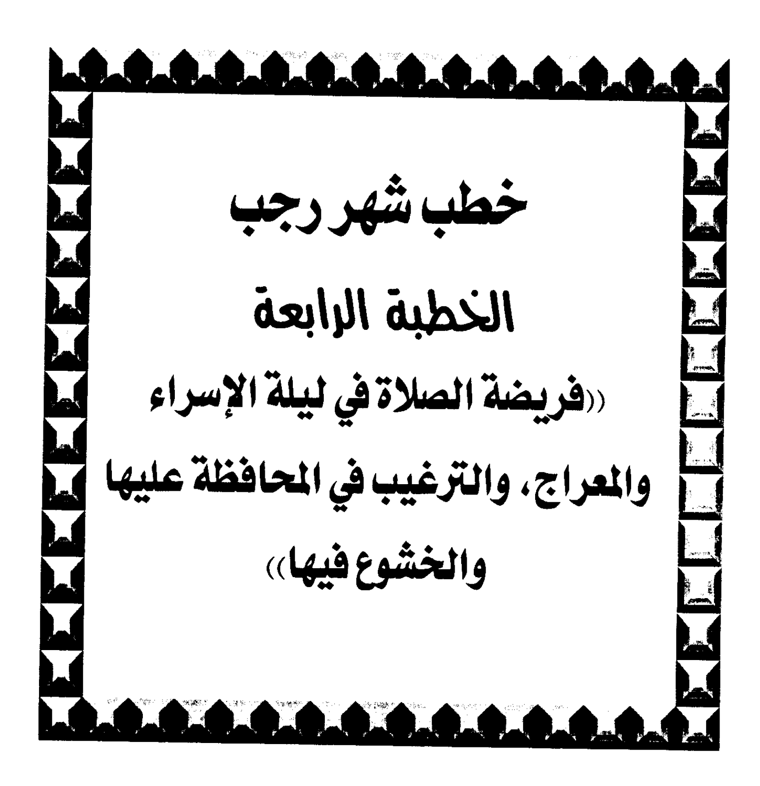
* (فكن) أخا الإسلام من المتشبهين بهم فى هذا الإيمان الصادق بأن الله على كل شيء قدير ..

* (وإياك) إياك أن تشك لحظة واحدة فى إسراء الرسول ﷺ أو معراجه .. مع الإعتقاد الجازم بأنهما كانا بالجسد وبالروح وفى اليقظة .

* (وحسبك) إذا أردت أن تحتفل إحتفالًا حقيقيًا بمعجزتى الإسراء والمعراج أن تحافظ على الصلوات الخمس وفى أوقاتها كل يوم خمس مرات ومع المسلمين فى بيوت الله حتى تكون بهذا مؤكدا لإيمانك ففى الحديث الشريف: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) ثم تلا قول الله – تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة من الآية ١٨]

والله ولى التوفيق .





خطب شهر رجب

الخطبة الرابعة

((فريضة الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، والترغيب في المحافظة عليها والخشوع فيها))



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] .

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها: كانت له نورًا،وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها: لم يكن له نور، ولا برهان،ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف**» (١) رواه أحمد بإسناد جيدوالطبرانى فى الكبير والأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

والقائل: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه أحمد ومسلم (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه) .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين.. ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –..

*(والآن) وبعد أن استمعنا فى الجمعة الماضية إلى أهم ما يتعلق بمعجزتى الإسراء والمعراج من أخبار وأسرار – من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بها – إلى أن فرضت الصلاة علينا فى تلك الليلة المباركة –وبدون واسطة – فوق الفوق ..

---

(١) وقد علق الإمام أحمد هذا الحديث فقال: من تركها بسبب الرياسة: حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان، ومن تركها بسبب المال: حشر مع قارون، ومن تركها بسبب الجدال والخصام حشر مع أبى بن خلف .

*(أريد) أن أركز معكم فى هذا اللقاء الرابع من شهر رجب: على أهم ما يتعلق بالصلوات الخمس من تنبيهات وإشارات .. حتى نكون من المحافظين عليها وفى أوقاتها .

*(وذلك) لأن الصلاة هى أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين ..

*(فعن) عبد الله بن عمر – رضى الله تعالى عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»رواه البخارى ومسلم .

أى: فمن أتى بهذه الخمس، فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه .

(والصلاة): عماد الدين، وركنه الركين، ومن أقامها فقد أقام الدين، ومن ضيعها فقد هدم الدين .

*(ففى) حديث أخرجه الترمذى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول – صلوات الله عليه وسلم –: « **رأس الأمر: الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**».

(والصلاة): فى نظر الإسلام . هى الحد الفاصل بين المسلم والكافر، والبار والفاجر، وأنها منه بمنزلة الرأس من الجسد، فمن أداها كما ينبغى: فهو مسلم بار، ومن تركها: فهو كافر فاجر .

(فعن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له،ولا صلاة لمن لا طهور له،ولا دين لمن لا صلاة له، وإنما موضع الصلاة من الدين، كوضع الرأس من الجسد** » رواه الطبرانى فى الأوسط .

*(والصلاة) نور يتلألأ فى قلب المؤمن، ويسطع على وجهه، وينعكس على جوارحه .

(ففى الحديث) قال رسول الله ﷺ «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله، والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**» رواه مسلم .

*(والصلاة) تنهى عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله تعالى هذا فى قوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

قال القرطبى: لا سيما وإن أشهر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله، وهذا أبلغ فى المقصود، وأتم فى المراد، فإن الموت ليس له رسن [1] محدود، ولا زمن مخصوص، ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه، وروى بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد، واصفر لونه، فكلم فى ذلك؟ فقال: إنى واقف بين يدى الله - تعالى - وحقَّ لى هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع مَلِكَ الملوك ؟ .

*(ثم) يقول القرطبى: فهذه صلاة تنهى - ولابد - عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء [2]، لا خشوع فيها، ولا تذكر، ولا فضائل، كصلاتنا - وليتها تجزى - فتلك تترك صاحبها من منزلة حيث كان، فإن كان على طريق معاص تبعده من الله - تعالى -، تركته الصلاة يتمادى على بعده، وعلى هذا يخرج الحديث المروى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن، والأعمش قولهم: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعدًا ولم يزدد بها من الله إلا مقتًا) [3] . انتهى [4] .

*ومعنى الحديث - كما قال القرطبى -: أن مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته لغلبة المعاصى عليه .

*(والصلاة) مكفرة للذنوب، بدليل قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]

---

(١) الرسن الزمام على أنف الدابة .

(٢) أى يقصد منها إسقاط الفرض وكفى، دون النظر إلى مرضاة الله - تعالى - والتقرب إليه بها (كما يقول فى هامش الفقه الواضح ج٢ص٨) .

(٣) أى بغضًا وسخطًا .

(٤) تفسير القرطبى ج١٣ ص ٣٤٨ طبعة دار الكتب المصرية .

(وبدليل) قول الرسول ﷺ : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه** [١] **شيء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء !! قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**» رواه البخارى ومسلم .

(وعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة** [٢]**، فيحسن وضوءها،وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**» رواه مسلم .

** (والكبيرة) التى يعنيها الرسول ﷺ فى نص الحديث – مفرد كبائر – وهى ما ورد فيها تحذير شديد، وغلظت عقوبتها، وأكبر الكبائر الشرك بالله [٣] ويليه قتل النفس بغير حق، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر، والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو رمى العفيف بالزنا [٤] .

وقد جمعها أبو طالب المكى – رحمه الله تعالى – على النحو التالى:

* أربعة فى القلب، وهى:

الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى [٥] .

* وأربعة فى اللسان، وهى:

شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس [٦]، والسحر .

---

(١) أى الوسخ المتراكم على الجسد .. والذى سيزول بالغسل ..
(٢) أى المفروضة .
(٣) وهو عدم إفراد الله تعالى بالعبادة .
(٤) أو العفيفة .. (انظر هامش الفقه الواضح ج٢ ص ١١) .
(٥) أى من عذابه – سبحانه وتعالى – .
(٦) وصورته أن يقسم بالله – تعالى – بأنه قد فعل كذا .أو لم يفعل كذا .. أو شاهد كذا .. وهو يعلم أنه كاذب .. وهذا اليمين سمى بالغموس لأنه يغمس صاحبه فى النار .. ولا كفارة له، إلا التوبة والإستغفار ..

*وثلاثة فى البطن، وهى:
شرب الخمر [1]، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم .

*واثنان فى اليدين وهما:
القتل، والسرقة .

*واثنان فى الفرج وهما:
الزنا، واللواط [2].

*وواحد فى الرجل وهى:
الفرار من الزحف [3] .

*وواحد فى جميع البدن وهى:
عقوق الوالدين .

*(وهذه) الكبائر – بالإضافة إلى غيرها – لا يكفرها إلا التوبة الصادقة – أى التى على أساس من الندم وعقد العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى .. مع ضرورة رد الحقوق التى اغتصبها ظلمًا وعدوانًا إلى أصحابها – .

*(وأما) الصغائر ..

*(فإنه) يكفرها كل عمل صالح .. ولا سيما الوضوء والصلاة .. على شريطة اجتناب الكبائر .. لأن الله تعالى قد اشترط هذا فى قرآنه فقال: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١] .

وفى الحديث الشريف الذى رواه مسلم يقول – صلوات الله وسلامه عليه –:
«**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة،ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» .

*(وقد) فرضت الصلاة، على هذه الأمة، فى ليلة الإسراء والمعراج، قبل الهجرة بنحو سنة ونصف.

---

(١) والبيرة أخت الخمر بل هى توأمه فأرجو أن تجتنبها كالخمر تماما .
(٢) وهو نكاح الذكر والعياذ بالله .
(٣) أى من ميدان الجهاد فى سبيل الله .

*(قال) أنس بن مالك ﷺ : (فرضت على النبى ﷺ ليلة أسرى به الصلاة خمسين ثم نقصت، حتى جعلت خمسًا ثم نودى: يا محمد، إنه لا يبدل القول لدى وإن لك بهذا الخمس خمسين) . أخرجه أحمد والنسائى .

*(والصلاة) هى أول فريضة فى الإسلام:

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع	لأن بها الأرقاب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا	وآخر ما يبقى إذ الدين يُرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة	وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته	نجيًا فيا طوبى له حين يخشع

*(ولقد) كانت القاعدة المعروفة فى الأخبار بالفروض [1] الدينية، والأحكام الشرعية من حلال و حرام، أن ينزل جبريل على النبى ﷺ بالأمر من الله تبارك وتعالى مجملا ومفصلا.

"فلما آن وقت فرض الصلاة، اقتضت حكمة الله سبحانةوتعالى أن يسير الأمر على خلاف القاعدة المعروفة، فلقد استدعى رسول الله ﷺ إلى السماوات العلى ليكون بنفسه فى الحضرة الربانية فيتلقى الأمر بالصلاة لتكون بمثابة هدية من الله – تبارك وتعالى – له ولأمته، ومنحة ينالون بها درجة القرب، وعظيم الحب منه – تبارك وتعالى – .

(وهذا) إنما يدل على عظم شأن الصلاة، وعلوَّ منزلتها، بين سائر العبادات .

**(ولهذا) كان لابد وأن يقف كل مسلم عاقل، بالغ على أهم شروط صحة الصلاة التى منها: خلو المرأة من الحيض والنفاس ودخول الوقت بالإضافة إلى غيرها من الأحكام حتى يحافظا على الصلوات الخمس وفى أوقاتها .. لأن الله – تباك وتعالى – يقول: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، أى فرضًا مؤقتًا بوقت لا يصح أن تتقدم عليه، ولا يجوز أن تتأخر عنه إلا لضرورة شرعية – كالنوم، والإغماء، والنسيان وجهاد العدو [2] .

---

(١) وهى أركان الإسلام .. الخ .

(٢) ويستطيع الأخ الواعظ بصفة خاصة أن يعود إلى تفصيل هذا فى كتب الفقه المطولة .. ككتاب (الدين الخالص، وفقه السنة، والفقه الواضح ..) .

(وقد) بينت السنة المطهرة هذه الأوقات ووضعت لها معالمها التى منها باختصار[1]

* أن وقت الظهر: بإتفاق الفقهاء يبدأ، إذا زالت الشمس عن وسط السماء، أى مالت جهة الغرب..

* (ولكن) الخلاف وقع فى بيان نهايته، فقال الشافعية: ينتهى وقت الظهر بحضور وقت العصر ..وقال مالك وجمهور من الفقهاء: وقت الظهر يدخل فى وقت العصر بمقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات، فهما وقتان مشتركان .

* وأن وقت العصر: يدخل بصيرورة ظل الشيء مثله بعد الزوال .. وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور غفير من فقهاء الحنفية ..

(وينتهى) بغروب الشمس على الأصح .

* وأن وقت المغرب: يدخل بغروب الشمس باتفإق الفقهاء ..

* (واختلفوا) فى آخره .. فمشهور مذهب المالكية: أن وقتها المختار ينتهى بمضى ما يسعها بعد الأذان،والإقامة،وتحصيل شروطها، وهى الطهارة من الحدث والخبث، وستر العورة،واستقبال القبلة ..ومشهور مذهب الشافعية والحنابلة،وقول آخر لمالك أن وقتها يمتد إلى قبيل مغيب الشفق الأحمر، أى: قبل دخول وقت العشاء بقليل ..

* وأن وقت العشاء يدخل: إذا غاب الشفق الأحمر، وينتهى وقتها الإختيارى، إذا جاء ثلث الليل، أو نصفه على خلاف فى ذلك بين الفقهاء، تبعًا لإختلاف الروايات ويخرج وقتها بطلوع الفجر الصادق.

* وأن وقت الصبح: يبدأ من طلوع الفجر الصادق، وينتهى بطلوع الشمس وهذا بإجماع جمهور الفقهاء،واختلفوا فى وقته المختار .. فقال مالك والشافعى وأحمد: يستحب المبادرة بصلاة الصبح أول الوقت .. ويرى الحنفية: أن الإسفار[2]

---

(١) كما جاء فى الفقه الواضح ج٢ ص٢٨ وما بعدها .

(٢) الإسفار هو الوضوح البين الذى يمكن فيه مشاهدة الأشياء بوضوح .

بالصبح أفضل .. ويرى كثير من المالكية: أن التعجل أفضل إذا لم يكن المصلى ينتظر جماعة، والتأخير إلى الإسفار إذا كان الغرض منه تكثير الجماعة جمعا بين الأحاديث التى تبدو متعارضة [1] .

* (هذا) مع ملاحظة: أن لكل صلاة وقتين: وقت أداء . ووقت قضاء .

وان وقت الأداء له ثلاثة أوقات: وقت بداية، ووقت وسط، ووقت نهاية .. قال رسول الله ﷺ : «**أول الوقت رضوان الله، ووسط الوقت رحمة الله، وآخر الوقت عفو الله – عز وجل –**» أخرجه الدارقطنى

* ووقت البداية: يسميه الفقهاء وقت فضيلة، لأنه من الأفضل للعبد أن يؤدى الصلاة فيه، حتى ينال رضوان الله – عز وجل – .

* (وقد) سُئل النبى ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ فقال: «**الصلاة لوقتها**» أى فى أول وقتها . أخرجه الحاكم والدارقطنى .

* ووقت الوسط: يسميه الفقهاء وقت توسعة، أو وقت اختيارى ..

(وهو) ما يلى وقت الفضيلة ..أى: بعد الوقت الذى يشمل الأذان والإقامة، وتحصيل شروط الصلاة من الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، وسماه الفقهاء بذلك لأنه وقت موسع، يجوز للعبد أن يؤخر الصلاة فيه عن وقت الفضيلة إليه، دون أن يتعرض لسخط الله وغضبه .

* وأما نهاية الوقت: فيسميه الفقهاء وقت الضرورة، أى لا يجوز تأخير الصلاة إليه إلا لضرورة شرعية ..

* ووقت الضرورة: هو الوقت الذى لا يسع إلا صلاة ركعة بتمامها، بعد تحصيل شروط الصلاة، يقدر بربع ساعة على وجه التقريب .

** (فلاحظوا) كل هذا إخوة الإسلام .. حتى تكونوا من أهل الأداء .. لا من أهل القضاء .. أى الذين يؤخرون الصلاة حتى يجىء وقت الصلاة الآخر .

* (وإذا) حدث هذا – والعياذ بالله –فإن الصلاة التى فات وقتها .. ستكون دينًا فى ذمة العبد – الذى أخرها عن وقتها – يجب عليه الوفاء به ..

---

(١) كما جاء فى (الفقه الواضح) ج٢ ص٢٨ وما بعدها .

* (وهو) بهذا التأخير يعتبر عاصيًا لله عصيانًا ... الله أعلم بتقديره .

* (وحسبنا) أن نذكر هذا العبد المتكاسل عن أداء الصلاة المفوت لها عن أوقاتها .. بقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤،٥] أى: فالويل أى العذاب، أو الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين، الذين يصلون ولا يريدون وجه الله – عز وجل – بصلاتهم ..وهم فى صلاتهم لاهون، يتغافلون عنها أحيانًا، ويضيعون وقتها أحيانًا أخرى .

* (وحَذار) أيها الإخوة المسلمون .. أن تكونوا والعياذ بالله من تاركى الصلاة؛ لأن النبى ﷺ يقول: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم.

* (وعن) بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» رواه أحمد .

** (بل) وقد اختلف الفقهاء فيمن تركها كَسَلًا، وهو معترف بوجوبها .

(فقال) الحنابلة: هو كافر .

(وقال) الجمهور: هو فاسق ..

* (واستدل) الحنابلة بالأحاديث المتقدمة فجعلوها عامة فى ترك الصلاة مطلقًا..

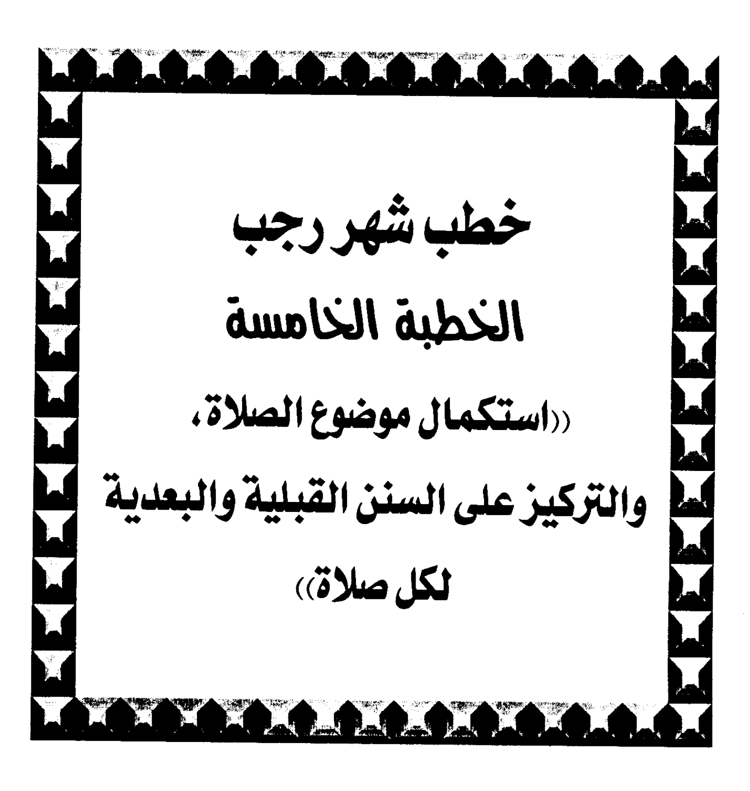
(فإياك .. إياك) أن تكون كافرًا ..أو فاسقًا ..

(وكن) على عكس هذا، من المؤمنين الصادقين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١: ١١]

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعًا منهم وأن يحشرنا معهم .

والله ولى التوفيق .





خطب شهر رجب

الخطبة الخامسة

((استكمال موضوع الصلاة،
والتركيز على السنن القبلية والبعدية
لكل صلاة))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**ما أذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر** [1] **فوق رأس العبد ما دام فى صلاته**» الحديث رواه أحمد والترمذى وصححه السيوطى .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين عرفوا حقيقة الصلاة .. وأهميتها .. فكانوا لها من المؤدين .. وكانوا فيها من الخاشعين .. تنفيذا لأمر الله – تعالى – فى قوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين .. ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – ..

(تذكرون) أننا فى الخطبة الماضية التقينا حول فريضة الصلاة وضرورة المحافظة عليها .

(بمعنى) أن نؤديها فى أوقاتها التى حددها الله – تبارك وتعالى – لها ..

(مع) التحذير من تأخيرها عن هذا الوقت الذى حدده الله – تعالى – لها حتى لا نكون من أهل الويل والعياذ بالله .

(وقد) رأيت فى هذا اللقاء المبارك أن أدور معكم حول موضوع – يتعلق كذلك بالصلاة – لا يقل أهمية عن الموضوع السابق ..

(ألا) وهو كيف تؤدى الصلاة أداء صحيحًا .. حتى تكون مقبولة عند الله – تبارك وتعالى – ..

---

(١) أى لينثر .

(مع) التركيز مع ذلك، أو بعد ذلك على ما يمكن أن تجبر الصلاة به .. إذا ما كان هناك نقص فيها ..

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل المسجد فصلى، ثم جاء إلى النبى ﷺ فرد عليه السلام ، وقال: « **ارجع فَصَل فإنك لم تُصل** » فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات قال[1]: فقال[2]: والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى ؟ .. قال: « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها** » . رواه البخارى ومسلم .

وهذا الحديث المسمى بحديث (المسيء فى صلاته) يشير إلى أن الصلاة مركبة من فرائض وسنن لابد وأن يكون المصلى على علم بها .. حتى يميز بين الفرض والسنة .. وحتى يعلم أن الفرض يبطل بتركه العمل، وأن السنة لا يبطل بتركها العمل .

**(ولهذا) فإننى أرى أن أخص للأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أركان الصلاة .. وسننها ومستحباتها[3] حتى يكونا على علم بها .. وحتى يستطيعا الحكم على صلاتهما إذا كانت صحيحة أم لا ..

**فأما عن: أركان الصلاة:

فهى ستة عشر ركنا، بعضها متفق على فرضيته وبعضها مختلف فيه ..

(وهاك) بيان كل باختصار .. مفيد - إن شاء الله -:

١) النية:

وهى فرض عند جمهور الفقهاء، لقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » .

*(ويجب): أن تكون النية مقارنة لتكبيرة الإحرام، ومع رفع اليدين ولا بأس أن تتقدم عليها يسيرا .

---

(١) أى الراوى وهو أبو هريرة رضي الله عنه.

(٢) أى قال الرجل المسيء فى صلاته .

(٣) كما جاء فى (الفقه الواضح) ج٢ ص ٦٢ - ٧٩ .

(مع) ملاحظة أن النية محلها القلب، والتلفظ بها مكروه، وقيل بدعة .

٢) تكبيرة الإحرام:

وهى فرض بالإجماع، لقوله ﷺ : «**مفتاح الصلاة الطهور،وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم** » أخرجه أحمد والترمذى .

* (ولفظها): (الله أكبر)، وسميت تكبيرة الإحرام لأن بها يدخل العبد فى حرم الصلاة، فلا يأتى بأقوال تنافى أقوالها، ولا بأفعال تخالف أفعالها .

(ويستحب): أن يسمع بها نفسه، إن لم يكن أصم، أو كان هناك لغط .

٣) القيام لتكبيرة الإحرام مع القدرة:

أما العاجز، فله أن يكبر قاعدًا، أو مضطجعًا، حسب قدرته .

* (مع ملاحظة): أن، القيام فرض فى صلاة الفرض بالإجماع، لقوله تعالى: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨] أى: مطيعين، والمراد القيام فى الصلاة بإجماع المفسرين .

(أما) صلاة النوافل: فالقيام فيها مستحب، فمن صلى قائمًا فله الثواب كله، ومن صلى قاعدًا: فله نصف الثواب .

٤) قراءة الفاتحة:

وهى فرض فى صلاة الفرض والنفل، وعلى الإمام،والمأموم، والمنفرد، مع القدرة على قراءتها، لقوله ﷺ : «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » أخرجه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت .

* (وهذا) مذهب الشافعية، وجمهور آخر من الفقهاء .

* ويرى المالكية،والحنفية، وفريق من الحنابلة: أنها فرض على المنفرد والإمام، ومستحب فى حق المأموم .

(واستدلوا) بقول جابر رضي الله عنه : «**من صلى ركعة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب لم يصل**[1]**، إلا أن يكون وراء الإمام**» أخرجه الترمذى .

---

(١) أى لم تصح صلاته .

(وقد) اتفق جمهور الفقهاء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل، وهى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: الآية: ٣٠] .

* (واختلفوا): هل هى آية من الفاتحة، أم هى تفتتح بها كل سورة من القرآن على سبيل التبرك ؟

(فقال) الشافعية: هى آية من الفاتحة .

(وقال) المالكية: ليست آية من الفاتحة .

** (وعلى هذا): فمن تركها عند الشافعية بطلت صلاته .

(ومن) تركها عند المالكية فلا شيء عليه .

* (غير) أن كثيرًا من فقهاء المالكية، يفضل قراءتها خروجا من الخلاف، وبفضل أن تكون قراءتها سرًا .

* (وأقول): وهذا أفضل .. خروجًا من الخلاف .. والاحتياط فى الدين واجب.. وخصوصًا بالنسبة للصلاة التى هى:

(خير موضوع) (١) أى خير شيء وضعه الشارع.

** (مع) ملاحظة: أن اللحن فى الفاتحة يبطل الصلاة ..

* (قال) النووى فى شرح مسلم: إذا لحن فى الفاتحة لحنًا يخل المعنى، كضم تاء (أنعمتَ) أو كسر كاف: إياكَ): بطلت صلاته، وإن لم يخل المعنى كفتح الباء من: (المغضوب عليهم) ونحوه: كره ولم تبطل صلاته انتهى (٢) .

٥) القيام لقراءة الفاتحة مع القدرة:

وهو فرض بالإجماع فى صلاة الفرض، مثل القيام لتكبيرة الإحرام، لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] .

* (أما النفل): فالقيام فيه مستحب، فإن صلى قائمًا أو جالسًا بعذر، فله الأجر كله، وإن صلى جالسًا بغير عذر، فله نصف الأجر، والله أعلم .

---

(١) والحديث أخرجه ابن حبان والحاكم، ونصه: «الصلاة خير موضوع، فمن شاء استكثر، ومن شاء استقل» .

(٢) راجع حول كل هذا: زاد المعاد ج١ ص ٥٢، ص ١٠٦ ج٤ نووى مسلم .

٦) الركوع:

وهو فرض بالإجماع فى كل صلاة إلا صلاة الجنازة، فإنه ليس فيها ركوع ولا سجود قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] .

**(ويتحقق الركوع): عند جمهور الفقهاء بالإنحناء، بحيث تصل اليدان إلى الركبتين ..

(وأكمله) عند الجميع: يكون بتسوية الرأس والعجز، والإعتماد بيديه على ركبتيه، وتفريج أصابعه، وبسط ظهره .

(لقول) أبى حميد الساعدى رضي الله عنه : " كان النبى ﷺ إذا ركع اعتدل ولم يصوب [١] رأسه ولم يقنعه [٢] ووضع يديه على ركبتيه " أخرجه النسائى .

٧) الرفع من الركوع:

وهو فرض عند الجمهور، لقوله ﷺ للمسيء فى صلاته: « **ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا** » .

*(ويتحقق) باعتدال القامة، على نفس الهيئة التى كان عليها قبل الركوع، وأثناء القراءة .

٨) السجود:

وهو فرض بالإجماع،لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧].

*(وتكريره) فى كل ركعة فرض بالسنة والإجماع، لقوله ﷺ للمسيء فى صلاته: «**ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ..** » الحديث .

*(ويتحقق) السجود بوضع سبعة أعضاء على الأرض،وهى الوجه والكفان، والركبتان والقدمان .

---

(١) أى يميل رأسه إلى الأسفل .

(٢) أى يرفعه حتى يكون أعلى من ظهره .

(فعن) العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب –أى أعضاء– وجهه، وكفاه، وركبتاه، وقدماه) أخرجه مسلم .

فإذا لم يسجد العبد على عضو من هذه الأعضاء السبعة، بطلت صلاته .

(واختلفوا) فى السجود على الأنف فقال أكثر الفقهاء: السجود عليه واجب، لأنه ملحق بالجبهة، ولقوله ﷺ «**لا صلاة لمن لا يصيب أنفه الأرض**» أخرجه الدارقطني .

*(وقال) المالكية: لو سجد المصلى على وجهه دون أنفه، صحت صلاته، ولكن الأفضل أن يعيدها، ما دام الوقت باقيًا، مراعاة للخلاف .

٩) الجلوس بين السجدتين:

وهو فرض عند الأئمة، وينبغى أن يستقر المصلى بقدر ما يقول: اللهم اغفر لى، وارحمنى، واعف عنى، وارزقنى، ثم يسجد السجدة الثانية .

١٠، ١١) الجلوس الأخير والتشهد فيه:

وهما فرضان عند الشافعية وأحمد لما رواه الطبرانى والبزار، عن ابن مسعود، قال: كان النبى ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «**تعلموا فإنه لا صلاة إلا بتشهد**» .. فدل هذا الحديث على أن، التشهد فرض .

*(وإذا) كان التشهد فرضًا، فالجلوس له فرض .

*(ويرى) المالكية: أن التشهد الثانى سنة، كالتشهد الأول، والجلوس له – أيضًا – سنة، إلا الجلسة الأخيرة، بقدر السلام، أى بقدر ما يقول المصلى السلام عليكم، عن يمينه فقط بحيث لو سلم وهو واقف لا تصلح صلاته .

(وأجابوا) عن الحديث الذى استدل به الشافعية على فرضية التشهد بأنه لا يفيد الفرضية، وإنما يفيد أن، الصلاة تكمل به، ولكن يبطل بتركه .. أى أن الأمر به على سبيل الإستحباب،وليس على سبيل الوجوب – والله أعلم .

١٢) الصلاة على النبى ﷺ عقب التشهد الأخير:

وهى فرض عند الشافعية فى التشهد الأخير، دون الأول .

(لحديث) فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إذا صلى أحكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء علي النبى ﷺ ثم يدعوا بما شاء**» أخرجه أحمد وأبو داود .

* (ويرى) المالكية والحنفية وجمهور الحنابلة أنها سنة .

(وقالوا): إن الوجوب إنما يكون بدليل شرعى،ولم يرد، وحديث فضالة لا يدل على وجوبها، لأنه ﷺ أمر فيه بالدعاء فى آخر الصلاة: وهو غير واجب اتفاقا [1].

١٣) السلام:

وهو فرض، لقوله ﷺ «**مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم**» ولقوله ﷺ «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**» .

* (ولم) يعرف أن النبى ﷺ قد ترك السلام فى صلاة من الصلوات، والتسليمة الأولى هى الفرض، وينبغى أن تكون جهة اليمين.. والتسليمة الثانية سنة عند الجمهور.

(ولابد) أن يكون السلام معرفا بالألف واللام عند مالك وأحمد .

(ولفظه): (السلام عليكم) فلا يجزىء: (سلام عليكم) خلافًا للشافعية .

(والأكمل) فى السلام، أن يقول المصلى: (السلام عليكم ورحمة الله) .

(ومالك): يرى أن الإمام والفذ – أى المنفرد – يسلم تسليمة واحدة عن يمينه، والمأموم يسلم ثلاث تسلميات: واحدة عن يمينه،وواحدة عن يساره، وواحدة أمامه على الإمام .

١٤، ١٥) الطمأنينة والاعتدال فى جميع الأركان:

(لقوله) ﷺ للمسيء فى صلاته: «**ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم قم، فإذا أتممت صلاتك على هذا فقد أتممتها، وما انتقصت من هذا شيء فإنما انتقصته من صلاتك**» أخرجه أحمد .

* (والإعتدال) معناه: استواء الأعضاء فى الركوع والسجود والجلوس والقيام.

---

(١) انظر الدين الخالص ص ١٦٨ ج٢ .. (كما) قال فى الفقه الواضح ج٢ ص ٦٨ وما بعد ذلك .

*(والطمأنينة) معناها: استقرار الأعضاء، وسكونها زمنًا يسع تسبيحة على الأقل عند المالكية وبعض الشافعية . أو ثلاث تسبيحات على الأقل عند كثير من الفقهاء، وهو الأصح .

١٦) ترتيب الأركان:

وهو ركن بالإجماع، لقوله ﷺ **«صلوا كما رأيتمونى أصلى»** .

(وقد) كانت صلاته ﷺ على هذا الترتيب المنقول عنه،ولم يثبت عن أحد من أصحابة أن النبى ﷺ قد خالف هذا الترتيب، فسجد – مثلًا – قبل أن يركع: فمن خالف هذا الترتيب بطلت صلاته، إن تعمد ذلك . والله أعلم .

** (وأما) سنن الصلاة ومستحباتها، فهى باختصار [1]:

*رفع اليدين:

حذو المنكبين، أو حذو الأذنين، عند تكبيرة الإحرام أو قبلها .

*ووضع اليمين على الشمال فوق السرة، وتحت الصدر ..:

(وقد صح) من طرق كثيرة، أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى،وضع يده اليمنى على اليسرى .

*التوجه:

– أو دعاء الإفتتاح – بعد تكبيرة الإحرام،وقبل الفاتحة، وهو سنة عند أكثر العلماء ..والأحاديث الواردة فيه كثيرة وصحيحة .. ولا ينبغى ترك العمل به ...

(ومن) الأحاديث الواردة فيها ما رواه البخارى ومسلم وغيرهم .

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر فى الصلاة سكت هنيهة [2]، قبل القراءة، فقلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول فيه ؟ قال: أقول: «**اللهم باعد بينى وبين خطاياى، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد**[3]».

---

(١) كما جاء فى الفقه الواضح ج٢ ص ٧٠ وما بعدها .. بتصريف يسير .

(٢) أى لحظة قصيرة .

(٣) أى الندى .

* والإستعاذة التى يستحب افتتاح القراءة بها:

(قال) ابن المنذر: جاء عن النبى ﷺ أنه كان يقول قبل البدء فى القراءة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

(وتستحب فى الركعة الأولى فقط، باعتبار أن القراءة فى الصلاة قراءة واحدة، ويستحب أن تكون سرّا، عند أكثر العلماء .

* والتأمين:

الذى معناه: (اللهم استجب)،وهو سنة للفرد، والإمام والمأموم ..

(وذلك) بأن يقول بعد قراءة الفاتحة آمين .. ويرفع بها صوته .. كما كان أصحاب الرسول ﷺ يرفعون بها أصواتهم .. وليس هذا معناه أنهم كانوا يرفعون بها أصواتهم جدا وإنما كانوا وسطا بين السر والجهر .. إلا أنهم لكثرتهم كان يرتج بهم المسجد ..

(ويستحب) للمأموم أن يوافق تأمينه تأمين الإمام .

(فقد) ورد أنه من وافق تأمينه تأمين الإمام غفر له .

* والقراءة بعد الفاتحة:

وهى سنة للمصلى، بأن يقرأ بعد الفاتحة سورة، ولو قصيرة، من القرآن، أو آية تعدل أقصر سورة منه، مثل سورة الكوثر .

(وذلك) فى ركعتي الصبح، والركعتين الأولين من الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء، وفى ركعتي الجمعة، والعيدين، وفى ركعات النوافل ..

(مع) ملاحظة: أن سورة الفاتحة تغنى عن غيرها، وغيرها لا يغنى عنها .. أى أنه لو اكتفى المصلى بسورة الفاتحة – فى الركعات المشار إليها – لصحت صلاته، أما إذا قرأ القرآن كله فى الصلاة دون أن يقرأ أولًا سورة الفاتحة .. فإن الصلاة ستكون باطلة .

(فعن) ابى قتادة رضي الله عنه أن النبى ﷺ " كان يقرأ فى الظهر فى الأولين بأم الكتاب وسورتين، وفى الركعتين الأخيرتين بأم الكتاب [1]"،ويسمعنا الآية أحيانا،

---

(١) أى فقط .

ويطول فى الركعة الأولى مالا يطول فى الثانية،وهكذا فى العصر،وهكذا فى الصبح" رواه البخارى ومسلم

* والسر فيما يسر فيه والجهر فيما يجهر فيه:

(أى) أنه ينبغى على المصلى أن يقرأ سرًا فى صلاة الظهر والعصر، والركعة الأخيرة من المغرب والركعتين الأخيرتين من العشاء ،وفى صلاة النفل من النهار..

(وأن) يقرأ جهرًا فى ركعتى الصبح، والركعتين الأوليين من المغرب، والركعتين الأولين من العشاء، وركعتى الجمعة،وركعتى العيد الأصغر والأكبر، وفى النفل ليلًا.

(وأقل) السر: أن يسمع الإنسان نفسه، وعند مالك يكتفى بحركة اللسان .

(وأقل) الجهر : أن يسمع الإنسان نفسه ومن يليه .

(وأكثره): لا حد له،إلا أنه ينبغى على المصلى أن لا يرفع صوته جدًا،وأن لا يخفضه جدًا، بل يكون وسطا بين بين، عملًا بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ١١٠] .وهذا السبيل هو الوسط .

(ولو) أسر المصلى فيما يجهر فيه، وجهر فيما يسر فيه، فلا شيء عليه، بل متى ذكر ذلك، فليعمل ما هو مطلوب منه من الإسرار والجهر .

(ويرى) المالكية: أنه من أسر فيما يجهر فيه، أو العكس: يسجد للسهو .

*وتكبيرات الإنتقال:

(فهى) سنة بلا خلاف، وذلك بأن يكبر المصلى عند الشروع فى الركوع، وعند الشروع فى السجود،وعند الرفع منه، وعند القيام .

(أما) عند الرفع من الركوع، فإنه يقول: (سمع الله لمن حمده .. ربنا ولك الحمد) وإن كان (مأمومًا وسمع الإمام يقول: سمع الله لمن حمده، فليقل خلفه: ربنا ولك الحمد .

(قال) ابن مسعود رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يكبر في كل خفض، ورفع، وقيام، وقعود " رواه أحمد والنسائى .

*وتفريج الأصابع فى الركوع:

ووضع اليدين على الركبتين،وجعل الرأس مساويًا للظهر .

(وذلك) لما روى عن عقبة بن عامر ﷺ أنه ركع فجافى يديه على ركبتيه وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه، وقال: " هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصلى" رواه أحمد وأبو داود .

(مع) ملاحظة: أن معنى (جافى يديه) أى: أبعد ذراعيه قليلًا عن ركبتيه، وأن معنى: (تفريج الأصابع): أى تفريقها حول الركبتين .

*والذكر فى الركوع: وهو سنة عند الجمهور .

(وذلك) بأن يقول المصلى فى ركوعه: (سبحان ربى العظيم) .

(مع) ملاحظة: أن أقل التسبيح عند جمهور الفقهاء، ثلاث تسبيحات .

(ويرى) المالكية: أن تسبيحة واحدة تكفى .

(والأصح) ما قاله الجمهور .

(فعن) عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: « **إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات: سبحان ربى العظيم، وإذا سجد فليقل: سبحان ربى الأعلى ثلاثًا، وذلك أدناه**» أخرجه أبو داود والترمذى .

* والذكر عند الرفع من الركوع:

فإنه من السنة أن يقول المصلى إذا رفع رأسه من الركوع . سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد [1] .. إلا إذا كان مأمومًا فإنه يقول: ربنا ولك الحمد ..ولا يقول سمع الله لمن حمده .

(ويستحب) الزيادة على قول: (ربنا ولك الحمد) مثل: حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه،ملء السموات والأرض ..

(وقد ورد) فى السنة عن رفاعة بن رافع قال: " كنا نصلى يومًا وراء النبى ﷺ ، فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة، وقال: سمع الله لمن حمده . قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه فلما انصرف [2] رسول الله ﷺ

---

(١) ورد: (ربنا ولك الحمد) بالواو، وبدون الواو .

(٢) أى خرج من صلاته .

قال: «**من المتكلم آنفا؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ لقد رأيت بضعًا وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا**» رواه أحمد والبخارى .

*(وذكر) البيجرمى فى حاشيته على الخطيب: أن السبب فى (سمع الله لمن حمده) أن الصديق رضي الله عنه ما فاتته صلاة خلف رسول الله ﷺ قط فجاء يومًا وقت صلاة العصر، فظن أنها فاتتة مع رسول الله ﷺ فاغتم بذلك وهَرْوَلَ، ودخل المسجد، فوجده ﷺ مكبرا فى الركوع، فقال: (الحمد لله) وكبر خلفه ﷺ فنزل جبريل والنبى ﷺ فى الركوع، فقال: يا محمد، سمع الله لمن حمده، فقل: سمع الله لمن حمده،وفى رواية (اجعلوها فى صلاتكم) فقالها عند الرفع من الركوع وكان قبل ذلك يركع بالتكبير،ويرفع به فصارت سنة من ذلك الوقت ببركة الصديق رضي الله عنه انتهى [1] .

*ورفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه:

(فقد) وردت أحاديث تفيد أن النبى ﷺ فعله فى صلاته، منها:

(ما رواه) البخارى .

(عن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه، حتى يكونا حذو منكبيه، ثم يكبر، فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركوع، ورفعهما كذلك وقال: (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) .

*والتسبيح والدعاء فى السجود وهو سنة:

(لما رواه) عقبة بن عامر رضي الله عنه لما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال رسول الله ﷺ : «**اجعلوها فى سجودكم**»رواه أحمد .

*(وأما) الدعاء فى السجود فمطلوب ..

(لقوله) ﷺ : «**أقرب ما يكون أحدكم من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء**».

(وقال): «**ألا إنى نهيت أن أقرأ راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع: فعظموا فيه الرب، وأما السجود: فاجتهدوا فى الدعاء، فقمين – أى: جدير – أن يُستجاب لكم**» رواه مسلم .

---

(١) حاشية البيجرمى ج٢ ص ٥٧ . (كما) جاء فى الفقه الواضح ج٢ ص ٧٦ وما بعدها ..

**(وقد) كان النبى ﷺ يكثر الدعاء .
فى سجوده .. فقد وردت عنه أدعية كثيرة .. منها:
(ما رواه) مسلم عن على – كرم الله وجهه – أن رسول الله ﷺ كان إذا سجد يقول: «**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه، فصوره فأحسن صوره، فشق سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين**».
(وروى) مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وهو يصف صلاة النبى ﷺ فى التهجد -: " ثم خرج إلى الصلاة فصلى، وجعل يقول فى صلاته، أو سجوده: «**اللهم اجعل فى قلبى نورًا، وفى سمعى نورًا، وفى بصرى نورًا، وعن يمينى نورًا، وعن يسارى نورًا، وأمامى نورًا، واجعلنى نورًا**» "
*وضَمُّ الأصابع فى السجود مستحب .
(لما رواه) الحاكم وابن حبان أن رسول الله ﷺ : «**كان إذا ركع فرج بين أصابعه، وإذا سجد ضم أصابعه**» .
*والجلوس الأول وقراءة التشهد فيه:
(وهما) سنتان عند جمهور الفقهاء ..
*والجلوس الثانى وقراءة التشهد فيه:
(وهما) سنتان .. خلافًا للشافعية وأحمد .
(فهما فرضان) عندهما .. لقوله ﷺ فى حديث رواه الطبرانى والبزار: (تعلموا، فإنه لا صلاة، إلا بتشهد) .. فدل هذا الحديث على أن التشهد فرض ..
(وإذا) كان التشهد فرضًا، فالجلوس له فرض [1].
** (فعلى) الإخوة المسلمين – ذكورهم وإناثهم – أن يكونوا من المنفذين لكل تلك الأركان وكذلك السنن تنفيذًا متقنًا لا نقصان فيه [2] ..
(مع) ملاحظة ما ورد:
(عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم**

---

(١) كما عرفنا هذا من قبل فى ختام أركان الصلاة ١٠، ١١.
(٢) كما عرفنا فى حديث المسيء فى صلاته ..

القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا لملائكته،وهو أعلم: أنظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت لـه تامة، وإن كـان انتقص منهـا شيئًا قـال: انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فـإن كـان لـه تطوع قـال: أتموا لعبـدى فريضتـه مـن تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » رواه أبو داود .

** (وإذا) كان التطوع، هو السنة أو النفل:

(فـإن) التطـوع قـد شرع أساسًـا ليكـون جـبرًا لما عسـى أن يكـون قـد وقـع فى الفرائض من نقص،ولما فى الصلاة من فضيلة ليست لسائر العبادات ..

(روى) البخارى فى صحيحه:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن ربه – عز وجل –، قـال: (مـن عـادى لى وليًا،فقـد آذنتـه بـالحرب [1]، ومـا تقـر ب إلى عبـدى بشيء أحـب إلى ممـا افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فـإذا أحببتـه: كنـت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر بـه، ويـده التـى يـبطش بهـا، ورجلـه التـى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه) .

** (ولا سيما) إذا كانت النوافل هذه .. هى نوافل الصلاة ..

(وأعنى) بها: سنة الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء ..

(فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: (حفظت من النبى ﷺ عشر ركعـات: ركعتـين قبل الظهر، و ركعتين بعدها، و ركعتين بعد المغرب فى بيته، و ركعتـين بعـد العشـاء فى بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح) رواه البخارى .

* وعن المغيرة بن سليمان رضي الله عنه قـال: سـمعت ابـن عمـر يقـول: كانـت صـلاة رسـول ﷺ : «**أن لا يدع ركعتين قبـل الظهـر، وركعتـين بعـدها، وركعتـين بعـد المغرب،وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح**» رواه أحمد بسند جيد .

** (وإذا) كان العدد الوارد فى الحديثين هو السنن المؤكدة [2] ..

---

(١) أى أعلمه الله أنه محارب له .. والله – تعالى – إذا حارب العبد أهلكه .

(٢) أى التى فعلها ﷺ وواظب على فعلها ورغب فيها .

(فإننى) أضيف إليهما ما ورد:

*(عن) عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة رضي الله عنها، عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت: (كان يصلى قبل الظهر أربعا، واثنتين بعدها) رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

*(وعن) أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من صلى أربعا قبل الظهر، وأربعًا بعدها حرم الله لحمه على النار**» رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى .

(هذا) مع ملاحظة: أنه يستحب القراءة فى ركعتى الفجر بـ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون:١] بعد الفاتحة، وفى الركعة الثانية: بـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الاخلاص:١].

وكذلك بالنسبة للركعة الأولى والثانية من صلاة المغرب .

(وأما) عن السنن غير المؤكدة:

(فركعتان) أو أربع قبل صلاة العصر [1] .

(وركعتان) قبل صلاة المغرب .

(وركعتان) قبل صلاة العشاء .

**(والوتر) كذلك .. سنة مؤكدة .. حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيه:

(فعن) على رضي الله عنه قال: (إن الوتر ليس بحتم [2] كصلاتكم المكتوبة[3]، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتر، ثم قال: «**يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر** » رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذى ورواه الحاكم أيضًا وصححه .

(وقد) أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد إلى الفجر ..

(وورد) فى حديث رواه أحمد بسند صحيح: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر أول الليل وأوسطه، وآخره ..

---

(١) أى بعد أذان العصر .

(٢) أى لازم .

(٣) أى المفروضة .

(ويستحب) تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره ..

(وعن) الترمذي: روى عن النبي و(عن) عدد ركعات الوتر: ﷺ الوتر بثلاث عشرة ركعة،وإحدى عشر ركعة، وتسع، وسبع، وخمس، وثلاث، وواحدة.

(ويجوز)أداء الوتر ركعتين ركعتين [1]، ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام، كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد ثم يقوم إلى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم .

(ويجوز) أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة، كل ذلك جائز وارد عن النبى ﷺ [2] .

(فعلى) الإخوة المسلمين .. أن يذكروا كل هذا .. ويُذكِّروا به .. حتى ينتفع به غيرهم المسلمين والمسلمات .. وعليهم أولًا وأخيرًا أن ينفذوه على هذا الأساس الفقهى السليم .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى يسلم على رأس كل ركعتين .

(٢) ارجع إلى الجزء الثانى من (فقه السنة) لكى تقرأ كل هذا بالتفصيل من الصفحة (٥- ٣٧) .



خطب شهر شعبان

الخطبة الأولى

((ما الذي نستطيع أن نتقرب به إلى الله -تعالى- في شهر شعبان؟))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى لم يكن يصوم شهرًا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله [١]، وكان يقول: «**خذوا من العمل ما تُطِيقون [٢] فإن الله لا يمل حتى تملوا**» [٣] وكان أحب الصلاة إلى النبى ﷺ ما دُووِمَ عليه وإن قَلَّت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها . رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين، العاملين المخلصين .. الذين تمسكوا بسنته وساروا على نهجه .. فكانوا هداة يهتدى بهم، ويقتدى بفعالهم .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) الآن فى الجمعة الأولى من شهر شعبان الذى قيل: أنه قد سمى بهذا الاسم لتَشَعُّب الخير فيه ..

(وإذا) كان هناك كثير من الناس يظن أن شهر شعبان ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين .. بدليل الحديث الذى رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما والذى يقول فيه: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ فقال: «**ذاك**

---

(١) إنما يراد به معظمه وللأكثر حكم الكل .

(٢) بما تقدرون على المداومة عليه ..

(٣) أى لا يقطع عنكم نعمه وثوابه حتى تملوا أنتم وتنقطعون عن العمل .

شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم» رواه النسائى .

*(فإننى) أذكر الأخ المسلم .. بأن الأعمال لا ترفع إلى الله فى شهر شعبان فحسب .. وإنما ترفع إلى الله فى كل يوم

(ففى) كل يوم يرفع إلى الله عمل الليل، قبل النهار .. وعمل النهار قبل الليل .. ولا ينتظر بها حتى يأتى شعبان من كل عام حتى ترفع فيه ..

*(وهذا) معناه أن هذا الحديث غير مفهوم وهو أشبه أن يكون موضوعًا .

*(وهذا) معناه كذلك:

*(أن) شهر شعبان كأى شهر من الشهور العربية الأخرى التى ليست من الأشهر الحرم، باستثناء شهر رمضان الذى هو أفضل الشهور عند الله – تبارك وتعالى – ..

(وكذلك) شهر ربيع الأول الذى ولد في مثله الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – .

(بل) وبعث، وهاجر، وتوفى فيه [1].

(وأن) أهم شيء نستطيع أن نذكره به .. هو أن شهر شعبان هو الشهر المبارك الذى فرض الله علينا فيه صيام شهر رمضان – لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة [2] –، وأنه فى مثل هذا الشهر تحولت القبلة إلى المسجد الحرام بعد أن كانت إلى المسجد الأقصى لمدة سبعة عشر شهرًا .

(وأنه) فى مثله أنزل الله – تعالى – قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

*(ولهذا) فإنه حسب هذا الشهر المبارك أن يكون جامعا لكل تلك الفضائل التى ينبغى علينا جميعًا كمؤمنين صادقين . أن نكون من المحتفلين بها احتفالًا إيجابيًا .

---

(١) كما يقول ابن كثير فى البداية والنهاية .
(٢) كما أشار إلى هذا صاحب كتاب (فقه السنة) ج٣ .

(وذلك) بالإكثار فيه من صيام التطوع الذى هو من أعظم القربات إلى الله – سبحانه وتعالى – بصفة عامة .. كما ورد فى السنة المطهرة .

(فعن) أبى سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله – تعالى – إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا** (١)». رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

* (وذلك) حتى نتعود على صيام شهر رمضان الذى سنؤديه بعد ذلك بدون معاناة.. بعد أن نتدرب عليه .. فى هذا الشهر المبارك الذى كان رسول الله ﷺ يسأل الله – تعالى – أن يبارك لنا فيه (٢) .

(ولكن) بدون تخصيص صيام يوم بعينه (٣) .. حتى لا يكون الصيام هذا ابتداعًا لا اتباعًا ..

(ففى الحديث): «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار**».

* (وعلى) الأخ المسلم كذلك أن يكثر فيه من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذى يقول: «**من صَلَّى عَلَىَّ صلاة واحدةً صلى الله عليه عشرًا**» (٤) رواه مسلم، وأبو داود والنسائى،والترمذى وابن حبان فى صحيحه..عن أبى هريرة.

** (وأفضل) صيغ الصلاة عليه الصيغة الإبراهيمية التى علمها ﷺ لأصحابه ..، وهى: " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " (٥) .

---

(١) أى سنة .

(٢) فقد ورد أنه: صلوات الله وسلامه عليه – كان إذا دخل شهر رجب يقول: (اللهم بارك فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان)

(٣) لأنه لم يرد فى السنة أن يصوم المسلم صيامًا مخصوصًا .. لا فى رجب ولا فى شعبان ..

(٤) وورد كذلك أن من صلى عليه عشرًا صلى الله عليه مائة .. الخ .

(٥) فقه السنة ص ٢٦٠ .

*(مع) ملاحظة: أن الصلاة والسلام عليه – صلوات الله وسلامه عليه – لابد وأن يكونا على أساس من الحب الصادق له ..

(بمعنى) أن يكون الحب الصادق هذا تمسكًا بسنته ..

(ولا سيما) فى شهر شعبان المبارك الذى نحن فى الأيام الأولى منه .. وذلك حتى لا يكون عملنا الصالح فيه هباءً منثورًا ..

(وذلك) بالإكثار فيه من الصيام – كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

(فعن) عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويُفطُر حتى نقول: لا يصوم [1]، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيامَ شَهْرٍ قط إلا شَهَر رمضان [2]، وما رأيتُه فى شهر أكثر صيامًا منه فى شعبان»** رواه البخارى ومسلم وأبو داود، ورواه النسائى والترمذى وغيرهما، قالت: **«ما رأيتُ النبى ﷺ فى شهر أكثر صيامًا منه فى شعبان .. كان يصومه إلا قليلًا، بل كان يصومه كُله»**.

(ويستطيع) الأخ المسلم .. وكذلك الأخت المسلمة ..

(أن) يكثرا فيه من قيام الليل الذى رغب فيه الرسول ﷺ -بصفة عامة– فقال: **«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، و صِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام: تدخلوا الجنة بسلام»**. رواه الحاكم،وابن ماجه، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

*(ولا سيما) فى ليلة النصف من شعبان ..

(فقد) ورد فى الحديث – وإن كان ضعيفًا [3] –:

(عن) عائشة رضي الله عنها قالت: " قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قُبِضَ [4] فلما رأيتُ ذلك قُمتُ حتى حَركتُ إبهامه

---

(١) تعنى رضي الله عنها أنه كان لا يحدد وقتًا لصيامه ولا لإفطاره، بل أحيانًا يتابع الصوم حتى يظن الظان أنه لا يفطر، وتارة يُتابع الإفطار حتى يظن انه لا يصوم.

(٢) وهذا هو الصحيح الذى يجب أن يعول عليه .. فما جاء فى بعض الروايات من أنه كان يصوم شعبان كله، إما يراد به معظمه، وللأكثر حكم الكل.

(٣) إلا أنه يعمل به فى فضائل الأعمال.

(٤) أي: مات.

فتحرك فرجعت .. فسمعته يقول فى سجوده: «**أعوذ بعفوك من عقابك**[1]**، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك إليك، لا أحصى ثناء عليك**[2] **أنت كما أثنيت على نفسك**» .

(تقول عائشة): فلما رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته، قال: «**يا عائشة أو يا حُمَيْراء**[3]**: أظننت أن النبى ﷺ قد خاسَ بك ؟**[4]»قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنى ظننت أنك قُبِضْتَ لطول سجودك، فقال: «**أتدرين أى ليلة هذه ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم[5] . قال: «**هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله – عز وجل – يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم**» رواه البيهقى من طريق العلاء بن الحارث عنها، وقال هذا حديث مرسل .

(مع ملاحظة): أن معنى: أن الله يطلع على عباده .. أى أنه – سبحانه وتعالى – ينظر إليهم بعين الرضا والرحمة والمغفرة ..(فيغفر للمستغفرين) أى: للذين يطلبون من الله – تعالى– أن يغفر لهم .

(وهذا) أمر هام ينبغى علينا كمؤمنين صادقين .. أن نسارع إلي الله تعالى فى طلبه .. لأنه الشيء الوحيد الذى أمرنا الله تعالى فى قرآنه بالمسارعة به إليه:

* (فقال) تعالى فى سورة آل عمران:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

(ولتكن) المسارعة هذه بسيد الاستغفار الذى هو أعظم صيغ الاستغفار:

---

(١) يعنى أنه يعوذ بعفو الله من عقوبته ومؤاخذته .. فهو المستعاذ، والمستعاذ منه .. أى من غضبه وعقابه .

(٢) أى لا أستطيع أن أعدكما لأتك وأضبطها، فإن منها استأثر الله بعلمه، ولم يعلمه أحدًا من خلقه.

(٣) (أو) شك من الراوى ..
(وقيل): لآن وجهها كان مُشربًا بالحمرة ..و الله أعلم .

(٤) يريد أن يقول لها: أظننت أن النبى ﷺ قد خانك ..وذهب إلى زوجة أخرى من زوجاته ..لأن الليلة كانت ليلتها .

(٥) هذه الكلمة وهى: الله ورسوله أعلم .. كانت تقال فقط فى حياة الرسول ﷺ ..
(لأنه) كان يتلقى الوحى من الله – عز وجل – ..
(أما) الآن ..إذا سئلت عن شيء ولا تعرف الإجابة عليه ..فقل فقط .. الله أعلم ..

(فعن) شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي** [1] **وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

(ثم يقول) النبي صلى الله عليه وسلم : «**من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة،ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» رواه البخاري .

(ومعنى) قوله صلى الله عليه وسلم: «**ويرحم المسترحمين**»: أي الذين يرجون من الله -تعالى- أن يرحمهم:

(على) شريطة أن يكونوا أهلًا لرحمته – سبحانه وتعالى -

(فقد) ورد في الحديث الشريف: «**الراحمون يرحمهم الرحمن** » [2] .

(ومعنى) قوله صلى الله عليه وسلم : «**ويؤخر أهل الحقد كما هم**»: أن أهل الحقد.. هم الذين لا يرجون الخير لأحد من الناس.. بسبب الضغائن التي في قلوبهم .. والعياذ بالله منه ..

(فلا تكن) أخا الإسلام من أهل الحقد ..

(وكن) على عكس هذا .. من الذين يحبون الخير لإخوانهم كما يحبونه لأنفسهم.

(بل) ويكرهون لهم ما يكرهونه لأنفسهم ..

(فعن) أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» رواه البخاري ومسلم .

(والحديث) محمول على نفي الإيمان الكامل على من لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(قال) في شرح الأربعين النووية: الأولى: أن يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم " فيجب لأخية الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في

---

(١) أي اعترف لك بنعمتك التي لا تحصى ولا تعد .. .

(٢) من حديث رواه أبو داود والترمذي .

الإسلام .. كما يجب لأخية المسلم دوامه على الإسلام .. ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبًا .

(لأنه) قد يهديه الله تعالى كما هدانا .. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

*(ولتكن) كذلك -أخا الإسلام- من المساهمين فى (بنك المحبة) الذى أسسه الحبيب المصطفى ﷺ وساهم فيه مع أصحابه الفضلاء بقسط كبير من المحبة الصادقة التى كانت ولا تزال سببًا فى انتشار وانتصار هذا الدين الحنيف .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. - إن شاء الله- ..

*(وهو [1]): بنك خزائنه فى القلوب، وسبائكه من نور، شيكاته ابتسامات، وعُملته السهلة الصفاء، سنداته الإخلاص، وضماناته المعروف، وهو يتسع لكافة المعاملات .. لا تصدمك أرقامه، ولا يفزعك تقلب أسعاره .. يدوم بدوام المحبة .. والمحبة زهرة إن زبلت يومًا عاش عطرها أبدًا . لا يفرق بين الناس وفقًا لوضعهم المادى .. بل إن أولاهم بثقته من عظمت تضحيته وأوفرهم رصيدًا .. من شف قلبه حنانًا، ورقت روحه سلامًا، يجمع القلوب ولا يجمع الأرقام .. يحصى الخير ويطرح السيئات .. ولا يبالى إلا بالكلمة الطيبة .. لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم، وارتفع رصيد إنسانية كل منهم إلى ما فوق الغنى، وغنى النفوس لا يقدر بمال.. بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء..ا. هـ.

**(هذا) وإذا كنت قد رغبتُ الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. بإحياء ليلة النصف من شعبان بقيام الليل فى بيته - بنية التهجد:

(فإننى) أيضًا أحذره [2] من العادة التى اعتادها كثير من الناس صغارًا وكبارًا، وذكورًا و نساءًا: داخل المساجد بعد صلاة المغرب من ليلة النصف من شعبان،

---

(١) كما أحفظ لأحد الصالحين .. أكرمه الله .
(٢) كما أحذر الأخت المسلمة .

ويقرأ عليهم إمام المسجد أو من يقوم مقامه الدعاء المعروف [1] الذي لم يثبت عن أحد ممن يُقتدي بهم ...

* (ومما) يؤلم القلب ويحزن الفؤاد أن الأئمة العلماء الرسميين يلقنون هذا الدعاء للعوام فيرددونه وراءهم بأصوات مرتفعة وقد ضاق المسجد بمن فيه، لأن العوام لا يتخلف منهم أحد فى هذه الليلة إلا النادر، لإعتقادهم أن قراءة هذا الدعاء سبب فى طول العمر، وتوسيع الرزق، والغنى عن الناس .. مع ما فيه من مخالفة كتاب الله – تعالى – وسنة رسوله ﷺ .. بالإضافة إلى التخليط فى قراءة سورة يس بعد الدعاء، والتشويش الذى يعم القريب والبعيد، ولا سيما من كان داخل المسجد ..

*(ومن المعلوم) أن التشويش ولو على نائم خارج المسجد حرام بإجماع المسلمين ..فما الظن بوقوعه فى مساجد الله – تعالى – والتشويش به على المتعبدين بدعاء ما أنزل الله به من سلطان .. – فإنا لله وإنا إليه راجعون – ..

* (ومن المعلوم) أن الدعاء فى حد ذاته مشروع لكن بشرط أن يكون جاريًا على الحدود الشرعية غير متعديها والله لا يحب المعتدين [2] .

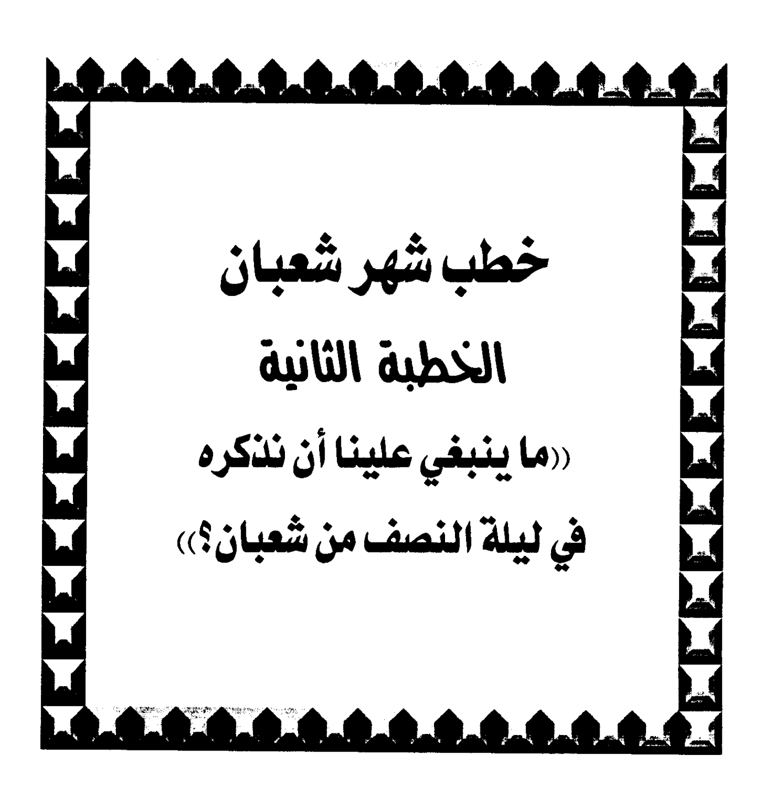
نسأل الله سبحانه وتعالى .. أن ينفعنا بها استمعنا إليه .. وأن يوفقنا للعمل به على أساس من هذا الفقه السليم .. والسنة الصحيحة .. حتى يكون العلم النافع هذا حجة لنا لا علينا ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) الذى أوله .. اللهم يا ذا المن ..

(٢) انظر الدين الخالص ج٨ ص ٣٤٠، وما بعدها .



خطب شهر شعبان

الخطبة الثانية

((ما ينبغي علينا أن نذكره في ليلة النصف من شعبان؟))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا الرسول ولم ينقلبوا على أعقابهم .. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين . وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) الآن فى الجمعة الثانية من شهر شعبان المبارك ..

(وإذا كان) لنا أن نواصل الحديث حول أهم بركات هذا الشهر ..

(فإن) أهم ما حدث فيه هو تحويل القبلة إلى المسجد الحرام .. بعد أن كانت إلى المسجد الأقصى لمدة ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرا .

(روى) البخارى فى صحيحه، عن البراء:: أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته وقبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها [١] صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون [٢] فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت".

---

(١) أى جهة البيت الحرام .

(٢) أى فى العصر .

**(وكان) التحويل هذا: (فى) يوم الثلاثاء من شعبان .

**(وحتى) نقف على تفصيل هذا بإيضاح مفيد – إن شاء الله – فإننى أرى أن أدور مع الأخوة المسلمين – وبإيجاز – حول الآيات الثلاث التى تحدث الله – سبحانه وتعالى – فيها عن هذا الحديث الجلل من بدايته إلى نهايته، فيقول – تبارك وتعالى – فى سورة البقرة ابتداء من الآية ١٤٢ (١) .

*﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ** ﴾ [البقرة: ١٤٢] أى الجهال ﴿ **مِنَ النَّاسِ** ﴾ أى من اليهود والمشركين (٢) .

﴿ **مَا وَلَّاهُمْ** ﴾ أىْ أىُّ شيء صرف النبى ﷺ والمؤمنين ﴿ **عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** ﴾ أى: على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس (٣) ﴿ **قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ﴾ أى: أن الجهات كلها له .. فإذا أمر سبحانه بالتوجه إلى أى جهة شاء فإنه لا اعتراض عليه ﴿ **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ هدايته ﴿ **إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ أى: إلى الطريق المستقيم الذى هو دين الإسلام ﴿ **وَكَذَلِكَ** ﴾ كما هديناكم إليه ﴿ **جَعَلْنَاكُمْ** ﴾ يا أمة محمد ﴿ **أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ أى: خيارًا عدولًا (٤) ﴿ **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣] أى يوم القيامة بأن رسلهم قد بلغتهم .

(وحاصل) ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة فى صعيد واحد، ويقول الله لهم: لم تؤمنوا بى . ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** ﴾ [الملك: ٨] ؟، فيقولون: يا ربنا ما جاءنا نذير .. فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم: ألم تبلغوا أممكم الرسالة ؟ فيقولون: يا ربنا قد بلغنا ما أرسلنا به فلم يؤمنوا . فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لإقامة الحجة عليهم ومن يشهد لكم ؟ فيقولون: أمة محمد .. فيؤتى بهم .. فيقول الله لهم:

---

(١) كما جاء فى القرطبى وغيره .

(٢) فإنهم اعترضوا على النبى ﷺ وأصحابه فى تحولهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، والمشركون كذلك اعترضوا عليهم فى تحولهم أولا ورجوعهم ثانيًا .

(٣) الإتيان السين الدالة على الإستقبال من الإخبار بالغيب .

(٤) أى أصحاب علم وعمل، ولا يخلو زمان منهم لما فى الحديث: **(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)** .

أتشهدون أن الرسل بلغت الرسالة لأممهم فكفروا بهم ؟ فيقولون: نعم نشهد بذلك فتقول الأمم: كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين عنا ؟ فيقولون: يا ربنا أخبرنا رسولنا بذلك فى كتابنا عنك وهو صادق فى خبره .. فيقول الله لهم: ومن يزكيكم ؟ فيقولون: نبينا .. فيؤتى به – صلوات الله وسلامه عليه – فيقول: (أشهد أن أمتى عدل) . ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أى يشهد عليكم التبليغ لكم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ أى: أولًا وهى الكعبة .

(وحاصل) ذلك أن، رسول الله ﷺ وهو بمكة كان يصلى للكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس توليفًا لليهود .. فصلى إليها سبعة عشر شهرا، أو ستة عشر شهرًا فكان الرسول ﷺ يشم منهم الكبر .. فكانوا يقولون: إن محمدًا يفارق ديننا ويصلى لقبلتنا .. وكان رسول الله يحب أن يصلى للكعبة حتى نزل عليه جبريل يومًا فقال له يا جبريل: أَوَدُ أن الله يحولنى لقبلة إبراهيم فسَلْ ربك ذلك . فقال له: أنت أكرم عليه منى ثم صعد إلى السماء، فصار رسول الله ﷺ ينظر لجهتها منتظرًا للإذن فى ذلك .. فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر فى رجب [1] بالأمر بالتحويل للكعبة فتحول وتحول الناس معه، وكان يومًا مشهودًا .. فافتتن اليهود وأهل النفاق .

وفى القرطبى ج١ ص ٥٣٣، قال أبو حاتم البُستى: صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا أو ثلاثة أيام سواء، وذلك أن قدومه المدينة كان يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع لأول وأمره الله – عز وجل – باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

أقول: إذا كان الله – تعالى – قد قال بعد ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ أى فيصدقه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أى:

---

(١) كما يقول إبراهيم ابن إسحاق من سنة اثنين . (انظر القرطبى ج١ ص ٥٣٣) وفى نفس المرجع السابق: روى مالك عن يحيى بن سعيد بن المسيب أن تحويلها كان قبل بدر بشهرين .

يرجع إلى الكفر شكًا وظنًا أن النبى ﷺ فى حيرة من أمره .. وقد ارتد لذلك جماعة من ضعفاء الإيمان، وأظهر كثير من المنافقين نفاقهم وقالوا: ما بال محمد يحولنا مرة إلى هنا، ومرة إلى هنا ؟ وقال المشركون: تحير محمد فى دينه، واشتاق إلى قبلة قومه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم فكان ذلك فتنه وتمحيصًا للناس . ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾أى: وقد كان تحويل القبلة عظيمًا وكبيرًا إلا على من وفقه الله لاتباعك وتصديقك فيما أنزل الله عليك ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾أى: وما كان الله ليضيع صلاتكم [1] التى صليتموها إلى بيت المقدس وسبب ذلك شبهة ألقاها حيى بن أخطب للمسلمين، وهى أن، استقبالكم لبيت المقدس لا يخلوا إما أن يكون هدى .. فقد انتقلتم الآن إلى ضلال .. ،وإما أن يكون ضلالًا أقركم عليه؟ وأيضًا من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله .. فشق ذلك على أقارب من مات قبل التحويل [2] فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ .. فنزلت الآية التى قال الله في ختامها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾أى: إن الله بجميع عباده ذو رحمة وشفقة عليهم .. ثم بعد ذلك يقول سبحانه مخاطبًا حبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه -: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾[البقرة: ١٤٤] أى: قد نرى يا محمد ترديد بصرك ورفعه إلى السماء، تنتظر أمر الله بالتحويل نحو الكعبة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾أى: فلنصرفنك عن بيت المقدس إلى قبلة تحبها وتهواها ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾أى: فاصرف وجهك وحوله تلقاء المسجد الحرام ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾أى: وأينما كنتم أيها المؤمنون فحولوا وجوهكم فى صلاتكم نحو المسجد الحرام ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾أى: وإن أحبار اليهود وعلماء النصارى، ليعلمون أن هذا التوجه نحو المسجد الحرام، حق فرضه الله على عباده ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾أى: و ليس الله بساه ولا غافل عن

(١) عبر بالإيمان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .
(٢) تحويل القبلة أول نسخ ورد فى الشرع .

أعمال العباد وفيه تسلية للنبى – عليه الصلاة والسلام – ووعد حسن وبشرى ..(وبهذا) الخير .. يكون الله – تبارك وتعالى – قد حقق أمنية حبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – .. بأن وجهه مع أمته فى الصلاة إلى القبلة التى يحبها . لأنها قبلة أبيه و أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام .. الذى سمانا المسلمين من قبل ..

(وقيل) لأنه كانت أدعى للعرب إلى الإسلام، وقيل: مخالفة لليهود وروى عن أبى العالية الزياحى أنه قال: كان مسجد صالح عليه السلام وقبلته إلى الكعبة . قال: وكان موسى عليه السلام يصلى إلى الصخرة بحذاء الكعبة وهى قبلة الأنبياء كلهم – عليهم السلام – [1] .

وقيل: نزل ذلك على النبى ﷺ فى مسجد بنى سلمة وهو فى صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول فى الصلاة، فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل: إن الآية نزلت فى غير صلاة، وهو الأكثر وكانت أولى صلاة إلى الكعبة – وهى – العصر .. والله أعلم [2] .

**(فلاحظوا) كل هذا إخوة الإسلام .. حتى تحتفلوا بهذا التحويل التاريخى المبارك احتفالًا حقيقيا ..

(وذلك) بالتوجه فى صلاتنا إلى جهة الكعبة بوجوهنا وقلوبنا ..

(هذا) ولما كان التوجه إلى القبلة من شروط صحة الصلاة .. فإننى أحب أن أذكر الإخوة المسلمين ..بأهم أحكام استقبال القبلة [3]

أى استقبالها، مع الأمن والقدرة، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾. ولقول الرسول ﷺ للمسيء فى صلاته «**وإذا قمت إلى الصلاة، فاسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة ..** » الحديث أخرجه ورواه البخارى ومسلم .

---

(١) انظر القرطبى ج١ ص ٥٣٣ وما بعدها .

(٢) القرطبى ج١ ٥٣٢ .

(٣) كما جاء فى الفقه الواضح ج٢ ص ٥٤– ٥٦

* (ولهذا) فإنه ينبغى على المسلم إذا أراد الصلاة أن يستقبل القبلة بوجهه [1] عين الكعبة وإن كان بمكة وهو ينظر إليها، أما إن كان بغير مكة، أو كان بمكة ولكنه لم ينظر إليها فليوجه وجهه إلى جهتها،لقوله – صلوات الله وسلامه عليه –: **«ما بين المشرق والمغرب قبلة»** [2] رواه ابن ماجه والترمذى من حديث أبى هريرة .

* وعلى المسلم كذلك أن يتحرى القبلة بأى وسيلة من وسائل التحري،وهى كثيرة منها: محاريب المساجد، والبوصلة، ومطلع الشمس ومغربها [3] فإن لم يستطيع تحديدها بعلامة من هذه العلامات، و جبب علية أن يسأل عنها خبيرًا بها، فإن لم يجد من يسأله اجتهد وصلى، ولا إعادة عليه، حتى ولو أخبر بعد صلاته، أنه صلى على غير القبلة .

** (وهذا) هو قول جمهور الفقهاء، لقول معاذ بن جبل: صلينا مع النبى ﷺ فى يوم غيم فى سفر إلى غير القبلة، فلما قضى الصلاة تجلت الشمس، فقلنا يا رسول الله: صلينا إلى غير القبلة، فقال: **«قد رفعت صلاتكم بحقها إلى الله – عز وجل [4]»**أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

* (وإن) أخبر وهو فى الصلاة أنه على غير القبلة، تحول إليها واستمر فى صلاته، ولا إعادة عليه لأن الطاعة على قدر الطاقة .

(لقول) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن النبى ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن،وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة" رواه البخارى ومسلم .

---

(١) وهذا التوجه نحو الكعبة حال الصلاة فرض عند القدرة والأمن .
(٢) لأنه لو كان الفرض استقبال العين لما صحت صلاة أهل الصف الطويل على خط مستو .
(٣) فإنه يستدل بها على القبلة فى كل جهة بحسبها فإن، مطلعها يعين جهة الشرق وبغربها بعين جهة الغرب .. وبهذا يتيسر معرفة الشمال أو الجنوب .. وبهذا يتيسر لأهل كل جهة معرفة قبلتهم .. (فمن كان فى مصر فقبلته الجنوب الشرقى، لأن الكعبة بالنسبة لمصر واقعة بين الشرق والجنوب وهى للشرق أقرب .
(٤) أى صحت وقبلت .

(وقد قال) فى الدين الخالص ج٢، تحت عنوان:

المواضع التى يسقط فيها الاستقبال:

ما خلاصته: يسقط الاستقبال فى ثلاث حالات:

* الأولى: صلاة الخوف:

من عدو، أو سبع، أو لص سواء أخاف على نفسه أم دابته، وسواء أكانت فرضًا أم نفلًا، فليس الاستقبال بشرط حينئذ، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] قال ابن عمر: مستقبلى القبلة وغير مستقبليها . رواه البخارى .

(ولقوله) تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

(ولحديث) نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال: " فإن، كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالًا قيامًا على أقدامهم وركبانًا مستقبلى القبلة وغير مستقبليها . قال نافع: ولا أرى ابن عمر ذكر إلا عن النبى ﷺ رواه مالك والشيخان وابن خزيمة والبيهقى .

*(والثانية): صلاة النفل للمسافر:

فيجوز للمسافر التنفل على راحلته حيث توجهت .

(لحديث) ابن عمر قال: كان النبى ﷺ يسبح على راحلته قِبل؛ أى: جهة توجه . ويوتر عليها غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة . رواه أحمد والشيخان .

(ولما ثبت) من أنه – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم – كان يصلى على راحلته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيثما توجهت به وفيه نزلت: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] . رواه أحمد ومسلم والترمذى وصححه .

فترى الآية نزلت فى التطوع لا فى الفريضة، وهذا هو الصحيح .

*(والثالثة): صلاة الفرض على الراحلة وغيرها:

فلا تجوز على الدابة إلا لعذر يتعذر معه النزول كخوف مرض أو زيادته، وخوف عدو وسبع، ونفار دابة لا يقدر على ركوبها إلا بمعين وكثرة طين ووحل وفوات رفقة، فيجوز حينئذ عند الحنفيين أن يصلى على الراحلة بإيماء السجود فيه

أخفض من الركوع، وقبلته حيث توجهت دابته، ولا تضر نجاسة السرج والركابين والدابة، وكالفرض فيما ذكر صلاة الجنازة .. الخ [1] .

** (وكذلك) أرجو أن يلاحظ الأخ المسلم أن التحول عن القبلة فى الصلاة من مبطلات الصلاة .. وإليه ما جاء فى (الفقه على المذاهب الأربعة) [2] حول هذا:

* (قال المالكية): التحول عن القبلة لا يبطل الصلاة، ما لم تتحول قدماه عن مواجهة القبلة .

* (قال الحنابلة): إن هذا التحول لا يبطل الصلاة ما لم يتحول المصلى بجملته عن القبلة .

* (وقال الحنفية): إذا تحول المصلى بصدره عن القبلة، فإما أن يكون مضطرًا أو مختارًا، فإن كان مضطرًا: لا تبطل صلاته، إلا إذا مكث قدر ركن من أركان الصلاة على هذه الحالة،وإن كان مختارًا: فإن كان بغير عذر بطلت، و إلا فلا تبطل سواء قل التحول أو كثر .

* (وقال الشافعية): إذا تحول بصدره عن القبلة يمنة أو يسرة ولو حرفه غيره قهرًا بطلت صلاته، ولو عاد عن قرب بخلاف ما لو تحرف جاهلًا أو ناسيًا، وعاد عن قرب فإنها لا تبطل .

** (وأما) عن الصلاة فى السفينة: فقد اتفق الفقهاء على جواز الصلاة فى السفينة والقاطرة ، ونحوها حتى ولو أمكن الخروج منها إلى الشاطئ، فهى كالأرض تمامًا .

(وقد) سئل النبى ﷺ عن الصلاة فى السفينة ؟ فقال: «**صل قائمًا إلا أن تخف الغرق**» أخرجه الحاكم عن ابن عمر .

* (وعلى) المصلى فى السفينة، أو القاطرة: أن يستقبل القبلة إن أمكن ويدور معها إلى القبلة، حيث دارت، فإن لم يمكنه ذلك صلى على أى جهة شاء، والدين يسر .

---

(١) ارجع إلى الدين الخالص ج٢ ص ١١٤، وما بعدها .. وكتب الفقه المطولة .. إذا أردت أن تقف على آراء أئمة المذاهب بالتفصيل ..

(٢) ص ٢٥٦ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ..

*(وأما) عن الصلاة فى الطائرة: فقد أفتى جماعة من القفهاء بأن الصلاة فى الطائرة لا تصح،لأن الشرط فى السجود أن يكون على الأرض، والطائرة معلقة بين السماء والأرض .

(ولكن) الأصح: أن، الطائرة بالنسبة للمصلى أرض يجوز له أن يصلى فيها .

(فماذا) يفعل المسافر فى الطائرة لمدة سبع ساعات أو أكثر ؟

*(وقد) قال فى الدين الخالص – مشيرًا إلى هذا الموضوع، لأنه يشترط فى السجود أن يكون على الأرض غير صحيح لأن هذا بالنسبه لمن وقف بمكان، وسجد على مرتفع أمامه، قال العلامة الدسوقى: وأما السجود على غير المتصل بالأرض كسرير معلق فلا خلاف فى عدم صحته، أى: والحال أنه غير واقف فى ذلك السرير، و إلا صحت كالصلاة فى المحمل .. ا.هـ .

*(بقيت) إشارة أخرى .. لابد وأن يقف الإخوة المسلمون عليها وهى:

حكم الصلاة فى جوف الكعبة:

**(فقد) قال فى الفقه على المذاهب الأربعة [1]: من صلى فى جوف الكعبة فرضًا أو نفلًا فصلاته صحيحة على تفصيل المذاهب:

*(فعند الحنابلة): إن صلاة الفرض لا تصح فى جوف الكعبة،ولا على ظهرها، إلا إذا وقف فى منتهاها ولم يبق وراءه شيء منها، أو وقف خارجها وسجد فيها، أما الصلاة النافلة والصلاة المنذورة، فتصح فيها، وعلى سطحها، إن لم يسجد على منتهاها فإن، سجد على منتهاها لم تصح صلاته مطلقًا، لأنه يصير فى هذه الحالة غير مستقبل لها.

*(وعند المالكية): قالوا تصح صلاة الفرض فى جوفها،إلا أنها مكروهة كراهة شديدة ويندب له أن يعيدها فى الوقت، أما النفل: فإن كان غير مؤكد ندب أن يصليه فيها وإن كأن مؤكدًا كره ولا يعاد وأما الصلاة على ظهرها فباطلة: إن كانت فرضًا، وصحيحه إن كانت نفلًا غير مؤكد، وفى النفل المؤكد قولان متساويان .

---

(١) س ١٧٧ .

*(وعند الشافعية): قالوا: إن الصلاة فى جوف الكعبة: صحيحة فرضًا كانت أو نفلًا، إلا أنها لا تصح إذا صلى إلى بابها مفتوحًا، أما الصلاة على ظهرها، فإنه يشترط لصحتها أن يكون أمامه شاخص منها، يبلغ ثلثى ذراع الآدمى .

*(وعند الحنفية): قالوا إن الصلاة فى جوف الكعبة وعلى سطحها صحيحة مطلقًا، إلا أنها تكره على ظهرها،لما فيه من ترك التعظيم .

** (فعلى) الإخوة المسلمين .. والأخوات المسلمات .. أن يلاحظوا كل هذا .. وينفذوه على أساس من هذا الفقه السليم .

(وعليهم) كذلك أن ينفذوا جميع شروط صحة الصلاة بالإضافة إلى استقبال القبلة، وهى الإسلام – لأنه لا تصح الصلاة من كافر [1] – والطهارة من الحدث الأصغر والأكبر والطهارة من الخبث – لأن طهارة الثوب والمكان والبدن: واجبة – ودخول الوقت – لأنه لا تجب الصلاة إلا إذا دخل وقتها، ولا تصح إذا وقعت قبل دخولها – وستر العورة: لأن ستر العورة فى الصلاة شرط فى صحتها، مع القدرة والذكر، ولابد أن يكون الساتر كثيفًا، لا يظهر لون البشرة، وترك الكلام – وهو شرط فى صحتها، فمن تكلم فى الصلاة بكلام خارج عنها، بطلت صلاته – سواء كان الكلام عندًا أم سهوًا –، وترك الأفعال الكثيرة المؤدية إلى بطلان الصلاة [2]، كالأكل والشرب ..

والله ولى التوفيق

(١) وكذلك سائر العبادات لا تصح منه، ولا تقبل،وليس له عليها فى الآخرة من ثواب ..

(٢) وقد أفتى العلماء إذا رأيت إنسانًا وهو يصلى يفعل أفعالًا فيخيل إليك وهو يفعلها بأنه ليس فى صلاة . فهو فعلًا ليس فى صلاة . أى أحكم ببطلان صلاته .. والله أعلم .



خطب شهر شعبان

الخطبة الثالثة

«آية البر في سورة البقرة»



الحمد لله القائل:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد ان لا إله إلا اله وحده لا شريك له القائل:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**البرُّ حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك و كرهت أن يطلع عليه الناس**» [١] .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا من أهل البر .. فكانوا هداة مهديين،وقادة منتصرين . وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله تعالى:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور ٣٧-٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه:

(والآن) وبعد أن، عشنا في الخطبة الماضية حول أهم حدث في ليلة النصف من شعبان .. وهو تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بعد أن كانت إلى المسجد الأقصى لمدة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا .

(أريد) أن أعيش معكم مرة ثانية حول:

(آية البر) التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوعنا السابق – كما سيتضح لنا إن شاء الله – وهي الآية رقم ١٧٧ من سورة البقرة التي يقول الله تبارك وتعالى فيها مخاطبًا أهل الكتاب أو جميع المسلمين ..﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

---

(١) رواه مسلم .

**فهذه الآية الكريمة – على إيجازها – صورت جميع مكارم الأخلاق .

(لأنها) جمعت بين الإيمان والعمل، وبين حقوق الله وحقوق العباد، وبين جهاد النفوس وجهاد الأعداء، وبين صلاح الأفراد والجماعات .

(ولكي) نفهم كل هذا ونقف علي أبعاده – التى لابد وأن نقف عليها كمؤمنين صادقين – فإنه حسبنا أن نقف على تفسير هذه الآية الكريمة التى ينبغى علينا أن، نذكرها وننفذ المراد منها على الدوام .. حتى نكون من أهل البر – إن شاء الله – .

(ففى) هذه الآية – كما أشرت سابقًا – يخاطب الله – تبارك وتعالى – أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين زعموا أن البر فى استقبال جهة طلوع الشمس، أو استقبال بيت المقدس كما يخاطب الله تعالى المسلمين كذلك .. لأنهم فى صدر الإسلام كانوا قد أمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأى جهة كانت [1] .

(والأول) أظهر لأن أهل الكتاب كانوا قد أثاروا فتنة بين المؤمنين حول هذا الموضوع بغير حق .. فكان لابد وأن يرد الله تعالى عليهم بقوله:

﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** ﴾ [البقرة: ١٧٧] [2]..أى ليس البر فى أن تولوا وجوهكم، إلى أية ناحية من نواحى الأرض يكون ذلك موضع اهتمامكم، ومثار فتنتكم للمؤمنين بغير حق .

﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ أى: ولكن البر – أى ذا البر – من آمن بالله، أى: صدق بقلبه وتعلق بلسانه أن، الله تعالى يجب له كل كمال،ويستحيل عليه كل نقص ..

(وان يكون) الإيمان هذا بريئًا من شائبة الشرك ..

(حتى) لا يكون كإيمان اليهود الذين أشركوا بقولهم: ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠] ولا كإيمان النصارى الذين أشركوا بقولهم: ﴿ **الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠]: لأن

---

(١) أى أن البر ليس مقصورا على الإيمان والصلاة فحسب وإنما لابد وأن يكون مشتملًا على كل خصال أهل البر التى سنقف عليها فى نص الآية تفصيلًا ... إن شاء الله .

نسبة ابن إليه سبحانه وتعالى نوع من الإشراك بـه .. والله تعـالى غنـى عـن الشرك .. وهو كما قال – سبحانه وتعـالى – عـن نفسه فى سـورة الإخـلاص: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[الإخلاص ٣-٤].

*وأيضا: (ذا البر): من آمن باليوم الآخر – وهو يوم القيامة – وأوله من الموت .. وسمى باليوم الآخر .. لأنه لا يوم بعده ..

(فيجب) الإيمان به، وبكل ما فيه من جزاء كل امرئ على حسب عمله، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًا فشر .. وأن المشركين هم أصحاب النار خالدين فيها أبدًا .. لا كما زعم اليهود: أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، فهم خالدون فى جهنم، لا يبرحونها لشركهم بالله، وكذلك النصارى فهم على شاكلتهم .

*(وأيضا): (ذا البر): من آمن بالملائكة، أى أنهم عباد مكرمون ﴿ **لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[التحريم: ٦] .

(وأنهم) عالم غيبي [٢] لا يعلم حقيقته إلا الله تعالي .. لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ولا خنوثة .. ويموتون [٣] .. ولكنهم لا يموتون الآن .. وإنما سيموتون عند النفخة الأولى باستثناء سيدنا جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت – عليهم السلام – .. فإنهم سيموتون بعد النفخة الأولى .. وأخرهم موتًا هو سيدنا جبريل عليه السلام ، وقيل: هو سيدنا ملك الموت عليه السلام .. والله أعلم .

(وهم) أنواع: فمنهم المسبح والمكبر والمهلل والراكع والساجد والقائم، وحملة العرش والحافون حوله، وأمناء الوحى، والسياحون فى الجهات، والموكلون بالأرواح والأرزاق والأمطار .

(ومنهم) الحفظة: وهم ملائكة تتعاقب على الإنسان ليحفظوه بأمر الله تعالى، ويدفعون عنه كل مكروه وإذا جاء القدر تخلوا عنه، والراجح أنهم عشرة، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً** ﴾[الأنعام: ٦١] وقال: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾[الرعد: ١١]. أى بأمره.

(ومنهم) الكتبة وهما ملكان عن اليمين والشمال .. صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات ..قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] .

(هذا) مع ملاحظة: أن الأنبياء أفضل من الملائكة عقلًا ونقلًا [١] ..

(وأيضا) .. (ذا البر) من آمن بالكتاب، أى: بالكتب السماوية كلها .. لأنها منزلة من عند الله على أنبيائه ورسله ..

(ولكننا) لسنا مكلفين إلا بالعمل بها فى القرآن الكريم الذى هو الكتاب المنزل على حبيبنا المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – من أجلنا ..

(وهو) الكتاب الوحيد الذى تكفل الله تعالى بحفظه .. وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: الآية ٩] أما غيره فقد أصابه التحريف من جانب اليهود والنصارى .. الذين كان كل واحد منهما يشكك فى عقيدة الآخر .. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] .

(ونحن) المسلمين والحمد لله .. لسنا كهؤلاء المذكورين .. وإنما نحن نؤمن بجميع الكتب ولا نفرق بين أحد من رسله .

*(وأيضا): (ذا البر): من آمن بالنبيين جميعًا، دون تفريق بين أحد منهم:

(نؤمن) بهم إجمالًا فى الإجمالى وتفصيلًا فى التفصيلى .

(فيجب) الإيمان بخمسة وعشرين منهم مع حفظ أسمائهم، وهم المذكورون فى القرآن الكريم .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

حتمًا على كُل ذى التكليف معرفة	بأنبياء على التفصيل قد عُلِمُوا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية	من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
إدريس، هود، شعيب، صالح، وكذا	ذو الكفل، آدم، بالمختار قد خُتموا

---

(١) انظر الجزء الأول من الدين الخالص ص٥٦ وما بعدها .. لتقرأ كل هذا بالتفصيل .. باستثناء الإضافات .

فى تلك حجتنا أى فى قوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦] .

**(ويبقى) سبعة وهموا:

* (إدريس) كما فى قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦] .

*(وهود): كما فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ [هود: ٥٣].

*(وشعيب): كما فى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧] .

* (وصالح) كما فى قوله تعالى : ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

(وذو الكفل) كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ [(١)] كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥] .

* (وآدم): كما فى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]

*(ومحمد): كما فى قوله تعالى: ﴿ محمد رسول الله ﴾ [الفتح: ٢٩] .

**(ويجب) الإيمان بأن الله تعالى قد أرسل لعباده أنبياء رسلًا مبشرين ومنذرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .. وأن سيدنا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن الله تعالى قد أرسله للإنس والجن كافة إلى قيام الساعة .. وأنه - صلوات الله وسلامه عليه - أفضلهم على الإطلاق فى الدنيا والآخرة ...

(فعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض،وأنا أول شافع وأول مُشَفَّع** » أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

---

(١) جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين أن اسمه بشر وأنه ابن أيوب - عليهما السلام - ..

* (وأيضا): (ذا البر): من آتى المال - أى الحلال[1] - على حبه - للمال أو مع حبه لله، وذلك بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه، أو مع كونه يحب الله وكل صحيح.

(وذوى) القربى، أى القرابة أولًا: لأن فيه قربتين: (الصدقة وصلة الرحم) روى السائى وغيره، عن النبى ﷺ قوله: «**إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة**» وفى حديث آخر رواه الطبرانى، عن النبى ﷺ: «**إن الصدقة على ذى قربة يضعف أجرها مرتين**».

*(واليتامى [2]) وهم فى المرتبة بعد ذوى القربى فى العطف عليهم، والبر بهم .. عوضًا عما فقدوا من الآباء ..

(وقد) أعظم النبى ﷺ فضل كافل [3] اليتيم، فقال: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بسبابته والوسطى**» [4].

*(والمساكين [5]): وهم: الذين لا يجدون ما يحفظ حياتهم إلا بشق الأنفس، ومن كان عمله لا يفى بحاجته فهو مسكين قال تعالى:- ﴿ **فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ** ﴾[الكهف: ٧٩] وهم يعملون ..

(وفى) الصحيحين يوضح النبى ﷺ هذا المعنى فيقول: «**ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان،واللقمة واللقمتان،ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه،ولا يفطن له فيتصدق عليه**» ..

(وعلى) هذا، فإنه ينبغى علينا أن نلاحظ هذا المعنى الأخير الذى أشار إليه الرسول ﷺ فى ختام هذا الحديث الأخير ..

(حتى) نفهم المراد من قوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ** [6] **لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾[البقرة: ٢٧٣].

---

(١) لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ..

(٢) اليتيم: هو من مات أبوه وهو دون البلوغ .

(٣) (الكافل): أى الذى يكفل إنسانًا يعوله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وكفلها زكريا .. ﴾ وقرىء: وكِفَلَها بكسر الفاء .. (مختار الصحاح) ص ٥٧٥ .

(٤) رواه البخارى وغيره .

(٥) والمراد ما يشمل الفقراء، وهم المحتاجون ..

(٦) أى تعرفهم بعلامتهم وآثارهم من التخشع، والجهد، وآثار الصبر .

* (وأبناء السبيل) وهم المسافرون إلى بلد المتصدق، أو المار به – وقد أطلق عليه هذا الإسم، لملازمته له حين يدعى أنه لا مال معه وأنه محتاج – ويقدح فى حاجته قدرته على الكسب – ويشترط فى استحقاقه: أن يكون سفره مباحًا[1]، ويعطى ولو كان له مال فى بلده يصعب حصوله عليه وهو مغترب .. ثم يليهم فى ذلك .

*(إعطاء السائلين)، وهم الذين يسألون الناس .. والسائل – وإن جاء على فرس[2] – ينبغى إعطاؤه إلا إذا تحقق أنه غير محتاج، أو أنه من هؤلاء الذين يحترفون سؤال الناس . إن أمثال هؤلاء ينبغى علينا أن لا نشجعهم على هذا السؤال . ولا سيما إذا كانوا شبانًا أو غلمانًا فى مقتبل العمر . لأن هذا سيكون معناه أنهم ليسوا من أبناء المجتمع الشرفاء وكان من الأولى بهم أن يعملوا أى عمل شريف يغنيهم عن المذلة وسؤال الناس .. ولله در على رضي الله عنه فلقد قال:

لحملى الصخر من قمم الجبال ... أحب إلى من مِنَنِ الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذُل السؤال

** ثم يليهم فى العطاء:

*(تحرير الأرقاء)، من العبودية التى استحدثها الناس فيهم .. مع أنه سبحانه وتعالى قد خلق الناس أحرارًا ..

(ولهذا) فقد حث الإسلام على تحرير الرقيق، وشرعه فى الكفارات ..

(بل) وجعله من مصارف الزكاة[3] كما أوصى الله تعالى المؤمنين بهذه العاطفة الكريمة، فقال: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] .

**ثم بعد ذلك يصف الله تبارك وتعالى:

(ذا البر) بصفات أخرى من البر، فيقول:

---

(١) أى فى طلب العلم مثلا .. أو من أجل زيارة ذوى رحمه .. الخ وليس سفر معصية .

(٢) كما ورد هذا فى نص حديث شريف ..

(٣) انظر الآية ٦٠ من سورة التوبة .

* ﴿ وَأَقَامَ الصَّلاةَ ﴾ أى، أداها بأركانها وشروطها .. وعلى أساس من الخشوع لله رب العالمين فقد روى مسلم – فى صحيحه – عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة** [(١)]**، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله**» . ثم يقول سبحانه وتعال فى آية البر:

*﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أى المفروضة لمستحقيها بدون من أو أذى ..

(وإلا) فإنه سيكون قد حرم نفسه من ثوابها .. بالإضافة إلى أنه سيعاقب على ارتكابه الأذى المشار إليه فى قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ** [(٢)]**وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(ومعنى) لا يقدرون على شيء مما كسبوا: أى: لا يجدون له ثوابًا فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب لإذهاب المطر إياه ..

(وقد) حذر النبى صلى الله عليه وسلم من عدم أداء الزكاة .

(ففى)حديث صحيح رواه البخارى ومسلم:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**من أتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع** [(٣)] **له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** [(٤)]**، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية**»: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠] . ثم يقول سبحانه وتعالى فى آية البر:

---

(١)أى المفروضة .

(٢) المن أن يعتاد على من أحسن إليه بإحسانه ويرى أنه أوجب عليه حقا، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أسدى إليه، ورئاء الناس أى ابتغاء سمعتهم .

(٣) الشجاع: أى الحية الذكر،وقيل: مطلقا . والزبيبتان .: نكتتان سوداوان فوق عين الحية، وقيل: نقطتان تكتنفان فاها، وقيل: زيدتان فى شدقيها .. والعياذ بالله منها ..

(٤) يعنى شدقيه .

*﴿ **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا** ﴾ [البقرة ١٧٧] أي و البر في الموفين بعهدهم، إذا عاهدوا سواهم .. ولقد قال الله تعالى آمرًا به:﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤] كما أشار النبى ﷺ في نص حديث صحيح رواه البخارى ومسلم إلى أن عدم الوفاء بالعهد من صفات المنافقين الذين هم اخطر على الإسلام والمسلمين من الكافرين .. فقال: «**أية المنافق ثلاث .. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، و إذا عاهد غدر**» وزاد مسلم في رواية له: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**».

(وقد) ضرب النبى ﷺ أروع مثل، في صلح الحديبية، في الوفاء بالعهد، على الرغم مما كان فيه من إجحاف بالمسلمين، فعوضه الله بسبب هذا الوفاء، وأثابه فتحًا مبينًا .

* بم بعد ذلك يقول سبحانه في نص آية البر:

*﴿**وَالصَّابِرِينَ**﴾ أي: وأمدح الصابرين [1] .

*﴿**فِي الْبَأْسَاءِ**﴾ أي: الفقر والشدة .

*﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾ أي: المرض والشيخوخة ونحو ذلك .

* ﴿**وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾ أي: حين الجهاد في سبيل الله [2] .

* ثم بعد ذلك يختم الله – سبحانه و تعالى- آيه البر بقوله:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ أي صدقوا في الدين، وإتباع الحق،وتحرى البر، وهم أيضًا الذين صدقوا مع الله تبارك وتعالى فنفذوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وعبدوه حق عبادته، .

* (وصدقوا) مع رسول الله ﷺ : فتمسكوا بسنته، وتأدبوا بآدابه .. وعزروه ونصروه، و اتبعوا النور الذى أُنزل معه .

(وصدقوا) مع أزواجهم فعاشروهن بالمعروف .

(ومع) أبناءهم فربوهم تربية صادقة على أساس من القيم الدينية الصحيحة حتى يكونوا كذلك صادقين اقتداء بهم .

(ومع) إخوانهم فعاملوهم أو تعاملوا معهم على أساس من الصداقة التى لا غش فيها ولا خداع .

(ومع) جيرانهم على أساس من الأمن وحسن الجوار الذى لا بوائق فيه .

---

(١) وقد ورد في الآية منصوبا على المدح بتقدير فعل مناسب .. نحو وأمدح الصابرين ..

(٢) أطلق عليه ذلك، لما فيه من البأس أى الشدة .

(وصدقوا) فى الصلاة، والزكاة، والصيام، و الحج فأدوا كل ركن منها بصدق وإخلاص .. فكانوا بذلك من الفالحين ..

(وذلك) لأن الصدق هو الأساس فى هذا البر الجامع لكل خير ..

* (فعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا** [1] . **وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور** [2]**، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» رواه البخارى ومسلم .

** (هذا)، وإذا كان الله تبارك وتعالى قد ختم آية البر بعد ذلك بقوله:

﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة١٧٧] فإنه حسبهم أن يوصفوا بهذا ..

(لأن) التقوى هى رأس الأمر كله [3] .

(ولأن) المتقين: هم أهل المغفرة كما أشار الله تبارك وتعالى فى سورة آل عمران، فقال: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٣ - ١٣٦] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من أهل البر وأن يجعلنا تبعا لهم من الصادقين المتقين.

والله ولى التوفيق .

---

(١) الصديقية مرتبة عالية قبل مرتبة النبوة مباشرة .

(وقد) أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم، فقال: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** ﴾ ، وقال: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** .. ﴾.

(٢) الفجور هو: المضى فى المعاصى والمخالفات بدون احتراث أو مبالاة .

(٣) كما جاء فى حديث رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال صحيح الإسناد .



خطب شهر شعبان

الخطبة الرابعة

«فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ»



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد اله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه – صلوات الله وسلامه عليه – قال: «البخيل من ذُكرتُ عنده ولم يُصَل عليَّ»

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين أكثروا من الصلاة والسلام عليه على أساس من الحب الصادق له .. وكانوا بشرعه من العاملين .. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –:

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى الجمعة الرابعة من شهر شعبان.

(ولهذا) فقد رأيت فى هذا اللقاء المبارك .. أن أدور معكم حول آية كريمة ورد أنها نزلت فى مثل هذا الشهر المبارك، وهى قوله – تبارك وتعالى –:

*﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

** وإذا كان لى أن أدور معكم حول هذه الآية الكريمة ..

(فإننى) أريد أولا أن نقف من خلالها على درجة هذا النبى العظيم .. الذى كان على خلق عظيم. والذى شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعله فاتحًا وخاتمًا .. وهاديًا وبشيرًا ونذيرًا .. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

* وحسبه – صلوات الله وسلامه عليه – أن الله – سبحانه وتعالى – قد أمر أصحابه بأن يتأدبوا عند مخاطبته .. فقال تعالى مخاطبا إياهم: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]. أى: إذا أردتم مخاطبته، لا تقولوا له

(يا محمد) مجردة هكذا .. وإنما قولوا له: يا نبى الله .. يا رسول الله، يا حبيب الله ..

(مع) أنهم فى الأمم السابقة كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم ولم ينهوا عن هذا..

(قال) تعالى: ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ﴾ [هود: ٣٢]، ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [مريم: ٤٦]، ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٢] .

(وقد) أشارت الآية الكريمة التى ندور حولها فى كل حرف منها إلى درجة النبى ﷺ .

* (فالمقصود) من هذه الآية [1]: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعًا .

* (وهذا) معناه أن النبى ﷺ أفضل خلق الله على الإطلاق .. وأن الله - تبارك وتعالى - قد أمرنا كمؤمنين صادقين بالصلاة والسلام عليه - كما صلى وسلم عليه مع ملائكته المقربين - وهذا شرف حسى ومعنوى لم يَفُز به أحد من العالمين .. لا فى الدنيا والآخرة ..

(وكيف لا) وهو صاحب الخُلق العظيم الذى اصطفاه الله رحمة للعاملين .. وجعله إمامًا لجميع الأنبياء والمرسلين - فى المسجد الأقصى - إشارة إلى أنه إمام كل إمام ولله در الإمام محمود خطاب السبكى - عليه رحمة الله - فلقد قال مشيرا إلى هذا فى كتابه (المقامات العلية):

صلوا على من خلفه صلى الرسل — شرف على تمكين عزته بدل

فإذن فقل: هو سيد لهم ودل — لا تخش توبيخا ولا تغشيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

*(نعم) صلوا عليه وسلموا تسليما .. فهو المنة الكبرى التى من الله علينا بها .. كما يشير الله - سبحانه وتعالى - إلى هذا فى قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

---

(١) كما جاء فى تفسير ابن كثير المجلد السادس ص ٤٤٧ .

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران١٦٤] .

(فهذه) الآية تشير إلى أن النبى ﷺ كان ولا يزال هو المنقذ من الضلال المبين الذى لولاه ولولا هديه وتعاليمه.. لظل العالم أجمع إلى لحظتنا هذه يتخبط فى ظلمات الجهل وينقاد إلى الخرافات والأوهام .. كما قال أيضًا صاحب المقامات العليا:

ملأت نبوته الوجود وأظهرا	بحسامه الدين الصحيح فأسفرا
واستبشرت فرحًا ببعثه الورى	ومحا الضلال كما بذلك خبرا
نص الكتاب مفصلًا تفصيلا	صلوا عليه بكرة وأصيلا

(نعم) صلوا عليه بكر وأصيلًا ..

(فهو) القائل عن نفسه متحدثًا بنعمة الله عليه وعلينا .. «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنا أول شفيع وأول مشفع**» أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى، وقال حسن صحيح .. عن ابن سعيد الخدرى .

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ وقد سمع ناسًا من أصحابه يتذاكرون فى تفاضل الأنبياء فقال: «**قد سمعت كلامكم وعجبكم: إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيٌّ الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حاملُ لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مُشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يُحرك حلق الجنة، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب.

* وإلى هذا يشير أيضًا صاحب المقامات العلية على لسانه – صلوات الله وسلامه عليه فيقول:

يقول طه لعموم الأنس	وغيرهم غراسكم من غرسي
﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس ﴾ [1]	لولا وجودي وطلوع شمسي

---

(١) من الآية ٩٨ فى سورة الأنعام .

لم تبدلوا من طيكم بالنشر

يقـــول طـــه لجميـــع الخلـــق	لـــولا وجـــودي وظهـــور برقـــي
﴿ مـا أنـزل الله لكـم مـن رزق ﴾ [1]	ولم يكـــن أمـــدكم بـــودق [2]

لكن لعين ألف عين تجرى

نبـئ واختـــيرت لـــه المحاســـن	وآدم إذ ذاك طـــــين آســـــن
﴿ يثبـــت الله الـــذين آمنـــوا ﴾ [3]	بـــذلك فهـــو خـــبر مُعـــنعن [4]

رواه حبر أثرًا عن حبر [5]

*(نعم) صلوا عليه وسلموا تسليمًا (فهو):

نبـي لـه قـد شـق إيـوان فـارس	وأخمـد مـن نيرانـه مـا تضرمـا
نبـــي أتتـــه للرضـــاع حليمـــة	فـما صـد عنهـا بـل أبـر وأنعـما
نبـي قضى بالعـدل حـال رضـاعه	فلـم يرضـع الإمالـه الأخ أسـهما
نبـــي لـــه قـــد شرف الله طيبـــة	كـما شرف البيـت العتيـق المعظـما
نبي لـه قـد صارت الأرض مسجدًا	طهـوراً إذا مـا المـاء عـز تـيمما
نبـي عـلا فـوق الـبراق إلى العـلا	إلى أن تـــدلى غـــيره وتقـــدما
نبـي رقـي السـبع الطبـاق مجـاوزاً	إلى مشـــهد فيـــه رأى وتكلـــما
نبي دُعـى أنـت الحبيـب فسـل تنـل	وقـل يسـتمع واشـفع تشـفع مكرمـا
نبـي لـه البـاري زوى الأرض كلـما	لـيعلم أن الملـك يبلـغ كلـما

(روى) ثوبـان ﷺ أن النبـى ﷺ قـال: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيـت مشـارقها ومغاربهـا وإن أمتـى سـيبلغ ملكهـا مـا زوى لى منهـا، وأعطيـت الكنـزين**

(١) كما جاء فى الآية ٥٩ من سورة يونس .

(٢) الودق: بسكون الدال: المطر .

(٣) كما جاء فى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم .

(٤) المعنعن فى الحديث ما يقال فى سنده عن فلان بلا تصريح بالسماع أو التحديث أو الإخبار .

(٥) أى رواه عالم ناقلًا عن عالم .

الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة [1]، ولا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم [2]،وإن ربي تعالي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،وإني أعطيتك لأمتك أنى لا أهلكهم بسنة عامة،ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يُهلك بعضًا» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى [3] .

* (كل) هذا إكرامًا لهذا النبي المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – .. الذى مهما تحدثنا عنه لن نوفيه حقه من الثناء عليه أو المدح فيه ..

(وحسبه) أن الله – تبارك و تعالى – قد: (أعطاه صفوة آدم، ومولد شيث، وشجاعة نوح، وحلم إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لقمان، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وصبر أيوب، وقوة موسى، وتسبيح يونس،وجهاد يوشع، ونعمة داود،وهيبة سليمان، ووقار إلياس، وزهد عيسى، وعلم الخضر) [4] فكان أهلًا لأن يعطيه الله تعالي شهادة تقديرية وتكريمية وتعظيمية . لم يعطها لأحد قبله،ولن يعطيها لأحد بعده،و هى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

*(ولهذا) فإن الحديث عنه وعن مكانته لن ينتهى أبدًا ..

(إننا) سنظل نتحدث عنه بكل ما أوتينا من فصاحة وبلاغة .. إلى أن نعجز عن مواصلة الحديث عنه كما عجز الإمام البوصيرى – عليه رحمة الله – ثم قال:

ومبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

**(وعلى) هذا، فإنه حسبنا .. أن ننفذ أمر الله تعالى الذى أمرنا به – كمؤمنين صادقين، وكمحبين لهذا الرسول العظيم – وهو أن، نكثر من الصلاة والسلام عليه .. كما ينبغى أن يُصلى . ويُسلم عليه ..

---

(١) أى الجدب والشدة .

(٢) أى معظمهم .

(٣) انظر ص ٩١، ٩٢ من (المقامات العلية) .

(٤) كما جاء فى مقدمة وصايا الرسول ﷺ(للمؤلف) .

(وأعنى) بهذا .. أن نكون أهلًا لهذا الشرف .. الذى لابد وأن يكون على أساس من الحب الصادق لهذا النبى الكريم .. وذلك لن يكون إلا بالتمسك بسنته والتأدب بآدابه فقد ورد فى الحديث الشريف: (من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة) [1] .

** (ولكي) يتحق هذا – عمليًا – فإنه ينبغى علينا أن نصلى ونسلم عليه بالوارد عنه – صلوات الله وسلامه عليه -:

* قال البخارى عند تفسير هذه الآية [2]: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد، حدثنا أبى، عن مسعر، عن الحكم، عن ابن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه [3]، فكيف الصلاة ؟ فقال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد اللهم، بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) [4] .

* وفى حديث آخر موقوف، قال ابن ماجه .. عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال: فقالوا له: فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطُه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى إبراهيم، إنك حميد مجيد) [5] .

** (فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام .. حتى تكون مكثرًا من الصلاة والسلام عليه.. بالصيغ الصحيحة ..أو التى لا غبار عليها .. ولا شطط فيها .. من

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢) أى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.. ﴾[الأحزاب: ٥٦]

(٣) أى الذي فى التشهد .. وهو: « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » .

(٤) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٤٢٤ .

(٥) سنن ابن ماجه (كتاب الإقامة)، باب الصلاة على النبى -ﷺ الحديث ٩٠٦: ١/ ٢ – ٢٩٤.

الصلوات المأثورة عن الصالحين .. والتى منها ما قرأته فى (بستان الواعظين) [1] وهو: اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة، وجعلته إليك أكبر وسيلة [2]، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة، وأعليته إلى المرتبة الجليلة، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة، اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجابًا، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثابًا، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية بابًا، اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار،وعدد رمال الأودية والقفار،وعدد ورق الأشجار، وعدد زبد البحار، وعدد مياه الأنهار، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار، وعدد أهل الجنة والنار، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجابًا من عذاب دار البوار، وسببًا لإباحة دار القرار . اللهم صلِّ على محمد النبى المختار، وسيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار . وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، أبى القاسم النبى الصادق المختار، اللهم صل عليه عدد من صلى عليه، وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه، وصل عليه كما تحب أن يُصلى عليه، وصل عليه، كما ينبغى أن يُصلى عليه . اللهم صل على النبى الصادق الأواب، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحاب، وتوفنا اللهم على سنته،واجعلنا من أهل ولايته، وانفعنا بهدايته وعنايته،وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الأخيار، آمين آمين .. يا أرحم الراحمين .. ا.هـ.

** (واعلم) أخا الإسلام: أن فى الصلاة على سيدنا محمد عشر كرامات ؟

* (إحداهن) صلاة الملك الجبار .

* (والثانية) شفاعة النبى المختار .

* (والثالثة) الإقتداء بالملائكة الأبرار .

* (الرابعة) مخالفة المنافقين والكفار .

---

(١) كما جاء فى كتاب (بستان الواعظين) أو رياض السامعين .. للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن الجوزى القرشى البكرى الحنبلى المتوفى ٥٩٧ هـ طبعة دار الكتاب العربى .

(٢) أى إلى الجنة – إن شاء الله – .. وذلك لن يكون إلا بالمحبة الصادقة له .. بمعنى أن تمسك بسنته وتتأدب بأدبه .

* (والخامسة) محو الخطايا والأوزار .
* (والسادسة) قضاء الحوائج والأوطار .
* (والسابعة) تنوير الظواهر والأسرار .
* (والثامنة) النجاة من عذاب دار البوار .
* (والتاسعة) دخول دار الراحة والقرار .
* (والعاشرة): سلام الله الملك الغفار .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما استمعنا إليه .. وأن يجعلنا بسببه من المكثرين من الصلاة والسلام علي الحبيب المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه_.

والله ولى التوفيق .



خطب شهر شعبان

الخطبة الخامسة

«تجهيز الأرواح لاستقبال شهر رمضان المبارك»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت**» أخرجه أحمد والشيخان.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين نفذوا أوامر الله ورسوله .. فصاموا وقاموا .وأحسنوا لله تعالى الصيام والقيام .. وكانوا بالإضافة إلى هذا من المنفذين لجميع أركان الإسلام على أكمل وجه .. دون خلل أو نقصان فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد –صلوات الله وسلامه عليه – .

(والآن) ونحن[١] نستقبل شهر رمضان المبارك الذى ننتظره جميعًا ونحن فى شوق كبير إليه – كمؤمنين – أريد أن أذكركم ونفسى بالخطبة التى خطبها النبى ﷺ فى آخر يوم من شعبان .. كما يرويها سلمان الفارسى رضي الله عنه فيقول: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان، فقال: [٢]«**يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك .. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله**

---

(١) هذه الخطبة قد تكون الخامسة من شعبان، أو الأولى من رمضان .. مع تغيير بسيط فى المقدمة التى بعد (أما بعد)

(٢) أى بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله .

تطوعًا .. من تقرب فيه بخصلة [1]: كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه: كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه .. من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا: يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ فقال: يعطى الله هذا الثواب من فطر فيه صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن [2] وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار . ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة» أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه . وقال إن صبح الخبر ا.هـ[3].

(ففى) هذه الخطبة الجامعة يذكرنا النبى – صلوات الله وسلامه عليه – فى آخر يوم من شعبان – بالخيرات والبركات والنفحات والرحمات .. التى فى شهر رمضان المبارك ..

(حتى) نجهز أرواحنا لاستقباله استقبالًا كريمًا يليق به ..

(وذلك) لن يكون إلا بالنية الصادقة على اغتنام كل دقيقة من عمر هذا الشهر الكريم: بالتقرب إلى الله – تبارك وتعالى – فيها بالأعمال الصالحة الواردة فى نص

---

(١) أى من الخير ..

(وقد يكون العكس كذلك والعياذ بالله .. فسيكون العقاب عليه مضاعفًا .. وذلك من جانب المجرمين الذين لا خلاق لهم .

(٢) المذقة، بفتح فسكون: الشربة .

(٣) لكن فيسنده على بن زيد بن جدعان . ضعيف . ومع هذا .. فإن الخبر الذى ورد فيه .. ينبغى أن نعمل به فى فضائل الأعمال .. ولا سيما فى شهر رمضان المبارك الذى يضاعف فيه الثواب الذى نحن جميعًا ودائمًا فى أشد الحاجة إليه ..

هـذه الخطبـة المحمدية .. والتى فى مقـدمتها الصيام، والقيام، وإطعـام الطعـام .. والإكثار من تلاوة القرآن – الذى أُنزل فيه – فضلًا عن ذكر الله – تبارك وتعالى – بصفة عامة ..

(مع) ضرورة المحافظة على الصلوات الخمس وفى أوقاتها ..

(ومع) الجماعات فى بيوت الله كلما نادى المنادى قائلا: (حى على الصلاة حى على الفلاح) .

(ومع) الحرص على حضور مجالس العلم النافع .. التى يستطيع المؤمن أن يتعلم منها أحكام الصيام، والقيام، والزكاة .. الخ ما يتعلق بالعبادات والمعاملات ..

(ففى) الحديث الشريف يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه –: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين** » .

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم .. أن أنبه على أمر هام .. ينبغى على الأخ المسلم أن يلاحظه من أول ليلة من ليالى هذا الشهر المبارك . فضلًا عن أيامه ..

(فإننى) أحب أن أذكره ونفسى بحديث قدسى .. يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى**[1] **وأنا أجزى به**»[2] – ثم يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بعد هذا الجزء القدسي –: «**والصيام جُنة**[3] **فإذا كان يوم صوم أحدكم: فلا يرفث**[4]**، ولا يصخب**[5] **ولا يجهل**[6]**، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم .. إنى صائم، والذى نفس محمد بيده: لخلوف**[7] **فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح**

---

(١) إضافة الصيام لله إضافة تشريف .. لأنه من المفروض أن جميع العبادات لله رب العالمين ..

(٢) هذا الحديث بعضه قدسى وبعضه نبوي .

(٣) أى مانع من المعاصى .

(٤) الرفث: أى الفحش فى القول .

(٥) أى: لا يصبح ولا يخاصم .

(٦) أى لا يرتكب شيئًا من أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية .

(٧) بضم الخاء: رائحة فم الصائم بسبب الصيام .

المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه» رواه أحمد ومسلم والنسائى .

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله [1] أو شاتمه [2]، فليقل: إنى صائم مرتين [3]، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك [4] طعامه وشرابه من أجلى . الصيام لي وأنا أجزئ به، والحسنة بعشر أمثالها** » أخرجه البخارى وأبو داود .

(وهذا) بالإضافة إلى ما جاء فى نص الحديثين على لسان الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو التركيز على الآداب التى لابد وأن يلاحظها الأخ الصائم حتى لا يفسد صيامه.. كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى قوله: «**من لم يدع قول الزور [5] والعمل به فليس لله حاجة [6] فى أن يدع طعامه وشرابه** » أخرجه الجماعة [7] إلا مسلمًا .

**(ولهذا) فإنه ينبغى على الأخ الصائم أن يكف جوارحه السبعة عن كل ما لا يرضى ربه .. (أعنى):

* أن يكف لسانه:

عن النطق بالفحش والبهتان والمراء والخصومة والكذب وغيرهما من الآثام .. وأن يحذر كل الحذر من النميمة واللغو والزور والغيبة ..

(وعليه) أن يلتزم الصمت والإشتغال بالطاعة من صلاة وذكر وتلاوة ..

---

(١) قاتله: أى نازعه ودافعه .

(٢) شاتمه: أى شتمه متعرضًا لمشاتمته .

(٣) أى يقول هذا مرتين . (وإني صائم) أى: يقول هذا بلسانه ليعلم مخاطبه أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل، أو يقول ذلك لنفسه منعًا لها من مقابلة الجهل بالجهل . (وقيل): يقول ذلك بلسانه فى الغرض، ولنفسه فى التطوع .

(٤) وهذا الجزء الأخير نص قدسي .

(٥) والمراد بالزور: الحرام ومنه الكذب والغيبة .

(٦) هذا النفى كناية عن عدم القبول أى لا يقبل الله صيامه وليس المعنى أنه يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما المعنى التحذير من قول الزور وعمله ..و مقتضاه أن من فعل ذلك لا يثاب على صيامه، وأن ثواب الصيام لا يوازن إثم ما ذكر .

(٧) وهم مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى، وابن ماجه .

* وأن يغض بصره:

عن النظر إلى ما يشغله عن ذكر ربه ..

(وعليه) أن ينظر إلى عظمة الخالق – سبحانه وتعالى – فى كل شيء خلقه .

ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(وعليه) أن يتأمل حتى فى نفسه .. بدل أن ينظر إلى ما يغضب الله تعالى فى صيامه وفى غير صيامه .

(قال) تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١] .

* وأن يصون سمعه:

عن الإصغاء لكل ما يحرم قوله أو يكره .. لأن كل واحد منهما ينافى الكمال المطلوب من الإنسان التحلى به ..

(وعليه) أن يكون – وهو صائم بصفة خاصة – من هؤلاء الحريصين على الإستماع إلى الخير الذى فى مقدمته القرآن والسنة .. والعلم النافع .. ونصح الناصحين .

* وأن يحفظ بطنه:

من أكل الحرام .. حتى ينمو جسده بالغذاء الحلال المطلق ..

(و إلا) كان والعياذ بالله من أهل الحرام ..

(فقد) ورد فى الحديث: «**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**» [1] .

(وعليه) أن يحذر هذا عند فطره بصفة خاصة ..

(لأنه) لا ينبغى لمن صام عن الحلال طيلة النهار أن يفطر على الحرام .. أو ما فيه شبهة .

* وأن يحفظ فرجه مما لا يرضى:

تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠] .

---

(١) ورد نحوه فى حديث رواه ابن حبان فى صحيحه . (الترغيب والترهيب) ج٢ ص ٩١٦ .

(وذلك) لن يكون إلا بغض البصر .. لأن النظر بريد الزنا .. كما يشير أحدهم إلى هذا المعنى فى قوله:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وكما يقول أيضًا أحدهم:

نظرة، فابتسامة، فسلام، فكلام، فموعد، فلقاء .

* وعليه أن يكف يده ورجله:

عن كل إيذاء للمسلمين والمسلمات ..

(وذلك) باستعمال اليد فى طاعة الله تعالى.. وكذلك الرجل لا يخطو بها إلا إلى خير..

(فقد) ورد فى الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**اضمنوا**[1] **لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**» أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى فى الشعب بسند جيد .

فمن أراد القبول والنجاة والحسنى وزيادة فليكف الجوارح عن استرسالها فى القبائح ولا سيما فى شهر رمضان .. وفى الصيام بصفة خاصة .

** ثم بعد ذلك أعود بكم أيها الإخوة المسلمون إلى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة فى نص الخطبة، وهى:

* «**فاستكثروا فيه من أربع خصال**[2]»أى: أكثروا فيه من أربع خصال: «**خصلتين ترضون بهما ربكم**»: أى تكونان سببًا فى أن يرضى الله عنكم «**وخصلتين لا غناء بكم عنهما**» أى: أنتم دائمًا – كمؤمنين – فى أشد الحاجة إلى ما سيتحقق عن طريقهما ..

** «**فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه**»:

---

(١) المراد بالضمان: الالتزام، أى التزموا وداوموا على استعمال هذه الجوارح فى طاعة الله تعالى .. ألتزم لكم دخول الجنة مع السابقين الأولين .

(٢) الخصلة بالفتح: الخلة، وبالضم لفيفة من الشعر .

* فأما عن شهادة أن لا إله إلا الله فقد ورد فيها:

(عن) أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

ورواه أحمد والطبراني فقال: " كن له عدل عشر رقاب، أو رقبة على الشك فيه "
وقال الطبراني في بعض ألفاظه: " كن له كعدل عشر رقاب من ولد إسماعيل عليه السلام من غير شك "

** فعليك أخا الإسلام، وأنت أيها الأخ الصائم بصفة خاصة .. من الإكثار ليلًا ونهارًا من قول: لا إله إلا الله ..

(فقد) ورد كذلك في الحديث الشريف:

(عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**جددوا إيمانكم . قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله**» رواه أحمد والطبراني،وإسناد أحمد حسن [1] .

وأما عن الاستغفار – الذي معناه: طلب المغفرة من الله – تبارك وتعالى –:

(فعن) عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي .

(ولا سيما) إذا كان الاستغفار هذا في شهر رمضان المبارك – ليلًا ونهارًا – وبسيد الاستغفار .

(فعن) شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء [2] لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت – ثم بعد ذلك يقول الرسول ﷺ من قالها**

---

(١) وقال شارح الجامع: (إسناد أحمد صحيح) .
(٢) أي أقر وأعترف .

فى النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخارى .

** وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما:

«فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار» أى: تسألون الله تبارك وتعالى أن يجعلكم من أهل الجنة، وأن يعيذكم من النار .

(على) شريطة أن تكونوا أهلًا لدخول الجنة .. لا لدخول النار ..

(لأن) الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان شريفًا قرشيًا ..

(فهو) القائل سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦- ١١].

(وأيضا): لابد وأن يكون الداعى أهلًا للإستجابة ..

(وأعنى) بهذا أن يكون منفذًا للأمرين المشار إليهما فى قوله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

(فقد) روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» .

وكان عبد الله إذا أفطر يقول: " اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لى "

** (هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد ختم خطبته بقوله:

«ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة»:

فإنه بهذا يرغب كل واحد منا فى إكرام الصائم – والفقير بصفة خاصة – عند الإفطار، ولو بشربة ماء – إذا كان لا يملك سواها – وإذا كان يملك أكثر من هذا من العصائر، أو من الطعام الطيب .. فإنه عليه أن لا يبخل على نفسه .. بتقديم هذا أو بعض هذا للإخوة الصائمين .

(وحسبه) إن فعل هذا – إن شاء الله – .. أنه سيفوز بالمشار إليه فى نص الخطبة: وهو (من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتقًا لرقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**يعطى الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرةٍ، أو على شربة ماءٍ أو مذقة [1] لبن** » .

(بل وحسبه) أنه سيفوز بالمشار إليه فى ختام الخطبة، وهو: «**ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها – حتى يدخل الجنة** » .

* (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء [2] وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا**» أخرجه الشيخان .

أسأل الله سبحان و تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. وأن يجعلنا من الذين سيحسنون الصيام والقيام .. ومن الذين سيتقربون إلى الله تعالى بإطعام الطعام .. وفعل الخيرات فى رمضان وفى غير رمضان حتى نكون أهلا لمغفرة الله ورحمته .. ومن الذين سيشربون من حوض الرسول ﷺ .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى شربة لبن ممزوجة بالماء .

(٢) أى طوله كعرضه .. (وقد) جاء فى الدين الخالص ج١ ص٩٧ أن وطوله مسيرة شهر .. مربع الشكل . له ميزابان يصبان فيه من الكوثر .. الخ .





خطب شهر رمضان

الخطبة الأولى

((تفسير آيات الصيام))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: «**من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله، وإن صامه**» رواه الترمذي، واللفظ له، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين، العاملين المخلصين الذين صاموا وقاموا .. وأحسنوا لله تعالى الصيام والقيام. كما كانوا على صلة دائمة بالله – تبارك وتعالى – عن طريق فعل الخيرات، وترك المنكرات. في رمضان وفي غير رمضان .. فكانوا من المبشرين في قول الرسول ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [1] .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) والحمد لله في الجمعة الأولى من شهر رمضان المبارك الذي كنا ننتظره ونحن في شوق كبير إليه ..

(بل) ونحن نسأل الله – تبارك وتعالى – أن يبلغنا إياه - كما كان يدعو الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – لأنه موسم الحصاد بالنسبة لجميع المؤمنين والمؤمنات الذين سيغتنمون كل لحظة من أيامه ولياليه في طاعة الله وطاعة رسوله حتى يفوزوا فيه برحمة الله تعالى وبركاته ونفحاته – وحتى يفوزوا في ختامه

---

(١) من حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن ماجه مختصرًا.

بالعتق من النار – إن شاء الله – بالإضافة إلى المغفرة التى سيحرصون علي تحقيقها بالإكثار من الإستغفار ..

(وقد) رغب النبى ﷺ فى ضرورة تحقيق كل هذا الخير ..

*(فعن) عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان: «**أتاكم رمضان شهر بركة** [1] **يغشاكم الله فيه** [2]**، وينزل الرحمة** [3] **ويحط الخطايا** [4]**، ويستجيب الدعاء** [5]**، وينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه** [6]**، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله – عز وجل –**» رواه الطبرانى ورواته ثقات .

(وقد) رأيت حتى يتحقق هذا الترغيب على أساس فقهى سليم .. أن أدور مع الأخ المسلم حول تفسير آيات الصيام [7]، وهى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾[من الآية ١٨٣ – ١٨٧ فى سورة البقرة] .

ففى هذه الآية الأولى – وما بعدها – يخاطب الله تعالى المؤمنين بأنه قد فرض الصيام على ذكورهم وإناثهم .. كما كان مفروضًا فى الديانات السابقة [8] مع الإختلاف فى الكيفية أو المدة .. وذلك لما فيه من فوائد جسيمة وروحية .. هذا بالإضافة إلى أنه يربى الوازع النفساني، وينمي الإرادة،ويبعث علي الخير ويقمع الشر، ويعلم الصبر، ويحقق المساواة بين الفقير والغني في الجوع، ويذكره بأخيه

---

(١) البركة: دوام الخير وكثرته .. ولا شك أن رمضان بما أنزل فيه من القرآن وبما يقع فيه من العبادات وأعمال الخير هو أعظم الشهور بركة .

(٢) يغشاكم. أى يجللكم بسترة ويحيطكم بلطفه ورحمته .

(٣) أى: ينزل فيه من الرحمة أكثر مما ينزل فى غيره من الشهور الأخرى

(٤) أى: يمحوا الذنوب ويغفرها ..

(٥) أى بصفة خاصة ولا سيما عند الإفطار .

(٦) أى تسابقكم في أعمال البر واجتهادكم فيما يقربكم إلى الله عز وجل .

(٧) كما جاء فى تفسير الوسيط، والقرطبى، وحاشية الصاوى . على الجلالين .. وغيرهم .

(٨) من لدن آدم عليه السلام .

الفقير .. ليعطف عليه ويعينه .. إلى غير ذلك من الفضائل .. بالإضافة إلى الفوائد الصحية العديدة التى أجمع عليها الأطباء .. بالإضافة إلى الأحاديث الشريفة التى منها ما ورد:

❊(عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا** [1]**، وسافروا تستغنوا**» [2] .

(مع) ملاحظة: أن الصوم شرعًا: هو الإمساك عن الطعام والشراب ومباشرة النساء من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، مع تبييت النية [3] ..

(وقد) قال كثير من الفقهاء: إن نية صيام التطوع تجزىء من النهار إن لم يكن قد طعم، قالت عائشة ﷺ دخل على النبى ﷺ ذات يوم فقال: «**هل عندكم شيء ؟ قلنا: لا، قال: فإنى صائم**» رواه مسلم وأبو داود .

(وقد) أجمع العلماء: على أن الصيام – فى رمضان – واجب على المسلم العاقل البالغ الصحيح المقيم .

(وأنه) يجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس .

(وهذا) معناه: أنه لا صيام على كافر، ولا مجنون، ولا صبى، ولا مريض، ولا مسافر، ولا حائض، ولا نفساء، ولا شيخ كبير، ولا حامل، ولا مرضع ..

(مع) ملاحظة كذلك: أن بعض هؤلاء لا صيام عليهم مطلقا: كالكافر والمجنون لأن الصيام عبادة إسلامية .. ولأن المجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل الذى هو مناط التكليف ..

(وأن بعضهم) يطلب من وليه أن يأمره بالصيام .. وهو الصبى وإن كان الصيام غير واجب عليه إلا أنه ينبغى لولى أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ما دام مستطيعًا له، وقادرًا عليه ..

---

(١) أى أكثروا من الصيام تصح أبدانكم وتزول عنها الأمراض والأسقام .. التى ثبت أن بعض هذه الأمراض لا سبيل لها إلا بالصيام .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورواته ثقات ..

(٣) ولابد وأن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالى شهر رمضان وتصح فى أى جزء من أجزاء الليل ولا يشترط التلفظ بها .

(وأن) بعضهم يجب عليه الفطر والقضاء، وبعضهم يرخص لهم الفطر وتجب عليه الفدية ..

(وهاك) بيان هذا بصفة خاصة .. كما جاء فى (فقه السنة): فقد قال:

*يرخص الفطر للشيخ الكبير، والمرأة العجوز والمريض الذى لا يرجى برؤه، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال ..هؤلاء جميعًا يرخص لهم الفطر إذا كان الصيام يجهدهم، ويشق عليهم مشقة شديدة فى جميع فصول السنة، وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينًا وقدر ذلك بنحو صاع من حنطة [1] – وهو قدح وثلث – أو نصف صاع، أو مد [2] على خلاف فى ذلك، ولم يأت من السنة ما يدل على التقدير .

(قال) ابن عباس: " رخص للشيخ الكبير أن يفطر، ويطعم عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليه " رواه الدارقطنى والحاكم وصححاه .

وروى البخارى عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قال ابن عباس: " ليست بمنسوخة هى للشيخ الكبير والمرأة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان [3] مكان كل يوم مسكينًا ".

* (والمريض) الذى لا يرجى برؤه ويجهده الصوم مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

(وكذلك) العمال الذين يصطنعون بمشاق الأعمال .

(قال) الشيخ محمد عبده: فالمراد بمن (يطيقونه) فى الآية الشيوخ الضعفاء والزمنى [4] ونحوهم كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال الشاقة، كاستخراج الفحم الحجرى من مناجمه .

---

(١) أى (البر) والجمع (حنط) بوزن عنب (مختار الصحاح) ص١٥٩ . والحنطة: أى القمح .
(٢) وهو ربع قدح من قمح .
(٣) مذهب مالك وابن حزم: أنه لا قضاء عليها ولا فدية .
(٤) الزمنى: أى المرضى مرضًا مزمنا لا يبرأ – والعياذ بالله – .

(ومنهم) المجرمون الذين يحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا شق عليهم بالفعل ولا قضاء عليهما عند ابن عمر وابن عباس ..

(روى) أبو داود عن عكرمة أن ابن عباس قال فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام – أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينًا، والحبلى والمرضع إذا خافتا – يعنى على أولادهما – أفطرتا وأطعمتا . رواه البزار، وزاد فى آخره: وكان ابن عباس يقول لأم ولد له حبلى: " أنت بمنزلة الذى لا يطيقه فعليك الفداء،ولا قضاء عليك " وصحح الدارقطنى إسناده، وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها ؟ فقال: " تفطر، وتطعم مكان كل يوم مسكينًا مدا [1] من حنطة " رواه مالك والبيهقى . وفى الحديث: «**إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم**» وعند الأحناف وأبى عبيد وأبى ثور أنهما يقضيان فقط، ولا إطعام عليهما . وعند أحمد والشافعى: أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما: فعليهما القضاء لا غير .

*(ويباح الفطر) للمريض الذى يرجى برؤه والمسافر، وعليهما القضاء . قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

*(والمرض المبيح للفطر): هو الشديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى تأخر برئه [2] قال فى المغنى: " وحكى عن بعض السلف: أنه أباح الفطر بكل مرض حتى من وجع الإصبع والضرس لعموم الآية فيه، ولأن المسافر يباح له الفطر، وإن لم يحتج إليه فكذلك المريض " وهذا مذهب البخارى وعطاء وأهل الظاهر .

*(والصحيح) الذى يخاف المرض بالصيام يفطر مثل المريض، وكذلك من غلبه الجوع أو العطش فخاف الهلاك لزمه الفطر وإن كان صحيحًا مقيمًا وعليه القضاء . قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

---

(١) أى: ربع قدح من قمح .

(٢) يعرف ذلك إما بالتجربة، أو بإخبار الطبيب الثقة .. أو بغلبه الظن .

وقال: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

* (وإذا) صام المريض وتحمل المشقة صح صومه .

(إلا) أنه يكره له ذلك لإعراضه عن الرخصة التى يحبها الله، وقد يلحقه بذلك ضرر .

(وقد) اختلف الفقهاء فى أيها أفضل ؟: فرأى أبو حنيفة، والشافعى، ومالك: أن الصيام أفضل لمن قوى عليه، والفطر أفضل لمن لا يقوى على الصيام، وقال أحمد: الفطر أفضل – وقال عمر بن عبد العزيز: أفضلها أيسرهما، فمن يسهل عليه حينئذ ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك فالصوم فى حقه أفضل .

* (وحقق) الشوكانى فرأى أن من كان يشق عليه الصوم، ويضره، وكذلك: من كان معرضًا عن قبول الرخصة: فالفطر أفضل، وكذلك: من خاف على نفسه العجب أو الرياء إذا صام فى السفر فالفطر فى حقه أفضل .

(وما كان) من الصيام خاليًا عن هذه الأمور فهو أفضل من الإفطار (١) .

** (هذا) وإذا كان الله – تبارك وتعالى – قد ختم الآية الأولى من آيات الصيام بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] .

(فإن) المعنى هو: لعلكم بالصوم تتقون المعاصى فإنه يذكر الصائم بخشية ربه، ولذا حببه الرسول ﷺ إلى الشباب الذين لا يجدون مئونة الزواج .. فقال مخاطبًا إياهم كما جاء فى الصحيحين: «**يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (٢)**».

* (هذا) بالإضافة إلى ما ورد فى السنة حول فضائل الصيام المفروض بصفة خاصة والمسنون بصفة عامة ..

---

(١) يرجع إلى كل هذه الأحكام وغيرها فى (فقه السنة)، (الدين الخالص) .. وكتب الفقه فى موضوع الصيام ..

(٢) أى: دفع الشهوة وقمع لها .

(فعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه كفر ما قبله**» أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى بسند جيد .

(وعن) أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**لا يصوم عبد يومًا فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفًا**[1]» رواه الجماعة إلا أبا داود .

*ثم بعد ذلك يقول – سبحانه وتعالى – فى نص الآية الثانية من آيات الصيام: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:١٨٤].

(ففى) أول هذه الآية يشير الله تعالى إلى أن أيام الصيام قليلة تعد .. وأنها فى جملتها تسمى شهر رمضان – كما صرح بهذا فى الآية الثالثة الآتية – وهذا هو رأى ابن عباس، وأكثر المحققين وأحد قولى الشافعى ..

(وقد) عبر الله تعالى عن الشهر: بأنه أيام معدودات لتقليل مدته، والتيسير على الصائمين .. وكأنه تعالى يقول: فرضناه شهرا تعد أيامه، ولم نفرضه أكثر من ذلك، رحمة بكم، وتيسيرًا عليكم .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه فى نص الآية الثالثة من آيات الصيام: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:١٨٥].

(ففى) أول هذه الآية الثالثة من آيات الصيام يشير الله –سبحانه وتعالى – إلى أهم فضائل هذا الشهر الكريم .. وهو أن الله – سبحانه وتعالى – قد أنزل القرآن فيه هداية للناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وإلى مصالح المعاش والمعاد، وآيات

---

(١) أى سنة .

واضحات من جملة الكتب الهادية إلى الحق، والفارقة بينه وبين الباطل .. وكان هذا الإنزال فى ﴿ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[القدر: ١] منه، كما يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾[الدخان: ٣] .

(والحاصل) أن جبريل عليه السلام تلقاه من اللوح المحفوظ، ونزل به إلى السماء الدنيا فأملاه للسفرة فكتبته فى الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة فى سماء الدنيا، ثم نزل به على النبى فى ثلاث وعشرين سنة مفرقًا على حسب الوقائع .. فجبريل أملى السفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء .

(والحكمة) فى نزوله مفرقًا: تثبيته فى قلب الرسول ﷺ وتجديد الحجج على المعاندين،وزيادة إيمان للمؤمنين .

* وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا *وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٢، ٣٣] وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال: ٢] .

وقال: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾[الاسراء:١٠٦] (١).

(هذا) ملاحظة أنه ليس القرآن وحده هو الذى أنزله الله – تبارك وتعالى – فى شهر رمضان ..

(فقد) قرأت فى (القرطبى) (٢) عن وائلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: **«أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان، والتوراة لست مضين منه، والإنجيل لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعشرين (٣)»**.

(وهذا) أيضًا يشير إلى فضل الشهر المبارك على جميع الشهور العربية .

---

(١) حول تفسير الآية: الإسراء: ١٠٦ .
(٢) ج١ ص ٦٧٤ .
(٣) قال القرطبى: وفى هذا الحديث دلالة على ما يقوله الحسن أن ليلة القدر تكون ليلة أربع وعشرين (والغالب) كونها فى الأوتار .. وفى ليلة السابع والعشرين على وجه الخصوص .

(وحسبك) أن تعلم تأكيدا لهذا .. أنه الشهر العربى الوحيد الذى ذكر اسمه فى القرآن الكريم ..

(وأن) ليلة القدر التى فى العشر الأواخر منه .. والتى أنزل القرآن فيها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] ليس فيها ليلة القدر .

(مع) ملاحظة كذلك أن المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أى: فمن حضر منكم فى الشهر، ولم يكن مسافرًا فليصم فيه، أو من علم هلال الشهر بأى وسيلة من وسائل العلم فليصمه، روى الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» .

ثم إذا كان الله تعالى قد قال بعد ذلك [1]: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فإن إعادة الترخيص بالفطر للمريض والمسافر لإفادة إباحة الفطر لهما عند الإلزام، كما كان عند التخيير [2]، حتى لا يظن زوال هذا الترخيص بالإلزام بالصيام .. وهذا التكرار يفيد التوكيد ..

(والأيام) الأخر .. تتم فى غير رمضان والعيدين، ويكون صيامها بعد أيام الفطر .

(وقد) استدل بالآية على جواز القضاء متتابعًا ومتفرقا، وأنه ليس على الفور، خلافا لداود، كما استدل بها على أن من أفطر رمضان كله، قضى بعدد أيامه، فلا يجزيه صيام شهر عدده تسعة وعشرون يومًا، مكان رمضان الذى كان ثلاثين يوما، بل يزيد عليه يومًا .

(وقوله): ﴿ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] أى: تخفيفا عنكم بهذا الترخيص ﴿وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]: لغاية رأفته، وسعة رحمته فلا يكلفكم ما لا تطيقون .. فهو القائل سبحانه: ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهو القائل: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] .

---

(١) أى فى نص الآية الثالثة من آيات الصيام .

(٢) لأن هناك من قال: إن الصوم كان واجبًا من غير تخيير، منذ أول التكليف به .

(وقال) فى الجلالين: تقدم مثله، وكرر لئلا يوهم فسخه بتعميم من شهد .

(ومعنى) قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ١٨٥]: أى شرع لكم ما ذكر من الأحكام فى هذه الآية، لتكملوا عدة شهر رمضان أداء أو قضاء، فلا تنقصوا عنه يومًا أو أكثر، فإن صيامه كله مفروض عليكم، ولتعظموا الله بالحمد والثناء على ما هداكم إليه، من صيام هذا الشهر المبارك، والترخيص بالفطر عند العذر، وطريقة قضاء الصيام عند زوال العذر .. ولعلكم تشكرون الله على كل ذلك الخير ..

(وقيل) فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ﴾[البقرة: ١٨٥] أى: فى يوم عيد الفطر المبارك، وهو يوم إكمال العدة ..

(وقد) بينت السنة كيفية التكبير: وأصح ما ورد من صيغ التكبير، ما رواه عبد الرازق عن سلمان بسند صحيح، قال: (كبروا: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا » وجاء عن عمرو بن مسعود: (الله أكبر، الله أكبر، لا له إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد) [1] .

**(وعندما) سأل أعرابى رسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ سكت النبى ﷺ فأنزل الله – عز وجل – الآية الرابعة من آيات الصيام وهى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦] أى: فقل لهم: إنى ..، والمراد بالقرب: الإحاطة والعلم، وليس القرب المكانى ..

(وقد) وعد الله تعالى فى الآية أن يجيب دعاء من دعاه ويحققه،وقيد إجابته بقوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ إشارة إلى أنه تعالى يجيبه إذا اتجه إليه وحده بالدعاء .

(على) شريطة أن يكون محققًا للشرطين أو الأمرين المشار إليهما بعد ذلك فى نص الآية، وهما: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾أى: فليجيبونى بالإمتثال والطاعة كما أجبت دعاءهم.

(أو) فليطلبوا إجابتى بالدعاء- لأن السين والتاء للطلب- ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أى فليداوموا على الإيمان بى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾أى ليهتدوا إلى مصالح دنياهم وأخراهم.

**ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك الآية الخامسة من آيات الصيام، وهى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ .. ﴾[البقرة: ١٨٧]﴿ الرَّفَثُ ﴾: كلمة جامعة لكل

---

(١) انظر فقه السنة ج ٢ ص ٣٠٤ (باب التكبير فى أيام العيدين) .

ما يريد الرجل من المرأة .. أو المباشرة الزوجية التى عبر عنها بعد ذلك بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنّ) ﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذه الجملة فى قوة التعليل للإباحة، وهى مجاز عن أن كليهما يمنع الآخر عما لا يحل .. فكما يمنع اللباس الحر والبرد،فكذلك كل من الزوجين يمنع الآخر، ويستره عن الفاحشة، بما أحله الله له من المباشرة .

(والسبب) فى نزول هذه الآية – كما رواه البخارى – أنه لما نزل صوم رمضان،كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(وعن) ابن عباس، قال: كان المسلمون فى شهر رمضان إذا صلوا العشاء، حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة (١) ثم إن أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام فى شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(وعن) ابن عباس – أيضًا – قال: إن الناس كانوا – قبل أن ينزل فى الصوم ما نزل فيه يأكلون ويشربون،ويحل لهم شأن النساء، فإذا نام أحدهم، لم يطعم ولم يشرب ولا يأتى أهله، حتى يفطر من القابلة، فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم، وقع على أهله، ثم جاء إلى النبى ﷺ فقال: أشكو إلى الله وإليك الذى صنعت . قال: وماذا صنعت ؟ قال: إنى سولت لى نفسى فوقعت على أهلى بعدما نمت، وأنا أريد الصوم، فزعموا أن النبى ﷺ قال: (ما كنت خليقا أن تفعل) فنزل الكتاب: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ذكره ابن كثير .

(ومن) ذلك يفهم: أن الأكل والشرب والجماع، كانت محرمة عليهم من العشاء أو من النوم إلى الفجر، فخالفوا، وهم بشر قبل أن يشدد الإسلام النكير على المخالفين فى ذلك، ويستدلون التحريم السابق، بقوله تعالى: ﴿ فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾ .

(وقد) دلت الآية كذلك: على جعل الصيام من الفجر إلى المغرب، بنص الآية وهذا يدل على أن الصيام قبل ذلك لم يكن بهذه الصورة،ويشهد لذلك أيضًا قوله

---

(١) أى فى اليوم التالى بعد غروب الشمس وأذان المغرب.

تعالى: ﴿ **كنتم تختانون أنفسكم** ﴾، ثم بعد ذلك وبعد أن تاب الله عليهم، وعفا عنهم قال مخاطبا إياهم: ﴿ **الآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم** ﴾ أى أزال الله عنكم أيها المؤمنون الحرج،وأباح لكم أن تباشروا نساءكم ليلة الصيام .

(مع) مراعاة أن الهدف ليس إرضاء الشهوات فحسب، بل إعفاف الزوجين، وحفظ النوع الإنساني..فينبغى على الأخ المؤمن أن ينوى ذلك بالمباشرة كما سنها الله .

(ثم) بعد ذلك يخاطب الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ أى حتى يتبين لكم بياض النهار وسواد الليل .

(لما) رواه البخارى ومسلم: أن عدى بن خاتم قال: لما نزلت: ﴿ **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتها تحت وسادتى، فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى،فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**»

ثم بعد ذلك يخاطب الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿ **ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾[البقرة: ١٨٧] أى: على المؤمن حين يبدأ الإمساك عن شهوتى البطن والفرج – من الفجر – أن يتم صومه إلى الليل، وله فى الليل ما أحل الله له إلا أن، يكون معتكفًا فى مسجد لطاعة الله .. فإنه من المحظور عليه ليلًا مباشرة النساء – مراعاة لحرمة المسجد – ..

(أما) بالنسبة للطعام والشراب – ليلًا – فمباحتان .

(وقد) روى البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ: " كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر [1] " وفى رواية لمسلم: " كان يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيره " .

*(مع) ملاحظة: أن المباشرة المنهى عنها – حينئذ – هى الجماع، أما نحو اللمس والقبلة، فإن كانا بغير شهوة فمباحان، ولكن يكرهان، وإن كانا بشهوة وتلذذ: فسد الإعتكاف [2] .

---

(١) كناية عن اعتزاله النساء .. أى فى العشر الأواخر من رمضان .. لأنه غالبا كان يعتكف فيها .

(٢) هناك أحكام خاصة بالإعتكاف ... لابد وأن يطلع الأخ الخطيب عليها – بصفة خاصة – فى كتب الفقه المطولة .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى فى ختام آيات الصيام: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففى هذا الختام يحذرنا الله -تبارك وتعالى- فى نهيه هذا من الإقتراب من حدوده التى جعلها سبحانه حاجزة بين الحق والباطل .. حتى لا تتجاوز هذه الحدود .. لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ..

(مع) ملاحظة أن الله تعالى لم ينهنا عن مقاربة الحدود إلا فى هذه الآية وآية الزنى، وآية مال اليتيم، لأن غريزة الجنس، وغريزة حب المال .

(تعصفان) بالإنسان إلا من التمس من الله تعالى أن يعصمه..، (وليكن) الهدف الاسمى إلا من هذا المشار إلية فى كل تلك الآيات من الأوامر والنواهى، هو تحقيق التقوى المشار إليها فى الآية الأولى والآية الأخيرة من آيات الصيام (وذلك) لأن التقوى هى (رأس الأمر كله) [1] كما جاء فى وصية من وصايا الرسول ﷺ أى أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد ..فكما أنه لا حياة للإنسان بدون رأس .. كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى . جعلنا الله تعالى من المتقين الموفقين فى صيامهم وقيامهم ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) من حديث رواه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم . وقال: صحيح الإسناد .





خطب شهر رمضان

الخطبة الثانية

«ما ينبغي على المؤمن أن يلاحظه وينفذه في صيامه وقيامه»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه القائـل فى الحـديث القدسـى: " كـل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به "[١] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث» (الحديث) أخرجه ابن ماجه وابن خزيمه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الصائمين القائمين الذين تأدبوا وتخلقوا بأخلاقه . وكانوا بشرعه من العاملين .. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا فى الجمعة الثانية من شهر رمضان المبارك الذى نسأل الله تبارك تعالى أن ينفعنا ببركاته ونفحاته، وأن يجعلنا أهلًا لصيامه وقيامه .. اللهم آمين ..

(وقد) رأيت فى هذا اللقاء المبارك حتى نكون أهلًا لاستجابة هذا الدعاء .. أن أذكركم ونفسى بأهم الآداب والتوصيات التى لابد وأن ينفذها الأخ المؤمن فى صيامه وقيامه .. إذا أراد أن يقبل الله تعالى منه هذا الصيام وهذا القيام ..

(وأول) ما أريد أن أذكركم ونفسى به هو:

** (مراتب الصيام) وهى ثلاث[٢]:

---

(١) جزء من حديث قدسى ونبوى . رواه احمد ومسلم والنسائى .

(٢) كما جاء فى الجزء الثامن (من الدين الخالص) ص٥٤٦ وما بعدها .. بإضافات موضوعية ..

*(الأولى) صيام العوام ويحصل:

بالكف عن المفطرات مع ضرورة البعد عن المحرمات القولية والفعلية:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع**» الحديث أخرجه ابن ماجه والنسائى بسند ضعيف وإن صححه السيوطى .

(ومعنى) هذا الحديث أنه ليس لصومه قبول عند الله تعالى ولا ثواب له فيه لارتكابه المحرم بالفطر على حرام وعدم حفظه لجوارحه من الآثام وإن سقط فرض الصوم — ظاهريًا — بكفى عن المفطرات الحسية .. كالأكل والشرب وشهوة الفرج.

*(الثانية) صوم الخواص: ويحصل:

(أ) بصيانة الجوارح السبع — وهى: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل — عن استرسالها فى المخالفات .

(ب) ويكون كذلك بسكون هذه الجوارح عن الحركات الرديئة، ومنعها عن انتهاك المحارم المردية، واستعمالها فى شيء من الآثام المبعدة عن دار السلام [1] ..

(وهذا) هو سر الصوم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ .

ولذا قال الشاعر:

إذا ما المرء صام عن الخطايا ... فكل شهوره شهر الصيام

كما قال الآخر

أغضض الطرف [2]، واللسان اكففنه ... وكذا السمع صنه حين تصوم

ليس من ضيع الثلاثة عندى ... بحقوق الصيام حقا يقوم

(ولهذا) فإنه ينبغى على الأخ الصائم مراعاة هذه الجوارح، وكفها عن

من (فقه السنة) وغيرها ..

(١) أى الجنة التى هى دار السلام .. والتى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلا لها .. اللهم أمين.

(٢) أى النظر .

استرسالها فيما منعت منه، فإن قصر فى حفظها ربما أداه إلى دخول جهنم من سبعة أبوابها، فإنه لا يستحق أحد جهنم إلا بعصيانه بجارحة من هذه الجوارح فمن رعاها فى صيامه أمنه الله من انتقامه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

(روى) أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «**ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من الرفث**» الحديث أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

* (الثالث) صوم خواص الخواص وهو:

صيام القلب عن الإهتمام بشيء لا يرضى الله، وصيانته عن الإلتفات إلى الأغيار وإهمال الفكر فى الدنيا وأسبابها وزينتها وشهواتها،وشغل النفس بذكر الله تعالى وطاعته فى جميع الحالات ..

(مع) ملاحظة أنه ليس من الدنيا الإشتغال بتحصيل الكفاف الذى يسد الجوعة، ويستر العورة ..

* (ولهذا) فقد قال الله تعالى فى نص الحديث القدسى: " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به " .

(وذلك) لأن الله تعالى وحده هو الذى يعلم درجة هذا الصيام ومرتبته .. وهل هو: من صيام العوام أو الخواص، أو خواص الخواص .

(ومن) أجل ذلك كذلك، فإن الله تعالى لم يحدد ثواب الصيام .. بعكس جميع الأعمال ... (وتوضيحًا) لهذا:

(فقد) رأيت أن أذكر الأخ الصائم بمضمون حديث شريف أخرجه البزار [(١)] وفيه يقول – صلوات الله وسلامه عليه –: «**الأعمال سبعة: عملان موجبان، وعملان واحد بواحد، وعمل بعشرة، وعمل بسبعمائة، وعمل لم يحدد الله تعالى ثوابه**):

* **فأما العملان الموجبان: فهما الكفر والإيمان ..:**

فالكفر يوجب النار، والإيمان يوجب الجنة .. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ

(١) إقرأ نص الحديث فى شرح الحديث ٣٧ من الأربعين النووية .

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ *جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٦-٨] .

*وأما العملان اللذان هما واحد بواحد: فهما الحسنة والسيئة:

(فمن) هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة .

(ومن) هم بسيئة وعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة [1] .

*وأما العمل الذى هو بعشرة: فهو عمل الحسنة:

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

*وأما العمل الذى بسبعمائة: فدرهم الجهاد فى سبيل الله:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* وأما العمل الذى لم يحدد الله تعالى ثوابه: فهو الصوم:

قال تعالى فى الحديث القدسى: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به)** ا.هـ الحديث بالمضمون وبتصرف كبير فى الشرح .

*(وعلى) هذا فإنه ينبغى على الأخ الصائم أن يتقى الله تعالى فى صيامه حتى لا يعرضه للفساد ..

(وعليه) أن يحافظ على هذا الصيام .. بمعنى أن يكون من الحريصين على تحقيق صيام خواص الخواص .. أو على الأقل على تحقيق صيام الخواص .. حتى لا يحرم من ثواب الصائمين الحقيقيين الذين قهروا أنفسهم، وكسروا شهواتهم فكان الصيام سببًا فى امتناعهم عن المعاصى وإرتكاب المخالفات فى رمضان وبعد رمضان .. فاستحقوا بذلك مغفرة الله – تبارك وتعالى – ورحمته .. وكانوا بذلك كذلك من المبشرين فى قول الرسول ﷺ: «**من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه كفر ما قبله** » أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى بسند جيد .

(مع) ملاحظة: أن الذنوب التى سيكفرها الله تعالى له هى الصغائر .

---

(١) وفى رواية من هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له حسنة واحدة .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مكفرات ما بينهن** (1) **إذا اجتنبت الكبائر** » رواه مسلم .

*(وعليه) أيضًا وبصفة خاصة أن يحافظ على الصلوات الخمس وفى أوقاتها .. ومع الجماعات ..كلما نادى المنادى قائلا: " حى على الصلاة حى على الفلاح " .

*(وعليه) أن يحرص على حضور مجالس العلم فى المساجد التى يجلس العلماء العاملون فيها .. لكى يعلموا الناس أمور دينهم .. ويجيبوا على أسئلتهم المتعلقة بأحكام الصيام .. فى كل يوم من أيام شهر الصيام .. فضلًا عن غيره من الشهور والأيام .

(وعليه) كذلك أن يكون جوادا فى شهر رمضان – بصفة خاصة – أسوة برسول الله ﷺ :

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله – أجود بالخير من الريح المرسلة". أخرجه أحمد والشيخان .

(أى) أن النبى ﷺ كان أسخى الناس، وأكرمهم، لأن نفسه ﷺ أشرف النفوس ،ومزاجه أعدل الأمزجة .

(فلابد) أن يكون فعله أحسن الأفعال، وخلقه أحسن الأخلاق، وكان جوده وكرمه فى رمضان أكثر منه فى سائر الأوقات .

(وفى) الحديث فوائد استحباب الإكثار من العطاء فى رمضان، ولا سيما عند ملاقاة الصالحين للتأثر بلقائهم .

(واستحباب) الإكثار من قراءة القرآن فى رمضان ومدارسته وكذا غيره من العلوم الشرعية .

---

(١) أى من الصغائر التى منها النظرة الثانية واللهو واللعب .
(أما) الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة . بالشروط التى وقفنا قبل ذلك عليها .

(واستحباب) زيارة أهل الصلاح والفضل ومجالستهم، وتكرير ذلك إذا كان فيه مصلحة .

(وأن) قراءة القرآن أفضل من التسبيح وسائر الأذكار .

(وكان) من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات:

(وكان) يكثر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والإعتكاف .

(وكان) يخص رمضان من العبادة بما لا يحصى غيره من الشهور حتى إنه كان يواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة .

(وكان) ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل ؟ فيقول: (لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى) [1] .

*ويستحب للرجل أن يوسع على عياله وأقاربه بلا تكلف ولا التزام ويحسن إلى جيرانه فى شهر رمضان لا سيما فى العشر الأواخر منه .

(وليس) الإعتكاف فيه وآكده العشر الأواخر منه [2] .

*(وعلى) الأخ الصائم أن يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرزائل عمومًا، وفى رمضان خصوصًا ..

(فلا) يفطر فيه بلا عذر، ولا يشرب فيه خمرًا، ولا يزنى، ولا يغتاب، ولا يرتكب إثمًا أيًا كان ..

(وإلا) كان من المحرومين من الثواب، المطرودين من رحمة الله .. الذين تُضاعف لهم السيئات – والعياذ بالله – .

(وحسبه) تحذيرًا له من فعل كل هذا .. وغيره ما ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من أفطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وإن صامه**» . اخرجه أبو داود وابن ماجه والدارمى والبيهقى والدارقطنى وابن خزيمة وصححه والترمذى .

---

(١) انظر ص ١٥٤ ج١ زاد المعاد .

(٢) وإذا لم يتيسر له هذا ..فليعتكف اعتكافًا جزئيًا كلما دخل المسجد فى رمضان وغير رمضان ..

(وعن) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان** » أخرجه أبو يعلى والديلمى بسند حسن وقال الذهبى حديث صحيح .

(وهذا) بالنسبة للشهادة على بابه .

(وأما) بالنسبة للصلاة والصوم: فهو من باب الزجر والتهويل، أو محمول على مستحل الترك [1] .

(قال) الذهبى فى الكبائر: وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عزر: أنه شر من المكاس [2]. والزانى ومدمن الخمر، بل يشكون فى إسلامه، ويظنون به الزندقة أو الإنحلال ..

**(فعلى) الأخ الصائم مرة أخرى: أن يتقى الله فى نفسه وفى صيامه حتى يكون – إن شاء الله تعالى – من الذين سيخرجون من شهر رمضان وقد غفر الله تعالى لهم ..

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» أخرجه السبعة وزاد أحمد فى رواية .

وما تأخر (وعنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» أخرجه السبعة وزاد النسائى فى رواية: وما تأخر.

والله ولى التوفيق .

---

(١) انظر الدين الخالص ج٨ ص ٢٩٠ .

(٢) قال فى مختار الصحاح: (المكس) الجباية، والماكس العشار وفى الحديث: **«لا يدخل صاحب مكس الجنة»** .



خطب شهر رمضان

الخطبة الثالثة

«غزوة بدر، وفتح مكة، ومعركة العبور في العصر الحديث»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١١٠] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الغر الميامين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ [لأنفال: ٧٢] فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) فى الجمعة الثالثة من شهر رمضان المبارك التى رأيت أن أذكركم ونفسى فيها: بغزوة بدر الكبرى وفتح مكة، وما كان فى اليوم العاشر من رمضان – يوم العبور – الذى نصرنا فيه بعون الله تعالى، وببركات هذا الشهر الكريم، على اليهود الملاعين .. فى عصرنا الحديث .

* (وإذا) كان لى ان أبدأ الآن التركيز وبإيجاز على ما كان من أمر:

غزوة بدر الكبرى

التى خلد الله ذكرها فى القرآن الكريم فسمى زمنها: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، كما امتن على المسلمين بها فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] [1] .

---

(١) والمعنى وأنتم يومئذ قليلون فى العدد مع كثرة عدوكم .

*وكان هذا فى يوم الجمعة لسبعة عشر خلت من رمضان من السنة الثانية للهجرة..

(وكان) النبى ﷺ قد بلغه وهو بالمدينة أن قافلة تجارية ضخمة - ألف بعير تحمل من السلع ما يقدر بخمسين ألف دينار - تهبط من مشارف الشام عائدة إلى مكة يقودها أبو سفيان ابن حرب مع رجال لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين فقال لأصحابه: (هذه عير قريش، فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها[1]) .

*(وكان) النبى ﷺ يرجوا لهم من وراء هذه الغنيمة عوضا لما لحقهم من خسائر أثناء هجرتهم الأخيرة .

(وترك) الرسول ﷺ الأمر لرغبتهم المطلقة ولم يعزم على أحد بالخروج، ثم سار بهم بمن أمكنه الخروج .

(وكان) عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا أكثرهم من المهاجرين والباقى من الأنصار، ولم يكن معهم سوى فرسين وسبعين بعيرًا كانوا يتعاقبون ركوبها[2] .

*(وكان) أبو سفيان قد وردت إليه أنباء الهجوم الإسلامى فخالف الطريق المعتاد وساحل بالعير إلى طريق البحر على بعد ثلاثة أميال أسفل، فاستطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل إلى مكة يستنفر أهلها[3] لحماية أموالهم - لأن معظمهم كان له نصيب فى هذه التجارة - فكانوا بين رجلين: إما مشترك بنفسه، وإما باعث مكانه رجلا، إلى أن بلغت عدتهم نحو تسعمائة وخمسين مقاتلًا فى مائة فرس، وسبعمائة بعير .

*(وكان) النبى ﷺ قد غَذَّ المسير[4] حتى نزل وادى زفران، فبلغه نجاة العير،،وأن قريشًا قد ساقت من مكة جيشًا جرارًا لحماية القافلة، وأنها تتأهب للقتال مستترة خلف الكثيب الذى بالعدوة القصوى .

---

(1) أى يجعلها غنيمة لكم .. (والنفل) بفتحتين: الغنيمة والجمع الأنفال .. (مختار الصحاح) ص ٦٧٤ .
(2) أى يتناوبون ركوبها ..
(3) أى يطلب منهم أن يسارعوا بالخروج لإنقاذ أموالهم بالقتال دونها .
(4) أى أسرع فيه .

(فهزت) هذه المفاجأة جيش المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون هذا، ولو توقعوه لعملوا له ألف حساب، غير أن النبى ﷺ استطاع بكياسته وحسن قيادته أن يتغلب على هذا الفتور العارض، وأن يقنعهم بضرورة تعقب المشركين مهما كان عددهم وبأسهم، وحذرهم من عقبى العود السريع إلى المدينة وأنه إذا لم يقبل المسلمون هذا التحدى لجاز أن يدفع الطيش القرشيين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة .

(فتحمسوا) جميعًا لقبول هذا التحدى ومواجهته مهما كلفهم من تضحيات .

*(واستمع) الرسول ﷺ إلى أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله اللذين أشار عليه بالتقدم وأيدهما المقداد بن عمرو.

(ولفت) نظر الرسول ﷺ أن هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقتال من المهاجرين فقط، فأراد أن يستجلى موقف الأنصار الذين بايعوه فى بيعة العقبة .

(فقال): «**أشيروا علىَّ أيها الناس**».

(فلما) أحس الأنصار أنه يقصدهم نهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم وقال: يا رسول الله . كأنك تريدنا ؟ قال: «**أجل**»، فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وأعطيناك عهودنا، فامض يا رسول الله لما أمرت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر (1) فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء .. فسر بنا على بركة الله .

* (ولم) يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه الرسول ﷺ بشرا، وقال: (سيروا وأبشروا .. هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم).

*(ثم) سار الرسول ﷺ بجيشه إلى الشرق من جيش المشركين فى العُدوة

---

(1) وأشار إلى البحر الأحمر .

الدنيا[1] ونزل عند أقرب ماء للعدو لمشورة الحباب بن المنذر، وبنى عليه حوضًا وطمس كل ما عداه من ينابيع ليتيح للمسلمين الإنتفاع بالماء دون المشركين،وفى نفس الوقت صنع للرسول ﷺ عريش من جريد النخل فى نفس الميدان .

* وكانت قريش كما سمعنا قبل هذا بالعُدوة القُصوى [2]، وجيش المسلمين بقيادة القائد العظيم – صلوات الله وسلامه عليه – بالعُدوة الدنيا [3] .

*(ووقف) الرسول ﷺ ينظم الصفوف، وهو يحث أصحابه على الثبات حتى ارتفعت أرواحهم المعنوية ثم أخذ ينادى ربه حتى سقط رداؤه وهو يقول: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذى وعدتنى**» [4].

*(وكان) المسلمون أسعد حظًا من المشركين، فلقد أكسبهم النوم الذى غشيهم[5] ليلة المعركة وافرا من راحة الجسم و الأعصاب،وأمطرت السماء ماءً اثبتت به الأرض تحت أقدامهم وسهلت تحركاتهم على سفح التلال فى حين أنها عاقت زحف المشركين وعوقت تحركاتهم وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين أثناء عملية الزحف فشغلهم عن تنظيم المعركة، وزاد التفكك فى صفوفهم أنهم شعروا أن القتال أصبح لا ضرورة له بعد نجاة العير، فلو بقيت العير فى الخطر لكان من المحتمل أن يستميت المشركون فى القتال .

* (ويبدأ) الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على

---

(١) أى بالوادى القريب إلى المدينة . أنظر الآية رقم ٤٢ من سورة الأنفال .

(٢) العدوة القصوى: أى البعيدة عن المدينة والقريبة من مكة .

(٣) والعدوة الدنيا: أى القريبة من المدينة: وبالنسبة لبدر: فهى سهل رملى يحده من الشمال الشرقى تلال شديدة الإنحدار، ومن الغرب كثبان رملية، ومن الجنوب منحدر صخرى منخفض، وينساب فى الوادى جدول من الماء، وينقطع الجدول فيصبح آبارا وهو على بعد ١٦٠ كيلو مترا من المدينة .

(٤) إنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢].

(٥) وفى ذلك يقول تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١] .

الحوض الذى بناه المسلمون قائلا: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه !

(فيتصدى) له حمزة بن عبد المطلب ﷺ فيضربه ضربة تطير نصف ساقه .

(ومع) ذلك فقد حبا إلى الحوض يبغى اقتحامه، فتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه، الأمر الذى استشاط غضب المشركين وأثار حميتهم، فاندفع منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ..

(فبرز) لهم للقائهم فتية من الأنصار .

(فقالوا): يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال الرسول ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا على .. فبارز عبيدة عُتبية، وبارز على الوليد، وبارز حمزة شيبة .. فقتل حمزة شيبة، وقتل على الوليد، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الأخر، فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة وأجهزا عليه [1] ثم احتملا صاحبهما إلى رسول الله ﷺ الذى أفرشه قدمه حتى أسلم الروح .

(وكان) هذا المشهد البطولى سببًا فى إنفجار الكفار الذين أخذوا بعد ذلك يمطرون المسلمين بوابل من سهامهم، فحمى الوطيس، وتهاوت السيوف، وتصايح المسلمون: أحد أحد . فأمرهم الرسول ﷺ بأن يكسروا هجمات المشركين، وهم يرابطون فى مواقعهم، وهو يقول لهم: (إن اكتنفكم القوم [2] فانضحوهم عنكم بالنبل، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا) .

* (ولهذا) عندما اتسع نطاق المعركة: واقتربت من قمتها كان المسلمون قد استنفذوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة، والنبى فى عريشه يدعوا الله ويرقب بطولة رجاله، ثم يخرج إليهم محرضًا فيقول: (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة) .

* (ومرة) أخرى يخفق فى العريش قائلا: (أبشر يا أبا بكر .. أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع [3]) .

---

(١) أى قتلاه .

(٢) أى اقتربوا منكم .

(٣) أى الغبار الساطع .

*(فيتحمس) المسلمون ويستبشروا بنصر الله ويقاتلون بكل شجاعة واستبسال إلى أن تنتهى المعركة الخالدة بهزيمة المشركين بعد أن انكسرت شوكتهم وسقطت رايتهم وهم يفرون أمام الأسود بقيادة زعيمهم وقائدهم– صلوات الله وسلامه عليه – .

*(وقد) قتل فى هذه الغزوة من المشركين سبعون صنديدًا من رءوس الكفر بمكة منهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وأبو جهل ابن هشام – عليهم جميعًا لعنة الله – .

*(وأُسِرَ منهم) كذلك سبعون أما الباقى بعد القتل والأسر:

فقد فر عائدًا إلى مكة، يجر أذيال الخيبة، و متوجًا بالخزى والعار .

*(أما المسلمون): فقد استشهد منهم فى هذه الغزوة أربعة عشر رجلًا .

*(ويعود) الرسول ﷺ مع أصحابه المنتصرين بعد ذلك إلى المدينة المنورة يسوق أمامه الأسرى والغنائم فخورا بنصر الله وتأييده ..

(وقد) سجل الله – تبارك وتعالى – هذا فى قرآنه الكريم .. فقال: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** (1) **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٩، ١٠] كما سجل الله – تبارك و تعالى –كذلك بعد ذلك تثبيته مع ملائكته للمؤمنين فقال فى سورة الأنفال: ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفرو الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** (2) ﴾ [الأنفال: ١٢] .

**(وهكذا) أيها الأخوة المسلمون .. كان نصر الله المؤزر لعباده المؤمنين فى (غزوة بدر الكبرى)،والتى كان قائدها أفضل خلق الله – صلوات الله وسلامه عليه – كما كان أبطالها هم الرجال الحقيقيون الذين بايعوا رسول الله ﷺ على

---

(١) أى يتلو بعضهم بعضا .

(٢) أى كل طرف ومفصل .

النصر أو الإستشهاد فى سبيل الله رب العالمين الذى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٣٨-٤١].

** (فلنكن) أيها الإخوة المسلمون كهؤلاء المؤمنين المشار إليهم فى تلك الآيات ..

(ولنكن) كذلك من الذين يحققون تلك المقومات المشار إليها فيها .. حتى نستحق نصر الله .. فى كل زمان ومكان .

وأما عن:

فتح مكة

الذى كان فى أواخر السنة الثامنة من الهجرة، فى ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك .

*(وكانت) قريش قد نقضت عهدها فى صلح الحديبية، فهاجمت مع حلفائها من بنى بكر قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين، لدرجة أن بنى بكر الذين كانت تعينهم قريش بالسلاح هاجموا خزاعة فى داخل الحرم عندما انحازوا إليه للإحتماء به – حيث لا يجوز القتال – فأصابوا منهم رجالًا .

(ففزعت) خزاعة لما حل بها وأرسلت إلى رسول الله ﷺ عمرو بن سالم يقص عليه نبأها ..

(وهناك) وبين يدى الرسول ﷺ قال عمرو شعرًا باكيًا بقوله مخاطبًا رسول الله ﷺ:

إن قريشًا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لى فى كداءٍ رصدا ... وزعموا أن لست ادعوا أحدا

وهـــــم أذل وأقـــــل عـــــددا هـــم بيتونـــا بـــالوثير هجـــدا
فقتلونا ركعًا وسجدًا

*(وما كاد) عمرو ينتهى من كلامه هذا حتى قال له الرسول ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم ..**» .

*(وكانت) قريش قد أحست بعد بفوات الأوان بخطئها، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة نائبًا عنها ليصلح ما أفسده قومه ويحاول أن يعيد الأمر إلى ما كان عليه ولكنه عاد بعد ذلك يجر أذيال الخيبة بعد أن رفض الرسول ﷺ مقابلته ..

(وباختصار) .. كان النبى ﷺ قد أمر الناس بأن يتجهزوا وأعلمهم أنه سائر إلى مكة، وهو يوصيهم بالجد والبدار داعيًا الله تعالى قائلا: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) .

** (وفعلا) وفى ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك غادر الرسول ﷺ المدينة المنورة على رأس جيش مكون من عشرة ألاف مقاتل لنصرة المظلوم وَردَع الظالم، وكُله أمل فى نصر الله تعالى وتأييده ..

**(وباختصار) دخل الرسول ﷺ مكة راكبًا راحلته منحنيًا على رحله تواضعًا لله، وشكرًا وأسامة بن زيد من ورائه .

(وكان) ذلك فى صبح الجمعة لعشرين يومًا خلت من شهر رمضان، وبعد أن استراح قليلًا فى قبة كانت قد نصبت له فى الجحون، سار بعد ذلك وبجانبه أبو بكر، يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى وصل إلى البيت الحرام وطاف حوله سبعا على راحلته وكان حول الكعبة حينذاك ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل – عليه الصلاة والسلام – يطعنها بعود فى يده وهو يقول: ﴿ **قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾ [سبأ: ٤٩] .

(ثم) أمر بها فأخرجت من البيت العتيق حتى يؤدى رسالته التى من أجلها رفع إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – قواعده، وهى عبادة الله الواحد الأحد الذى: ﴿ **لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ [سورة الإخلاص: ٣، ٤] .

* (ثم بعد ذلك): وبعد أن دخل الكعبة وكبر فى نواحيها، وصلى فى مقام إبراهيم - عليه السلام -، وشرب من ماء زمزم جلس فى المسجد، فإذا بالعيون شاخصة إليه، والناس حوله ينظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين كادوا له ولأصحابه .. وبعد أن مكنه الله منهم ..

(فكان) لابد لهذا الرسول العظيم الذى أرسله الله ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . أن يقدم الشكر لله تعالى على تمكينه منهم بالعفو عنهم عند القدرة عليهم .. لقد نظر إليهم وهم يرتعدون أمامه ثم قال لهم: «**ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرًا .. أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء**[1]».

*(فكان) من أهم نتائج العفو الكريم والخلق العظيم: أن دخل أكثرهم: ﴿..فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [سورة النصر: ٢].

**(فلنكن) نحن كذلك كمؤمنين صادقين من المقتدين برسول الله ﷺ فى هذا العفو الشامل .. الذى هو من شِيَم الكرام ..

**(وأما) عن أعظم انتصار إسلامى عربى حدث فى العصر الحديث – وفى النصف الثانى من القرن العشرين – وفى اليوم العاشر من رمضان[2] عام ١٣٩٣هـ، وهو:

عبــور الهزيــمة

الذى كان لابد منه حتى يرفع كل مسلم رأسه بعد النكسة التى كانت عام ١٩٦٧ م والتى ما كانت إلا بما كسبت أيدينا، لقد شاء الله تعالى لنا فى هذا اليوم الأغر[3] وبعد ست سنوات عجاف .. ذقنا فيها مرارة الذل والهوان .. إلى أن أكرمنا الله تعالى بالعبور الذى كان من بركات شهر رمضان المبارك .. شهر الإنتصارات والبركات والرحمات ..

---

(١) أى الأحرار

(٢) الموافق ٦ من أكتوبر ١٩٧٣ م .

(٣) أى المبارك .

(كما) أكرمنا الله تعالى كذلك بعبور آخر لا يقل أهمية عن العبور الأول .. ألا وهو:

عبور ترعة السلام

من تحت قناة السويس إلى سيناء الحبيبة لكى تحيلها من أرض صفراء لا زرع فيها ولا ماء إلى جنة خضراء فيحاء [1]

(وستكون) – إن شاء الله تبارك وتعالى – سدًا منيعًا وحصنًا حصينًا فى مواجهة الأعداء ... ببركة تواجدنا وجهادنا فى كل شبر فيها ..بكل جد وإخلاص .. _ إن شاء الله – .

اللهم حقق لنا الآمال .. وبارك فى جميع الرجال المؤمنين الأبطال .. يا رب العالمين ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى مزدهرة بالخضرة – إن شاء الله – .


خطب شهر رمضان
الخطبة الرابعة
((العشر الأواخر من رمضان))



الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [الدخان: ١-٣].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه – فى حديث رواه البخارى ومسلم أنه – صلوات الله وسلامه عليه –: " كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر [1] " وفى رواية مسلم: " كان يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره " وروى الترمذى وصححه عن على قال: " كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله فى العشر الأواخر، ويرفع المئزر".

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الذين تمسكوا بسنته واقتدوا به – صلوات الله وسلامه عليه – فى أقواله وأفعاله .. وأحواله .. فكانوا هداة مهديين، وقادة مرشدين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) فى الجمعة الرابعة من شهر رمضان المبارك التى رأيت أن أدور معكم فيها حول العشر الأواخر من رمضان، التى فيها ليلة واحدة ﴿ .. خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣] فيها ليلة القدر .

(ألا) وهى ليلة القدر .. التى أنزل الله القرآن فيها ﴿ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهى: أفضل ليالى السنة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ [2] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ١-٣]

---

(١) كناية عن اعتزاله النساء .

(٢) أى القرآن .

أى: أن العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

(ويستحب) طلبها فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان .

(فقد تكون) فى ليلة الحادى والعشرون، أو ليلة الثالث والعشرين، أو ليلة الخامس والعشرين، أو ليلة السابع والعشرين، أو ليلة التاسع والعشرين ..

(ومن) العلماء من قال: إنها تنتقل فى ليالى الوتر من العشر الأواخر .

(وأكثرهم) على أنها ليلة السابع والعشرين .

(فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **من كان متحريها فليتحرها ليلة السابع والعشرين** » رواه أحمد بإسناد صحيح .

(وعن) أبى ابن كعب رضي الله عنه أنه قال: (والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان – يحلف ما يستثنى – ووالله إنى لأعلم أى ليلة هى، هى الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هى ليلة سبع وعشرين، وأماراتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها)رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وصححه .

(بل) هناك إشارات فى سورة القدر ترجح هذا:

(فأنت) مثلا إذا قرأت سورة القدر إلى قوله تعالى: ﴿ .. **سلام هى** .. ﴾ فإنك إذا عددت كلماتها إلى كلمة (هى) ستجد أنها عبارة عن سبعة وعشرين كلمة، وأن (هى) تساوى رقم ٢٧، وكذلك لو ضربت حروف كلمة (ليلة القدر) التى ذكرت فى السورة ثلاث مرات، فى ثلاث ستجد أن الرقم هو رقم سبع وعشرين [1] .

(مع) ملاحظة: أن القدر فى اللغة يطلق على معان:

(منها) الشرف وعظم الشأن، ومنها تقدير الأشياء وتحديدها، وضبط صفتها وأحوالها، فهى الليلة المباركة التى أنزل الله تعالى القرآن فيها جملة واحدة من اللوح المحفوظ – فى السماء السابعة – إلى السماء الأولى فى بيت يسمى بيت العزة ثم صار سيدنا جبريل ينزل به منجمًا حسب الأحداث .. طوال مدة الرساله .. أى: إلى أن

---

(١) لأن حروف كل كلمة هى (تسعة) × ثلاثة .

إنتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه بعد أن أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وكان هذا كذلك بعد أن بلغ الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – رسالة ربه، وأدى الأمانة، وهدى الأمة، وكشف الغُمة .. وتركنا على المحجة البيضاء .. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

(وليلة) القدر: هى التى يطلع الله فيها ملائكته على ما قدر للناس من آجال وأرزاق، وما عليهم تنفيذه فى العام التالى، من ضبط سائر أمور الكائنات ..

(وقد) أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] .

* (وهى) سلام على المؤمنين حتى مطلع الفجر بصورة متجددة مع الأيام فى كل عام، كما تدل صيغة المضارع فى قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ[1] فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٤، ٥] .

ليكون فى ذلك إرهاص لهم بأن الإسلام سلام عليهم طوال العمر، ومدى الدهر ما أطاعوا الله ورسوله، واتبعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه ..

(هذا) بالإضافة إلى أنها: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وقد قرأت حول توضيح هذا. أن رجلًا من بنى إسرائيل كان قد جاهد فى سبيل الله لمدة ألف شهر متواصلة .. لدرجة أن عرق جواده ما كان يجف بسبب مواصلة الجهاد .

(فلما) أخبر الرسول ﷺ الصحابة بخبر هذا الرجل المجاهد .. تعجبوا وقالوا: وأنى لنا بعمر هذا الرجل حتى نجاهد مثله لمدة ألف شهر متواصلة [2] .. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أى: أن ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن خير من الألف شهر التى جاهد فيها بصورة متواصلة ..

*(وحسبك) أيها الأخ المسلم .. حتى تقف على جلال قدر ليلة القدر، وتعظيم

---

(١) وهو سيدنا جبريل – ﷺ – .. كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ نزل به الروح الأمين﴾.

(٢) لأن الألف شهر تساوى بالسنين = ٨٣، و أربعة أشهر وقيل من أمة محمد ﷺ من يعيش هذا العمر .

شأنها: أن تلاحظ أن الله – سبحانه وتعالى – قد عبر عنها بالإستفهام الدال على جلالها فى قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ وأن كلمة (القدر) ذكرت فى السورة ثلاث مرات .

**(ولهذا) كان النبى ﷺ كما سمعنا – قبل هذا –: " إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر " ..

(وهذا) معناه أنه من الخير لنا نحن المؤمنين – إن شاء الله – أن نقتدى برسول الله ﷺ فى إحياء ليالى العشر الأواخر من رمضان .

(ولا سيما) الأوتار منها . حتى لا نحرم من إحياء ليلة القدر التى ينبغى أن يكون إحياؤها بتلاوة القرآن، الذى أنزل فيها .. بالإضافة إلى الحرص على حضور الجماعات .. وصلاة القيام [1] .. والإستغفار حتى مطلع الفجر ..

(فقد) ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» .

(كما) ورد كذلك عنه –صلوات الله وسلامه عليه – أنه قال: «**أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله – عز وجل – عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم الخير كله**» [2] .

* (كما) ورد كذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله .. أرأيت إن علمت أى ليلة – ليلة القدر – ما أقول فيها ؟ قال: «**قولى: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى**» [3] .

**(هذا) ملاحظة: ما أشار إليه الإمام الشيخ محمد عبده .. حيث يقول:

(وللناس خيالات فى ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال فضلًا عن الراشدين من الرجال، فكل ما حفظوه عنها أن تكون لهم ساعة مستمرة يتحدثون فيها بما لا ينظر الله إليه، ويسمعون شيئًا من كتاب لا ينظرون فيه، ولا يعتبرون بمعانيه، بل

---

(١) أى التراويح .
(٢) رواه النسائى والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعًا .
(٣) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه .

إن أصغوا إليه فإنما يصغون لنغمة تاليه، ونسوا أنها ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين ..)

** (وأقول) بل هناك من البُسَطَاء من يظن أن ليلة القدر تظهر لبعض الناس من المحظوظين .. فى صورة طاقة من النور .. وأن الذى سيراها .. لو طلب أى شيء من المتاع أو المال .. فإنه سيكون بين يديه .. إلى آخر تلك الخرافات التى لا تمت إلى ليلة القدر بصلة ..

** (فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام..وإياك إياك أن تكون من هؤلاء المخرفين الغافلين ..

(وكن) على عكس هذا من الذين سيحرصون على إحياء تلك الليلة بطاعة الله – تبارك وتعالى – وأنت تسأله – سبحانه وتعالى – أن يوفقك ..

** (واعلم) أنه كما يسن للمسلم إحياء العشر الأواخر من رمضان لتحقق ليلة القدر فى واحدة منها:

(فإنه) يسن كذلك الإعتكاف فى المسجد – اعتكافًا كليًا – فى العشر الأواخر من رمضان ..

(أعنى) بهذا أن يقيم الأخ المسلم فى بيت من بيوت الله بنية حبس النفس على طاعه الله وملازمة بيته، تدريبًا على طاعته لمولاه، وبعدًا لنفسه عن الشهوات الدنيوية ..

(ويشترط) لتحقيق هذا أن يدخل المسجد ليلة الحادى والعشرين .. ولا يخرج منه إلا بعد ثبوت رؤية هلال شهر شوال ... أو بعد مغرب اليوم الثلاثين من رمضان ..

(وقد) روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان "[1] .

والله ولى التوفيق .

---

(١) وهناك شروط لابد وأن يقف الأخ المسلم الذى يريد أن يعتكف عليها .. فى كتب الفقه المطولة . والتى منها الدين الخالص ج٨ من ص٤١٧ إلى آخر الكتاب فعلى الأخ المسلم أن يدرس كل هذا الخير قبل أن ينفذه ..


خطب شهر رمضان
الخطبة الخامسة
((زكاة الفطر، وأهم سنن العيد))

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه « **فرض .. زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو الرفث وطعمة للمساكين**» وأن: « **من أداها قبل الصلاة – أى قبل صلاة العيد – فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات** » [1] .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الذين زكوا فأفلحوا . ثم صلوا بعد أن ذكروا الله وصاموا وقاموا .. فكانوا هداة مهديين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى الخطبة الأخيرة من شهر رمضان المبارك .

(وهذا) معناه أن شهر الصيام يجهز نفسه الآن للعودة إلى الله تعالى .. بعد أن عشنا معه طوال أيامه ولياليه بأرواحنا وبكل مشاعرنا الإيمانية .

(فمن) يا ترى سيشهد له عند ربه بأنه صام وقام وأحسن لله تعالى فيه الصيام والقيام .. أو صام وقام ولم يُتَقَبَّل منه صيام ولا قيام .. لأنه صام عن الطعام والشراب فقط .. أما جوارحه فلم تصم عن الآثام .

(وهذا) معناه كذلك أن الصيام عندما سيعود إلى ربه ..

---

(١) والحديث كما رواه عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما

– أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى . والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(فإنه) ينبغى علينا نحن المؤمنين أن نتعظ برحيله .. وأن نذكر دائما وأبدا ونذكر غيرنا بأننا سنرحل - إن عاجلًا أو آجلًا - كما رحل أو كما سيرحل شهر الصيام بعد انتهاء أجله .. لأن الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: من الآية ٣٨] .

وما الحياة إلا أعمار، وما الأعمار إلا أعوام، وما الأعوام إلا شهور، وما الشهور إلا أيام، وما الأيام إلا ساعات، وما الساعات إلا دقائق، وما الدقائق إلا لحظات تحصيها ملائكة كرام .

(وإن) الله -تبارك وتعالى - كما يقول الإمام الغزالى - عليه رحمة الله - خلق الإنسان من نوعين .. من جسد وروح . وجعل الجسد منزلا لتلك الروح لتأخذ زادًا لآخرتها لمدة من هذا العالم .. وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد .. وآخر تلك المدة هو أجل هذه الروح .. فإذا الأجل فُرق بين الروح والجسد .

** (ولهذا) فقد رأيت بعد ذلك التقديم الهام .

أن يكون حديثى معكم حول:

زكاة الفطر

التى تسمى بزكاة الرءوس .. والتى أضيفت إلى الفطر لكونها تجب بالفطر من رمضان .. وهى عطية يُقصد بها وجه الله تعالى وثوابه .

(وقد) شرعت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .. كما فرضت فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة .. (على كل نفس من المسلمين حُرٍ أو عبدٍ أو رجلٍ أو امرأةٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير) [1] .

(وهى) واجبة عند الحنفيين لأنها ثبتت بدليل ظنى وإن ورد فى الحديث بلفظ فرض، لأن معناه قدر . والراجح أنها واجبة على الفور يوم عيد الفطر - وقبل

---

(١) الحديث بتمامه ، وأوله: (فرض زكاة الفطر من رمضان ..) أخرجه مالك والنسائى ومسلم وهذا لفظه .

(مع) ملاحظة أن يكون هذا الصاع الذى سيزكى به .. زائدًا عن قوته وقوت عياله فى يوم وليلة .. وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد .. قال الشوكاني: وهذا هو الحق وعند الأحناف لابد من ملك النصاب (هامش فقه السنة) ج٣ .

صلاة العيد – لأنها شرعت لإغناء الفقير عن السؤال يوم الفطر، وفى التأخير تفويت لهذا الغرض السامى . فوجوبها مقيد لا مطلق .

(قال) مالك والشافعى وأحمد والجمهور: زكاة الفطر فرض (لحديث) نافع عن ابن عمر:" أن النبى ﷺ أمر بزكاة الفطر صاعا من التمر، أو صاعًا من شعير".

(وأصل) الأمر الوجوب، والواجب والفرض عندهم بمعنى وهو ما طلب فعله طلبًا جازمًا بدليل قطعى أو ظنى .

**(وحكمتها) أنها تطهير للصائم بما وقع منه – أثناء صيامه – من اللغو والرفث، ولكونه عونًا للفقراء على كفايتهم يوم العيد كما أشار الحديث الذى وقفنا عليه فى مقدمة الخطبة .. والذى مضمونه .. أن النبى ﷺ فرض علينا زكاة الفطر طهرة لنا كصائمين من اللغو [1] والرفث [2] وطعمة للمساكين .

(وهذا) أمر لابد وأن نكون على مستوى التفكير فيه والحرص على تنفيذه .

(قبل) صلاة العيد .. حتى نرى إخواننا الفقراء وأبناءهم .. وقد استغنوا مثلنا عن سؤال الناس .. وبهذا يتحقق المعنى المراد من كلمة (عيد) وقد ورد كذلك فى الحديث الشريف: «**أغنوهم عن طواف هذا اليوم**» [3] .

(وتجب) بطلوع فجر يوم الفطر عند الحنفيين والليث وهو رواية ابن القاسم عن مالك: لأنها قربة تتعلق بيوم الفطر فلا تتقدم عليه كالأضحية .

(وقال) الشافعى وأحمد والثورى: تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان، وهو رواية أشهب عن مالك لأنها تضاف إلى الفطر فتجب به .

**(وأما) عن وقت أداء زكاة الفطر: فهو جميع العمر عند الأئمة الأربعة والجمهور ولا تسقط بالتأخير عن يوم الفطر، لأن الأمر بأدائها مطلق عن الوقت

---

(١) اللغو: ما فائدة فيه من القول أو الفعل .

(٢) الرفث: فاحش القول .

(٣) رواه البيهقى وروى البيهقى والدارقطنى عن ابن عمر قال: " فرض رسول الله – ﷺ - زكاة الفطر، وقال: (أغنوهم فى هذا اليوم) .

فتؤدى فى أى وقت، وإنما يتعين بالأداء أو بآخر العمر وفى أى وقت أدى كان مؤديًا لا قاضيًا كما فى سائر الواجبات الموسعة .

(غير) أن المستحب أن يخرجها قبل الخروج إلى المصلى لأن النبى ﷺ كان يفعل ذلك ويأمر به .

(روى) نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ : " كان يأمر بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر " أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح .

* (وتأخيرها) عنه بلا عذر حرام: عند الأئمة الأربعة والجمهور، لأنها زكاة واجبة لإغناء الفقراء فى هذا اليوم .. فكان فى تأخيرها إثم ولا تسقط بالتأخير .. خلافًا لبعضهم .

* (ويجوز) تقديمها ولو قبل رمضان ولعدة سنين على الصحيح عند الحنفيين لتحقق سبب الوجوب وهو رأس يمونه ويلى عليه، فصار كإخراج الزكاة بعد وجوب النصاب .

(وعند) الشافعى: يجوز تعجيلها بعد دخول رمضان لا قبله .. لأنه صدقة الفطر، ولا فطر قبل الشروع فى الصيام

وقال بعض الحنفية: يجوز تعجيلها فى النصف الأخير من رمضان .

وقال مالك والكرخى: يجوز تقديمها يومًا أو يومين قبل العيد وهو مشهور مذهب أحمد لقول: ابن عمر رضي الله عنهما : " أمرنا رسول الله ﷺ بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة " قال نافع: " وكان ابن عمر يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين " أخرجه أبو داود والدارقطنى .

** (وأما) عن الواجب فى زكاة الفطر وقدره:

(فهو) نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير، أو زبيب عند الحنفيين لقول عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ بعث مناديًا فى فجاج المدينة: " ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى حر أو عبد، صغير أو كبير، مُدان من قمح، أو صاع مما سواه من طعام " أخرجه الدارقطنى والترمذى وقال حديث غريب .

** مع ملاحظة: أن مقدار الصاع هو: قدحان بالكيل المصرى، أو أربعة أمداد.

(والمد) حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين .

(وهو) رطل وثلث بالعراقى عند مالك والشافعى وأحمد وفقهاء الحجاز ،وأبى يوسف .. فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثا [1] .

**(وقال) أحمد: يجب فى الفطرة صاع من البر والشعير يخير فى الإخراج من أيها إن وجدت، و إلا أخرج من المقتات من حب أو تمر وهو قول للشافعى، ويخرج الأقط [2] فى رواية لأحمد .

(لقول) أبى سعيد الخدرى ﵁ : " كنا إذا كان فينا النبى ﷺ نخرج زكاة الفطر عن كل صغير حرٍّ أو مملوكٍ: صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من زبيب، فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية حاجًا أو معتمرًا فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال: إنى أرى أن مدين من سمراء الشام تعدل صاعًا من تمر: فأخذ الناس بذلك " .

قال أبو سعيد: " فأما أنا فلا أزال أخرجه أبدًا ما عشت " أخرجه السبعة وقال الترمذى حسن صحيح: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم .. يرون من كل شيء صاعًا، وهو قول الشافعى وإسحاق .. وقال بعض أهل العلم: يجب من كل شيء صاعًا إلا البر فإنه يجزئ نصف صاع . وهو قول سفيان وابن مالك، وأهل الكوفة " [3] .

**(وقد) جوز أبو حنيفة إخراج القيمة [4] .. لأنها أنفع للفقير .. ولا سيما فى الحضر .. الذى لن يتمكن فيه من طحن أوخبز .

(أما) فى الريف فإن هذا بالنسبة له سيكون ممكنًا .

---

(١) ارجع إلى تفصيل كل هذا فى الجزء الثامن من (الدين الخالص) ج٨ ص ٢٠١ .

(٢) وهو لبن مجفف لم ينزع زبده .

(٣) انظر الدين الخالص ج٨ ص ١٩٨ – ٢٠٤ ..، (فقه السنة) ج٣ ص ١٤٩ وما بعدها .. بتصرف .

(٤) أى قيمة الحبوب فى زكاة الفطر .. لأنها أنفع للفقير ولاسيما فى الحضر .

(هذا) بالإضافة إلى أنه قد يكون فى أشد الحاجة إلى القيمة النقدية التى بها سيستطيع أن يشترى بها أو منها: لحما، أو كسوة له ولأهله .. وربما كان فى أشد الحاجة إليها لكى يسد بها أو منها بعض ديونه .. أو لشراء علاج له أو لأحد أفراد عائلته ...

(فنرجوا) أن نلاحظ كل هذا بدون تعصب أعمى .. لا يمت إلى الصواب بصلة.

(أيضًا) مع ملاحظة أن زكاة الفطر يخرجها المسلم عن نفسه وعن كل من يعول (ويعطيها) للأصناف الثمانية المذكورة فى الآية: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ [الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة] بصفة عامة ..

(وبصفة) خاصة: تعطى للأقرباء والمساكين .. وهم أولى ..

(فتعطى) مثلا: للأخ الفقير، والأخت الفقيرة، والعم والعمة، والخال والخالة .. والفقراء من ذرياتهم وأحفادهم .. وهم أولى .

(ولكن) لا تعطى للأب وإن علا، والإبن وإن سفل [1] .

(لأن) المزكى مطالب بالإنفاق عليهم – إذا كانوا فقراء [2] – شرعا وقانونا .

* (وأيضا) مع ملاحظة: أنه من الأفضل أن تخرج الزكاة فى البلد الذى صمت فيه .

(ولكن) يجوز نقلها إلى القرية إذا كان هناك قريب فقير ترى أنه أولى بها أو بعضها .

(حتى) ولو كان هذا بعد صلاة العيد .. إذا كنت ستسافر بعد ذلك .

(أو) إذا كان فلان من الأقرباء الفقراء سيأتيك بعد الصلاة لكى يهنئك بالعيد.. فإنه لا مانع من عزلها له عن مالك حتى إذا ما جاء اعطيته إياها .. فإن كل هذا سيكون جائزًا – إن شاء الله – .

**(وأما) عن أهم السنن التى ينبغى عليك – كرجل – أن تلاحظها قبل خروجك إلى مصلى لعيد:

(فأولها): استحباب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب:

---

(١) أى لا يعطى للأباء ولا للأجداد ولا للأبناء ولا للأحفاد على سبيل الزكاة .. ولكن تعطى لهم على سبيل البر والإنفاق .. وطوال العام وليس فى رمضان ولا فى العيد فحسب ..

(٢) أى: وكذلك الأجداد والأحفاد .

(فعن) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ "كان يلبس حبرة [1] فى كل عيد " رواه الشافعى والبغوى .

(وقال) ابن القيم: " وكان ﷺ يلبس لهما أجمل ثيابه وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة".

(وثانيها): الأكل قبل الخروج فى الفطر دون الأضحى:

(قال) أنس رضي الله عنه : " كان النبى ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا [2] " رواه أحمد والبخارى .

(وثالثها) أنه من السنة أن تؤدى صلاة العيد .. خارج البلد، وهذا أفضل .. ما عدا المسجد الحرام فإن صلاة العيد فيه أفضل ..

(وأيضا) تجوز صلاة العيد فى المسجد إذا كان هناك عذر كمطر .. ونحوه .

(لأن) رسول الله ﷺ كان يصلى العيدين فى المصلى ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة لعذر المطر .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه : " أنهم أصابهم مطر فى يوم عيد فصلى بهم النبى ﷺ صلاة العيد فى المسجد "رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وفى إسناده مجهول.

** (وكذلك) يشرع خروج الصبيان فى العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب، والشابة والعجوز، والحائض (لحديث) أم عطية قالت: " أمرنا أن نخرج العواتق [3] والحُيض فى العيدين يشهدان الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحُيض المصلى " متفق عليه .

*(على) أن يجلسن خلف صفوف الرجال دون التحام .. فيصلين ويستمعن إلى الخطبة باستثناء:

(الحُيض) فإنهن لا يصلين ولا يجلسن فى داخل المصلى ..

---

(١) نوع من برود اليمن .
(٢) لأن الله وتر يحب الوتر .
(٣) العواتق: أى البنات الأبكار .

(بل) عليهن أن يجلسن خلف النساء .. وخارج المصلى حتى يستمعن فقط إلى الخطبة .

** (وقد) ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والرجوع من طريق آخر سواء كان إماما أو مأموما [1] .

* (فعن) جابر رضي الله عنه قال: " كان النبى ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق " رواه البخارى .

** (والحكمة) فى هذا – والله أعلم – حتى يشهد لك الطريقان اللذان سلكتهما فى غدوك ورواحك وحتى تعود إلى بيتك مغفورا لك – إن شاء الله – مع الفوز بثواب السُّنة ...

والله ولى التوفيق .

---

(١) ويجوز الرجوع في الطريق الذي ذهبت فيه إلى المصلى ... (فقه السنة) ج ٢ ص ٢٨٦-٢٨٩ .



«خطبة عيد الفطر المبارك والتذكير بحقيقة العيد»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى تفضل علينا بنعمه التى لا تحصى ولا تعد.. و التى من أَجَلِّها فعل الطاعات.. وترك المنكرات: بحفظه وعونه وتوفيقه.. فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّـهِ﴾ [النحل: ٥٣]. والقائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى كان ولا يزال سببا فى كل خير وفلاح.. وصلاح ونجاح..

(وذلك) بما أنزله الله – تعالى – عليه من الذكر الحكيم.. الذى به صمنا وقمنا.. وزكينا وصلينا..

(وكنا) لهذا، أو بسبب هذا من المؤمنين الصادقين الذين يستحقون التهنئة بالعيد فى هذا اليوم المبارك السعيد.

(وكنا) لذلك كذلك من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّـهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعًا فى يوم عيد الفطر المبارك الذى قبله وفى مساء الأمس القريب.. ودعنا شهرا كريما عزيزا علينا جميعا – كمؤمنين – ألا وهو ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. والذى كنا نتمنى – كذلك كمؤمنين – أن يطول مقامه بيننا.. لأنه الشهر العظيم المبارك الذى: (من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن) إلى آخر ما استمعنا إليه طواله..

(ولكن) تلك سنة الله فى خلقه.. فهو القائل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

(والسؤال) الذى أريد أ، أطرحه الآن:

(أولا) على نفسى، ثم على كل واحد منكم هو: أن نسأل أنفسنا هل كنا فعلا طوال أيام شهر رمضان المبارك وفى كل ليلة من لياليه.. من الذين صاموا وقاموا وأحسنوا لله تعالى فيه الصيام والقيام ؟ أم كنا على عكس هذا من الغافلين المفرطين؟ وهل كنا من الذين اغتنموا كل لحظة من عمر هذا الشهر – سواء كان هذا ليلا أم نهارا، و هل كنا من هؤلاء الذين أكثروا من ذكر الله تعالى بصفة عامة، ومن قراءة القرآن بصفة خاصة.. ومن حضور الجماعات. والإكثار من الصدقات؟ أم كنا على عكس هذا – والعياذ بالله – من هؤلاء الخاسرين الذين ضحك الشيطان عليهم.. فكانوا بسبب هذا من الذين ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

(إنك) أيها الأخ المسلم تستطيع أ، تجيب عليكل تلك التساؤلات الهامة بالإضافة إلى غيرها – بكل صدق لأنك أدرى بنفسك..

(ولأن) الله تعالى يقول: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤].

(فإذا) كانت الإجابات – إن شاء الله – بالإيجاب بالنسبة للجزء الأول من كل سؤال.. فأنت – إن شاء الله – من الذين نستطيع أن نهنئ أنفسنا بعيد الفطر المبارك الذى سنخرج من مصلاه – إن شاء الله – بالجائزة العظيمة التى يوزعها الله – تعالى – علينا الآن تفضلا منه – سبحانه وتعالى –.

(فقد) ورد أن يوم عيد الفطر يسمى فى الأرض بيوم العيد.. ويسمى فى السماء بيوم الجائزة.. يقول الله – تبارك وتعالى – لملائكته فى هذا اليوم المبارك: (يا ملائكتى ما جزاء الأجير إذا عمل له ؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا: جزاؤه أن يأخذ أجره، فيقول الله – تبارك وتعالى –: أشهدكم يا ملائكتى.. أنى قد جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى.. ثم يقول سبحانه وتعالى وقد نظر إلى المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان: سلونى يا عبادى.. فوعزتى وجلالى.. لا

تسألونى اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم.. قد أرضيتموني فرضيت عنكم.. إنصرفوا مغفورا لكم).

** (وهذا) هو ما أشار إليه الرسول ﷺ فى حديث رواه الطبرانى عن عبادة يقول فيه: «**أُعْطِيَتْ أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى؛ أما الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا، أما الثانية: فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة، وأما الثالثة: فإن الله يأمر جنته يقول لها: تزينى لعبادى الصائمين، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى، وأما الرابعة: فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك، وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا، فإن العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفوا أجورهم**».

(فإذا) كنت أخا الإسلام قد فزت بكل تلك الامتيازات التى اختصنا الله تعالى بها (ولا سيما) بالنسبة للخامسة: فإنك الآن بسبب هذا تعيش مع الفرحة الأولى المشار إليها فى نص الحديث الصحيح الذى يقول فيه حبيبنا المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: «**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا فطر فرح بفطره**»[1] أى: فرح فى يوم الفطر لأنه قد استطاع أن يجتاز شهر الصيام بنجاح[2] «**وإذا لقى ربه فرح بصومه**» أى: ولسوف يفرح هناك عند الله –تبارك وتعالى– الفرحة الكبرى مع الصائمين والصائمات كما يشير الله تعالى إلى هذا مؤكدا إياه فيقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(هذا) بالإضافة إلى أنك أيها الأخ المسلم الذى وفق فى صيامه وقيامه: سندخل الجنة من باب الريان:

---

(١) و الحديث بتمامه رواه أحمد ومسلم والنسائى.. وقد وقفنا عليه فى خطب رمضان السابقة.

(٢) وليس المعنى كما يفهم البعض: أنه فرح لأن رمضان قد مضى...

(فقد) روى البيهقى عن سهل مرفوعا عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين اللصائمون ؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد**» وأيضا، فإن الصيام والقرآن سيشفعان لك يوم القيامة:

(فعن) عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى** [1] **رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه: فيشفعان**» رواه أحمد بسند صحيح.

**(فليكن) كل هذا مبعث فرحة لك الآن فى هذا اليوم المبارك – يوم عيد الفطر– وإذا أردت أن تستمر فى فرحتك...:

(وأعنى) بهذا: إذا أردت أن تكون كل يوم فى عيد يكون سببا فى فرحتك الدينية الدائمة.. فإنه حسبك أن تستمع معى إلى هذا النص الآتى.. الذى أرجو أن تذكره على الدوام..

* (فلقد) ورد أ، رجلا دخل على أمير المؤمنين على – كرم الله وجهه – فى يوم عيد الفطر، فوجده يأكل خبزا فيه خشونة [2] فبكى الرجل.. ثم قال: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ – يريد أن يقول له: أحتى فى يوم عيد الفطر تأكل خبزا فيه خشونة ألا تجاملنا على الأقل فى يوم كهذا حتى نأكل مثلك – فيقول عليه رضوان الله -: (اليوم عيد من قُبل بالأمس صيامه وقيامه، عيد من غُفر ذنبه وقُبل صومه.. اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد.. و كل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد).

(وهذا) القول الحكيم هو الخلاصة الجامعة التى لابد وأن نتفق عليها حتى نستمر فى طاعة الله.. ولنفس الحماس الذى كنا نتمتع به فى شهر الصيام.. لأن رب رمضان هو رب جميع الشهور..

---

(١) أى حرف نداء، بمعنى يا رب.

(٢) أى لم يكن يأكل كعكا أو بسكويتا كهذا الذى شغل به كثير من الناس فى العشر الأواخر من رمضان (وربما) أدى فى بعض البيوت إلى طلاق المرأة.. تلك التى كانت تطالب زوجها بما لا يطيق من ثمن الدقيق والسكر والسمن.. إلى أخره حتى تتبارى مع جاراتها فى تلك الأمور التى لا تمت إلى سنن العيد بصلة..

(وإذا) كنا سنستمر فى طاعة الله:

(فإن) هذا سيكون معناه كذلك أننا قد انتفعنا فعلا بالصيام والقيام..

(أما) إذا كان العكس هو الصحيح – والعياذ بالله – فإن هذا سيكون معناه أننا لم ننتفع لا بالصيام ولا بالقيام..

(فلنحذر) أن نكون هكذا حتى لا نهدم كل ما بنيناه فى شهر رمضان.. وحتى يكون مثلنا كمثل هذا الذى كان يشرب الخمر قبل رمضان.. ثم عندما جاء رمضان امتنع عن شربه ثم بعد أن عاد رمضان إلى ربه.. قال للساقى:

رمضان ولّى هاتِها يا ساقى ... مشتاقة تسعى إلى مشتاق

(إن) مثل هذا.. لا يمكن أبدا أن يكون من أهل العيد. ولا يستحق أن يُهنأ بالعيد.. لأنه لا عيد إلا لمن صام وقام.. وعقد العزم على أن يكون مستمرا فى فعل الطاعات.. وترك المنكرات.. ولله در من قال: ليس العيد لمن تجمل بالجديد وقلبه على أخيه المسلم أسود.. ليس العيد لمن عقَّ والديه فحُرم الرضا فى هذا اليوم المبارك السعيد إنما العيد لمن خاف يوم التناد.. إنما العيد لمن اتقى مظالم العباد..

* (وليحذر) الأخ المسلم الوقوع فى شِباك شياطين الإنس والجن.. كما يحدث غالبا فى يوم العيد بتلك الصورة التى نسمع عنها من جانب الفساق الذين لا خلاق لهم.. من شرب ورقص حتى الصباح وحتى الثمالة.. مع الفتيات الخاسرات السافرات والغانيات والعاهرات..

(ولتحذر) الأخت المسلمة الخروج إلى المقابر فى يوم العيد الذى جعله الله للفرح والسرور لا للحزن والبكاء..

(وإذا) أردت ان توزع شيئا من الفطائر أو ما شابه هذا.. فلتوزعه على فقراء الحى الذى تعيش فيه..

(ولتطعمه) لأبنائها اليتامى الذين قد يكونون فى أشد الحاجة إليه..بدل أن تعطيه لهؤلاء المحترفين الذين يسيئون إلى القرآن وأهله..

(وإذا أردت أن تفعل خيرا لهذا المتوفى..فإنه حسبها أن تدعو له.. وهى فى قعر بيتها.. بالإضافة إلى الصدقة إذا كانت تملكها..

(وعليهـا) أن تكـون ملتزمـة.. وأن تحسـن تربيـة أولاده إذا أرادت أن تـدخل الفرحة عليه وهو فى قبره..

*(وعلى الإخـوة المسـلمين والأخـوات المسـلمات): أن ينفـذوا هـذا الحـديث الشريف، الذى يقول فيه – صلوات الله وسلامه عليه –: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**»[1].

والله ولى التوفيق.

---

(١) رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى عن أبى أيوب الأنصارى..
(وعند) أحمد أنها تؤدى متتابعة.. وغير متتابعة ولا فضل لأحدهما على الآخر.. وعند الحنفية والشافعية: الأفضل صومها متتابعة عقب العيد.


«خطبة أخرى
في عيد الفطر المبارك»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩، ١٠].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه المنزل عليه: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين الذين صاموا وقاموا، وأحسنوا لله – تعالى – الصيام والقيام.. وكانوا أيضًا من المتصدقين الذاكرين.. المحافظين على الصلوات الخمس وفى أوقاتها مع الجماعات، والذين كانوا بالإضافة إلى كل هذا فى رمضان وفى غير رمضان من المتخلقين بأخلاق المؤمنين الصادقين..فكانوا فى مثل يومنا هذا من الذين أكرمهم الله تعالى بمغفرته، ومن الذين – رضى الله عنهم وأرضاهم –.. وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –:

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا.. فى يوم عيد الفط رالمبارك.. الذى التقينا فى صبيحته.. وفى مصلاه لِكى نُكبر ونُكبر.. إلى أن حان وقت صلاة العيد.. ثم بعد أن صلينا صلاة العيد جلسنا الآن منصتين تماما لكى نستمع إلى خطبة العيد.. التى بعدها – إن شاء الله تعالى – سنهيئ أنفسنا بالتهنئة المحمدية التى كان النبى ﷺ يتبادلها مع أصحابه الفضلاء فى العيدين.. وهى: (تقبل الله منا ومنكم).

وإذا كان لى بعد هذا التمهيد أن أذكر بأمر هام.. فإننى أولا أريد أن أدور معكم حول المعنى المراد من هذه التهنئة حتى نتفق فى النهاية على ما ينبغى علينا أن نفعله.. وحتى نكون أهلا لها على الدوام (بل) وحتى نكون كذلك من المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

(وأول) ما أريد الإشارة إليه حتى نفهم المعنى المراد من التهنئة، هو: أن القبول هو الأساسى فى جميع الأعمال.. كما أشار الله – تعالى – إلى هذا على لسان إبراهيم الخيل، وولده سيدنا إسماعيل –عليهما السلام–.. حيث يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. أى: تقبل منا يا ربنا عملنا وطاعتنا إياك فى بناء بيتك، إنك أنت السميع لدعائنا، العليم بما فى ضمائرنا.

(فإن) هذا المعنى الكبير ينسحب على جميع الأعمال الصالحة التى تؤديها تنفيذا لأوامر الله تعالى.. والتى قد يقبلها الله تعالى منا، وقد يرفضها..

(وأعنى) بهذا.. أننا إذا كنا فى رمضان مثلا قد صمنا وقمنا.. تنفيذا لأمر الله تعالى وطمعا فى رحمته – سبحانه وتعالى – ومغفرته.. بالإضافة إلى جميع الأعمال الصالحة التى كنا نتقرب إلى الله – تبارك وتعالى – بها فى رمضان.. فإن الله – تبارك وتعالى – قد يقبل كل هذا أو يرفضه.

** (وذلك) لأن الله تبارك وتعالى وحده هو الذى يعلم إذا كان العمل هذا خالصا لوجهه أم لا.. فهو القائل سبحانه وتعالى فى قرآنه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. والقائل: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

(لهذا) فقد ورد عن الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – أنه كان يقول لأصحابه الفضلاء:

*«**إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**».

* (بل) ورد في حديث شريف رواه مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسدِّدوا، واعلموا أنه لن ينجو أحدا منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني**[1] **الله برحمة منه وفضل**».

**(وقد) ورد كذلك أن تلميذ الرسول ﷺ الأول، وهو الصِّديق – عليه رضوان الله – كان إذا مدحه أحد يقول: (اللهم اجعلني خيرا مما يظنون، واغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون).

** (كما) ورد أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان دائم البكاء من شدة الخوف من الله – تبارك وتعالى –.. لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوي من شدة الخوف من الله تعالى..

(وكان) يقول: (ليت أمي لم تلدني، ليتني شعرة في صدر أبي بكر).

** (وكل) هذا معناه أن الأمر هذا لابد وأن يكون دائما وأبدا نُصب أعيننا، ومتربعا على قلوبنا.. حتى نعمل ليوم الحساب ألف حساب.

*(وذلك) لن يكون إلا بالإخلاص في جميع الأعمال الصالحة.. حتى يقبلها الله –تبارك وتعالى – منا.. لأنه قد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله – عز وجل –: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك "[2] أي: أن عمله للذي أشركه مع الله لأن الله تعالى بريء منه.

**(وهذا) هو أهم شرط في قبول الأعمال.. كما أشار النبي ﷺ إلى هذا في أول حديث رواه البخاري.

---

(1) أي يغمرني.

(2) رواه ابن ماجه ورواته ثقات.

* (عن) عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1].

**(وهذا) أيضًا هو ما أمرنا الله تعالى به فى قرآنه حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [2]﴾ [البينة: ٥].

**(وأيضا) هناك أمر هام.. لابد وأن نلاحظه جميعا وننفذه طوال حياتنا إذا أردنا أن نؤكد أننا فعلا قد انتفعنا بالصيام والقيام.. وإذا أردنا أن نؤكد كذلك أننا فعلا من هؤلاء الذين يستحقون أن يكونوا فى عيد فى هذا اليوم المبارك، وبعد هذا اليوم..وطوال حياتنا إلى آخر لحظة فى حياتنا..

(وهذا) الأمر الهام.. هو ما أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف جاء فيه: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال: «أدومه وإن قل**» أى أن الله – عز وجل – أشد حبا للعمل الذى يداوم عليه صاحبه، أى: يواظب ويستمر عليه ولا يقطعه مهما كان ذلك العمل قليلا.

* وفى رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحدكم عمله الجنة، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[3].

*ولمالك والبخارى أيضًا، قالت[4]: " كان أحب الأعمال إلى الله – عز وجل – الذى يدوم عليه صاحبه " أى: التزموا السداد والإستقامة.. ولا تغتروا بأعمالكم مهما بلغت من الكثرة والجودة ولا تظنوا أنها هى التى تدخلكم الجنة.

*(بل) دخولها بمحض فضل الله – عز وجل –.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) حنفاء: جمع حنيف، أى المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والقيمة: أى الملة المستقيمة.. والدين هنا أى العبادة بجميع أنواعها.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) أى عائشة رضي الله عنها –ووهى رواية الحديث السابق الذى رواه البخارى ومسلم.. والذى قبله.

*(وقال) بعضهم: وليس المراد التهوين من شأن العمل، بل الأعلام بأن العمل إنما يتم بفضل الله ورحمته فلا ينبغى الاتكال عليه.

(وقال) النووى: " ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث: أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو من رحمة الله – تعالى – ".

*(وعلى) هذا، فإنه ينبغى على الإخوة المسلمين والمسلمات بعد أن صاموا رمضان وبعد أن استمعوا إلى كل هذا التذكير الذى أسأل الله تعالى أن ينفعنا به.. وحتى يكونوا إن شاء الله تعالى فى عيد مستمر..

(أن) يكونوا من هؤلاء الصادقين فى إيمانهم وفى كل أعمالهم الصالحة.

(وذلك) بالاستمرار فى طاعة الله – تبارك وتعالى – كما كانوا فى شهر رمضان.

(وأعنى) بهذا.. أن يكونوا جميعا – إن شاء الله – وبتوفيق الله – تبارك وتعالى – من الذين يكثرون من فعل الخيرات وترك المنكرات.. كما كانوا يفعلون فى رمضان، وأن يكثروا من تلاوة القرآن وذكر الله تعالى مع الإكثار من الصدقات، و الحرص على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها.. مع الجماعات، ومع الإكثار من الصيام التطوع.. إلى آخر الأعمال الصالحة التى كانوا يتقربون إلى الله – تبارك وتعالى – بها فى شهر رمضان.

(وذلك) حتى يكونوا على صلة دائمة بالله –تبارك وتعالى– الذى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أى اذكرونى بالطاعة أذكركم بالرعاية والعناية والرحمة والأجر العظيم المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كثيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

**(بل) وينبغى عليهم أن يذكروا دائما وأبدا ما قاله سيدنا على كرم الله وجهه يوم أن دخل عليه رجل فى يوم عيد الفطر فوجده يأكل خبزا فيه خشونة.

(فبكى) الرجل ثم قال: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ فعند ذلك قال عليه - رضوان الله -: (اليوم عيد من قُبل بالأمس صيامه وقيامه.. عيد من غُفر ذنبه، وقُبل صومه.. اليوم لنا عيد، وغدا لنا عيد.. و كل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد).

** (وعلى) هذا، فإننى أستطيع أن أقول لكم: إذا كان يوم العيد قد مضى أو سيمضى فإنه ينبغى أن لا يمضى العيد أبدا بالنسبة لنا جميعا كمؤمنين صادقين يعاهدون الله - تبارك وتعالى - الآن أن يكونوا فى طاعته - سبحانه وتعالى - إلى آخر لحظة فى حياتهم.. وهم يهنئون أنفسهم الآن وهم يفارقون مصلى العيد بتلك التهنئة المحمدية وهى:

(تقبل الله منا ومنكم) اللهم آمين.

والله ولى التوفيق.



خطب شهر شوال

الخطبة الأولى

((ضرورة الاستمرار في ـاعة الله بعد رمضان))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٧،٨].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**» (١).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.. الذين عرفوا الله تعالى فعبدوه، وعرفوا الشيطان فحاربوه، وعرفوا الجنة فطلبوها، وعرفوا النار ففروا منها، وعرفوا الدنيا فرفضوها،وعرفوا الآخرة فعملوا من أجلها.. فكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا..فى الجمعة الأولى من شهر شوال الذى ودعنا قبله منذ أيام معدودات (٢).. شهر رمضان المبارك الذى عشنا معه بكل مشاعرنا الإيمانية. ونحن نسأل الله تعالى أن يحقق لنا فيه.. ما من أجله فرض الله تعالى الصيام علينا كما فرضه على الذين من قبلنا.. ألا وهو تحقيق التقوى فينا وفى كل أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وكل حركاتنا وسكناتنا.. وجميع مراحل حياتنا.. وبيوتنا وميادين أعمالنا كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

---

(١) رواه الجماعة إلا البخاري والنسائى عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه

(٢) هذا إذا كانت الجمعة الأولى من شوال ستأتى بعد أيام من رحيل رمضان.

* (وحسبنا) إذا كنا قد حققنا رجاء الله تعالى فينا:

(أن) نشكر الله تعالى على هذا لأنه لولاه – سبحانه وتعالى – ما كنا نستطيع أن نفعل شيئا.. فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، وأعنى بهذا.. أننا سنكون قد فزنا بكل خير وفلاح .. لآن الله تعالى قد وعد المتقين فى قرآنه بكل أسباب الفلاح والنجاح.. فقد:

*وعدهم سبحانه بالحفظ والحراسة من الأعداء، فقال: ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

*ووعدهم سبحانه بالنصر والتأييد، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

*ووعدهم سبحانه بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

*ووعدهم سبحانه بإصلاح العمل وغفران الذنوب فقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

**ووعدهم سبحانه بنور يمشون به، فقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ[1] مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

*ووعدهم سبحانه بمحبته، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣].

ووعدهم سبحانه بالإكرام: فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ٧٦].

*ووعدهم سبحانه بالبشرى فى الدنيا والآخرة، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤].

* ووعدهم سبحانه بالنجاة من النار، فقال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

** ووعدهم سبحانه بالخلود فى الجنة، فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

*وهم الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم، وعن أهم صفاتهم فقال بعد

---

(١) أى نصيبين من رحمته.

ذلك: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٦].

**وهذا.. فإنه حسبنا أن نكون قد فزنا بكل هذا الخير الذى به سنسمو وسنكون من أهل الفضائل.. كما وصفهم الإمام على كرم الله وجهه- عندما قال له أحدهم: يا أمير المؤمنين.. صف لى المتقين فى هذه الدنيا.. حتى كأنى أنظر إليهم، فقال:

" المتقون فى هذه الدنيا: هم أهل الفضائل منطقهم الصواب، وملبسهم الإقتصاد، ومشهم التواضع.. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم.. لا يرضون من أعمالهم القليل،ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون.. ومن علامة أحدهم: أنك ترى له قوة فى دين، وحزما فى لين، وإيمانا فى يقين، وحرصا فى علم، وعلما فى حلم، وقصدا فى غنى، وخشوعا فى عبادة، وتجملا فى فاقة [1]، وصبرا فى شدة، وطلبا فى حلال، ونشاطا فى هدى، وتحرجًا عن طمع.. يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.. يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل.. "

*(فإذا) كنا – إن شاء الله – من هؤلاء المتقين..

(فإنه) ينبغى علينا بعد رمضان أن نؤكد هذا.. بالإستمرار فى طاعة الله تعالى.. حتى نكون فعلا منهم لا بالكلام ولكن بالأعمال التى منها: أن نكون: من المنفذين – أولا – لما أوصانا به الرسول ﷺ فى قوله: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال: كان كصيام الدهر**».

---

(١) الفاقة: أى الفقر والحاجة.

(وذلك) لأنك إذا نفذت هذا كنت كأنك صمت الدهر كله..

(لأن) شهر رمضان بعشرة أشهر، والستة أيام فى عشرة أى بشهرين.

(وهذا) خير ينبغى عليك كتقى أن تفوز به لأن الصيام التطوع من أعظم القربات إلى الله تعالى.

(فقد) ورد فى الحديث الشريف أن رجلا طلب من النبى ﷺ أن يوصيه.. فقال له النبى ﷺ : «**عليك بالصيام فإنه لا عدل له**»[1].

(ولاسيما) إذا كنت شابا لا تملك الباءة[2] التى بها تستطيع أن تتزوج..

فقد أوصاك النبى ﷺ بصفة خاصة ذكرا كنت أم أنثى، بالإكثار من الصيام التطوع، فقال موصيا جميع الشباب: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**[3]»[4].

*و أن تكون: من المحافظين على الصلوات الخمس وفى أوقاتها.. حتى تكون من المؤمنين المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩].

(وحسبك) إن حققت هذا – إن شاء الله – أنك ستكون من الذين ستكفر الصلاة خطاياهم كل يوم خمس مرات

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه**[5] **شيء ؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا**» رواه البخارى ومسلم.

*وأن تكون: من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: حتى تكون من

---

(١) بكسر العين: أى لا مثل له.
(٢) أى القدرة على الزواج حسيا ومعنويا وطبيا.. وماليا.
(٣) أى مضعف لشهوته.
(٤) رواه البخارى ومسلم والفظ لهما، وأبو داود والترمذى والنسائي.
(٥) أى القذر والوسخ.

الذين: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وحسبك ترغيبا فى هذا الخير، (ما رواه) النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: **«مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها: كمثل قوم استهموا [1] على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا،وإن أخذوا [2] على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»** رواه البخارى والترمذى.

(مع) ضرورة أن تلاحظ فى أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر المراد من قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

*وأن تكون: من أهل العدل لا من أهل الظلم..لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

(مع) ملاحظة: أن الظلم هو الشيء الوحيد الذى حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بيننا محرما.

(فعن) أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن الله – تبارك وتعالى – أنه قال: (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا..) الحديث رواه مسلم.

*وأن تكون: أخا الإسلام – أولا وأخيرا – من أصحاب الخلق الحسن.. لأن الأخلاق الفاضلة... هى أهم صفات المؤمنين.

(وحسبك) ترغيبا لك فى تحقيق هذا.. ما ورد: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا»** الحديث رواه الترمذى وقال حديث حسن.

---

(١) أى اقترعوا.

(٢) أى منعوهم عما يريدون فعله.. من أسباب الهلاك.

(وعن) أبى ذر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف**[1] **ولا حسب كحسن الخلق**» رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله**» رواه أبو داود، والترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح.

(وعن) أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها**[2] **وخالق الناس بخلق حسن**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

** (واعلم) أخا الإسلام أن الخير كله فى التقرب إلى الله تبارك وتعالى بفعل الخيرات، وترك المنكرات..

(فلنكن) – إن شاء الله تعالى – من أهل الخير.. وعلى الدوام..

والله ولى التوفيق.

(١) كناية عن منع الأذى عن الغير..

(٢) أى تزيلها.



خطب شهر شوال

الخطبة الثانية

«الأعمال التي توصل الجنة وتبعد عن النار»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧، ٤١].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه الذى ورد عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه كان يقول لأصحابه (١): «**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**».

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وَأصحابه الغر الميامين.. الذين كان أكثرهم إيمانـا (٢)، يقول: " لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله " (٣).. فكانوا لهذا، أو بسبب هذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا.. فى الجمعة الثانية من شهر شوال التى رأيت أن أركز فيها على موضوع من أهم المواضيع التى لابد وأن نقف على أبعادها.. حتى نكون – إن شاء الله – من الذين يعبدون الله تبارك وتعالى – عبادة راسخة رسوخ الجبال – بل أرسخ منها – إلى أن نلقى الله بقلوب سليمة مطمئنة.

(ألا) وهو أن نعبد الله – تبارك وتعالى – على أساس من الصدق بمعنى أن تكون العبادة خالصة لوجهه – سبحانه وتعالى – دون الإتكال عليها (٤).

---

(١) الحديث صحيح.

(٢) وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -.

(٣) أى من عذابه سبحانه وتعالى.

(٤) لأنه ورد النهى عن هذا.

(وإنما) ونحن مطمع فى رحمة الله تبارك وتعالى.

(مع) الخوف من عذابه، والرجاء فيه [1]..

(وذلك) لأن الله – تبارك وتعالى – عندما تحدث فى قرآنه عن أهل الرحمة.. لم يتحدث عنهم بالأسماء..و إنما تحدث عنهم بالصفات الحميدة والأعمال الجليلة التى ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نكون من المتخلقين بها.. فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ والآية لم تنته عند هذا الحد.. لأنها لو انتهت عنده.. لجاز لإبليس – عليه لعنة الله – أن يطالب بدخول الجنة:

(لأنه) شيء من الأشياء.. وإذا كان كلام الملوك لا يرد.. فما بالك بكلام ملك الملوك.. ؟ سبحانه وتعالى.

(ولهذا) فإن الله – تبارك وتعالى – لم يترك للأبالسة [2] احتجاجا فقال بعد ذلك:

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أى الرحمة (للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ [3] وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ [4] وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ [5] أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

**ففى هاتين الآيتين الكريمتين يشير الله تبارك وتعالى إلى ملاحظة هامة لابد وأن تكون دائما وأبدا نصب أعيننا:

(وهى) أن رحمة الله تعالى ليست للنائمين، ولا للغافلين، ولا للمستهترين.

(وإنما) هى لهؤلاء المشار إليهم فيهما بتلك الصفات العظيمة.. التى من أهمها..

---

(١) حتى لا يكون هناك يأس من رحمة الله.. والعياذ بالله.
(٢) أى من الإنس والجن.. الذين: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]
(٣) أى الأعمال الشديدة رحمة بهم.
(٤) اى وقروه وعظموه ونصروا دينه.
(٥) هو القرآن الكريم.

أنهم يتقون الله ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته – سبحانه وتعالى –.. وينفذونها.. إلى آخر تلك الصفات التى أشار الله تعالى فى ختامها بأنهم بسببها: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، (وعلى) هذا، فإنه ينبغى علينا – كمؤمنين يرجون رحمة الله ويخشون عذابه – أن نفتش فى قلوبنا.. عن تلك الصفات الحميدة.. فإن وجدناها فإن هذا سيكون خيرا كبيرا.. وسيكون أيضًا بالنسبة لنا بمثابة البشريات التى نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحققها لنا بفضله ورحمته – لأنه ليس بفرض على الله تعالى أن يدخلنا الجنة – فإن أدخلنا الجنة فبفضله، وإن أدخلنا النار فبعدله.

(مع) ملاحظة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيما﴾ [النساء: ٤٠].

(والقضية) هى أن الله – سبحانه وتعالى – وحده هو الذى يعلم إذا كنت أهلا لرحمته أم لا.. فهو القائل سبحانه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

(ولهذا) فقد ورد أن النبى ﷺ كان يقول لأصحابه: «**إنى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**» كما ورد كذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى أعز الله تعالى به الإسلام – كان دائم البكاء من خشية الله – تبارك وتعالى –.. لدرجة كما قرأت: أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع..

(وأنك) كنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوي من شدة الخوف من الله تعالى، وكان يقول: " ليت أم عمر لم تلد عمر "، ويقول: " ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر " وذلك حتى يدخل الجنة معه..

(مع) أنه قد ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه الذى تمنى عمر أن يكون شعرة فى صدره.

(والذى) ورد أن النبى ﷺ قال فى شأنه: «**لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة وإيمان الأمة فى كفة لرجح إيمان أبى بكر**»: كان يقول كما ورد عنه: (لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله).

(وذلك) لأن الله تعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ[1] اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(ومع) هذا، فإن الله – تبارك وتعالى – قد رهَّبنا فى قرآنه من سوء الظن به سبحانه واليأس من رحمته، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا[2] مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ[3] اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

*(وعن) جابر رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ فقبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**» رواه مسلم وأبو داود.

*(وعن) أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجدك ؟» قال: أرجوا الله يا رسول الله، وإنى أخاف ذنوبى.. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**» رواه الترمذى وقال حديث غريب، وابن ماجه، وابن أبى الدنيا.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: «**أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حيث يذكرنى، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة[4] ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذارعا تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه هرولة**» رواه مسلم واللفظ له والبخارى.

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان[5] السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم: إنك لو

---

(١) المكر: التدبير الخفي، ويطلق على الله تعالى بدون مشاكلة والمكر منه الحسن والسيئ، ومكر الله لا يكون إلا حسنا.

(٢) من القنوط وهو اليأس.

(٣) الروح: أى الرحمة.

(٤) الفلاة أى: المفازة، وهى واحدة المفاوز.. وسميت بذلك لأنها مهلكة ومعنى من تقرب إلى شبرا. الخ كناية عن مسارعته له فى مكافأته، ومضاعفة الثواب.. والله أعلم.. فالحديث تمثيل وتقريب.. مع ملاحظة أن الجزء الذى بين الشرطين من كلام الرسول – ﷺ –..

(٥) بفتح العين المهملة: قيل هو السحاب، وقيل: ما عن لك منها أى ظهر إذا رفعت رأسك.

أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

* (هذا) ولما كان موضوعنا الأساسى هو التذكير بأهم الأعمال الصالحة التى بها سنكون من أهل الجنة.. والناجين من النار..

(فإنه) حسبى أن أقف معك أيها المستمع الكريم إلى نص الحديث الآتى الذى سنجد فيه جميعا الخير الكثير.

(فعن) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة و يباعدنى عن النار، قال: **«لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**، ثم قال[1]: **ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل، ثم تلا:** ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]. **ثم** قال: **«ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟»** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»** ثم قال: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟»** [2] قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه [3]، وقال **«كف عليك هذا»** قلت: يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: **«ثكلتك أمك [4]، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»** رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

** (فليكن) هذا الحديث نصب عينيك حتى تدرسه بإمعان.. وتنفذ المراد منه، وحتى تكون بسبب هذا - إن شاء الله تعالى -.. من أهل الجنة لا من أهل النار..

---

(١) أى الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه.. عندما لمس منه حب المزيد من العلم.

(٢) أى ألا أخبرك بالذى يحافظ على رصيدك من الحسنات بعد أن تنفذ كل هذا الذى أوصيتك به.. و (ملاك) بكسر الميم لا بفتحها.

(٣) أى أمسك النبى ﷺ بلسانه نفسه هو.. حتى يلفت نظر معاذ إلى خطورة هذا اللسان..

(٤) أى فقدتك أمك.. (وهذه مداعبة من النبى ﷺ وليست دعاء عليه.. كما يتصور البعض.

(مع) ملاحظة ما ورد عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أيُعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون ؟ قال **«كل يعمل لما خُلق له – أو – لما يُسر له»** رواه البخارى

(فقد) أفاد الحديث – الأخير – أنه لا يصح الإتكال على ما سبق فى علم الله، ولابد من العمل.. فالسعادة والشقاء منوطان به.

(وعن) على رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبى ﷺ ومعه عود ينكت به فى الأرض، وقال: **«ما منكم من أحد إلا كُتِب مقعده من النار أو الجنة»** فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال: **«لا، اعملوا فكل مُيسر »** ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى...**﴾ [الليل: ٥ – ١٠] [1] رواه البخارى.

نسأله سبحانه وتعالى.. حسن الخاتمة.. اللهم أمين

والله ولى التوفيق.

(١) فهذه الآية تفيد أن تيسير بعض الناس للسعادة والآخر للشقاء لم يكن جزافا، بل على وفق الحكمة.. فمن أعطى وصدق وفق للسعادة، ومن بخل واستغنى وكذب قيد إلى الشقاء – والعياذ بالله .


خطب شهر شوال
الخطبة الثالثة
((الترغيب في الأكل من الطيبات
والترهيب من أكل الحرام))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه الذى ورد عنه أنه قال: «**ما تزال قدما عبد يوم القيامة [١] حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه [٢] وفيم أنفقه [٣] ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه ؟**». رواه البيهقى وغيره ورواه الترمذى من حديث أبى برزة وصححه.

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يستحيون من الله حق الحياء.. فحفظوا بطونهم من الحرام.. وكانوا من أهل القناعة.. التى كانوا بسببها من الأغنياء الحقيقيين المشار إليهم فى قول رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع**» رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.. وكانوا لهذا من الرجال الحقيقيين الذى تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) فى الجمعة الثالثة من شهر شوال التى رأيت أن أدور معكم فيها حول حديث شريف صحيح [٤].. من أهم الأحاديث التى ينبغى أن تدرس وتنفذ على المستوى العام والخاص لأن النبى ﷺ يرغبنا فيه، فى طلب الحلال والأكل منه.. كما يرهبنا من اكتساب الحرام وأكله ولبسه..

---

(١) يعنى ما تنتقل رجلاه من موقف الحساب بين يدى الله – عز و جل.
(٢) أى من أى طريق استفاده وجمعه من حلال أم من حرام.
(٣) أى: وفى أى وجه أنفقه.وبذله فى وجوه الخير والبر أم فى وجوه الحرام والإثم.
(٤) رواه مسلم والترمذى.. كما رواه الإمام أحمد.

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن الله تعالى طيب**[1] **لا يقبل إلا طيبا**[2] **وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ[3] وَاعْمَلُوا صَالِحًا[4] إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر**[5] **أشعث**[6] **أغبر**[7] **يمد يديه إلى السماء**[8]**: يا رب يا رب**[9]**، ومطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام، وغُذى**[10] **بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**[11] **؟**» رواه مسلم والترمذى.

❊❊ففى الحديث الشريف الصحيح: حث على طلب الطيب الحلال من الرزق والبعد عن شوائب الحرام ومسالكه..

(وفيه) كما يقول ابن كثير يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم – سبحانه وتعالى –..وأن يشكروه – سبحانه وتعالى – على ذلك تأكيدا لعبوديتهم له..

(وذلك) لأن الأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة.

---

(١) أى منزه عن النقائص والخبائث.. ولا يوصف إلا بصفات الكمال..

(٢) أى: لا يقبل من الأقوال والأفعال إلاّ ما كان خالصا لوجهه خاليا من كل شائبة رياء ولا يقبل من الصدقات إلا ما أخرج من حلال لا شبهة فيه.

(٣) أى من الحلالات التى اكتسبت من مشروع ولم يداخلها شيء من الحرام.

(٤) أى عملا صالحا ن فهو صفة لموصوف محذوف..

(٥) أى يسافر سفرا بعيدا شاقا وهو أرجى لقبول الدعاء..

(٦) أى متفرق شعر الرأس لعدم الاعتناء بنظافته ودهنه وترجيله.

(٧) أى معفر الوجه والثياب بسببه ما يصيبه من وعثاء الطريق وغباره.

(٨) أى يرفعها فى دعائه إلى السماء ضارعا إلى الله – عز وجل – راجيا إجابة الدعاء.

(٩) أى يكثر من الدعاء قائلا يا رب يا رب. والمراد أنه توفرت فيه كل الأسباب الموجبة للدعاء ولم يمنع من إجابة الدعاء إلا الأكل من الحرام.

(١٠) أى نبت لحمه من الحرام.

(١١) أى بمعنى كيف وهو استفهام إنكارى. يعنى كيف يستجيب الله دعاء ذلك الذى يعيش على الحرام.

(كما) أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة.

(وهذا) الإيجاز السريع لمضمون ما جاء فى هذا الحديث الشريف.

(هو) ما نريد بعد ذلك أن نوضح المراد منه حتى ننفذه - إن شاء الله - تنفيذا عمليا وإيجابيا يرضى الله ورسوله.. وصالحى المؤمنين.. الذين لابد كذلك وأن نعمل لهم حسابا.. لأنهم **«شهداء الله فى الأرض»** [1].

(فأقول) بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ﷺ.

(إن) الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى هذا الحديث الشريف يريد منا.

(كمؤمنين) صادقين أن ننزه أنفسنا عن الحرام - سواء كان مأكولا أم مشروبا أو ملبوسا - وذلك حتى لا نكون من أهل النار.

(فعن) جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **«يا كعب ابن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحت** [2]**»** رواه ابن حبان فى صحيحه.

(وعن) أبى بكر الصديق رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام»** رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط، والبيهقى وبعض أسانيدهم حسن.

(هذا) بالإضافة إلى أن أكل الحرام يمنع قبول الدعاء.. كما أشار النبى ﷺ فى ختام الحديث، وهو قوله: **«فأنّى يستجاب لذلك ؟»**

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾** [البقرة: ١٦٨]، فقام سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال له النبى ﷺ: **«يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده: إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سُحت** [3] **فالنار أولى به»** رواه الطبرانى فى الصغير.

---

(١) كما ورد فى نص حديث شريف فى (رياض الصالحين).

(٢) السحت: بضم السين وإسكان الحاء: وهو الحرام وقيل هو الخبيث من المكاسب.

(٣) أى من الحرام

يقول ابن كثير فى تفسير الآية الواردة فى هذا الحديث، وهى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[البقرة: ١٦٨].: " لما بين الله تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق شرع يُبين أنه الرازق لجميع خلقه، فذكر فى مقام الإمتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما فى الأرض حلالا من الله طيبا أى مُستطابا فى نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول،ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهى طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينة لهم فى جاهليتهم ".

(وهذا) الذى ذكره ابن كثير فى تفسيره للآية يشير إلى أن انصراف أكثر الناس إلى الحرام دون الحلال.. معناه أن الشيطان قد نجح فى تزيينه لهم هذه الشهوات التى كانت ولا تزال هى شاغلهم وقبلة تفكيرهم الذى أصبح ملوثا بسبب حرصهم على فعل الحرام.. فضلا عن أكله وشربه.. الخ إلارضاء لأهوائهم الشيطانية التى ينبغى عليهم لو كانوا مؤمنين أن يتغلبوا عليها ليكونوا من أهل الحلال لا من أهل الحرام..

(ولهذا) فإنه حسبنا نحن المؤمنين – إن شاء الله – بالإستعانة بالله من الذين يتحرون الحلال.. فى كل شيء..

(بمعنى) أن يتقوا الله فى بيعهم وشرائهم فلا يبيعون غير الحلال، ولا يشترون غير الحلال..

(وأعنى) بهذا أن لا يبيعون مثلا: " خمرا، أو بيرة، أو دخانا "[1] أو لحما محرما.. كلحم الخنزير.. ولا يشترون كل هذا لأنفسهم أو لغيرهم لكى يأكلوه أو يشربوه.. أو لكى يعود عليهم عائد مادى من ورائه.. لأن كل هذا سيكون وبالا عليهم وسببا فى خراب بيوتهم.

(وإذا) كان عندهم عائد حلال.. فإن الحرام هذا سيكون سببا فى ضياعه.. كما

---

(١) وكذلك الذين يعملون فى المصانع التى تصنع كل تلك المحرمات.. إن كل مرتباتهم ستكون حراما.

يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

جمع الحرام على الحلال ليكثره   دخل الحرام على الحلال فبعثره

* وعليهم: أيضًا أن لا يعملوا إلا فى ميادين الأعمال الشريفة التى لا شبهة فيها.. فضلا عن الإتفاق على حرمة التعامل معها أو العمل فيها.

(وأعنى) بها: البنوك الربوية.. أو أماكن اللهو واللعب.. التى تشغل الناس عن الله وعن الصلوات الخمس بصفة خاصة.. كما تكون سببا فى اختلاط الرجال بالنساء بتلك الصورة السافرة التى لا تخفى على أحد.. كما تكون كذلك عونا لشياطين الإنس والجن على إفساد الآخرين من الشرفاء..

(مع) ملاحظة أن أى عائد مالى من العمل فيها.. سيكون حراما.. مائة فى المائة.

* وعليهم كذلك إذا كانوا يعملون فى ميادين العمل الشريفة المتفق على عدم حرمة العمل فيها.. او التعامل معها..

(فإنه) ينبغى عليهم.. أن يراقبوا الله تعالى فى أدائهم لتلك الأعمال حتى يتقنوها ويؤدوها على أكمل وجه دون غش أو خداع.. أو سرقة.. أو اختلاس.. أو رشوة.. الخ.

(و إلا) فإن العائد المالى كذلك سيكون حراما مائة فى المائة وعليهم كذلك إذا كانوا موظفين إداريين، أو أطباء أومدرسين.. الخ أن يكونوا من الذين يتقون الله تعالى فى تعاملهم مع الموظفين..

(ومع) المرضى المبتلين ومع التلاميذ الدارسين.. رحمة بهم وبآبائهم المطحونين الذين لا يستطيعون مواجهة أعباء الدروس الخصوصية. فضلا عن باق المتطلبات التى لا تخفى علينا كآباء أو كمسئولين..

(مع) ملاحظة أن أى دخل أو عائد مادى عن طريق هذا الإهمال أو الإنشغال، أو الإستغلال.. أو عدم الرحمة سيكون حراما مائة فى المائة.

(وبالتالى) فإن آكل الحرام هذا.. لن يشبع أبدا.. لأنه سيظل محروما من البركات المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأحب أن أذكرهم ونفسى.. بأ، البركة ليست بكثرة المال أو العَرض.. وإنما هى بالرضا والقناعة وعدم الطمع الذى حذر منه الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – فقال فى نفس وصيته للرجل الذى سأله أن يوصيه: «.. **وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر..**»[1].

(ولهذا) فإنه كما أشرت قبل ذلك لن يشبع أبدا..و إنما سيظل محتاجا ومن أجل هذا.. فقد قال الإمام الشافعي ﷺ مشيرا إلى ضرورة التخلص من داء الطمع:

أَمتُّ مطامعى فأرحتُ نفسى — فإن النفس ما طمعت تهون

وأحييتُ القُنوع وكان ميتا — وفى إحيائه عرضى مصون

إذا طمع يحل بقلب عبد — علتْه مهانة وعلاه هون

وكان – عليه رضوان الله – يقول:

أنا إن عشت لست أعدم قوتا — أو إن مت لست أَحرمُ قبرا

همتى همة الكرام ونفسى — نفس حر ترى المذلة كفرا

(فعلى) الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا.. حتى يكونوا – إن شاء الله – من المؤمنين الصادقين القانعين الذين لا يأكلون غير الحلال الذى أحله الله – تعالى. و لايعملون إلا فى مادين الحلال.. على أساس من تقوى الله – تبارك وتعالى –.. الذي يقول فى قرآنه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(وقد) قرأت أن الأسرة المسلمة فى العصر الأول.. كانت إذا خرج عائلها فى الصباح لكى يسعى على رزقه ورزقهم – من خلاله – كانوا يقفون له على باب داره لكى يقولوا له: " اتق الله فينا.. ولا تعد إلينا إلا بالرزق الحلال.. فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على عذاب الله ".

*(وأحب) أن أذكرهم من خلال هذا بأن الرزق الذى سيجلبونه عن طريق السعى والأخذ بالأسباب.. ليس ملكا لهم فحسب..

---

(١) من حديث رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد وقال الحاكم صحيح الإسناد.

(وإنما هو) أيضًا ملك لكل فرد من أفراد الأسرة التي تشتمل على الزوجة وآلا بناء بل والوالدين إذا كانا يعيشان معهما.

(وعلى) هذا، فإننى أقول لهم: إن أى تصرف في هذا الدخل بدون فائدة تعود عليهم جميعا – من مأكل ، أو مشرب ، أو ملبس ، أو علاج – إلخ سيكون اعتداء على حقوقهم جميعًا ولا سيما إذا كان شربًا للدخان .. أو ما شابه هذا من المحرمات التي تضر ولا تنفع..

(فضلا) عن التلوث الذي يصيب الآخرين من أفراد الأسرة بصفة خاصة.

(وعليهم) أن يلاحظوا عكس هذا بالنسبة لأنفسهم وأهليهم بمعنى أن يحافظوا على صحتهم جميعا ... وذلك بالبعد عن جميع المهلكات التى هى كالتاج الذى – للأسف الشديد-لا يراه إلا المرضى...

(وعليهم) أن يتحروا دائما وأبدا الحلال. فى كل شيء حتى يستجيب الله – تعالى- منهم دعاءهم ، وصلاتهم وصيامهم ، وزكاتهم وحجهم..لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا..

ولأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين..فهو القائل سبحانه:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1) [المائدة: ٢٧] .

والله ولى التوفيق.

---

(١) والعبرة بعموم الفظ لا بخصوص السبب.





خطب شهر شوال

الخطبة الرابعة

«الترغيب في الورع وترك الشبهات»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٢،٣].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين** [1] **حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المتقين الورعين. الذبن كانوا كما ورد عنهم (يَدعون تسعة أعشار الحلال خوف الوقوع فى الحرام..) فكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [النور: ٣٧،٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) فى الجمعة الرابعة من شهر شوال التى رأيت أن استكمل معكم فيها الموضوع السابق – الذى كان حول الترغيب فى الأكل من الطيبات –.

(أما) عن موضوع اليوم.. فإنه سيكون – إن شاء الله – حول الترغيب فى الورع، وترك الشبهات.

*(وذلك) من خلال حديث شريف صحيح يقول فيه النعمان بن بشير رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بين والحرام بين** [2] **وبينهما أمور مشتبهات** [3] **لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات** [1] **فقد استبرأ لدينه**

---

(١) أى: لا يصل إلى كمال التقوى وحقيقتها.

(٢) وفى رواية أيضًا للبخارى ومسلم: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين**».

(٣) أى يشتبه ويلتبس أمرها لا يدرى من الحلال هى أم من الحرام (وفى) رواية (مشبهات) بالباء المشددة المفتوحة أى شبهت بغيرها وهى ما لم يبين حكمها على التعيين.

وعرضه [٢]، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» رواه البخارى ومسلم والترمذى ولفظه «الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك [٣] أمور مشتبهات لا يدرى كثير من الناس [٤] أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها استبراء لدينه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام، كما أنه من يرعى حول الحمى أوشك أ، يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى [٥] ألا وإن حمى الله محارمه» وأبو داود باختصار، وابن ماجه.

* وفى رواية لأبى داود والنسائى: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات وسأضرب لكم فى ذلك مثلا: إن الله حمى حمى وإن حمى الله ما حرم، وإنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطه [٦]، وإن من يخالط الريبة [٧] يوشك أن يخسر [٨]».

وفى رواية للبخارى والنسائى: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان [٩] أترك [١٠]، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصى حمى الله، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه».

---

(١) أى تحامى الوقوع فيها وابتعد عنها.
(٢) أى طلب البراءة لدينه ولعرضه من العيب والذم.
(٣) أى بين الحلال والحرام، فهو لقوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، فأفرد اسم الإشارة مع أن المشار إليه مثنى وذلك على تقديره بالمذكور ونحوه.
(٤) أى التى لا يعلم كثير من الناس حكمها.
(٥) أى يحميه ويمنع الناس من نزوله.
(٦) أى يباشره ويدخله .
(٧) أى الشك.
(٨) أى يقع فى المحارم التى هى سبب الخسران.
(٩) أى وضح وظهر.
(١٠) أى أشد تركا وهجرا.

* ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس، ولفظه: «**الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك شبهات** [1] **فمن أوقع بهن فهو قمن** [2] **أن يأثم، ومن اجتنبهن فهو أوفر لدينه، كمرتع إلى جنب حمى، وحمى الله المحارم**».

* ففى هذا الحديث الشريف بكل رواياته الخمس: يحذر النبى ﷺ من الوقوع فى الشبهات استبراء للدين والعرض.. فيقول: « **ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**».

* وهذا الذى قاله الرسول ﷺ كما قال فى الفتح -: ضرب على سبيل التمثيل لأن ملوك العرب كانوا يحمون لرعى مواشيهم أماكن مخصوصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة فمثل لهم النبى ﷺ بما هو مشهور عندهم فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه فى شيء منه فبعده أسلم له، ولو اشتد حذره.

(وغير) الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه فلا يأمن أن تنفرد الفاذة - الفارة - فتقع فيه بغير اختياره.. فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقا، وحماه محارمه، والمراد بالمحارم فعل المنهى المحرم أو ترك المأمور الواجب ا. هـ

** (ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال بعد - ضربه لهذا المثل - فى نص الحديث «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**»: فإن المعنى هو أن فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح وإذا فسدت فسدت الجوارح.

(ألا وهى القلب).. الذى قيل أنه كالملك بالنسبة للرعية إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية..

---

(١) جمع شبهة.
(٢) قمن: بفتح القاف وكسر الميم، أى جدير وحقيق.

(وقد ضرب) العلماء على هذا مثلا.. فقالوا [1]: (البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدم،والقوى الباطنة كضياع المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به، والشهوة كالطالب أرزاق الخدام،والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل،ودأبه أبدا الوزير الناصح، والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن، والقوة المفكرة فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ واللسان كالترجمان، والحواس الخمسة جواسيس وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات: فوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات،و كذلك سائرها فإنها أصحاب الأخبار.. ثم قيل: هى الحجبة توصل إلى النفس ما تدركه، وقيل: إن السمع والبصر والشم كالطاقة.. تنظر منها النفس إلى النفس ما تدركه وقيل: إن السمع والبصر والشم كالطاقات.. تنظر منها النفس..

(فالقلب) هو كالملك، فإن صلح الراعى صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية.

(وإنما) يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة: كالغل، والحقد،والحسد، والطمع، وعدم الرضى بالمقدور.. ثم يقول الإمام النووى بعد ذلك: " وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين. عافانا الله منها، وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم " ا.هـ[2].

(وهذا) الذى ختم به الإمام النووى – عليه رحمة الله كلامه – وهو بيت القصيد الذى لابد وأن نقف عنده وقفة إيجابية عسى أن ننتفع به..

(فقد) أشار إلى أمراض القلوب التى ذكر أنها قد تصل إلى الأربعين.. والتى من أخطرها ما ذكره من الأمراض الخبيثة التى لابد وأن نستأصلها من قلوبنا.. لأنها الأساس فى كل ما نحن فيه من خلافات وابتلاءات..

(بل) هى الأساس فى عدم التراحم والتعاطف بين الناس.. حتى أصبح أكثرهم لا يفكر إلا فى نفسه.. ولا يعمل إلا من أجل مصالحه الشخصية التى قد تكون ضد مصالح الآخرين..

---

(١) كما جاء فى شرح الحديث الثامن الذى تدور حوله فى شرح الأربعين النووية ص ٢٦ بتصرف يسير.

(٢) انظر شرح الحديث السادس من الأربعين النووية ص ٥، ٦.

(وهذا) ولا شك يتنافى مع الإيمان الكامل المشار إليه فى الحديث الصحيح [1].

الذى يقول فيه الرسول ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

* فلنفهم المراد من هذا التنبيه.. ولنحرص على تنفيذ المراد منه.. حتى نكون - إن شاء الله تعالى - من أصحاب القلوب البيضاء الذين سيأتون الله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

* (هذا) وإذا كان لنا بعد ذلك أن نقف على المراد من الجزئية الأولى من الحديث العظيم الذى ندور حوله، وهى: «**الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**».

* فإن المعنى - كما قال فى الفتح - أن الله تعالى: " قسم الأحكام إلى ثلاث أشياء: إما أن ينص الشارع على طلبه مع الوعيد على تركه، أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله، أو لا ينص على واحد منهما..

(فالأول): الحلال البين أى الظاهر الذى لا خفاء فيه لورود النص الصريح بحله.

(والثانى): الحرام البين أى الظاهر الذى لا خفاء فيه لورود النص الصريح بحرمته.

(والثالث): مشتبه فيه لخفائه، فلا يدرى هل هو حلال أم حرام..

(وما) كان هذا سبيله فإنه ينبغى اجتنابه..

(لأنه) إن كان فى نفس الأمر حراما فقد برىء من تبعته، وإن كان حلالا فقد أُجر على تركه بهذا القصد..

(لأن) الأصل فى الأشياء مختلف فيه هل الحظر أو الإباحة) ا.هـ.

** (وحتى) يتضح لنا هذا المعنى الأخير الذى هو أساس موضوعنا الذى ندور حوله.

(فإننى) أرى أن نقف كذلك على ما قاله الإمام النووى - عليه رحمة الله - حول المراد منه.

(فيقول) ما خلاصته: " اختلف العلماء فى حد الحلال والحرام.

فقال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى -: الحلال: ما دل الدليل على حله.

وقال الشافعى رضي الله عنه : الحرام: ما دل الدليل على تحريمه.

---

(١) الذى رواه البخارى ومسلم... عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ثم يقول الإمام النووي: وقوله ﷺ : «**وبينهما أمور مشتبهات**» أي بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام.. فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة. وكان السؤال عنه بدعة..

(ثم) يقول بعد ذلك ضاربًا مثلا صحيحا على هذا:

(وذلك) إذا قدم غريب بمتاع يبيعه، فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه..

(ثم يقول): وقوله ﷺ : «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**» أي: طلب براءة دينه وسلم من الشبهة، وأما براءة العِرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة، ونسبوه إلى أكل الحرام.. فيكون مدعاة لوقوعهم فى الإثم..

(وقد) ورد عنه ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم**»

(وعن) على ﷺ أنه قال: " إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا ".

(وفى) صحيح الترمذى أنه – صلوات الله وسلامه عليه – قال: «**إذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف**»: وذلك لئلا يقال عنه: _ أنه _ أحدث ثم يقول الإمام النووى: وقوله – عليه الصلاة والسلام -: «**فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام**» يحتمل أمرين:

(أحدهما) أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام.

(والثانى) أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام.. كما يقال المعاصى بريد الكفر. لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرجت من مفسدة إلى مفسدة أخرى أكبر منها.

(قيل): وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى عن بنى إسرائيل: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٢].

يريد أنهم تدرجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء فى الحديث: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده،ويسرق الحبل فتقطع يده**» أى – أنه – يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة. إلى أن يقول الإمام النووى بعد ذلك:

(حول) معنى: «**ألا وإن لكل ملك حمى..**»:

(واعلم) أن كل محرم له حمى يحيط به.

(فالفرج) محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلا حريما للمحرم، وكذلك.

(الخلوة) بالأجنبية حمى للمحرم..

(فيجب) على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم.. فللحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم.. " ا. هـ بتصرف.

** (وهذا) كلام خطير وكبير لابد وأن نفهمه ونركز عليه فى جميع عباداتنا ومعاملاتنا..

(بل) وفى كل موقع كنا فيه ولا سيما فى مواطن الإبتلاء التى يكثر النساء السافرات فيها.. لأنه ربما يضعف الإنسان أمام نظراتهن..

(وقد) يكون العكس هو الصحيح بالنسبة لها. فالمرأة تشتهى كما يشتهى الرجل بل وأكثر..

(وقد) ورد فى الحديث: «**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجل من النساء**»، كما قرأت ـ كذلك فى كتاب (تلبيس إبليس) أن اللعين قال لها: " أنت نصف جندى ".

**(فعلى) الأخ المسلم – ذكرا كان أم أنثى – أن يلاحظ كل هذا حتى لا يتدرج بسببه إلى ارتكاب الكبيرة التى غالبا ما تبدأ بنظرة شيطانية – وهى بريد الزنا – وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

** (عليه) أن يلاحظ هذا كذلك – بصفة خاصة – فى المأكل والمشرب والملبس – حتى لا يأكل أو يشرب أو يلبس مشتبها فى حله..

(مع) ملاحظة ما أشار إليه الحديث الشريف الذى وقفنا عليه فى مقدمة الخطبة، وهو أنه: «**لا يبلغ العبد أن يكون من** المتقين **حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس**».

(فقد) قرأت توضيحا لهذا، بل وتأكيدا له..

(أن) المعنى – كما قال المناوى: " أى يترك فضول الحلال حذرا من الوقوع فى الحرام.. ويسمى هذا ورع المتقين، وهذه هى الدرجة الثانية من درجات الورع.. قال عمر: كنا ندع تسعة أعشار الحلال خوف الوقوع فى الحرام..

(وكان) بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطى ما عليه بزيادة حبة..

(ولذلك) أخذ عمر بن عبد العزيز بأنفه من ريح المسك الذى لبيت المال.. وقال: هل يُنتفع إلا بريحه..

(ومن) ذلك: ترك النظر إلى تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها) ا.هـ.

(وقرأت) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول: " كنا نترك سبعين بابا من الحلال خشية أن نقع فى باب واحد من الحرام ".. كما قرأت ـ تأكيدا لهذا:

*(عن) عائشة رضي الله عنها قالت: " كان لأبى بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج [1] وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا [2]؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية [3] وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك هذا الذى أكلت منه [4]، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه " رواه البخارى.

(وذلك) لأن أجرة الكهانة سُحْت – أى حرام – لا يحل أكله. ولكن الصديق رضي الله عنه حين أكله لم يكن يعلم ذلك، ولو لم يخبره الغلام بهن لما كان عليه من ذلك بأس، ولكنه لما أخبره والطعام على حاله فى معدته لم يهضم بعد.. اقتضى مقام الصديق استفراغ ذلك الطعام الخبيث..

(وقد ورد أنه رضي الله عنه بعد أن قاء ما فى بطنه كله قال: " اللهم لا تؤاخذنى بما خالط الأمعاء وتشربته العروق ".

نسأل الله سبحانه وتعالى.. أن ينفعنا بما استمعنا إليه.. حتى نكون – إن شاء الله – بسبب العمل بمقتضاه من أهل الورع المتقين..

والله ولى التوفيق.

---

(١) الخراج: شيء يفرضه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم مما يكسبه، وباقى كسبه يأخذه لنفسه..

(٢) يعنى هل تعلم من أين أتيت بهذا الطعام.

(٣) أى زاولت له عمل الكهان، وهو الإخبار عما يقع فى المستقبل..

(٤) يعنى أنه أعطاه لك أجرا على كهانته.



خطب شهر شوال

الخطبة الخامسة

((الإعداد للحج والعمرة))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى سئل – كما جاء فى نص حديث صحيح متفق عليه –: «**أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور** [١]»[٢].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين.. الذين حجوا واعتمروا.. والتزموا فى حجهم. فلم يرفثوا ولم يجادلوا. ولم يرتكبوا فحشا فى القول أو الفعل.. فكانوا من المؤمنين الذين ليس لهم جزاء إلا الجنة "، وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا فى الجمعة الأخيرة من شهر شوال التى رأيت أن أدور معكم فيها حول الإعداد أو الاستعداد لأداء فريضة الحج والعمرة.

(وذلك) لأن شهر شوال من أشهر الحج المشار إليها فى قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾: فقد أفادت هذه الآية بأن الحج له زمن معلوم يؤدى فيه.

(وهذا) الزمن المعلوم هو: شهر شوال، وذو القعدة، وعشر ليالى من ذى الحجة، وقيل كله – أى فالجمع على حقيقته، وبذلك قال مالك، والمعنى على ما قال مالك: أن له التحلل فى ذى الحجة بتمامه، ولا يلزمه دم إلا بدخول الحرم [٣].

---

(١) المبرور: الذى لم يخالطه إثم، وقيل: هو المقبول.

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

(٣) انظر حاشية الصاوى على الجلالين ص٧٦ حول تفسير الآية فى سورة البقرة.

(ولهذا) فقد رأيت – كما أشرت – أن أبدأ معكم فى التنبيه على ما ينبغى على المسلم والمسلمة أن يلاحظاه بعد أن يعقدا العزم على الحج و العمرة – معا – حتى يكونا على صواب من البداية – إن شاء الله – وحتى يعودا فى النهاية بتوفيق من الله تبارك وتعالى بعد أن أديا حجا مبرورا..

**وأول ما أريد أن أوقفهما عليه.. هو التعريف بالحج والعمرة – باختصار –

*(فالحج) بفتح الحاء:

(فى الشرع) هو إتيان البيت الحرام وما حوله من الأمكنة فى أوقات مخصوصة، لأداء أفعال مخصوصة..

(وفرضيته) ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع..

(فمن) الكتاب: قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧].

(ومن) السنة: قوله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان،وحج البيت**» (١) وقوله فى الحديث الآخر: «**إن الله فرض عليكم الحج فحجوا..**» (٢).

*(وأما) الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن الحج أحد الأركان – الخمسة – التى بنى عليها الإسلام..

(وعلى) هذا، فإن منكره كافر بالإجماع.

(وهو) واجب فى العمر مرة واحدة، وهذا مجمع عليه كما قال النووى والحافظ وغيرهما.. وما سواها.. فهو تطوع..

(وقد) اختلف: هل وجوبه على الفور، أو على التراخى.. والراجح الثانى.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) وهو من حديث رواه مسلم.. وقد اختلف فى زمن فرضيته.. فقيل سنة ست عام الحديبية... ورجح ابن القيم فى الزاد أن فرضيته كانت سنة تسع أو عشر.

(وأما العمرة) فهى لغة، الزيارة، وشرعا زيارة المسجد الحرام.

(وركناها) طواف وسعى (واختلف) فى وجوبها.

(فقيل): واجبة كالحج، لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ [البقرة: ١٩٦].، فقد قرن - سبحانه وتعالى - بينهما فى وجوب الإتمام،ولقوله - عليه الصلاة والسلام - لأبى رزين العقيلى: «**حج عن أبيك واعتمر**»، قال الإمام أحمد: لا أعلم فى إيجاب العمرة حديثا أجود من هذا ولا أصح منه.. وقد جزم بوجوب العمرة جماعة من أهل الحديث.. وهو المشهور عن الشافعى وأحمد، وبه قال إسحاق والثورى والمزنى.

(وقد) روى فى الجامع الكافى القول بوجوب العمرة عن على وابن عباس،وابن عمر، وعائشة، وزين العابدين، وطاووس،والحسن البصرى ن وابن سيرين،وسعيد بن جبير، ومجاهد وعطاء.

(وقيل) إن العمرة: سنة ليست بواجبة..

(وهو) المشهور عن المالكية.

(وهو) قول الحنفية..

(واستدلوا) بما أخرجه الترمذى وصححه أحمد عن جابر أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنى عن العمرة أواجبة هى ؟ فقال: «**لا، وأن تعتمر خير لك**» وفى رواية:

(أولى لك)، ولكن فى سنده العجاج بن أرطأة ضعيف.

(قال) الشوكانى: " والحق عدم وجوب العمرة لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ولا دليل يصح لذلك. ويؤيده اقتصاره ﷺ على الحج فى حديث: «**بنى الإسلام على خمس..**» واقتصار الله - جل جلاله - على الحج فى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فلفظ التمام مشعر بأنه يجب بعد الإحرام لا قبله " ا.هـ[1].

---

(١) انظر هامش الترغيب والترهيب ج٢ ص ٢٥٧٦وما بعدها.. بتصرف واختصار.

** (وثانيا) أريد أن أذكرهما ونفسى بأن:

* الحج عبادة مالية بدنية ثوابها عظيم، ونفعها للمسلمين عميم: فهو جهاد فى سبيل الله لمن عجز عن جهاد العدو بالسلاح فى ميادين القتال.

(فعن) الحسين بن على رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: إنى جبان، وإنى ضعيف، فقال: «**هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج**» رواه عبد الرازق والطبرانى.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جهاد الكبير، والضعيف، والمرأة: الحج**» رواه النسائى بسنده.

* وأن الحج يكفر الذنوب كبيرها وصغيرها على المشهور من أقوال الفقهاء إلا المظالم التى بينه وبين العباد.

(لما رواه) البخارى وسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» والرفث هو : القبح فى الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الجماع ومقدماته ، والفسوق: كل عمل يتنافى مع تعاليم الإسلام.

* وأن الحج والعمرة يدفعان عن المسلم شر الفقر والحاجة إن هو والى بينهما أى اتبع أحد النسكين بالآخر.

(فعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير [1] خبث الحديد، والذهب، والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**» رواه النسائى، والترمذى وصححه.

* وأن الحجاج وفد الله إلى بيته الحرام.. و من وفد على الله فى بيته أكرمه وكان حقا على المزور أن يكرم زائره من باب التفضل عليه والإحسان إليه.. لا من باب الحق الواجب عليه إذ لا يجب على الله شيء..

---

(١) الكير: الآلة التى ينفخ الحداد والصانع النار.

(ومما) يدل على ذلك ما رواه النسائى وابن حبان عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الحجاج والعمار: وفد الله - أى ضيوفه - إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**».

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال - فى حديث رواه مسلم -: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة**».

* وأن الحسنة فى الحج بسبعمائة حسنة﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وذلك لما يجده الحاج من مشقة السفر والبعد عن الأهل والأقارب والانقطاع عن متع الجسد وشهوات النفس - وكل هذا ضرب من الجهاد فى سبيل الله -.

(روى) ابن أبى شيبة والطبرانى وأحمد والبيهقى عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**النفقة فى سبيل الله: الدرهم بسبعمائة ضعف**».

* وأنه من أهم فوائد الحج أنه يتيح للمسلم رؤية الأماكن المقدسة، ومشاهدة المعالم المباركة.. التى أشرق فيها شمس الإسلام، ونزل فيها الوحى على النبى ﷺ ..

(مع) الفوز قبل الحج أو بعده.. بزيارة قبر الحبيب المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - والسلام عليه وعلى صاحبيه اللذين على يمينه - عليهما رضوان الله - مع الحرص كذلك على زيارة البقيع الذى فيه ما يزيد على عشرة آلاف صحابى.. بالإضافة إلى أمهات المؤمنين - بإستثناء السيدة خديجة رضي الله عنها .. فإنها ماتت فى مكة ودفنت فيها قبل الهجرة - عليهن جميعا رضوان الله، ورضى الله عن الصحابة أجمعين.. وجمعنا بهم فى مستقر رحمته. اللهم آمين.

** أمر آخر لابد وأن أذكرهما به، ألا وهو:

شروط وجوب الحج:

وهى: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية ودخول وقته..

(مع) ملاحظة: أنه لو حج الصبى وأتى بالمناسك على وجهها صح حجه، ولكن لا يسقط عنه حجه هذا حجة الإسلام إذا ما بلغ الحلم واستوفى شروط الوجوب.

(وقد) ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يُحجِّجُون صبيانهم ويعلمونهم مناسك الحج وينوبون عنهم فيما لا يقدرون على فعله.

(قال) ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: **«أيما صبي حج ثم بلغ الحنث**[1] **فعليه أن يحج حجة أخرى، وأيما عبد حج ثم أعتق فعليه أن يحج حجة أخرى»** رواه الطبراني بسند صحيح.

(هذا) مع ملاحظة كذلك أنه لو بلغ الصبي قبل الوقوف بعرفة أجزأته هذه الحجة عن حجة الإسلام على الراجح من أقوال الفقهاء.

(وأما) عن الشرط السادس والأخير من:

(شروط الحج) فهو: الإستطاعة. التي مضمونها، أنه لا يجب على غير المستطيع أن يحج لقوله – تبارك وتعالى – في سورة البقرة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولقوله – جل وعلا – في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

❊❊(هذا) مع ملاحظة: أن الإستطاعة إنما تتحقق بخمسة أمور:

❊ الأول: توفر الصحة الكافية بحيث يقدر على الذهاب والإياب بلا مشقة بالغة.

❊ الثاني: وجود المال الكافي لذهابه ورجوعه فاضلا عن قوته وقوت عياله من وقت سفره إلى وقت عودته.

الثالث: وجود ما يحمله برا أو بحرا وهو ما يسميه الفقهاء بالراحلة – التي أصبحت الآن: سيارة، أو باخرة، أو طائرة أو دابة.. بالنسبة للذين هم على مقربة من مكة..

❊ الرابع: أمن الطريق: فإذا لم تكن الطريق آمنة سقط عنه الحج حتى يتوفر الأمن.

---

(١) قال في مختار الصحاح: الحنث الإثم والذنب وبلغ الغلام الحنث، أي بلغ المعصية والطاعة بالبلوغ.

(لأن) الله تعالى قد أمرنا باتقاء الأخطار ودفع الأضرار عن أنفسنا.

(فقال) سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال فى سورة النساء ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما﴾ [النساء: ٢٩].

** (هذا) [1] ولو كلف المسلم نفسه وحج لله خالصا وهو غير مستطيع لفقده المال مثلا صح حجه.

(وذلك) بأن استدان أو باع داره التى يسكنها، أو سأل الناس من أموالهم، أو ما شابه ذلك، ولا يكون بهذا آثما، وإن كان من الأولى له ألا يكلف نفسه شيئا لم يكلفه الله به.

** (ثم) هناك أمر هام.. لابد كذلك وأن نقف عليه.. ألا وهو:

شروط حج المرأة:

فهى – أى المرأة المسلمة – تزيد شرطين على الشروط السابقة وهى:

* أولا: وجود الزوج أو المحرم الذى يحرم عليه نكاحها حرمة مؤبدة كالأب، والإبن، والأخ، والعم، والخال، والأخ من الرضاع وابن الأخ، وابن الأخت..

(مع) ملاحظة أنه يشترط أن يكون هذا المحرم بالغا عاقلا يحسن التصرف.

(فإن) لم تجد المرأة زوجا ولا محرما يحج معها، يجوز أن تحج مع رفقة مأمونة مكونة من رجال ونساء إذا كان السفر إلى مكة لا يزيد عن يوم وليلة.

(فبهذا) قال المالكية: لأن الأمن متوفر لها مع وجود الرفقة المأمونة.

(وجوز) لها الشافعية: أن تحج مع نساء مأمونات ليس معهن رجل قربت المسافة أم بعدت إذا تحقق الأمن.

(مع) ملاحظة كذلك ما أشار إليه عالم من علماء الفقه [2] فيقول:

(ويستحب) للمرأة أن تستأذن زوجها فى الخروج إلى الحج أو إلى السفر فى طاعة، ويستحب له أن يأذن لها فى ذلك.

---

(١) كما جاء فى كتاب (الفقه الواضح) ج٦ بعد أن ذكر ما وقفنا عليه أعلاه بتصرف فى ص ١٧- وما بعدها.. الخ.

(٢) وهو الأستاذ محمد بكر إسماعيل فى الجزء السادس من كتابه (الفقه الواضح) ص ٢٩.. أكرمه الله.

(ثم) يقول متسائلا: لكن هل يجوز له منعها من الخروج إلى حجة الإسلام ؟

فقيل: إنه يجوز له أن يمنعها بناء على أن الحج واجب على التراخى.

(والأصح) أنه لا يجوز له أن يمنعها من الحج المفروض، فإن لم يأذن لها خرجت بلا إذنه لأن الحج واجب وترك الواجب معصية، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق..

(ثم) يقول: هذا – أى الذى ذكره مشروط بأنه – إذا وجدت المحرم الذى تسافر معه وتحقق لها أمن الطريق وكان حجها من مالها الخاص لا من مال زوجها، ولم يكن زوجها فى حاجة إليها:

(فإن) لم يكن لها مال تحج منه، وأبى زوجها أن يعطيها نفقة الحج: فلا يجب عليها الحج لأنها غير مستطيعة، والزوج ليس مكلفا إلا بإطعامها وكسوتها وسكناها وعلاجها إذا مرضت، ونحو ذلك من ضروريات الحياة.

(كذلك) لو كان زوجها فى حاجة إليها بأن كان مريضا أو ذا عيال لا يستطيع أن يعولهم أثناء تغيبها عنه و لا يجد من يسد مسدها فى ذلك: فإنها لا يجب عليها الحج حتى يستغنى زوجها عنها لأنها تعتبر فى حكم العاجز عنه.

(والحج) واجب على التراخى عند أكثر الفقهاء. فإذا فاتها الحج فى هذا العام–مثلا– فقد تتمكن من أدائه فى العام الذى بعده.. وهكذا والله بعباده رءوف رحيم.

*(وأما) عن الشرط الثانى من الشرطين فهو: ألا تكون معتدة من زوج عدة طلاق أو عدة وفاة..

(لأن) المرأة إذا طلقت فى أشهر الحج، أو مات زوجها: لا ينبغى لها أن تخرج فى عامها هذا إلى الحج.. لأن الله – تبارك وتعالى – قد أوجب عليها المكث فى بيتها إلى أن تقضى عدتها لا تخرج منه إلا لقضاء حاجة ضروية لا تستغرق إلا وقتا قصيرا..

نسأل الله سبحانه وتعالى. أن ينفعنا بما استمعنا إليه.. حتى نكون – إن شاء الله– بسبب العمل بمقتضاه من أهل الورع المتقين..

والله ولى التوفيق.



خطب شهر ذي القعدة

الخطبة الأولى

«الحج المقبول عند الله تعالى، وماذا نفعل إذا عزمنا على الحج – إن شاء الله ؟»



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل: « **النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله: الدرهم بسبعمائة** »[1]

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها: « **إن لك من الأجر على قدر نصَبك[2] ونفقتك** [3]» رواه الحاكم، وقال صحيح على شرطهما.

* وفي رواية له وصححها: « **إنما أجرك في عُمرتك على قدر نفقتك** [4] ».

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين .. الصادقين المتصدقين .. الذين تزودوا بالتقوى وبالمال الحلال .. في الحج والعُمرة .. فكانوا من الذين عادوا بعد ذلك بالمغفرة والأجر العظيم .. وكانوا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) النصب: بفتحتين التعب والشدة.

(٣) هو ما تنفقه من المال في السفر إلى مكة والإقامة بها وما تخرجه من صدقات لفقرائها .. والمراد أن الأجر يكون على قدر المشقة والنفقة.

(٤) وأداة الحصر هنا وهي (إنما) تفيد أنه ليس لها من الجر إلا على قدر ما أنفقت من المال بالصدقة وغيرها.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. فى الجمعة الأولى من شهر ذى القعدة التى رأيت أن أواصل معكم فيها حول:

(موضوع) الحج والعمرة الذى استمعنا إلى أهم أساسياته فى اللقاء الماضى .. والذى كنت قد وعدت فى ختامه بأننى – إن شاء الله – وفى اللقاء القادم – الذى نحن فى أوله الآن – سأعود بكم أو معكم إلى موضوع الحج المقبول عند الله تعالى..

(وإذا) كان لى أن أبدأ أولا بشرح المراد من الآية الكريمة التى وقفنا عليها فى مقدمة الخطبة .. وهى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ فإن المعنى هو أن الأشهر المعلومات هى: شهر شوال، وشهر ذى القعدة، وعشر ليال من ذى الحجة .. وقيل كله .

﴿**فَمَنْ فَرَضَ**﴾ على نفسه ﴿**فِيهِنَّ الْحَجَّ**﴾ بالإحرام به .. أى ألزم نفسه الدخول فى أفعال الحج بأن أحرم به . ﴿**فَلا رَفَثَ**﴾ أى: لا جماع فيه . ﴿**وَلا فُسُوقَ**﴾ أى: لا معاصى . ﴿**وَلا جِدَالَ**﴾ أى: لا خصام فى الحج . والمراد به: مقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل .. وأما لنصرة الحق فلا بأس بذلك ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ فيجازيكم به ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ وقد نزلت فى أهل اليمن .. الذين كانوا يحجون بلا زاد فكانوا لذلك كَلاًّ على الناس – أى عالة عليهم ..

(وقد) ذكر البخارى وأبو داود رضي الله عنهما أن أهل اليمن كانوا يحجون دون أن يتزودوا من الطعام ويقولون: نحن المتوكلون،ويسألون الناس الطعام، فنزلت هذه الآية . ولكنها غير مقصورة عليهم، إذ العبرة – كما يقرر الفقهاء – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(فالمعنى)[1]: وتزودوا أيها المسافرون بالطعام، واتقوا طلبه من غيركم والإثقال عليهم بذلك، فإن خير الزاد اتقاء الإثقال على الناس وإبرامهم. أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات، فإن خير الزاد اتقاؤها وخافوا عقابى، يا أصحاب العقول الراجحة.

---

(١) كما جاء فى تفسير الوسيط ص٣١٢ حول تفسير الآية ١٩٧ من البقرة .

** (وهذا) بيت القصيد فى هذا الموضوع الذى ندور حوله .. حتى لا يكون الحاج متسولا أو عالة على غيره .. كما يفعل بعضهم .. وهذا الفعل ليس مشروعا، وليس من أخلاق المؤمنين الذين أعزهم الله بعزه وجعلهم بالإستغناء عن غيرهم سادة محترمين ..

(فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا هذا أولا حتى يتزودوا بالتقوى على هذا الأساس الذى وقفنا عليه ..

(وعليهم) بعد ذلك أو مع ذلك أن يلاحظوا: أن الحج المقبول عند الله -تبارك وتعالى- لابد وأن تتوفر فيه الشروط الآتية، وهى:

*أولا: أن يكون المال الذى يحج به المسلم - ذكرا كان أو أنثى - من الحلال الطيب .. وإلا فإن الله تعالى سيرفض حجه أو حجها .. لأن الله تعالى: (طيب لا يقبل إلا طيبا) .

(وقد) ورد فى الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى فى الأوسط [1] .. أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة - أى: من كسب حلال - ووضع رجله فى الغرز - أى فى ركاب الرحل . أو فى السيارة، أو الباخرة، أو الطائرة . فنادى: لبيك اللهم لبيك [2] ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك[3]، زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور [4] . وإذا خرج - الحاج - بالنفقة الخبيثة - أى الملوثة.. التى هى عن طريق بيع الممنوعات، أو الدخان، أو المشروبات المسكرة من الخمور أو الرشوة، أو العمل الغير متقن، أو اللهو واللعب الذى يشغل الناس عن الله وعن الصلاة بصفة خاصة .. أو الغش أو الخداع أو الظلم، أو الميسر.. الخ: فوضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد**

---

(١) ورواه الأصبهانى من حديث اسلم مولى عمر بن الخطاب، مرسلا مختصرا .
(٢) أى إسراعا فى إجابتك بعد إسراع .
(٣) أى إسعادا لك بعد إسعاد ..
(٤) أى: مقبول واقع موقعه عند الله غير ملتبس بشيء من الوزر .

من السماء: لا لبيك ولا سعديك [1] زادك حرام ونفقتك حرام - وراحلتك حرام[2]- وحجك مأزور غير مبرور »[3].

(وهذا) معناه أن النفقة الحلال لابد وأن تكون أساسا فى نفقة الحج الذى يرجو ثواب الله ومغفرته .. فضلا عن فوزه بالجنة التى ستكون - إن شاء الله تعالى - مستقرة مع الأنبياء والصالحين .. ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

* والثانى من شروط الحج المقبول عند الله: أن ينوى بحجه وجه الله - تبارك وتعالى -، ولا يقصد به رياء ولا سمعة ..

(فإن) الحج عبادة ينبغى أن تكون خالصة لوجه الله الكريم الذى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وقال: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] .

(وهذا) معناه أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله فإن الله تعالى يرفضه .

(وقد) ورد فى الحديث الشريف [4] أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برئ وهو للذى أشرك [5] " .

* والشرط الثالث من شروط الحج المقبول عند الله تعالى: أن يتقى الله تعالى ما استطاع فى حله وترحاله من وقت خروجه من بيته إلى أن يعود إليه .

(بمعنى) أن لا يتكلم إلا بخير، ولا يفعل فعلا مشينا يتنافى مع هذه العبادة الجليلة التى لابد وأن يكون حريصًا على أن يكون ملتزما فيها بالأخلاقيات الكريمة التى هى روح الإسلام ..

(وعليه) بصفة خاصة أن يترك الرفث .

---

(١) دعاء عليه بأن تلبيته غير مقبولة ولا مسموع لها .
(٢) فقد تكون مسروقة أو مغتصبة مثلا ..
(٣) أى مرفوض مردود غير مقبول .
(٤) الذى رواه ابن ماجه ورواته ثقات .. عن أبى هريرة .
(٥) أى أن عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برئ منه .

(وهى) القبح فى الأقوال والأفعال، والنظر إلى النساء بشهوة حتى لا يفكر فى الجماع – وعليه أن يحذر الإختلاط بهن إلا لضرورة التعاون معهن فى شراء المطلوب من الطعام أو الشراب .. والقيام برمى الجمرات نيابة عنهن .

(ولاسيما) فى الحل أو الترحال .. إلى حيث سنؤدى المناسك ..

(وعليه) أن لا يقتل صيدا، ولا يؤذى مسلما ولا يخاصم أحدا، ولا يجادل فى البيع والشراء .

(قال) تعالى:﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٦] .

(وقال) رسول الله ﷺ « **من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه** »(١) .

* والشرط الرابع من شروط الحج المقبول عند الله: أنه يجب عليه أن يتوب إلى الله من ذنوبه ويبادر برد المظالم إلى أصحابها، أو يطلب منهم السماح فيها، وأن يسترضى خصومه، ويصفح عنهم، ويطلب منهم أن يصفحوا عنه فربما لا يعود إليهم(٢) .

* (وهذا) الهدف لن يكون محققا إلا بتحقيق الشرط الأخير الذى سيكون معناه أن الأخ الحاج الذى يدرك تماما أنه على سفر .. وأنه قد لا يعود .. لابد وأن يعمل لهذا السفر المبارك ألف حساب بحيث يكون على صلة دائمة بالله عن طريق الرجوع إلى الله ورد المظالم إلى أصحابها .. قبل السفر حتى يتقبل الله منه حجه أو عمرته ..

** (وعليه) إذا عزم على الحج – إن شاء الله –: أن يقوم بعمل الإجراءات .. مع التوكل على الله تعالى .. بدون تردد ..

(قال) تعالى:﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]

---

(١) رواه البخارى وغيره .

(٢) بسبب الموت هناك .

*(وعليه) إذا حان وقت السفر أن يدخل إلى محرابه فى بيته [1]. ويركع ركعتين لله رب العالمين [2] .. وهو يحاول أن يستحضر فيهما قلبه ..

(وأن) يضرع إلى الله فى سجوده أن يجعل التوفيق حليفه فى حله وترحاله وأن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم .. وأن يعيده إلى بلده سالما غانما .. مغفورا له ..

(و عليه) إذا أراد الخروج من منزله أن يودع أهله وجيرانه .. وهو يقول لمن يودعه: أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه .

(وعليهم) أن يقولوا له: فى حفظ الله وكنفه، زودك الله التقوى، وجنبك الله الردى [3]، وغفر ذنبك، ووجهك إلى الخير أينما توجهت ..

(ونحو) أن يقرأ عند خروجه من بيته: آية الكرسى [4] وسورة القدر .

(ثم) يتصدق بصدقة طيبة .. ثم يدعو قائلا: " اللهم إنى أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل،أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل على . اللهم إنى أعوذ بك من الضيعة فى السفر، والكآبة فى المنقلب [5]، اللهم اقبض لنا الأرض [6]، وهون علينا السفر .. بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

(ثم) إذا استوى على الراحلة أو الناقلة [7] .. من السنة أن يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ[8] * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. اللهم إنا نسألك فى سفرنا البر والتقوى، ومَن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل .. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر [9] وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل ..

---

(١) الذى ينبغى أن يكون مسجدا له، ولكل أفراد الأسرة . (بحيث) لا يكون هذا سبب فى عدم حضور الجماعات فى المسجد . (فعليه) كرجل أن يحافظ على حضور الجماعات .. ويصلى السنة فى بيته .. إن شاء الله ..

(٢) بنية السفر .

(٣) أى الهلاك والخسران ..

(٤) وهى الآية رقم ٢٥٥ من البقرة .

(٥) أى المرجع .

(٦) أى اطو لنا الأرض وقصر لنا المسافة .

(٧) التى منها السيارة، أو الباخرة، أو الطائرة .

(٨) اى مسخرين ومذللين .

(٩) أى تعسر طريق السفر .

(ثم) إذا أتى بلدة – فى طريقه – فإنه من السنة أن يقول -: " اللهم إنى أسألك من خيرها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها " .

(وكذلك) من السنة إذا نزلت منزلا أن تقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

(وإذا) أنزلت متاعك على الأرض، فقل: " بسم الله توكلت على الله، أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق، وذرا [١]، وبرا [٢]، سلام على نوح فى العالمين " (اللهم أعطنا خير هذا المنزل وخير ما فيه، واكفنا شره وشر ما فيه) .

(وعند) ارتحاله من منزل إلى منزل يسن أن يقول: " الحمد لله الذى عافانا فى منتقلنا ومثوانا اللهم كما أخرجتنا من منزلنا سالمين بلغنا غيره آمنين " .

(وعليه) كذلك إذا علا شرفا من الأرض – أى مكانا مرتفعا أن يكبر ثلاثا، ويقول: اللهم لك الشرف [٣] على كل شرف، ولك الحمد على كل حال " .

(وإذا) هبط منه أى من هذا الشرف.. فإنه من السنة أن يسبح الله – تبارك وتعالى -.

(وعليه) أيضًا إذا اعترضه شيء يخافه أن يقول: " سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح .. جملت السموات بالعزة والجبروت " .

** (وعلى) الأخ الحاج – بصفة خاصة، وعلى جميع الإخوة المسلمين المستمعين [٤] بصفة عامة ..

(أن) يلاحظوا تنفيذ هذه السنن فى كل سفر طاعة .. لأنهم سيكونون فى أشد الحاجة إلى قبول تلك الدعوات .. فى الحضر أو السفر .. ولأن (الدعاء مخ العبادة) ولا سيما إذا كان قد ورد على لسان سيد المرسلين – صلوات الله وسلامه عليه – الذى لا ﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [سورة النجم: ٣] بلفظ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ .

** (وعلى) الأخ الحاج – إن شاء الله – أن يستحضر فى قلبه دائما وأبدا عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) ذرا: أى أوجد .

(٢) وبرا أى كون وخلق وأحدث .

(٣) أى لك الرفعة على كل رفعة ولك العزة على كل عزة .

(٤) أو القارئين لهذا الكتاب .. إن شاء الله . .

(وأن) يتذكر أنه قادم عليه، وراجع إليه ..
(وأنه) سبحانه وتعالى سيحاسبه على الصغيرة والكبيرة .
(وأنه) سيجازيه بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا .
(وأن) يتذكر أن رحلة الحج – هذه – أشبه بالرحلة إلى الدار الآخرة .
(وحسبه) أن يتذكر هذا كلما نظر إلى ملابس الإحرام التى فوق جسده .
(والتى) تعتبر كفنا له إذا مات .

(وحسبى) أن أذكره ونفسى من خلال هذا التذكير .. بكلام كبير قاله سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه يوم أن وقف أمام الكعبة، ثم قال موجها كلامه إلى جميع المستمعين إليه: " أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا: نعم قال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون .. فقالوا: دلنا على زاده .. فقال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشية القبور، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور "

**(وعلى) الأخ الحاج .. أولا وأخيرا ..
(أن) يتعلم مناسك الحج حتى يؤديها على أكمل وجه .
(وكما) وردت عن رسول الله ﷺ الذى يقول: « **خذوا عنى مناسككم** » [1] .
(وعليه) أن يذكر أن: « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » [2] .
(وذلك) حتى لا يستنكف أن يسأل عن أى شيء لا يعرفه ..
(لأنه) لا حياء فى فهم الدين [3] .

**(ولسوف) أعود بكم أو معكم فى اللقاء القادم إن شاء الله تعالى .. إلى أعمال الحج .. الذى نسأل الله تبارك وتعالى أن يكتبه لنا جميعا .

والله ولى التوفيق .

---

(١) وهو حديث صحيح فى صحيح الجامع .
(٢) وهو حديث صحيح صححه الألبانى فى الصغير (٣٨٠٨، ٣٨٠٩) .
(٣) لا تقل لا حياء فى الدين (بل) قل: لا حياء فى فهم الدين .. لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان. .



خطب شهر ذي القعدة

الخطبة الثانية

((أعمال الحج والعمرة))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه القائـل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: **«الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عن المنكر سهم، والجهاد فى سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم له»** رواه البزار .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين .. الصادقين العاملين المخلصين .. الذين حجوا واعتمروا .. على أساس فقهى سليم كما حج حبيبهم المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – وكما علمهم .. فكان حجهم مبرورا، وذنبهم مغفورا وسعيهم مشكورا .. وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. فى الخطبة الثانية من شهر ذى القعدة التى رأيت كما وعدت فى اللقاء الماضى . أن أدور معكم فيها حول:

أعمال الحج والعمرة:

التى لابد وأن يكون الأخ الحاج على علم بها، ومنفذا لها حتى يكون إن شاء الله تعالى مؤديا لفريضة الحج والعمرة على أكمل وجه .

(وبدون) نقص أو أخطاء .. قد تكون مفسدة لهذا الحج ..

(مع) ملاحظة أن الجهل بالأحكام – بصفة عامة – ليس عذرا .. لأنه من المفروض على المسلم والمسلمة أن يكونا على صلة بالفقه الدينى .

(فقد) ورد فى الحديث الشريف الصحيح [1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » مع ملاحظة: أن الفقه فى الدين هو البصر النافذ وحسن الفهم لمقاصد الشريعة، وجودة استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

(وقد) قرأ - توضيحا لهذا عن مجاهد رحمه الله أنه قال: بينا نحن أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما حلق فى المسجد (طاووس،وسعيد بن جبير، وعكرمة) وابن عباس قائم يصلى، إذ وقف علينا رجل، فقال: هل من مفت ؟ فقلنا: سل . فقال: إنى كلما بلت: تبعه الماء الدافق فقلنا: الذي يكون منه الولد ؟ قال: نعم قلنا: عليك الغسل، فولى الرجل يرجع أى يقول: " إنا لله وإنا إليه راجعون " .

(وعجل) ابن عباس فى صلاته، ثم قال لعكرمة: على بالرجل – أى أسرع وراءه وأحضره إلى - .

(ثم) أقبل علينا ابن عباس، فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله؟ قلنا لا .. فعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا: لا قال: فعَمه .. أى فعمن أفتيتموه ؟ قلنا: عن رأينا .

(قال) فلذلك فقد ورد فى الأثر: " فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد" [2] وكان الرجل قد جاء فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك، أتجد شهوة فى قُبلك [3] ؟ قال: لا . قال: فهل تجد خدرا فى جسدك ؟ قال: لا: قال: إنما هذه أُبردة، يجزيك منها الوضوء [4] . ا. هـ بتصرف فى التوضيح .

**(وهذا) معناه كما أشرت: أنه لابد وأن يكون الأخ الحاج بصفة خاصة .. على صلة بأحكام الحج .. حتى لا يبطل عمله .. ويضيع ثوابه ..

---

(١) الذى رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ورواه أبو يعلى .
(٢) وهو أثر وليس حديثا .
(٣) القبل بضم القاف والباء: هو مجرى البول بالنسبة لرجل والفرج بالنسبة للمرأة .
(٤) انظر (الفقه الواضح) ج١ ص ٩١ وما بعدهما بتصرف

**(والآن) وبعد هذا التمهيد الهام، إليه بيان مفصل لأعمال الحج كلها والعمرة، والتى أولها:

مواقيت الحج والعمرة:

* فللحج ميقات زماني يؤدى فيه ، وميقات مكانى يبتدأ الإحرام به منه .

* أما بالنسة للعمرة ، فليس لها وقت معين تؤدى فيه ، بل يجوز أن تؤدي فى جميع أشهر السنة ..

(ولسوف)نقف – إن شاء الله – على ميقاتها المكانى .. وأهم أحكامها...(ولكن) بعد أن نقف على:

** (ميقات الحج الزمانى) فهو من أول شهر شؤال باتفاق العلماء ، وينتهى بفجر يوم النحر عند جمهور الفقهاء خلافا للمالكية ، فإنهم جعلوا شهر ذا الحجة كله وقتا للحج .

(وهذا) الذى ذهب إليه المالكية هو الأرجح، لأن بعض أفعال الحج كرمى الجمار يقع فى الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر من ذى الحجة ..

(ولأن) قول الله تعالى فى الآية: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ جمع، والجمع لا يصح إطلاقه على شهرين وبعض شهر .. والله أعلم .

*(وقد) اختلف العلماء فى صحة الإحرام قبل أشهره – أى قبل شوال – فذهب ابن عباس، وابن عمر، وجابر والشافعى إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فى أشهره، وقالوا: من أحرم قبلها، أحل بعمرة، ولا يجزئه عن إحرام الحج .

(قال) ابن عباس رضي الله عنهما : " من السنة ألا يحرم بالحج إلا فى أشهر الحج " أخرجه البخارى .

(وقال) الحنفيون ومالك وأحمد: يصح الإحرام قبل أشهره مع الكراهة .

(و أحب) أن يعلم الأخ الحاج بصفة خاصة: أن المكروه [1]، هو: ما يستحب للمسلم تركه حماية للدين، وصيانة للعرض، وطلبا لمزيد الأجر والثواب ولو فعله ما تعرض للعقاب .. وهو خلاف الأولى ..

---

(١) وهو فى اللغة ضد المحبوب .

(فالأولى) أن لا يفعله الأخ الحاج .

(وعليه) أن يفعل ما يجزئه – إن شاء الله تعالى - .. وهو السنة .

** (وأما) عن الميقات المكانى، فهو يختلف باختلاف البلدان والأماكن .. كما بين رسول الله ﷺ :

(فجعل) ميقات أهل المدينة: (ذا الحليفة) [1]، ولأهل الشام: الجحفة [2]، وميقات أهل نجد: (قرن المنازل) [3] وميقات أهل اليمن: (يلملم) [4]، وميقات أهل العراق: (ذات عرق) [5] .

(فعن) عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ " وقت لأهل المدينة: (ذا الحليفة) ولأهل الشام ومصر (الجحفة) ولأهل العراق: (ذات عرق) ولأهل نجد: (قرنا) ولأهل اليمن: (يلملم) " أخرجه النسائي .

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ " وقت لأهل المدينة (ذا الحليفة)، ولأهل الشام: (الجحفة)، ولأهل نجد: (قرن المنازل)،ولأهل اليمن: (يلملم)، قال: « **فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة ومن كان دونهن فمهله – أى إحرامه – من أهله حتى أهل مكة يهلون منها** » " . أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

*(مع) ملاحظة: أن أهل مصر إذا توجهوا أولا لزيارة قبر النبى ﷺ وأرادوا الإحرام من الحج: وجب عليهم أن يحرموا من ذى الحليفة ميقات أهل المدينة.

---

(١) موضع بينه وبين مكه ٤٥٠ كيلو يقع فى شمالها ..

(٢) موضع فى الشمال الغربى من مكة بينه وبينها ١٨٧ كيلو متر وهى قريبة من رابغ التى بينها وبين مكة ٢٠٤ كيلو مترا، وقد صارت رابغ ميقات أهل مصر والشام، ومن يمر عليها بعد ذهاب معالم جحفة.

(٣) جبل شرقى مكة يطل على عرفات بينه وبين مكة ٩٤ كيلو متر .

(٤) جبل يقع جنوب مكة بينه وبينها ٥٤ كيلو متر .

(٥) موضع فى الشمال الشرقى لمكة، بينه وبينها ٩٤ كيلو متر (انظر) فقه السنة ج٥ ص ٧١ وكما جاء فى الفقه الواضح ج٦ ص ٢٧ .. بتصرف .

* (أما) من كان من غير أهل هـذه الأمـاكن ولا يمـر فى طريقـه إلى مكـة عـلى أى ميقات من هذه المواقيت الخمسة [1] بأن كان يسكن قريبا من مكـة فليحـرم مـن بيتـه وأهل مكة يحرمون بالحج من مكة نفسها ..

(وهذا) هو معنى قوله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه أحمد والبخارى ومسلم: **من كان دونهن فمهله من أهل حتى أهل مكة يهلون منها** » أى يحرمون منها بالحج .

(أما) إذا أرادوا الإحرام بالعمرة: فعليهم أن يخرجوا إلى (الحل) فيحرمون منه .

(والحل) بالنسبة لهم الجعرانة [2]، أو التنعيم [3] .

* (مع) ملاحظة كذلك: أنه يجوز عند أكثر الفقهاء للحاج أن يحرم قبـل الميقـات إذا خاف أن يجاوزه وهو لا يعلم، كالذى يحج بالطائرة، فإن له أن يحـرم مـن بيتـه أو من المطار ...

(أما) من جاوز الميقات ولم يحرم .. فعليه الرجوع إليه ليحرم منه ولا فدية عليه إن رجع إليه وأحرم منه، وقيل: عليه الفدية .

(وأما) من جاوز الميقـات ولم يرجـع إليـه، وأحـرم حيـث هـو (فعليـه) فديـة بـلا خلاف .. لأنه ترك واجبا من واجبات الحج .

(ثم) بعد ذلك .. وبعد أن وقفنا بإيجاز على مواقيـت الحـج الزمانيـة والمكانيـة .. نبدأ فى ذكر وتوضيح:

أعمال الحج والعمرة:

وهى كثيرة: تبدأ بالإحرام، وتنتهى بطواف الوداع وتسمى (مناسـك الحـج) أى عباداته وشعائره .

*(أمـا) مـا تقـدم ذكـره مـن السـنن، والآداب كالتوبـة، ورد المظـالم، واسترضـاء الخصوم ، وتوديع الأهل والجيران، وصلاة ركعتين قبل الخروج من البيت:

(إن) ذلـك كلـه كـان تقـديما وتمهيـدا وتجهيـزا روحيـا لأعـمال الحج،وإعـدادًا واستعدادا للدخول فيه .

---

(١) المشار إليها قبل ذلك فى الحديثين

(٢) الجعرانة: مكان شرق مكة بينه وبينها ذ٦ كيلوا مترا .

(٣) والتنعيم: مكان يقع شمال مكة على بعد ٦ كيلوا مترا منها .

(وأما) هذه الأعمال التى تسمى بأعمال الحج، والتى سنذكرها تباعا .. فإن منها ما هو (ركن)، وما هو: (واجب)،وما هو (سنة)، وما هو: (مستحب) .

**(ولهذا) كان من الفقه المطلوب واللازم للأخ الحاج .. أن يعرف:

الفرق بين الركن والواجب والسنة والمستحب .

حتى لا يكون جاهلا بكل تلك الأحكام التى يفسد الحج بترك بعضها - وهو الركن - ولا يجبر بدم .

(فإليك) بيانها الذى ستحتاج إليه طوال رحلة الحج .. إن شاء الله .

* أولا: الركن: والفرض، اللازم، والمحتم، والواجب: بمعنى واحد، إلا فى باب الحج، فإن الركن فيه يختلف عن الواجب .. أى أن الركن فيه أو الفرض يفسد الحج بتركه ولا يجبر بدم .

(وأما) الواجب فهو: ما لا يفسد الحج بتركه ولكن يجبر تركه بدم أو بذبح شاة.

* ثانيا: فإن السنة، فهى التى لا يبطل بتركها الحج،وليس فى تركها دم .

(وهى) السنة المؤكدة فهى: ما فعلها النبى ﷺ فى جماعة وواظب على فعلها، ورغب فيها، ولكن لم يدل دليل على وجوبها [1] .

(وأما) السنة غير المؤكدة فهى: التى كان النبى ﷺ يفعلها أحيانا ويتركها أحيانا، ولم يرغب الناس فى فعلها ترغيبا مؤكدا، ولم يحذرهم من تركها .. ولهذا يسميها الفقهاء بسنة غير مؤكدة،ويسمونها بالمستحب، أو المندوب، أو الفضيلة .

** (وأما) عن أول ركن من أركان الحج، فهو الإحرام ..

الذى معناه الدخول فى النسكين - الحج أو العمرة - أو نية الدخول فيهما معا .

وأنواعه ثلاثة:

---

(١) وينبغى على الأخ المسلم أن لا يتهاون بالسنن سواء كانت مؤكدة أم غير مؤكدة ... لأن التهاون بها سيؤدى تلقائيا إلى التهاون فى الفرائض نفسها .. فضلا عن أن ترك السنن يؤدى إلى نقصان العمل، والحرمان من الأجر العظيم .. الذى نحن جميعا وبدون استثناء فى أشد الحاجة إليه .. (مع) ملاحظة: أن السنة المؤكدة يثاب الإنسان على على فعلها ويعاتب على تركها - من رسول الله ﷺ .

*الأول: الإفراد:

وهو الإحرام بالحج فقط وذلك بأن يقول الحاج: "نويت الحج أو أحرمت به لله تعالى، ويقول: لبيك بحج، ويقوم بتأدية مناسك الحج كلها ثم يحرم بعد ذلك بعمرة إن شاء " .

*النوع الثانى: التمتع:

وهو الإحرام بالعمرة فقط فيقول: " نويت العمرة، اللهم يسرها لى وتقبلها منى، ويقول عند التلبية: لبيك بعمرة " .

(فإذا) دخل مكة طاف وسعى وتحلل من عمرته بالحلق أو التقصير ولبس ثيابه المعتادة .. حتى إذا جاء يوم التروية – وهو اليوم الثامن من ذى الحجة – أحرم بالحج من مكة، ويكون عليه فى هذه الحالة فدية، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

(وسمى) المحرم بعمرة متمتعا لأنه يتمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله من العمرة إلى وقت إنشاء الحج.

* والنوع الثالث: من أنواع الإحرام: القران:

وهو الإحرام بالعمرة والحج معا عند الميقات بأن يقول: " نويت العمرة والحج وأحرمت بهما لله تعالى، ويقول عند بدء التلبية: لبيك بعمرة وحج، ويقدم فى النية العمرة على الحج " .

(فإن) أحرم بالعمرة ثم أضاف إليها الحج قبل طواف القدوم جاز، ويسمى فى هذه الحالة أيضًا قرانا .

(فمن) قرن بين العمرة والحج ولم يتحلل من إحرامه حتى يؤدى المناسك كلها. أى: حتى يطوف ويسعى بين الصفا والمروة، ويقف بعرفة ويبيت بمزدلفة، ويرمى جمرة العقبة يوم النحر، ويذبح الهدى .

(وتدخل) العمرة فى الحج كما تدخل السنة فى الفرض ...

(ولو أحرم) المسلم بحج وعمرة فقرن بينهما وجب عليه دم وهو ذبح شاة .

(وقد) أجمع العلماء على جواز كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة .

(الحديث) عائشة رضي الله عنها قالت: " خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بالحج،وأهل رسول الله ﷺ بالحج، فأما من أهل بعمرة فحل عند قدومه، وأما من أهل بحج، أو جمع بين الحج والعمرة فلم يحل حتى كان يوم النحر "[1] .

**(هذا) وإن شاء الله تعالى فى الخطبة القادمة سأواصل معكم أعمال الحج .. حول: مطالب الإحرام .

ونحن نسأل الله تعالى أن يكتب لنا الحج فى هذا العام .. اللهم آمين .

والله ولى التوفيق .

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .



خطب شهر ذي القعدة

الخطبة الثالثة

((مطالب الإحرام والتلبية، ومحظورات الإحرام، وما يباح للمحرم))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا[1] وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ[2] يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ[3] عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى كان يتطيب لإحرامه قبل أن يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت[4] .. كما ورد فى حديث متفق عليه[5] .. أن الرسول ﷺ كان يقول فى تلبيته: « **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك** ».

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .. الذين لبوا نداء أبينا إبراهيم الخليل – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم – الذى أمره الله تعالى بأن يؤذن فى الناس بالحج: فحجوا رجالا أو ركبانا ومن كل فج عميق[6] **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾** [الحج رقم ٢٨]. فكانوا لهذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [النور: ٣٧، ٣٨]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. فى الخطبة الثالثة من شهر ذى القعدة التى وعدت فى اللقاء الماضى .. أن أواصل معكم فيها أعمال الحج التى كنا قد توقفنا فيها عند موضوع:

---

(١) أى ماشين على أرجلهم .

(٢) الضامر: هو الجمل الهزيل الذى أتعبه طول السفر .

(٣) الفج هو: الطريق، والعميق، أى الواسع أو البعيد .

(٤) كما ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٥) أى رواه البخارى ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر .

(٦) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى الآية رقم ٢٧ من سورة الحج .

مطالب الإحرام:

التى قال فيها صاحب (الفقه الواضح) – أكرمه الله –[1] يطلب ممن أراد الإحرام بالحج أو العمرة، أو بهما معا ستة أمور، وهى[2]:

* أولا، وثانيا: التنظيف والغسل:

أى أنه يستحب للمسلم إذا قارب الميقات المكانى الذى حدده الرسول ﷺ أن يقوم بتنظيف بدنه، فيبدأ بقص أظفاره، وإحفاء شاربه، ونتف شعر إبطه، وحلق عانته[3]، وتمشيط شعر رأسه، ثم يغتسل. وغُسل الإحرام، وهو كغسل الجنابة إلا أنه سنة ليس على من تركه إثم ولا فدية .

(والمرأة) تغتسل للإحرام كالرجل حتى لو كانت حائضا أو نفساء لأنه شرع لتنظيف البدن وتنشيطه، وهو لا يرفع عنها الحيض ولا النفاس قطعا .

(ودليل) ذلك ما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نفست[4] أسماء بنت عميس بمحمد بن أبى بكر بالشجرة[5] فأمر النبى ﷺ أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل[6] .

(واشترط) المالكية أن يكون الغسل متصلا بالإحرام بحيث لا يفصل بينهما وقت طويل[7] .

* المطلب الثالث من مطالب الإحرام: ارتداء ملابس الإحرام:

أى بعد أن ينظف الرجل بدنه، ويزيل شعثه، ويغتسل: يجب عليه أن يلبس ملابس الإحرام، وهى: إزار يلفه على وسطه، ورداء يضعه على كتفيه، ونعل لا يغطى الكعبين، ولا يغطى المحرم رأسه ولا وجهه ..

---

(١) وهو الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل فى الجزء السادس من كتابه المشار إليه ص٤٣ وما بعدها.

(٢) بتصرف وإيجاز .

(٣) العانة هى الشعر الذى يكون عند ذكر الرجل وفرج المرأة .

(٤) نفست بضم النون وفتحها وكسر الفاء: أى ولدت .

(٥) الشجرة كانت بذى الحليفة .. ميقات أهل المدينة يحرمون منه .

(٦) أي تحرم بالحج .

(٧) انظر ص ٤٢ وما بعدها من الفقه الواضح لكى تقف على المزيد .

(هذا) بالنسبة للرجل، أما المرأة: فتلبس ثيابها المعتادة وتغطى رأسها ولا تغطى وجهها ولا كفيها، فإحرامها فى وجهها وكفيها ..

(ويستحب) أن يكون الإزار والرداء ابيضين لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم** » أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم .

(ومن) لم يجد إزارا جاز له أن يلبس السروال، ومن لم يجد النعلين جاز له أن يلبس الخفين، وهما حذاءان من جلد رقيق فى الغالب يغطيان الكعبين .

*والمطلب الرابع من مطالب الإحرام: التطيب بالطيب:

أى أنه يستحب للمحرم بعد أن يغتسل ويلبس ملابس الإحرام أن يتطيب بما يجد من أنواع الطيب .

(وهذا) قبل أن ينوى الحج أو العمرة أو هما معا .

(أما بعد) الإحرام: فلا يجوز له استعمال الطيب حتى يتحلل من نسكه بالحلق أو التقصير .

(روى البخارى ومسلم) عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت " .

*المطلب الخامس من مطالب الإحرام: صلاة ركعتين عند إرادة الإحرام:

أى أنه يستحب لمن يريد الدخول فى أحد النسكين أن يصلى قبل النية ركعتين لله تعالى يستحضر فيهما قلبه ويقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ ويقرأ فى الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ .

(روى) البخارى فى صحيحه أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يأتى مسجد ذى الحليفة فيصلى ركعتين، ثم يركب، فإذا استوت به راحلته قائمة أهل[1]، ثم قال: " هكذا رأيت رسول الله ﷺ " .

*المطلب السادس من مطالب الإحرام: الإحرام مع التلبية:

أى أنه إذا صلى المسلم ركعتين، استوى قائما، وركب دابته، أو مشى على قدميه، أو وقف مستقبلا القبلة، ونوى بقلبه ولسانه الحج أو العمرة، أو هما معا فقال:

---

(١) أى أحرم بالحج .

نويت الحج وأحرمت به لله، اللهم يسره لى وتقبله منى، ويلبى عقب النية مباشرة .

(وهكذا) يقول إذا نوى العمرة، وإذا نوى، العمرة والحج معا قدم العمرة على الحج، فقال: نويت العمرة والحج لله ..

(ويستحب) أن تكون النية عند بدء السير عقب الركعتين ..

(مع) ملاحظة: أن النية هى الركن الركين الذى لا تصح العبادة إلا به ..

(لقوله) تعالى فى سورة البينة:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ولقوله ﷺ فيما رواه البخارى وغيره: « **إنما الأعمال بالنيات** ».

** (وأما) عن: التلبية، فإن معناها الإجابة، والملازمة، فإذا قال .. (لبيك اللهم لبيك) فإن المعنى هو: أجبتك يا الله ولزمت طاعتك، والتكرار للتوكيد .

(والتلبية) واجب من واجبات الحج عند المالكية من تركها لزمه دم .

(ويشترط) عندهم أن تكون متصلة بالنية .

(والدليل) على وجوبها، ما رواه أحمد بسند جيد أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يا آل محمد من حج منكم فليهل فى حجة** » ومعنى يهل، أى يلبى ويرفع صوته بها .

* (وقال) الأحناف: التلبية من شروط الإحرام لا يصح بدونها للأمر بها فى الحديث المتقدم، ولكن يغنى عنها ويقوم مقامها عند تركها: أى أنواع الذكر [١] .

(والأمر) فى الحديث المتقدم يحتمل الوجوب، ويحتمل الشرطية ويحتمل الندب – أى الإستحباب – والأقرب إلى الصواب والأحوط فى الدين هو ما ذهب إليه المالكية .. والله أعلم .

* (وأما) عن لفظها، فهى كما ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" .

(وكان) عبد الله بن عمر يزيد فيها .. لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال فى تلبيته: «**لبيك إله الحق لبيك**» [٢].

---

(١) قال كثير من الأحناف: لو وجد من الحاج ما يدل على سوق الهدى صح إحرامه .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والنسائي .

** (والتلبية) نوع من الذكر تجوز بأى لفظ يؤدى معناها، واللفظ الوارد أفضل من غيره .

* (ويستحب) رفع الصوت بها للرجال دون النساء .

(لحديث) السائب بن خلاد قال: قال رسول الله ﷺ : « **أتانى جبريل فأمرنى أن أمر أصحابى أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية** »[1] .

* (ويستحب) بعد التلبية أن يصلى على النبى ﷺ ويدعوا لنفسه ولإخوانه بما شاء من أمور الدين والدنيا .

* (ويستحب) أن يبدأ الدعاء بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله حتى يكون الدعاء مقبولا .

* (ويستحب) الإكثار من التلبية فى جميع الأوقات ولاسيما عند السحر وهو الثلث الأخير من الليل، وعند الصعود على مكان مرتفع، وعند الهبوط منه، وعند لقاء الرفاق .. إلى آخر ما يسر النظر ويشرح القلب، وتذكر النعم .. وعقب الصلوات المفروضة ..

* (ويبدأ) التلبية عقب الإحرام بالحج أو العمرة، أو بهما معا مباشرة من غير فصل طويل ..

(وينتهى) وقت التلبية عند رمى أول حصاة من جمرة العقبة يوم النحر .

(لما روى) ابن عباس عن الفضل -رضى الله عنهم جميعا- أن رسول الله ﷺ لم يزل يلبى حتى بلغ الجمرة[2] .

** ثم إليك أيها الأخ الحاج - إن شاء الله - .. أهم:

محظورات الإحرام إجمالا:

* وهى: (الجماع) ومقدماته ودواعيه كالقبلة واللمس بشهوة، والكلام فى الجماع مع الرجال والنساء وقراءة الكتب والروايات والمجلات والقصص والأشعار التى تبعث الشهوة الكامنة، و تثير الغريزة الكامنة ..

---

(١) رواه الترمذى وغيره .

(٢) رواه مسلم .

(لأن) الموضوع هذا من أشد الجرائم بالنسبة للمحرم الذى أعلن توجهه بقلبه وقالبه إلى خالقه ورازقه – عز وجل – .

(مع) ملاحظة: أنه لو وقع فى هذا المحظور الخطير ..

(فإنه) سيفسد حجه، مع وجوب القضاء حتى ولو كان الحج نفلا ..

(وأيضا) مع وجوب الفدية، وهى: بدنة – جمل أو بقرة – أو ما يعادلها من الغنم، وهو: سبع شاة أو قدر ذلك طعاما .

(وكذلك) لو جامع وهو محرم للعمرة ، لا فرق فى ذلك بين العامد والجاهل والناسى على الأصح .

(ومثله) فى الجزم: الإستمناء باليد، أو التقبيل ..

(أما) اللمس والتقبيل اللذان لم يترتب عليهما إنزال، فإن كان قصد بهما أو بأحدهما الشهوة فقد ارتكب إثما .

(وإن) لم يكن قصد الشهوة فلا إثم عليه ولكن يكون تركه أولى .

* ومن المحظورات كذلك:

(الفسوق) وهو الخروج عن طاعة الله وهو قبيح فى جميع الأوقات وفى أوقات الإحرام يكون أشد قبحا .

(لأن) الحاج مرتحل إلى الله – عز وجل – يرجو رحمته ويخشى عذابه، ويطمع فى جزيل ثوابه ..

(فكيف) يحصل على ذلك من ربه – تبارك وتعالى – وهو يبارزه بالمعصية والمخالفة !!

* ومن المحظورات أيضًا: (الجدال) ومعناه مخاصمة الرفاق فى أمور الدنيا والمناقشة الحادة التى تحدث العداوة والبغضاء حتى ولو كانت فى العلم .

(ويدخل) فى معناه: مجادلة التجار فى شأن البيع والشراء ..

(وهذه) المحظورات الثلاثة السابقة .. هى المنهى عنها فى قول الله تعالى: **﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾** .

*ومن المحظورات كذلك: (لبس المخيط والمحيط من الثياب): كالجبة والجلباب والقفطان، والعمامة، ونحو ذلك مما فصل على الجسم أو على عضو من أعضائه ..

(قال) ابن عمر رضي الله عنهما: سئل النبي ﷺ عما يلبسه المحرم؟ فقال: « **لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة، ولا البرانس** [1]**، ولا السراويل**[2]**، ولا ثوبا مسه ورس** [3]**، ولا زعفران، ولا خفين إلا ألا يجد نعلين - أي: إلا إذا لم يجد نعلين فيقطعهما أسفل من الكعبين** » رواه الجماعة .

(هذا) وقد اجمع أهل العلم على تحريم لباس ما صبغ بالزعفران والروس ونحوهما مما يقصد به التطيب بدليل الحديث السابق وغيره من الأحاديث التى ورد فيها النهى عن ذلك .

*وكذلك من المحظورات: التطيب بالطيب: كالكافور، والزعفران، والمسك والعنبر، ونحوه .

(وذلك) لما رواه أسلم مولى [4] عمر أن عمر بن الخطاب وجد ريح طيب بذى الحليفة فقال: ممن هذا الريح ؟ فقال معاوية: منى، إن أم حبيبة طيبتنى فقال عمر: عزمت عليك فلترجعن فلتغسله . أخرجه مالك وأحمد .

(وإذا) تطيب المحرم، ولبس ما نهى عنه وجبت عليه الفدية إن كان متعمدا بالإجماع .

(أما) إذا كان ناسيا أو جاهلا فلا فدية عليه عند الشافعى وأحمد . ولم يفرق الأحناف والمالكية فى وجوب الفدية بين العامد والجاهل والناسى ...

* ومن المحظورات: إزالة الشعر .. أى أنه لا يجوز للمحرم أن يحلق رأسه أو يقص شاربه أو ينتف إبطيه بالإجماع إلا إذا كان معذورا فى ذلك ..

---

(١) البرانس: جمع برنس، وهو كل ثوب رأسه منه، أو قلنصوة طويلة .
(٢) السراويل: جمع سروال، وهو ما يحيط بالنصف الأسفل من البدن، ويسميه العوام (اللباس) .
(٣) الورس: هو نبات أصفر طيب الرائحة تصبغ به الملابس .
(٤) أى خادم .

(فمن) فعل فعليه فدية لقوله:﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

* ومن المحظورات: تقليم الأظافر: فهو كحلق الشعر .

(ولا يجوز) إلا لعذر، كأن كسر ظفره فآلمه، فإنه يجوز أن يقلمه حينئذ دون أن يزيد على المكسور شيئا، فإن قلم ظفرا بلا عذر فعليه فدية .

* ومن المحظورات: تغطية الرأس: ما دام محرما بطاقية أو بثوب .

(ومن غطى) رأسه ولو ناسيا يوما إلى الليل:

(فعليه) الفدية عند الحنفية، وإن كان أقل من ذلك فعليه صدقة .

(وعن) مالك: يلزمه صدقة إذا انتفع بذلك، أو طال لبسه .

(وله) تغطيته بيده إذا اشتد عليه الحر ولا فدية على الراجح من أقوال الفقهاء .

(وكذلك) يجوز أن يستظل بمظلة أو بشيء يكون فى يده كحقيبة، أو مروحة بحيث يجعلها بعيدة عن رأسه قليلا .

* ومن المحظورات: تغطية الوجه: فقد اتفق العلماء على أن المرأة لا تغطى وجهها إلا لضرورة، فإنها تغطيه بثوب يكون بعيدا عن وجهها، وذلك إذا مر بها رجال وكانت على جانب من الجمال ..

(واختلفوا) فى الرجل، هل يجوز أن يغطى وجهه أو لا يجوز ؟ فقال الحنفية والمالكية: لا يجوز تغطية وجهه .. إلا إذا أظل وجهه بشيء يجعله بعيدا عنه قليلا[1].

* ومن المحظورات: عقد النكاح: أى: أنه يحرم عقد النكاح لنفسه أو لغيره مطلقا عند الشافعى ومالك وأحمد لحديث أبان بن عثمان عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب** » رواه مسلم والشافعى وأبو داود وغيرهم .

* هذا ولو تزوج المحرم أو زوج غيره: فالنكاح باطل لأنه منهى عنه، وقيل: يصح مع الحرمة ..

---

(١) انظر (الفقه الواضح) ج٦ ص ٥٧ لتقف على أدلتهم .

(وتكره) الخطبة للمحرم، فلا يستحب له أن يخطب لنفسه امرأة، سواء كانت هذه المرأة فى حل أو فى إحرام، ولا يخطب لغيره ..

(ويكره) له أيضًا أن يشهد على عقد النكاح لأنه معاونة على النكاح فأشبه الخطبة ..

* (ولو) تزوج المحرم أو زوج غيره لا يكون عليه بذلك فدية .. لأنه عقد فاسد أفسده الإحرام فكأنه لم يكن .. والله أعلم .

* ومن المحظورات: صيد البر: أى يحرم على المحرم صيد البر وقتله وأكله . لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ**﴾ [المائدة: ٩٥] .

*(أما) صيد البحر فجائز باتفاق العلماء .. (لقوله تعالى): ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا**﴾ [المائدة: ٩٦].

* ومن المحظورات: الإعانة على قتل الصيد: أى يحرم على المحرم أن يعين غيره على قتل صيد البر .

(فإن) أعانه عليه الإثم، ولا يكون عليه جزاء فى ذلك .

(بعكس) القاتل، فإنه يغرم قيمة ما قتل من الصيد لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ**﴾ [المائدة: ٩٥] .

(فإن) قتل أحد غير محرم صيدا جاز لإخوانه من المحرمين أن يأكلوا منه ولا إثم عليه و لا جزاء .

(واشترط) بعض الفقهاء لجواز أكل المحرم من صيد غيره – البرى – ألا يكون قد صاده من أجله مستدلين .

(بما) رواه جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يُصَاد لكم** » رواه أحمد والترمذى .

* ومن المحظورات: إتلاف الصيد وبيعه وشراؤه: أى: يحرم عليه تنفيره وإتلافه وإتلاف بيضه وبيعه وشراؤه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة: « **إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو**

حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى فيه إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، ولا يعضد شوكة [1]، ولا ينفر صيده [2]، ولا يلتقط لقطته [3] إلا من عرفها ولا يختلى [4] خلاها » فقال العباسى: يا رسول الله إلا الإذخر[5] فإنه لقينهم[6] ولبيوتهم، فقال: « **إلا الإذخر** » أخرجه مسلم .

ما يباح للمحرم:

فهو الإغتسال: (فقد) ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم ورواه الشافعي وغيرهم أن الرسول ﷺ كان يغسل رأسه وهو محرم .

(وروى) عكرمة أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل حماما وهو بالجحفة وهو محرم ..

(قيل) له أتدخل الحمام وأنت محرم ؟ فقال: ما يعبأ الله بأوساخنا شيئا أخرجه البيهقى وابن شيبة .

*ويباح للمحرم: الإستظلال بنحو ثوب، أو شمسية لقول أم الحصين رضي الله عنها حججت مع النبى ﷺ فى حجة الوداع، فرأيت أسامه بن زيد وبلالا وأحدهما آخذ بخطام ناقة النبى ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة . أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما .

*ويباح للمحرم: الإكتحال للتداوى لا للزينة بكل ما يفيد العين بشرط ألا يكون له رائحة طيبة .

(لما) رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال فى المحرم « **إذا اشتكى عينه[7] يضمدها بالصبر[8]** ». أخرجه الدارمى وأخرج نحوه أحمد ومسلم .

---

(١) أى لا يقطع .

(٢) أى: لا يزعج .

(٣) اللقطة: هى ما يجده الإنسان فى الطريق فلا يحل لأحد أن يلتقطها إلا إذا عرفها وسأل عن صاحبها حتى يجده .

(٤) الخلا: هو النبات الرطب، والمعنى: لا يقطع نباتها .

(٥) الإذخر: بكسر الهمزة والخاء: نبات طيب الرائحة تسقف به البيوت ويسد به الخلل بين اللبنات فى القبور .

(٦) القنن هو: الحداد والصائغ، فإنهما يحتاجان إلى الإذخر فى الوقود .

(٧) أى اشتكى من مرضى أصاب عينه.

(٨) الصبر: نبات معروف يتخذ للتداوى .

* ويباح للمحرم: شد الهميان[1]، ولبس الخاتم ونحوه كالساعة .

(لما) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا بأس بالهميان والخاتم للمحرم .

* ويباح لمحرم: شَمُّ الريحان، وخلع الضرس، وفقء الدمل ونحوه .. كتقليم الظفر إذا انكسر وأحدث للمحرم ألما.

(لقول) ابن عباس رضي الله عنهما : المحرم يشم الريحان، ويدخل الحمام، وينزع ضرسه، ويفقأ القرحة، وإذا انكسر ظفره أماط عنه الأذى . أخرجه الدارقطنى والبيهقى .

(مع) ملاحظة أن هناك فرق بين شم الريحان وبين استعماله فشمه جائز عند أكثر أهل العلم .

(أما) استعماله فحرام للمحرم .

* ويباح للمحرم: قتل الدواب الخمس المذكورة فى الحديث الآتي:

(عن) عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « **خمس من الدواب كلهن فاسق يُقتلن فى الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور**[2] » أخرجه البخارى ومسلم وزاد البخارى (الحية) .

(ويلحق) بهذه الاشياء: كل حيوان يتعرض للإنسان بالأذى كالنمر والأسد والذئب ..

* ويباح للمحرم: قتل القمل، والبعوض، والحشرات التى تؤذى الجسم فقتلها جائز كقتل الدواب المؤذية التى ورد ذكرها فى الحديث السابق .

(وهذا) معناه أنه يجوز للمحرم أن يطرح ما أصاب جسمه من هذه الحشرات أو يقتله .

(وطرحه) أولى من قتله ويستحب لمن انتزع من رأسه قملة فقتلها أن يتصدق بصدقة قليلة أو كثيرة .

---

(١) الهميان: بكسر الهاء هو ما يشده المحرم فى وسطه لحفظ نقوده، وهو ما يعرف عندنا فى مصر (بالكمر) .

(٢) الكلب العقور: هو الذى يخيف الناس ويعتدى عليهم .

(فقد) نقل الإمام النووى فى المجموع عن الشافعى أنه قال: يكره أن يفلى رأسه ولحيته .

(فإن) فلى وقتل قملة تصدق ولو بلقمة .

(ولو) ظهر القمل فى بدنه وثيابه .

(فله) إزالته ولا فدية عليه بلا خلاف ..

(بخلاف) قمل الرأس لأنه يتضمن إزالة الأذى من الرأس وقد ورد فيه نص قرآنى وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] [1] .

*ويباح للمحرم: حك البدن ودلكه .

(فإن) هذا جائز بلا خلاف .

(لما رواه) الإمام مالك فى الموطأ عن عائشة –رضى الله عنها– أنها سئلت: أيحك المحرم جسده ؟ قالت: نعم فليحكه وليشدد؛ أى: يحكه حكا قويا بقدر ما يزيل الألم.

(ولكن) يكره أن يحك رأسه بأظفاره حكا شديدا لئلا تسقط منه شعرة أو شعرات .

(فإن) حك رأسه بشدة ورأى شعرة أو شعرات قد تساقطت منه فعليه الفدية .

(فإن) كان ولابد من حك رأسه فليحكه ببطون أصابعه حكا خفيفا .

**(وإلى) هذا أيها الأخوة المستمعون سنتوقف [2] .

(على) أن نعود – إن شاء الله – فى اللقاء القادم – إلى ما ينبغى على الأخ الحاج أن يلاحظه وينفذه – إن شاء الله تعالى – عند دخول مكة محرما .. إلى آخر ما يتعلق بالطواف والسعى ..

(ونحن) نسأل الله تعالى أن يكتب لنا الحج فى هذا العام .

اللهم آمين .

---

(١) انظر المجموع ج٧ ص ٣٥٩ .

(٢) أرجوا أن يلاحظ الأخ الطيب استعمال نصف هذه الخطبة كدرس للجمعة بعد الصلاة . وكذلك بالنسبة لجميع الخطب التى سيراها طويلة . حتى لا يكون هناك ملل .. والله الموفق .

خطب شهر ذي القعدة

الخطبة الرابعة

«الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، وأهم ما يتعلق بهما من أحكام»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» رواه الجماعة إلا أبا داود.

(وروى) أحمد وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» أي: يكون لصاحبها ثواب حجة، ولكن لا تسقط عنه حجة الإسلام قطعا ..

(وإنما) لابد وأن يؤديها متى استطاع إلى ذلك سبيلا.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين .. الذين حجوا واعتمروا .. وكانوا من الملتزمين .. فلم يرفثوا ولم يفسقوا ولم يجادلوا .. فكانوا من الذين عادوا من حجهم أو عمرتهم، وقد غفر الله تعالى لهم .. كما وعدهم على لسان حبيبهم المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – بالجزاء الأوفى في الجنة – إن شاء الله –.

وكانوا لهذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. في الخطبة الرابعة من شهر ذي القعدة التي رأيت أن أعود معكم فيها – كما وعدت في اللقاء الماضي – إلى أهم أحكام

الطواف والسعى بين الصفا والمروة إلى آخر ما سيكون بعد ذلك من المناسك إلى أهم ركن من أركان الحج وهو الوقوف بعرفة ..

(وإذا) كان لى أن أبدأ من حيث أشرت .

(فإنه ينبغى أن أذكر الأخ الحاج أولا ببعض المستحبات والملاحظات التى ينبغى على الأخ الحاج أن ينفذها قبل الطواف، وهى:

* أنه - يستحب له أن يغتسل: للإحرام من الميقات، ثم لدخول مكة، ثم لطواف القدوم ..

(وكذلك) بعد ذلك: الوقوف بعرفة، ثم للوقوف بمزدلفة ..

(ثم) ثلاثة أغسال: لرمى الجمار الثلاث – ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع [1] .

(ومن) لم يغتسل توضأ ومن لم يجد ماء يتوضأ به تيمم، ومن لم يغتسل فلا شيء عليه.

*ويستحب له أن يدخل مكة من الثنية العليا وهى ثنية كداء بالبطحاء قدوة برسول الله ﷺ وهى التى ينزل منها إلى باب (المعلا) [2] .

*(فإذا دخل مكة وضع متاعه فى مكان أمين، ثم توجه – بعد ذلك – إلى المسجد الحرام مباشرة،ودخله من باب (شيبة) – وهو المعروف بباب السلام [3] – ومن السنة أن يدخل ملبيا متواضعا لله حافيا وهو يقول: " بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى فيها، اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا أن تصلى على سيدنا محمد عبدك ورسولك، وأن ترحمنى، وتقبل عثرتى، وتغفر ذنوبى، وتضع عنى وزرى، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسول، بسم الله دخلت وعلى الله توكلت، اللهم اهد قلبى،- وسدد لسانى[4]، واقبل توبتى، وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، اللهم أدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين، اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد

---

(١) وتلك هى الاغتسالات التسع المسنونة فى الحج

(٢) مقبرة أهل مكة التى يقال لها (الحجون) .

(٣) وهو فى الجهة الشرقية .

(٤) أى اجعله ينطق بالقول السديد الذى فيه خير ورشد .

عبدك، وهذا مقام العائذ المستجير بك من النار، نجنى من عذابك يوم تبعث عبادك ووفقنى لما تحب وترضى، وحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى[1] على النار"

*وإذا عاين الكعبة: كبر وهلل، ويقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، أنت السلام ومنك السلام، وإليك يرجع السلام حينا ربنا بالسلام، اللهم زد بيتك هذا تعظيما وتشريفا ومهابة، وزد من تعظيمه وتشريفه من حجه واعتمر تشريفا وتعظيما ومهابة، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الله صل على محمد عبدك ورسولك وعلى جميع أنبيائك ورسلك .

*ويرفع يديه ويقول: " اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا أول مناسكى أن تتقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا مباركا وهدى للعالمين، اللهم إنى عبدك والبلد بلدك، والحرم حرمك والبيت بيتك، جئتك أطلب رحمتك، وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك ثم يدعوا بما بدا له من الأدعية المأثورة "

* ثم يبدأ بطواف العمرة إن كان معتمرا أو طواف القدوم إن كان مفردا أو قارنا .

(مع) ملاحظة أن تحية المسجد الحرام هى الطواف .

(وهذا) معناه أنه إذا دخله المسلم وأراد المكث فيه أن يبدأ أولا بالطواف، فإن عجز عنه فليصل ركعتين[2] .

**(هذا) عن:

الطواف

الذى هو من أهم أركان الحج والعمرة

*وهو أربعة أنواع: طواف القدوم، وطواف الزيارة أو الإفاضة، وطواف الوداع، وطواف التطوع .

---

(١) أى جلدى .

(٢) انظر (الفقه الواضح) ج٦ ص ٦٧ وما بعدها بتصرف يسير ..

* (ويبدأ) الطائف طوافه حول الكعبة من الحجر الأسود جاعلا البيت عن يساره، وينتهي في كل شوط عند الحجر الأسود، ويستلمه بأن يضع يده عليه ويقبله إن استطاع، فإن لم يستطع تقبيله لمسه بيده وقبلها، أو لمسه بشيء وقبله، أو أشار إليه بباطن يديه قائلا: بسم الله والله أكبر، اللهم إيمانا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعا لسنة نبيك ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، آمنت بالله وكفرت بالجبت [1] والطاغوت ..

(ويقول) في جميع طوافه: " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والشك، والشرك والنفاق، والفقر والذل، وسوء الأخلاق ..

(مع) الإكثار من التسبيح والتهليل، والتكبير والدعاء بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. ولا بأس أن يقرأ القرآن أثناء طوافه [2].

*(ويستحب) أن يضطبع عند بدء الطواف [3]، كما يستحب الرمل [4] في الأشواط الثلاثة الأولى .

*(وعليه) إذا فرغ من طوافه للأشواط السبعة .. أن يصلي ركعتين – بنية ركعتي الطواف – خلف مقام إبراهيم [5] .. يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ويقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

---

(١) الجبت والطاغوت: صنمان لقريش ، وقيل: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وقيل الجبت هو الشيطان، والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله .. والمعنى) الأخير أقرب إليا الصواب وهو الذي ينبغي أن يقصده في دعائه ..

(٢) لأنه ذكر، والطائف طاهر يطوف في مكان طاهر، والطواف كالصلاة إلا أن الله أباح الكلام فيه .

(٣) الاضطباع هو: وضع طرف الرداء الأيمن على الكتف الأيسر، ووضع وسط الرداء تحت الإبط الأيمن، وهو مستحب عند الجمهور خلا فا للمالكية، وفي فعله عون على الطواف بهمة ونشاط .

(٤) والرمل: هو المشي بسرعة مع هز الكتفين وتقارب الخطى دون قفز وهو سنة .

(٥) وإذا لم يستطع الصلاة عند المقام للزحام صلى حيث شاء من المسجد ثم يدعوا بما شاء خلف المقام بما شاء من الأدعية التي يفتح الله عليه بها أو بالوارد الصحيح إن استطاع حفظه ..(ارجع إلى الفقه الواضح) ج٦ ص ٧٠، ٧١، وفقه السنة .. وغيرهما ..

(وعليه) بعد صلاة ركعتى الطواف أن يذهب إلى زمزم قبل أن يخرج إلى الصفا..

(فيشرب) منها وهو يقول: " اللهم إنى أسألك رزقا واسعا، وعلما نافعا، وشفاء من كل داء ".

(مع) ملاحظة: أن ماء زمزم لما شرب له "

** (مع) ضرورة تنفيذ شروط صحة الطواف التى لا يصح الطواف إلا بها وهى:

١-الطهارة من الحدث والخبث .

٢-وستر العورة .

٣-وأن يبدأ الطواف من الحجر الأسود، وينتهى إليه بحيث يجعل البيت عن يساره كما كان يفعل الرسول ﷺ .

٤-وأن يكون الطواف سبعة أشواط كاملة .

(فلو) ترك خطوة لا يصح طوافه .

(ومن) شك فى عدد الأشواط يبنى على الأقل ..

٥-وأن يكون الطواف حول الكعبة، وخلف مقام إبراهيم خارجا عن الحجر والشاذوران، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج ٢٩] ولم يقل فى البيت العتيق .

(بهذا) قال مالك والشافعى وجمهور كبير من العلماء ..

(فلو) طاف ماشيا على الحجر، أو على الشاذروان: لا يصح طوافه .. لأنه طاف فى البيت لا بالبيت ..

(وقال) الحنفيون: الطواف وراء الحجر واجب، فمن طاف فيه فعليه دم وصح طوافه، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور لقوة الدليل .

(فعلى) الأخ الحاج أو المعتمر – إن شاء الله – أن يحتاط فيطوف خارج جدران الكعبة وبعيدا عن الحجر والشاذوران .

*(وسادسا) شروط صحة الطواف: تتابع الطواف بحيث لا يفصل بين الأشواط بفاصل كثير من غير عذر .

(مع) ملاحظة: أنه لو أحدث فى طوافه ولو عمدا لا يبطل ما مضى من طوافه على الصحيح – عند الحنفيين والشافعى – فيتوضأ ويبنى عليه [1] .

وأيضا: مع ملاحظة أنه: يسن استلام الركن اليمانى اقتداء برسول الله ﷺ لقول ابن عمر رضي الله عنهما : " لم أر النبى ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين [2] " أخرجه البخارى ومسلم .

* (كما) يستحب للطائف الدنو من الكعبة إن تمكن من ذلك بلا مشقة .. وبحيث يؤذى الناس أو يتعرض لأذاهم، و إلا كان البعد أولى .

(ويستحب) للمرأة أن تطوف بعيدا عن الرجال، وأن تغتنم الوقت الذى لا يكون فيه زحام .

* (وأيضا) مع ملاحظة أنه:

(يكره) ترك سنة من سنن الطواف – التى وقفنا عليها .

(كما) يكره الأكل والشرب فيه وإذا كان قد ورد فى حديث رواه البيهقى والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ **«شرب ماء فى الطواف»** فإن هذا كان لبيان الجواز وهذا لا ينفى الكراهة .

(ويكره) للطائف أن يطوف وهو يدافع الأخبثين – أى البول والغائط – وكذلك الريح.

(أو) يكون شديد الميل إلى الطعام، فإن ذلك يشغله عن الذكر والدعاء، وأداء الطواف على وجهه المشروع .

** وأما عن السعى بين:

الصفا والمروة

فهو: ركن من أركان الحج عند مالك والشافعى وجمهور كثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ..

(فلو) تركه الحاج بطل حجه ولا يجبر تركه بفدية ..

---

(١) فى جدار الكعبة الذى يلى الشام يوجد ميزاب الكعبة يسكن فى الحجر، وحولها بنيان مقسم مرتفع عن الأرض قليلا يسمى الشاذوران .. (الفقه الواضح) ج٦ ص٧٣ .

(٢) والمراد باليمانيين: الركن الذى فيه الحجر الأسود والركن اليمانى .

**(ويشترط) لصحة السعى أربعة شروط وهى:
أولا: أن يكون بعد طواف صحيح: أى أنه لو سعى الحاج قبل أن يطوف بالبيت لا يصح سعيه ويجب عليه إعادته [1] .
ثانيا: من شروط صحة السعى: أن يكون البدء فى السعى بالصفا والختم بالمروة..
(قال) الترمذى: والعمل على هذا عند أهل العلم، أنه يبدأ بالصفا قبل المروة، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا لم يجزه، ووجب عليه أن يعيد السعى مرة أخرى .
* والثالث: من شروط صحة السعى: أن تكون الأشواط سبعا كاملة .
(بحيث) لا يترك خطوة من أرض المسعى، فيبدأ من الصفا حيث تكون قدمه ملاصقة له وينتهى بالمروة فيلصق قدمه بها .
(فلو) ترك خطوة من أرض المسعى لا يصح سعيه (وقال كثير من الفقهاء): لا يشترط إلصاق القدم بالصفا والمروة، وإنما المراعى فى ذلك الشأن والعادة ..
* والرابع والأخير من شروط صحة السعى: أن يكون السعى فى المسعى .
(فلا) يجوز السعى فى غير موضعه، لأنه مختص بمكان، فلا يجوز فعله فى غيره، ولا يضر الإنحراف القليل .
* (ثم) هناك سنن ومستحبات ينبغى على الأخ الحاج وأن يحرص على الفوز بثوابها، وهى أنه:
* يسن لمن أراد السعى أن يأتى إلى الصفا ليبدأ السعى منه .. كما فعل النبى ﷺ فى حجة الوداع.
* ويسن للسعى الطهارة من الحدث والنجس، وستر العورة عند الأئمة الأربعة.
(فلوا) سعى محدثا ولو حدثا أكبر أو متنجسا، أو مكشوف العورة: صح سعيه ولا دم عليه .
(مع) ملاحظة: أن كشف العورة حرام ..
(ويحرم) الآن على الحائض والجنب السعى بين الصفا والمروة لأن المسعى أدخل فى المسجد .

---

(١) خلافا لبعض علماء الحنفية .. والأصح أنه شرط صحة يفسد السعى بتركه إذا لم يثبت أن النبى ﷺ سعى قبل الطواف .

(ولو) سعى الجنب أو الحائض: صح السعى [1] .

*ويسن الصعود على كل من الصفا والمروة والتهليل والتكبير، والدعاء بما أحب، والدعاء بالمأثور أفضل .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ : " لما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه [2] حتى نظر إلى البيت ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو " رواه مسلم وأبو داود.

*ويسن للرجل المشى من الصفا مشيا معتادا إلى الميل الأول، ثم يرمل فى الميل الأول إلى الميل الثانى، ثم يمشى معتادا إلى المروة .

(لحديث) جابر رضي الله عنه " أن النبى ﷺ كان إذا نزل من الصفا، مشى حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى .

(أى أسرع) حتى يخرج منه " أخرجه النسائي .

*ويسن الذكر والدعاء فى السعى بما أحب فيقول مثلا: (رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

*ويسن الإضطباع فى السعى كما يسن فى الطواف .. " أى: يجعل وسط الرداء تحت الإبط الأيمن، وطرفه الأيمن على الكتف الأيسر بحيث يظل الكتف الأيمن مكشوفا " .

*ويسن للأخ الحاج أو المعتمر أن يتحرى لسعيه أوقات الخلوة حتى لا يؤذى ولا يؤذى .

(فإن) طاف فى الزحام تجنب إيذاء الناس وترفق بهم .

*(ويستحب) للأخت المسلمة الحاجة أو المعتمرة – إن شاء الله – أن تسعى ليلا، فذلك أستر لها .

(فإن) سعت نهارا صح سعيها ولا شيء عليها .

---

(١) انظر (الفقه الواضح) ج٦ ص٨٥ .
(٢) أى صعد عليه ..

** (وأما) عن:

التوجه إلى منى:

فإنه من السنة أن يتوجه الأخ الحاج إلى منى فى اليوم الثامن من ذى الحجة – وهو يوم التروية [1] – فيخرج من مكة بعد طلوع الشمس، ويصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، و يبيت بها ولا يخرج منها بعد شروق شمس يوم التاسع [2] اقتداء بالنبى ﷺ .

(كما) دل عليه حديث جابر الذى رواه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ لما توجه إلى منى صلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم مكث حتى طلعت الشمس .

(هذا) مع ملاحظة: أن من ترك الذهاب إلى منى أو ذهب إليها وترك المبيت بها: فلا شيء عليه ويكون تاركا للسنة .. (لأن المبيت بها ليس من الواجبات) .

* (فإذا) خرج الأخ الحاج من بعد شروق شمس اليوم التاسع (يستحب) له النزول (بنمرة) وهى موضع بجوار عرفات وليست منه، ويظل بها حتى نزول الشمس، أى حين وقت الظهر فيسير بعد الزوال إلى عرفات ..

(مع) الإكثار من الذكر والدعاء والتلبية عند الخروج إلى منى ..

(ويكره) له الإشتغال بأمور الدنيا كثيرًا ..

(ولا سيما) وهو فى الطريق إلى عرفات التى سيؤدى فيها الركن الأعظم للحج.

(وهو) الذى سنعود إليه – إن شاء الله – بالتفصيل فى اللقاء القادم .

ونحن نسأل الله تبارك و تعالى أن يكتب لنا الحج .. فى هذا العام .. ونحن من الذين – رضى الله عنهم وأرضاهم – ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) وقد سمى بذلك لأنه مشتق من الرواية، لأن الإمام يروى للناس مناسكهم . وقيل من الإرتواء لأنهم يرتوون الماء فى ذلك اليوم ويجمعونه بمنى .

(٢) وهو يوم عرفة.





خطب شهر ذي القعدة

الخطبة الخامسة

«الوقوف بعرفة والمسير إلى المزدلفة، وأهم أعمال يوم النحر ... الخ»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى ورد أنه سبحانه وتعالى: ينزل – نزولا يليق بذاته سبحانه وتعالى – فى يوم عرفة إلى السماء الدنيا، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء [١]، فيقول: " انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين [٢] جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى " [٣] وفى رواية أخرى يقول سبحانه وتعالى لملائكته: " أشهدكم أنى غفرت لهم " فتقول الملائكة: إن فيهم فلانا مرهفا [٤]، وفلانا .. قال: يقول الله عز وجل: " قد غفرت لهم .. " ثم يقول الرسول ﷺ بعد ذلك معلقا: «**ما من يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة**» [٥].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفه** [٦] » [٧].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين حجوا واعتمروا وفازوا بمغفرة الله تعالى وبركاته ونفحاته ورحماته فى يوم عرفة .. فكانوا بهذا من اللذين أختصهم الله بفضله .. وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] [٨].

---

(١) وهم الملائكة.

(٢) جمع ضاح، وهو الذى يبرز للشمس فلا يكون بينه وبينها ساتر من نحو مظلة أو جدار.

(٣) الحديث أخرجه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والبيهقى .. عن جابر ﷺ ...

(٤) المرهف: هو الذى يغشى المحارم، ويرتكب المفاسد .. أو المتهم بالشر وفعل القبائح.

(٥) وهذا هو ما جاء فى رواية البيهقى .. ولفظ ابن خزيمة نحوه .. بدون خلاف إلا فى حرف أو حرفين .. (انظر الترغيب والترهيب) ج٢ ص ٣٢٥ وما بعدها .. بتصرف فى التوضيح والرابط ..

(٦) وهذا بالنسبة لأيام العام أى السنة .. أما يوم الجمعة فهو أفضل الأيام عند الله بالنسبة لأيام الأسبوع.

(٧) وهو جزء من الحديث السابق الذى وقفنا علي سنده.

(٨) وعلى الأخ المسلم أن يجعل نصف هذه الخطبة درسا بعد صلاة الجمعة – إن شاء الله – .. حتى ينتفع بكل تلك الأحكام – عن شاء الله – للحاج خاصة.

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(ها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. في اللقاء الخامس من شهر ذى القعدة الذى وعدت فى اللقاء الماضى بأننى سأعود معكم فيه .. إلى الوقوف بعرفة التى نسأل الله تعالى أن يجمعنا فيها لكى نفوز بمغفرة الله تبارك وتعالى ورحماته وبركاته..

(وإذا) كان لى أن أبدأ الآن الحديث معكم عن الوقوف بعرفة ..

(فإننى) أحب أن نعلم أولا: أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم للحج بإجماع الفقهاء:

(لما) رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن يعمر أن رسول الله ﷺ أمر مناديا ينادى: « **الحج عرفة من جاء ليلة جمع، قبل طلوع الفجر فقد أدرك** » أى: أدرك الحج:

(وليلة) جمع، هى ليلة المبيت بمزدلفة، وقد سميت بذلك لاجتماع الناس فيها .

* (ويرى) جمهور الفقهاء أن وقت الوقوف بعرفة يبدأ من زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة (أى من وقت الظهر) وينتهى بفجر يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذى الحجة [1] ..

(ويكفى) فى الوقوف لحظة فى النهار أو فى الليل، لكن من وقف بالنهار فلابد أن يمد الوقوف إلى الليل [2] .

(وقد) أجمع العلماء على أن عرفة كلها موقف فمن وقف فى أى جزء من عرفات صح وقوفه .

---

(١) ويرى الحنابلة أن وقت الوقوف بعرفة من فجر يوم النحر فهم متفقون على نهاية الوقوف ومختلفون فى بدايته ..

(٢) عند الأحناف والمالكية والحنابلة ..(انظر الفقه الواضح) ج٦ ص ٨٨ وما بعدها .. لكى تعرف وجهة نظرهم فى هذا .

(الحديث) جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **كل عرفات موقف وارفعوا عن بطن عرفة** [1] » أخرجه أحمد والطبرانى .

* (والأفضل) الوقوف عند الصخرات موقف النبى ﷺ أو بالقرب منها إن أمكنه ذلك بلا مشقة ..

(هذا) مع ملاحظة أن المقصود بالوقوف بعرفة، هو الحضور والوجود فى أى جزء من عرفة ولو كان نائما، أو راكبا، أو قاعدا، أو مضطجعا، أو ماشيا .

(وسواء) أكان طاهرا أم غير طاهر، كالحائض، والنفساء، والجنب ..

** (وكذلك) مع ملاحظة مستحبات الوقوف بعرفة، التى ينبغى على الأخ الحاج – إن شاء الله – أن يفوز بثوابها، والتى منها:

* الإغتسال قبل الوقوف بعرفة، والوقوف عند الصخرات وهو المكان الذى وقف فيه الرسول ﷺ.

(مع الحرص) على الطهارة الكاملة أكبر وقت ممكن .

(وكذلك) استقبال القبلة، والإكثار من الذكر والتهليل، والتكبير، والدعاء بما شاء من أمور الدنيا والدين، ومع الخشية والخشوع وحضور القلب، ورفع اليدين .. فإن الدعاء فى هذا اليوم مجاب – إن شاء الله – .

(ولاسيما) إذا كان بالمأثور عن الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – والذى منه (ما ورد):

* عن موسى بن عبيدة عن أخيه عن عبد الله عن علي رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبلى بعرفة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى صدرى نورا، وفى سمعى نورا، وفى بصرى نورا، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، وأعوذ بك من وساوس الصدر،وشتات الأمر، وفتنة القبر، اللهم إنى أعوذ بك**

---

(١) أى لا تقفوا فيه لأنه ليس من عرفة، فهو واد يقع غرب عرفة .

من شر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج [1] فى النهار، وشر ما تهب بـه الريـاح، ومـن شر بوائق الدهر » أى: مهلكات الدهر التى نستعيذ بالله منها، ومن جميع أسبابها .

* (وعن) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال: «**أفضـل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير** » رواه الترمذى وغيره .

* (مـع) ملاحظـة أنـه ينبغـى عـلى الأخ الحـاج – إن شـاء الله – أن لا يتكلـف السجع فى الدعاء .

(وأنه) يستحب أن يخفض صوته به.

(وأن) يكرر كل دعاء ثلاثا .

(ويكثر) من التلبية رافعا بها صوته .

(وليدع) لنفسه ولوالديه، ومشايخه – الذين علموه العلم النافع – .

(ويدعوا) كذلك لأقاربه وأصدقائه وكل من أحسن إليه وسائر المسلمين .

(وليحذر) من التقصير فى شيء من هذا:

(فإن) هذا اليوم لا يمكن تداركه .

(وينبغى) أن يكرر الذكر والإستغفار والتوبة عن جميع المخالفات ..

(مع) ضرورة أن تكون التوبة مع الإستغفار على أساس من الصدق حتى لا تكون من الذين سيحرمون من الإستجابة ولاسيما فى هذا اليوم المبارك الذى هو أفضل الأيام عند الله تعالى – بالنسبة لأيام السنة [2] – .

**(ثم) بعد ذلك، وبعد أن تغرب الشمس ويتحقق غروبها:

(فإنه) يسن للإمام أن يأمر الناس بالسير إلى (مزدلفة) التى يسن أن يسيروا إليها بسكينة ووقار، مهللين مكبرين ملبين ضارعين لله خاشعين .

---

(١) أى: يدخل، تقول: ولجت الدار، أى دخلتها .

(٢) كما أشرت قبل هذا .. أما يوم الجمعة فإنه أفضل الأيام عند الله تعالى بالنسبة لأيام الأسبوع .

(ويسن) لهم أن يسلكوا فى سيرهم إلى المزدلفة طريق المأزمين [1]، وهو بين العلمين اللذين هما حد الحرم من تلك الناحية .

(ويسن) تأخير صلاة المغرب إلى العشاء بحيث يجمعون فى مزدلفة جمع تأخير كما فعل النبى ﷺ .

(ويستحب) أثناء السير للأخ الحاج أن يتجنب أذى الناس، وأن لا يسرع فى المشى إلا إذا وجد فرجة تتيح له الإسراع .

(ويسن) المبيت بمزدلفة .

(ويتحقق) المبيت بها بالحضور إليها قبل طلوع الفجر .

(فلو) حضر الحاج إلى أى مكان فى مزدلفة، ومكث به ساعة من الليل أجزأه ذلك .

* (مع) ملاحظة: أن مزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر [2] فإنه ليس من مزدلفة .

(فعن) جبير بن مطعم أن النبى ﷺ قال: « **كل مزدلفة موقف وارفعوا عن محسر** » أى: لا تنزلوا به .. رواه أحمد .

* (والمستحب) الوقوف على قزح، وهو جبل هناك .

(وقيل) هو المشعر الحرام، فقد صلى عليه الرسول ﷺ .

** والحديث) الآتى كما يقول فى (الفقه الواضح): يبين لنا: وللأخ الحاج بصفة خاصة ما فعله النبى ﷺ فى سيره إلى مزدلفة، ونزوله بها، وجمعه فيها بين المغرب والعشاء، ووقوفه بعد صلاة الصبح بقزح، ثم انصرافه إلى منى .

---

(١) المأزم بهمزة بعد الميم وكسر الزاى فى اللغة هو الطريق بين الجبلين (مع) ملاحظة أن مزدلفة سميت بهذا الإسم أخذا من التزلف وهو التقرب فإن الحجاج يتقربون فيها إلى الله، أو لأن الناس يأتونها فى زلف من الليل أى فى ساعات منه .

(٢) محسر بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مع الكسر وهو واد بين مزدلفة ومنى .. سمى بذلك لأن الفيل الذى جاء به أبرهة الأشرم لهدم الكعبة برك فيه ولم يستطع القيام فتحسروا على ذلك .

(فقد) روى الترمذى فى صحيحه عن عبد الله بن أبى رافع عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: وقف رسول الله ﷺ بعرفة، فقال: « **هذه عرفة، وهو الموقف، وعرفة كلها موقف** » ثم أفاض حين غربت الشمس، وأردف [1] أسامة بن زيد وجعل يشير بيده هينته [2]، والناس يضربون يمينا وشمالا لا يلتفت إليهم، ويقول: «**أيها الناس: عليكم السكينة** » ثم أتى جمعا أى: مزدلفة فصلى بهم الصلاتين جميعا .

فلما أصبح أتى قزح ووقف عليه وقال: « **هذا قزح وهو الموقف، وجمع كلها موقف** » فخبت حتى جاز الوادى فوقف وأردف الفضل، ثم أتى الجمرة فرماها، ثم المنحر، ومنى كلها منحر .. الخ .

* قال النووى: يستحب أن يغتسل بالمزدلفة بعد نصف الليل للوقوف بالمشعر الحرام وللعيد، فإن عجز عن الماء تيمم .

(وهذه) الليلة عظيمة جامعة لأنواع من الفضل منها شرف الزمان والمكان، فإن مزدلفة من الحرم، وانضم إلى هذا جلالة أهل الجمع الحاضرين بها، وهم وفد الله تعالى ومن لم يشق بهم جليسهم .

(فينبغى) أن يعنى الحاضرون هناك بإحيائهم بالعبادة من صلاة أو تلاوة أو ذكر ودعاء وتضرع ا. هـ [3] .

* (ويسن) جمع الحصى الذى يرمى به جمرة العقبة يوم النحر، والجمرات الثلاث أى فى اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فيجمع سبعين حصاة وسطا من مكان طاهر، وله أن يزيد خمسا أو عشرا فربما يسقط منه بعض الحصا فيحتاج إلى تكملة العدد .

(مع) ملاحة أن الحاج يجمع من مزدلفة سبعين حصاة ليرمى بها العقبات الثلاثة.

يرمى العقبة الكبرى فى يوم النحر بسبع حصيات، ويرمى العقبات الثلاثة فى اليوم الثانى بإحدى وعشرين حصاة كل عقبة يرميها بسبع حصيات، وكذلك يفعل فى اليوم الثالث والرابع .

---

(١) أى: أركبه خلفه على راحلته .
(٢) يهنى يقول: كل يمشى على هينته أى على مهله .
(٣) انتهى بتصرف يسير من المجموع ج٨ ص١٢٩ .

(ويجوز) للحاج أن يقتصر على الرمى بتسع وأربعين حصاة، فيرمى فى اليوم الأول سبعا ويرمى فى اليوم الثانى إحدى وعشرين، ويرمى فى اليوم الثالث بإحدى وعشرين، ولا يرمى فى اليوم الرابع شيئا .

* (ويستحب) أن يكون الحصى صغيرا كحبة الفول ..

(ولا يجوز) الرمى بغير الحصى على الراجح من أقوال الفقهاء .

(ويسن) متابعة الرمى بحيث لا يفصل بين الحصاة والحصاة كثيرًا .

(ولا يجوز) رمى الحصيات جميعا مرة واحدة، بل لابد أن يرمى حصاة بعد حصاة.

(ومن) رماهن مرة واحدة حسبت رمية واحدة، وعليه أن يرمى بعدها حصيات أخرى واحدة بعد واحدة .

ويشترط) الترتيب بين الجمرات عند مالك والشافعى وأحمد، فيبدأ بالجمرة الصغرى ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة، لأن النبى ﷺ رتبها فى الرمى وقال: «**خذوا عنى مناسككم**» .

* (ومن) لم يستطع أن يرمى بنفسه وكل غيره ليرمي عنه .

(لقول) جابر رضي الله عنه " حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان رمينا عنهم " رواه ابن ماجه .

* (هذا) مع ملاحظة كذلك .

** (أن) وقت الرمى يبدأ من طلوع شمس يوم النحر، وينتهى بغروب شمس اليوم الثالث من عشر ذى الحجة .

(و قيل) يبدأ الرمى من فجر يوم النحر .

(وقيل) بعد منصف ليلة يوم النحر .

واتفقوا) على أن الرمى بعد طلوع الشمس أولى وأفضل، بل هو السنة لأنه الوقت الذى رمى فيه الرسول ﷺ جمرة العقبة الكبرى .،

* (وقد) رخص النبى ﷺ للنساء أن يرتجلن إلى منى قبل الناس لضعفهن عن السير مع الناس لشدة الزحام، وأمرهن أن يرمين جمرة العقبة بعد طلوع الشمس..

(ومع) ملاحظة أن الحاج لا يرمى فى يوم النحر إلا العقبة الكبرى بعد طلوع الشمس، ويرمى فى اليوم الثانى للعقبات الثلاث بعد الزوال، وكذلك يفعل فى اليوم الثالث والرابع .

* (ومن) لم يرجم العقبة فى يوم النحر جاز له أن يرميها فى فجر اليوم الثانى أو فى اليوم الثالث وجاز له أن يرميها ليلا عند كثير من العلماء ..

(وأيضا) مع ملاحظة أن الرمى باتفاق جمهور الفقهاء: واجب من واجبات الحج .

(وأن) من تركه لزمته فدية وهى ذبح شاة .

(وأنه) يستحب للأخ الحاج بعد أن يرمى الجمرات مستقبلا القبلة أن يدعو لنفسه ولإخوانه بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة ..

(فقد) ثبت فى رواية لأحمد والبخارى أن النبى ﷺ كان يفعل هذا مع التكبير مع كل حصاة .. ثم بعد ذلك ينصرف ولا يقف .

** (وأما) عن:

الهدى

وهو ما يتقرب به الحاج إلى ربه فى الحرم من الإبل أو البقر أو الغنم أو المعز [1] ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٢٦].

* (وهذا) الهدى:

(مستحب) فى حق المفرد – وهو من أحرم بالحج فقط أو بالعمرة فقط –.

(وواجب) فى حق القارن والمتمتع،وفى حق من ترك واجبا من واجبات الحج، أو ارتكب محظورا من محظورات الإحرام، وفى حق من أوجبه على نفسه بالنذر ..

(وأقل) ما يجزىء فيه عن الشخص الواحد شاة أو سُبع بدنة بمعنى أن كل سبعة أفراد يشتركون فى جمل أو بقرة . .فالإشتراك فى الهدى جائز فى الإبل والبقر بخلاف الغنم والمعز .

---

(١) وهذا شرط اتفق عليه العلماء: أى: أن يكون الهدى من هذه الأنواع الثلاثة .. (كما) قالوا: لا تجزى فيه العوراء، ولا العرجاء، ولا العجفاء – أى الهزيلة – ..

(قال) جابر رضي الله عنه " حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحرنا البعير عن سبعة " رواه أحمد ومسلم .

* (كما) اتفق جمهور الفقهاء على أن وقت الذبح يبدأ من بعد صلاة العيد [1] .

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] .

(فمن) ذبح بعد الفجر وقبل الصلاة صح عند المالكية، والأفضل أن يكون الذبح بعد رمى جمرة العقبة ..

(ويستحب) للأخ الحاج – إن شاء الله – أن يذبح أو ينحر هديه بنفسه إن كان يحسن الذبح أو النحر [2]، فإن لم يكن يحسن ذلك وكّل من يقوم به ووقف يشهد الذبح كما فى الأضحية .

(وليكن) هذا الموكَّل عنه جزارا ..

(ولكن) على شريطة أن لا يعطيه أجره من لحم الهدى .

(ولكن) يجوز إعطاؤه منه على سبيل الصدقة أو الهدية بعد أن يستوفى أجره كما اتفق جمهور الفقهاء .

* (ويستحب) عند الحنفية والحنابلة: أن يأكل الحاج من هديه إذا كان تطوعا، أو كان واجبا عليه للقران أو التمتع

(أما) إذا كان نذرا معينا فلا يأكل منه، بل يجعله كله للفقراء والمساكين .

(وقال) الشافعية يجوز للمهدى أن يأكل من هديه إلا إذا كان هديه تطوعا، ولا يجوز له الأكل منه إن واجبا .

(بل) لا يجوز له الإنتفاع بجلده ولا بشحمه، ولكن يتصدق بذلك على الفقراء والمساكين ..

---

(١) ولاسيما بالنسبة للأضحية .. التى آخر موعد لها عصر آخر يوم من أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذى الحجة .

(٢) النحر يكون للإبل، وهو طعن البعير فى لبته بين الصدر والعنق بخلاف الذبح فإنه يكون فى العنق ..

(وقال) المالكية: يجوز له أن يأكل من هديه إلا إذا كان الهدى نذرا معينا أو فدية لأذى [1].

**(وأما) عن:

الحلق أو التقصير

فهو واجب من واجبات الحج.

(ويرى) الشافعية أنه ركن من أركانه.

(لقوله) تعالى فى سورة الحج: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

*(والحلق أو التقصير [2]): جائزان على التخيير للرجل أما المرأة فإنها تقصر ولا تحلق لأن الحلق فى حقها مُثلة [3].

(وقد) اختلفوا فى الأفضل منهما.

(فقال) بعضهم: الحلق أفضل من التقصير، وقال بعضهم التقصير أفضل.. والأصح الأول لقوله ﷺ: «**رحم الله المحلقين**»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «**رحم الله المحلقين**»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ **قال: والمقصرين**» رواه البخارى ومسلم.

*(وقد) حلق النبى ﷺ مرة وقصَّر مرة.

*(مع) ملاحظة أن الأخ الحاج – إن شاء الله – لا يحلق أو يقصر إلا بعد ذبح الهدى إن كان معه هدى، فإن لم يكن معه هدى حلق أو قصر بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر.

---

(١) لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

(٢) الحلق معناه أخذ شعر الرأس كله بالموس ونحوه، والتقصير أخذ بعضه .. ولو ثلاث شعرات من مقدم الرأس (ويستحب) فى الحلق أن يبدأ بالشق الأيمن من رأس المحلوق وإن كان على يسار الحالق (ويستحب) للأصلع إمرار الموس على رأسه.

(٣) أى إهانة وتشويه.

*(أما) المعتمر فإنه يحلق أو يقصر بعد أن يطوف ويسعى بين الصفا والمروة .

(فإن) أخر الحاج الحلق أو التقصير عن يوم النحر جاز ولا شيء عليه، وإن كان من الأفضل التعجيل به ليتحلل من حجه أو من عمرته .

(ويستحب) لمن حلق أو قصر أن يقلم أظفاره ويأخذ من لحيته وشاربه .

(لما) روى مالك عن نافع أن ابن عمر كان إذا حلق فى حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه وأظفاره . رواه البيهقى

** (وأما) عن:

طواف الإفاضة فهو

**ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين .

(ومن) لم يفعله حتى خرج وقته فقد بطل حجه .

*(ويبدأ) وقته عند مالك وأبى حنيفة من فجر يوم النحر، ويبدأ وقته عند الشافعى وأحمد فى منتصف ليلة النحر ..

*(واختلفوا) فى آخر وقته، فقال الشافعية: لا حد لآخره، ولكن تعجيله أفضل، ويكره تأخيره لغير ضرورة، فمن أخره إلى آخر أيام التشريق لم يلزمه دم، ولكن لا يحل له النساء والطيب حتى يطوف، فطواف الإفاضة هو التحلل الأكبر والحلق والتقصير هو التحلل الأصغر .

(ويرى) أبو حنيفة: أن من أخره إلى أخر أيام التشريق لزمه دم، وتعجيله أفضل.

(ويمتد) وقته إلى أخر شهر ذى الحجة .

(فإن) أخره عن ذلك: لزمه دم وصح حجه لأن جميع ذى الحجة عنده من أشهر الحج.

**(وأما) عن:

المبيت بمنى فإنه

*(ينبغى) على من طاف طواف الإفاضة أن يرجع إلى منى فيبيت بها ثلاث ليالى أيام التشريق .

(الحديث) عائشة رضي الله عنها قالت: " أفاض [1] رسول الله ﷺ في آخر يوم حيث صلى الظهر ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق [2] " الحديث أخرجه أحمد وأبو داود .

* (وقد) اختلف الفقهاء فى وجوب الدم على من ترك المبيت فى منى .

(فقال) المالكية: يجب فى كل ليلة ترك المبيت بها للأيام الثلاثة دم واحد وهو رواية عن أحمد .

(وقال) الأحناف: لا شيء عليه .

(وروى) ذلك عن الشافعى .

(وقد) رخص النبى ﷺ لبعض أصحابه فى المبيت بمكة أيام التشريق للضرورة.

(فعن) ابن عباس – رضى الله عنهما– قال: " استأذن العباس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته [3] فأذن له " رواه البخارى ومسلم .

** (وأما) عن:

طواف الوداع

فهو آخر ما يفعله الحاج من المناسك ويسمى طواف الصدر، أى: طواف الرجوع .

* (وقد) روى مالك فى الموطأ .

(عن) على رضي الله عنه أنه قال: " آخر النسك الطواف بالبيت " .

(والسر) فى ذلك هو تعظيم البيت .

(فيكون) هو المقصود أولا وآخرا .(لأن) الحاج ينبغى عليه أن يبدأ المناسك بالطواف عند دخول مكة، ويختمها كذلك بالطواف عند خروجه منها .

(وقد) ذهب مالك والشافعى فى إحدى الروايتين عنه إلى أن طواف الوداع سنة، وليس على من تركه شيء .

---

(١) أى طاف طواف الإفاضة .

(٢) وهى الحادى عشر والثاني عشر من ذى الحجة .

(٣) لأنه كان مسئولا عن سقاية الحجيج بمكة .

(وذهب) الأحناف والحنابلة إلى أنه واجب يلزمه بتركه دم .

**(ويشترط) فيه: أن يكون هذا الطواف: بعد قضاء المناسك كلها .

*(وأن) يسافر فورا ولا يشغل ببيع أو شراء، ولا يقيم زمنا طويلا، فإن أقام أعاد الطواف ليكون آخر عهده بالبيت إذ هو المقصود .

(فعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إذا قضى أحدكم حجه فليتعجل إلى أهله فإنه أعظم لأجره** » رواه الدارقطنى .

*(مع) ملاحظة: أن طواف الوداع مشروع فى حق من ليس له بمكة دار، أما من له فيها دار فلا يشرع فى حقه الطواف .

(وكذلك) فإن الحائض: لا يشرع فى حقها طواف الوداع، فلها أن تنصرف إلى بلدها بسلامة الله، ولا شيء عليها .

** (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " رخص للحائض أن تنفر – أى ترجع مع الناس – إذا حاضت " رواه البخارى ومسلم .

(فعلى) الأخ الحاج، والأخت الحاجة أن يلاحظا كل هذا إن شاء الله ..

(وأن) لا ينسيا أنه يستحب لهما أن يدعوا بعد الطواف الأخير – وهو طواف الوداع – بالدعاء الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو: « **اللهم إنى عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، حملتنى على ما سخَّرت لى من خلقك**[1] **وسترتنى فى بلادك حتى بلغتنى – بنعمتك – إلى بيتك، وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فزدنى رضا، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى، فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك، ولا عن بيتك، اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى، والعصمة فى دينى، وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى، واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير** » رواه الشافعى .

---

(١) إنه يعنى الراحلة، أو الباخرة، أو الطائرة، أو السيارة التى سافر بواسطتها إلى مكة لأداء فريضة الحج والعمرة بتسخير من الله تعالى لها: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا**﴾ .

*(هذا) وأحب وفى ختام هذا اللقاء المبارك أن أذكر الأخ الحاج، والأخت الحاجة – إن شاء الله – بملاحظات هامة أرى ضرورة أن أوقفهما عليها إتماما للفائدة .. أو للفوائد الفقهية التى وقفا عليها.. طوال هذا اللقاء الأخير من شهر ذى القعدة .

*(وأول): ما أريد أن أذكر به هو:

العمرة

التى هى فى الشرع: زيارة البيت الحرام للطواف به .

** (ولها) ثلاثة أركان وهى: الإحرام فى الميقات، والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط .

* (وليس) لها وقوف بعرفة كالحج، وإنما يتحلل المعتمر منها بعد السعى بين الصفا والمروة بالحلق أو التقصير .

(وقد) ذهب الأحناف والمالكية إلى أنها سُنة فى العمر مرة .

(الحديث) جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ قال: «**لا، وأن تعتمروا هو أفضل**» رواه أحمد والترمذى .

(وذهب) الشافعية والحنابلة: إلى أنها فرض فى العمر مرة (لقوله تعالى) ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فقد عطفت العمرة على الحج وهو فرض، فهى فرض كذلك .

*(وليس) للعمرة وقت معين تؤدى فيه .

(بل) يجوز أن تؤدى فى جميع أشهر السنة .

(وكره) أبو حنيفة أداءها فى يوم عرفة، ويوم النحر، والأيام الثلاثة التى بعده لأنها أيام الحج .

(ومواقيت) العمرة لمن كان خارج الحرم هى مواقيب الحج بعينها – فالجحفة لأهل مصر والشام، وقرن لأهل نجد، وذات عرق لأهل العراق، وذو الحليفة لأهل المدينة .

*(أما) إذا كان داخل الحرم:

(فعليه) أن يخرج إلى الحل ثم يدخل مكة محرما من الجعرانة، أو التنعيم .

(فقد) جاء فى البخارى أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى التنعيم وأحرمت فيه .. وأن ذلك كان أمرا من رسول الله ﷺ .

(وقد) ورد فى فضلها:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » رواه الجماعة إلا أبا داود.

*(مع) ملاحظة: أنه يجوز تكرارا العمرة فى السنة أكثر من مرة عند أكثر أهل العلم لأنها عبادة .

(وكره) مالك: تكرارها فى السنة أكثر من مرة .

(ومن) كان عليه فدية أو نسك:

(فعليه) أن يجعلها فى أهل مكة لأن المقصود .. هو انتفاعهم فى هذا انتفاعهم فى هذا الموسم بهذه الأرزاق .

(أما الصوم) فله أن يؤديه حيث شاء، ولو صام بمكة كان أفضل .

*(ومن) تمتع بالعمرة إلى الحج، أو كان قارنا (فعليه) هدى فمن لم يجد هديا:

(فليصم) ثلاثة أيام فى الحج وسبعة أيام إذا رجع إلى بلده ما لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة: ١٩٦].

*(والتمتع) معناه: أن يحرم المسلم بالعمرة أولا فى أشهر الحج فيطوف ويسعى ويتحلل من عمرته بالحل أو التقصير، ويظل متحللا حتى اليوم الثامن من ذى الحجة فيحرم بالحج .

(والقران) هو: الإحرام بالعمرة والحج معا[1] .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها استمعنا إليه وأن يكتب لنا الحج بأى نوع من أنواعه فى هذا العام – إن شاء الله–

والله ولى التوفيق .

---

(١) انظر (الفقه الواضح) ج٦ ص ١٠٨ إلى آخره بالاستزادة من هذا الفقه الواضح .



خطب شهر ذي الحجة
الخطبة الأولى
«الترغيب في ـاعة الله تعالى
في العشر الأولى من ذي الحجة ..
ولا سيما الصيام والقيام»

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام العشر، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله** »[1] .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين، الصائمين القائمين، الذاكرين .. المكثرين فى أيام العشر الأولى من ذى الحجة من الصيام والقيام والصدقات، والتسبيح،والتحميد والتهليل، والتكبير .. كما كانوا من المحافظين على الصلوات الخمس ومع الجماعات بصفة خاصة . .فكانوا لهذا ومن اجل هذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا .. فى الخطبة الأولى، أو فى اللقاء الأول من شهر ذى الحجة .. الذى جمع الله فى العشر الأول منه أهم أعمال الحج وأيامه . وهى يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر .

(ولهذا) فقد رأيت فى هذا اللقاء المبارك أن أُذكركم ونفسى ببعض الأحاديث الشريفة التى يرغبنا فيها الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – .. فى التقرب إلى الله –تبارك وتعالى – فيها بصالح الأعمال التى هى السبيل إلى أن يرضى الله تعالى عنا ويدخلنا جنته مع الأبرار الذين هم أهل رحمته .. وأهل مغفرته ..

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من أيام العمل الصالح [1] فيها أحب إلى الله عز وجل: من هذه الأيام [2] – يعنى أيام العشر [3] – قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ [4] قال: ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » [5] رواه البخارى والترمذى، وأبو داود وابن ماجه، والطبرانى فى الكبير بإسناد جيد، ولفظه قال: « **ما من أيام أعظم عند الله [6] ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح، والتحميد والتهليل، والتكبير** [7] » وفى رواية للبيهقى قال: « **ما من عمل أزكى [8] عند الله، ولا أعظم أجرا من خير يعمله فى عشر الأضحى** » قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال: « **ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** » قال: فكان سعيد بن جبير إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى ما يكاد يقدر عليه .

(وهكذا) كان السلف الصالح – عليهم جميعا رضوان الله – من احرص الناس على انتهاز الفرص واغتنام مواسم الخير . التى من أهمها ومن أعظمها أيام العشر الأول من ذى الحجة ..

---

(١) هذا عام يتناول سائر العبادات من صلاة وصيام وصدقة وذكر وقراءة قرآن .. الخ .

(٢) قوله « العمل الصالح » الخ فى محل جر صفة الأيام، وأحب أفعل تفضيل من اسم المفعول أى أكثر محبوبية .

(٣) هذه جملة مدرجة من كلام الراوى لتفسير الأيام وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن الليالى العشر التى أقسم الله بها فى قوله: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هى عشر ذى الحجة .

(٤) يعنى ولا الجهاد فى سبيل الله يفضل العمل فى هذه الأيام .

(٥) وهذا مثلهن معناه أن الرسول ﷺ يفضل العمل فى هذه الأيام حتى على الجهاد ولم يستثن من ذلك إلا صورة واحدة، وهى رجل أخرج بنفسه وماله فهريق دمه وعقر جواده فلم يرجع من ذلك بشيء .

(٦) لأن فيها تقع معظم أعمال الحج .

(٧) يعنى من قول سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر .

(٨) أى: أطيب وأطهر .

(وذلك) لأن الثواب فيها سيكون – إن شاء الله – إلى سبعمائة ضعف ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(وعن) جابر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: « **أفضل أيام الدنيا العشر** » يعنى عشر ذى الحجة . قيل: ولا مثلهن فى سبيل الله [1] ؟ قال: « **ولا مثلهن فى سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب** [2] » الحديث رواه البزار بإسناد حسن،وأبو يعلى بإسناد صحيح، ولفظه قال: « **ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة** » قال: فقال رجل: يا رسول الله ! هن أفضل أم عدتهن جهادا فى سبيل الله ؟ قال: « **هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله إلا عفير يعفر وجهه فى التراب** » الحديث رواه ابن حبان فى صحيحه .

* (وقد) تساءل الإمام ابن القيم – عليه رحمة الله – فى كتاب الزاد، حول المعنى المراد من قول الرسول ﷺ « **أفضل أيام الدنيا العشر ..** » التى هى العشر الأول من ذى الحجة، فقال: " فإن قلت: أى العشرين أفضل، عشر ذى الحجة، أو العشر الأخير من رمضان ؟ فالصواب أن يقال: ليالى العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة .

(وأيام) عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر الأول من رمضان .

(وبهذا) التفضيل يزول الإشتباه ويدل عليه أن ليالى العشر من رمضان إنما فضلت باعتبار ليلة القدر [3] وهى من الليالى، وعشر ذى الحجة إنما فضل باعتبار الأيام إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية .

** (وهذا) معناه أنه لابد وأن يفرق بين الليالى والأيام .. حتى نستطيع أن نحدد الفرق بين ليالى العشر الأواخر من رمضان التى فيها ليلة القدر التى هى (خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر ..

(وبين) العشر الأول من ذى الحجة التى فيها معظم أعمال الحج ..

---

(١) قوله: « **ولا مثلهن** » معناه: ولا أيام بعددهن فى سبيل الله يكن أفضل منه ؟
(٢) أى جاهد فى سبيل اله حتى قتل ووقع على الأرض فتعفر وجهه بالتراب
(٣) التى هى خير من ألف شهر .

(أعنى) أن فيها يوم عرفة الذى يجتمع فيه الحجاج على صعيد عرفات فيدنوا الله – عز وجل – منهم ويباهى بهم ملائكته .

(وفيها) يوم النحر الذى هو أفضل أيام الدنيا لما فيه من رمى الجمار، ونحر الهدى، والأضاحى، والطواف بالبيت .. الخ .

(وفيها) يوم التروية وهو: اليوم الثامن من ذى الحجة الذى يتحرك فيه الحجيج من مكة إلى منى للمبيت [1]، ثم إلى عرفات فى اليوم التاسع بعد شروق الشمس .

* (وقد) تساءل الإمام ابن القيم كذلك حول المعنى المراد من قول الرسول ﷺ [2]: « **ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة** » فيقول: " فإن قيل فأيهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة ؟ فقد روى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تطلع الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة** » وفيه أيضًا حديث تميم بن أوس: « **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة** »: قيل: فذهب بعض العلماء إلى تفضيل يوم الجمعة على يوم عرفة محتجا بهذا الحديث، وحكى القاضى أبو يعلى رواية عن أحمد: أن ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر..

(والصواب) أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام وكذلك ليلة القدر [3] وليلة الجمعة " أهـ .

(وعلى) هذا، فإنه لا تناقض بين هذه الأحاديث المشار إليها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **ما من أيام أفضل عند الله، ولا العمل فيهن أحب إلى الله – عز وجل – من هذه الأيام، يعنى من العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، وذكر الله، وإن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف** » (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٣٢٣.

---

(١) وهذا سنة وليس من الواجبات .

(٢) فى حديث سيأتى بعد ذلك .

(٣) أى أن ليلة القدر أفضل ليالى العام، وليلة الجمعة أفضل ليالى الأسبوع .

(وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان يقال فى أيام العشر [1]، بكل يوم الف [2] يوم، ويوم عرفة عشرة آلاف [3] يوم، قال: يعنى فى الفضل [4] .

* (وعن) الأوزاعى رضي الله عنه قال: " بلغنى أن العمل فى اليوم من أيام العشر كقدر غزوة فى سبيل الله، يُصام نهارها، ويُحرس ليلها [5]، إلا أن يختص أمرؤ بشهادة " قال الأوزاعى: حدثنى بهذا الحديث رجل من بنى مخزوم عن النبى ﷺ . (رواه البيهقى) .

* (والخلاصة) التى لابد وأن نتفق عليها بعد أن وقفنا واستمعنا إلى كل هذا التذكير الذى لابد وأن نكون قد عرفنا المراد منه .. وهى أنه ينبغى علينا كمؤمنين صادقين.. أن نغتنم كل لحظة من لحظات العشر الأول من ذى الحجة والليلية منها والنهارية – لصالح أنفسنا وأهلينا وأمتنا – .

* (وذلك) بالحرص على الإكثار من الصيام التطوع فى التسع الأول من ذى الحجة بما فيها يوم عرفة – وهو اليوم التاسع – الذى ورد عن أبى قتادة رضي الله عنه فى الحديث الذى رواه مسلم – أن النبى ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة ؟ فقال: «**يكفر السنة الماضية والباقية** [6] » .

(مع) ملاحظة ما ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: " نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات " رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه، قال الترمذى: قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة .

---

(١) أى فى شأنها وفضلها ومضاعفة الثواب فيها .

(٢) يعنى أن العمل فى كل يوم منها يساوى العمل فى ألف يوم مما سواها ..

(٣) وذلك لما اختص به يوم عرفة من تلك الوقفة العظيمة التى تتجلى فيها العبودية الكاملة لله رب العالمين .

(٤) هذه الجملة تفسير لما قبلها من قوله: « كل يوم ألف يوم » الخ .

(٥) أى أنه يصوم النهار ويقوم بالحراسة بالليل .

(٦) أى الآتية (وورد) عن حفصة قالت: " أربع لم يكن يدعهن رسول الله : صيام يوم عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة " رواه أحمد والنسائي (فقه السنة) ج٣ ص ٢٠٨ وما بعدها .

(أي): أنه ليس مشروعا أن يكون الحاج صائما فى يوم عرفة بسبب الإزدحام الشديد والحر الشديد .

(وقد) ورد – فى حديث متفق عليه – .

(عن) أم الفضل أنهم شكُّوا فى صوم رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بلبن فشرب وهو يخطب الناس بعرفة .

* (وأيضا) مع ملاحظة أنه من السنة أن نُكبر عقب [1] كل صلاة من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق – وهى اليوم الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر من ذى الحجة .

(قال) الحافظ فى الفتح: ولم يثبت فى شيء من ذلك عن النبى ﷺ حديث، وأصح ما ورد فيه عن الصحابة قول على وابن مسعود إنه من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى .أخرجه ابن المنذر وغيره . وبهذا أخذ الشافعى وأبو يوسف ومحمد وهو مذهب عُمر وابن عباس [2] .

* (وأما) عن صيغة التكبير فالأمر فيها واسع،أصح ما ورد فيها ما رواه عبد الرازق عن سلمان بسند صحيح، قال (كبروا: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا) .

(وجاء) عن عمرو وابن مسعود: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله،والله أكبر الله أكبر ولله الحمد) .

(وقد) ورد فى الأثر حول هذا التكبير الأخير . . أن السبب فيه، هو أن جبريل عليه السلام عندما هبط من السماء بالفداء الذى شاء الله تعالى أن يكون فداء لإسماعيل عليه السلام من الذبح الذى كان أبوه الخليل إبراهيم عليه السلام قد جهزه لتنفيذه بعد أن أُمر به فى المنام ..

(فلما) كان جبريل فى السماء الأولى خاف أن يعجل إبراهيم بذبح ولده قبل أن يهبط بالفداء ..فنادى قائلا: (الله أكبر، الله أكبر) فنظر إبراهيم إلى السماء فلما رآه وقد هبط بالفداء قال: (لا إله إلا الله والله أكبر) فلما علم إسماعيل بالخبر قال: (الله أكبر ولله الحمد) [3]..

---

(١) أى بعد كل صلاة .

(٢) انظر (فقه السنة) ج٢ ص٣٠٢ والنظر كذلك: ص ٣٠٤ من نفس المرجع .

(٣) والله أعلم .

*(والتكبير) فى أيام العيدين سنة ..

(ففى) عيد الفطر قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٥] .،وفى عيد الأضحى قال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ(1) مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وقال: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج: من الآية ٣٧].

وجمهور العلماء على أن التكبير فى عيد الفطر من وقت الخروج إلى الصلاة إلى ابتداء الخطبة (٢) .

(ووقته) – كما علمنا قبل ذلك – فى عيد الأضحى من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق .

*(هذا) وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى، وهو الترغيب فى الإكثار من الصيام التطوع فى التسع الأول من ذى الحجة – وعلى الأخص يوم عرفة لغير الحاج – .

(فإننى) أحب أيضًا أن أذكر الأخ المسلم والأخت المسلمة بأمر هام وهو أن العلماء قد أجمعوا على تحريم صوم يومى العيدين – يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى (٣) – سواء أكان الصوم فرضا أم تطوعا .

(لقول) عمر رضي الله عنه : " إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين .. أما يوم الفطر ففطركم من صومكم (٤)، وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم(٥)" رواه أحمد والأربعة.

(وأيضا) لا يجوز صيام الأيام الثلاثة التى بعد يوم عيد النحر – وهى أيام التشريق – (لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة

---

(١) قال ابن عباس هى أيام التشريق .. رواه البخارى .
(٢) أى بما فى ذلك التكبيرات التى فى صلاة العيد قبل الخطبة .
(٣) وهو اليوم العاشر من ذى الحجة ..
(٤) أى الفطر من صيام رمضان
(٥) أى الأضاحى ..

يطوف فى منى: « **أن لا تصوموا هذه الأيام، فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل** » رواه أحمد بإسناد جيد .

(وروى) الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس – رضى الله عنهما: " أن رسول الله ﷺ أرسل صائحا يصيح أن لا تصوموا هذه الأيام، فإنها أيام أكل، وشرب وبعال "، والبعال: أى وطء الرجل زوجته .

*(وقد) أجاز أصحاب الشافعى – رضى الله عنهم – صيام أيام التشريق فيها له سبب: نذر، أو كفارة، أو قضاء .

(أما) مالا سبب له فلا يجوز فيها بلا خلاف، وجعلوا هذا نظير الصلاة التى لها سبب [1] فى الأوقات المنهى عن الصلاة فيها [2] .

**(فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا ..

(وأن) يحرصا على الإكثار من الصيام فى التسع الأول من ذى الحجة .

(حتى) يفوزا بالثواب المشار إليه فى الأحاديث الأولى التى استمعنا إليها فى أول الخطبة ..

(وعلى) الشباب – من الذكور والإناث – بصفة خاصة أن ينفذوا وصية الرسول ﷺ التى يقول فيها موصيا إياهم: « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء** » رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما، وأبو داود والترمذى والنسائى .

*(فالمعنى) المراد من كلمة: « **ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء** »: أى أن الصيام مضعف لشهوته .

(وأصل) الوجاء رض الخصيتين لمنع الذكر من الجماع .

(وقد) قال الإمام النووى: " معناه: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته، وهى مؤن النكاح: فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنة فعليه بالصوم، ليقطع شهوته،ويقطع شر منيه، كما يقطعه الوجاء .

---

(١) كتحية المسجد،وركعتى سنة الوضوء،وصلاة الجنازة .

(٢) وهى وقت شروق الشمس، ووقت الغروب،وعندما تكون الشمس فى كبد السماء وهو وقت الزوال .. (انظر فقه السنة) ج٣ ص ٢٠١ .

(وعلى) هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا .

(والقول الثانى): أن المراد بالباءة: مؤن النكاح، سميت باسم: زمنها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

(قالوا): والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباءة بالمؤن ا. هـ[1] .

** (وعلى) الأخوة المسلمين والمسلمات أن يحافظوا على الصلوات الخمس وفى أوقاتها والإكثار من الصدقات، وصلة الأرحام ..

* (وأن) يكثروا من فعل الخيرات – فى العشر الأول من ذى الحجة – بصفة خاصة.

* (وعليهم) كذلك أن يكثروا من التسبيح، والتهليل، والتكبير والتحميد:

(وذلك) لتنفيذ المراد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] .فالأيام المعلومات، هى أيام العشر .

(وأما) الأيام المعدودات (٢) فهى: أيام التشريق وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق فى أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. (وذكره البخارى) .

*(وهذا) مع ملاحظة أن ذكر الله تعالى بصفة عامة، من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى: (بل هو) رأس الأعمال الصالحة ..

(فقد) ورد أن رجلا قال ذات يوم لرسول الله ﷺ إن شرائع الإسلام قد كثرت على فاخبرنى بشيء أتشبث[3] به ؟ فقال له النبى ﷺ : « **لا يزال فوك[4] رطبا من ذكر الله** ».

*(كما) ورد أن النبى ﷺ قال لأصحابه: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق[5]**،

---

(١) انظر هامش (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٦٨ .

(٢) وهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

(٣) أى: أتمسك به .

(٤) أى: فمك .

(٥) الورق بكسر الراء أى الفضة .

وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « **ذكر الله** » رواه الترمذى وأحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها استمعنا إليه وأن يجعله حجة لنا لا علينا.

والله ولى التوفيق.



خطب شهر ذي الحجة

الخطبة الثانية

((الأضحية وأهم أحكامها))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **ما عمل أدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم،،وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها** [1]، **وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا** » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب والحاكم وصححه . اللهم صل وسلم عليه وعلي اله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين صاموا وقاموا وتصدقوا وأكثروا من التسبيح،والتحميد،والتهليل،والتكبير..في العشر الأول من ذي الحجة ثم تقربوا إلى الله تعالي بالأضاحي:بعد صلاة عيد الأضحي المبارك..عنهم وعن ذويهم ثم أكلوا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[الحج: ٣٦]. و ﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[الحج: من الآية ٣٨] .فكانوا لهذا من المكرمين وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧،٣٨] .

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد - صلوات الله وسلامه عليه -.

(وها نحن) الآن - كما هو معلوم لنا جميعا- في الجمعه الثانية،أو اللقاء الثاني من ذي الحجة..

(الذي) رأيت أن يكون لقائي معكم فيه،حول: (الأضحية، وأهم أحكامها).

(وذلك) حتي نحسن اختيارها والتقرب الي الله – تبارك وتعالي – بها..من بعد صلاة العيد الي عصر أخر يوم من أيام التشريق – ان شاء الله-.

*(واذا)كان لي أن أبدأ الآن – معكم – في الوقوف علي أهم ما يتعلق بهذا الموضوع الموسمي الذي هو موضوع الساعة ..

(فانني) أحب أن نعلم جميعا، أولا..

---

(١) جمع ظلف بالكسر،وهو للبقرة، والشاة،والظبى .. وشبهها بمنزلة القدم لنا ..

(أن) الأضحية سُنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة .

(وهي): واجبة عند الأحناف علي الشخص الذي يملك نصاب الزكاة [1]، أي: يجب علية فعلها، وإن لم يفعلها:كان آثمًا .. وقد شرعت في السنة الثانية من الهجرة تقربا إلى الله – تبارك وتعالي-، وتوسعة علي الفقراء والمساكين، وتذكيرا للمسلمين بالذبح العظيم .. الذي افتدي الله به إسماعيل – علية السلام -..

كما يشير الله تعالي إلي هذا في قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾. [الصافات: ١٠٧] .

(وخلاصة) ما ينبغي علينا أن نَذكره ونُذكر به .. بالنسبة لهذا الموضوع الهام المتعلق بعيد الأضحي..

(هو) أنه حين أُمر سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في (الرؤيا) [2] بذبح ولده إسماعيل عليه السلام .. قام من فوره، وعرض الرؤيا علي ولده، فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾؟ وذلك حتي يكون إسماعيل مشاركا في تنفيذ أمر الله تعالي .

(وفعلا) ما كان من اسماعيل الا الرضا والإستسلام لأمر الله عز وجل.. ولهذا قال لوالده: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾غير أنه عرض على ابيه بعض الشروط التى منها أنه قال له: إذا هممت بذبحى فأوثقنى بالحبال حتى لا تتلوث بدمائى فيكون فى هذا عقوق ..

(وإذا) هممتَ بذبحى فاجعلنى على وجهى حتى لا ترى دموعى فتتأثر بهذا وترجع عن تنفيذ أمر الله تعالى ... (فيوافق) الوالد الجليل على هذين الشرطين مع غيرهما من الشروط ..

(ثم) يذهب بعد ذلك مع هذا الابن الباز .. الذى كان يحمل الحبل والسكين .. إلى حيث سينفذ أمر الله – فى منى – وهناك يوثقه أبوه بالحبل كما أراد .. ثم يجعله

---

(١) وهو ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب في ثمن الجرام اليوم فائضا عن قوته وقوت أولاده فى يوم العيد وأيام التشريق وهذا أيضًا بالنسبة للأضحية المسنونة عند الأئمة الثلاثة .. إلخ .

(٢) ورؤيا الأنبياء وحى .

على وجهه .. فلما هم بالتنفيذ وهو يمسك المدية .. نودى: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١) فصار بعد ذلك سُنة فى بنيه من بعده .

(وقد) ورد فى هذا، أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه: يا رسول الله ما هذه الأضاحى؟ قال: « **سنة نبيكم إبراهيم – صلوات الله عليه وسلامه –** » قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله ؟ قال: « **بكل شعرة حسنة** » قالوا: فالصوف ؟ قال: « **بكل شعرة من الصوف حسنة** » رواه ابن ماجه والحاكم .. وقال الحاكم صحيح الإسناد .

*(وقد) ورد كذلك فى فضلها:

(عن) الحسين بن على رضي الله عنهما أنه قال: " قال رسول الله ﷺ : «من ضحى طيبة بها نفسه، محتسبا لأضحيته كانت له حجابا من النار**» رواه مسلم.

(كما) ورد الترهيب من عدم التقرب إلى الله تعالى بها مع السعة .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **من وجد سعة لأن يضحى فلم يضحِّ فلا يحضر مصلانا** » رواه الحاكم مرفوعا هكذا وموقوفا .

**هذا مع ملاحظة: أن الأضحية لا تكون إلا من الإبل، والبقر، والغنم ..

(وهذا) معناه .. أن الكلام الذى يقال فيه: إن بلالا قد ضحى بديك؛ لا معنى له، وإن صح.. فإنه سيكون على سبيل التوسعة.. إذا لم يملك ثمن الأضحية..

(فإنه) لا مانع شرعا أن يوسع على نفسه وعلى أولاده فى يوم عيد الأضحى بذبح ديك، أو بشراء لحم .. أو ما شابه هذا ..

(وقد) ورد فى حديث صحيح رواه مسلم، أن النبى ﷺ " ضحى بكبشين أملحين (٢)، أقرنين (٣)، ذبحهما بيده وسمى وكبر،ووضع رجله على صفاحهما (٤) " .

---

(١) ارجع إلى الآية فى سورة الصافات من الآية ١٠١ –١٠٨ . مع التفسير إن شئت .

(٢) الأملح: الأبيض الخالص .

(٣) الأقرن: الذى له قرنان معتدلان .

(٤) أى: جانب عنقها الأيمن لأن الأضحية – بعكس الإبل – تنام على الجانب الأيسر وتوجه إلى القبلة أما الإبل فإنها تنحر قائمة ،

أى أنــه – صـلوات الله وسـلامه عليـه – ضـحى بكـبش عـن نفسـه وعـن أسرته،وضحى بالكبش الآخر عن فقراء أمته الذين لا يملكون ثمن الأضحية .

** (ولهذا) فقد اشترط الفقهاء شروطا لوجوب هذه الأضحية – التى شرعت فى السنة الثانية من الهجرة – .

* (فعنـد) الحنفيـة اشـترطوا القـدرة التـى لـن تكـون إلا إذا كـان المسـلم يملـك نصاب الزكاة – وهو ما يساوى (٨٥) جراما من الذهب فى ثمن الجرام اليوم [١] .

(وعند) غيرهم، وهم الذين يرون أن الأضحية سُنة ..

(فإنهم) يشترطون القدرة التى يفسرونها بإمكان الحصـول عـلى ثمنهـا ولـو دينـا عند الحنابلة .

(ما دام) يرى عندهم أنه يستطيع سداد الدين ..

(كأن) يكون منتظرا مبلغا من المال .. الخ .

(وقال) الشافعية: إن القادر هو الذى يملك ثمنا زائدا عن حاجته، وحاجـة مـن يعول فى يوم العيد وأيام التشريق .

(كما) يشترطون الحرية، فلا تسن للعبد ..

(وزاد) بعض الأئمة أن يكون مقيما [٢]، وزاد بعضهم كذلك ألا يكون حاجا: (لأنه) هناك سيذبح هديا .

**(وأيضا) مع ملاحظة: أن الأضحية تصح من الإبل، والبقر، والغنـم الـذكر منها والأنثى .

(باتفاق) المذاهب الأربعة .. وأما بالنسبة للأفضلية بين هـذه الأنـواع الثلاثـة .. فيرى بعضهم أن الإبل أفضل، ثم البقر، ثم الغنم .

(ويرى) البعض الآخر: أن الضأن أفضل، ولكل دليله ..

---

(١) وقـد أشرت سـابقا إلى وجـوب الأضـحية عنـد الأحنـاف . أى أنـه يثـاب الإنسـان عـلى فعلها،ويعاقب على تركها . . .

(٢) أى ليس مسافرا .

(والأمر) فى هذا كما قال العلماء: يرجع إلى مصلحة الفقراء،وإلى المتيسر للمضحى ..

** (وأيضا) مع ملاحظة: أنه يجزىء من الضأن ما أتم الحول – أى السنة – وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر (ويجزىء) من المعز: ما دخل فى السنة الثانية ويجزىء من الإبل: ما دخل فى السنة السادسة .

(ويجزىء) من البقر: ما دخل فى السنة الثالثة .

** (مع) ملاحظة: أن الأضحية تصح بالجماء: وهى المخلوقة بدون قرن.

(كما) تصح بالبتراء: وهى المخلوقة بدون ذنب .

(وتصح) بالخصى: وهو مقطوع الأنثيين ..

(ولا تجزىء) الأضحية بالعوراء البين عورها .

(ولا) بالعرجاء البين عرجها .

(ولا) بالعجفاء أى التى لا شحم لها .

(ولا) بالمريضة البين مرضها .

(والقاعدة) العامة فى هذا ألا تكون معيبة بعيب يعوقها عن السعى للأكل، أو ينقص لحمها وشحمها .. والله تعالى يقول مشيرا إلى أنه من الخير لنا أن نقدم الأفضل وغير المعيب: ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

** (وأيضا) مع ملاحظة: أن الشاة تجزىء عن واحد،وأن الواحد من الإبل والبقر يجزىء عن سبعة – سواء أرادوا جميعا الأضحية، أو أراد بعضهم اللحم – . وأعنى بهذا أنه لا يجوز لأخوين مثلا يقيمان فى بيت واحد لكل منهما دخله أو مرتبه الخاص .. أن يشتركا فى شراء أضحية من الغنم ..

(ولكن) يجوز لهما أن يشتركا فى أضحية من الإبل أو البقر ..

* (كما) تجزىء الشاة عن رب الأسرة وعمن تلزمه نفقته من زوجته وعياله:

(لحديث) أبى أيوب الذى رواه ابن ماجه والترمذى،الذى يقول فيه: " كان الرجل فى عهد رسول الله ﷺ يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون .." .

(مع) ملاحظة: أن الشاة للواحد أفضل من سبع بقرة أو بدنه [1] .

**(وهناك) ملاحظة هامة لابد وأن يلاحظها الأخ المضحى – إن شاء الله – وينفذها هى: أن (وقت) الأضحية.

(يبدأ) من بعد صلاة العيد .

(أو قدرها) لم يصل العيد .. وهذا باتفاق الجميع .

(وذلك) لقول رسول الله ﷺ : « **إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا – أى: عيد الأضحى – أن نصلى ثم نرجع فننحر، فمن فعل هذا فقد أصاب سنتنا، ومن نحر[2] – أى: – قبل صلاة العيد – فإنما هو لحم يقدمه لأهله ليس من النسك فى شيء** » فقال أبو بردة يا رسول الله ذبحت قبل أن أصلى وعندى جزعة [3] خير من مسنة[4]. فقال: « **اجعلها مكانها ولن تجزىء أو توفى عن أحد بعدك** » رواه البخارى .

* (وأرجوا) أن نلاحظ من خلال هذا التذكير ما يفعله بعضهم .. وهو أنهم يذبحون أو سيذبحون ليلة العيد:

(أن هذا) لن يكون أضحية ولن يثابوا عليه على أنه أضحية ..

(وإنما) هو لحم قدموه لأهليهم وليس من النسك فى شيء كما أشار الحديث ..

(وإذا) كانوا سيطعمون منه الفقراء .. فإنهم – إن شاء الله – سيثابون على هذا بتلك النية [5] .

** (وينتهى) وقت الذبح عند الشافعية إلى غروب شمس الثالث من أيام التشريق أى الرابع من أيام النحر . وعند غير الشافعية من الأئمة .

(ينتهى) بانتهاء اليوم الثانى من أيام التشريق أى الثالث من أيام النحر .

(وهذا) هو المشهور من الأقوال .

---

(١) والبدنة، وهى واحدة الإبل .

(٢) أو ذبح .. لأن النحر يكون للإبل ، والذبح للأنواع الأخرى ..

(٣) أى التى مضى عليها سنة ودخلت فى السنة – الثانية ..

(٤) المسنة هى التى لها سنتان ودخلت فى الثالثة .

(٥) أى بنية الإطعام فقط، ولن يفوز بثواب الأضحية المشار إليه قبل هذا .

**(بقى) أمر أخير لا بد وأن نذكر به وهو:

كيفية ذبح الأضحية

التى لا بد وأن يتعلمها الأخ المسلم حتى ينفذها على أساس فقهى سليم وهى أنه:

* من السنة نحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى .. فيطعنها بالحربة – أى السكين – فى الوهدة التى بين أصل الصدر والعنق .

* (وتذبح) البقر، والغنم: على جنبها الأيسر [1] موجهة للقبلة .

(ويستحب) أن يعرض عليها الماء قبل الذبح .

(بل) وأن لا يذبحها أمام أخواتها إذا كان سيذبح أكثر من واحدة .

(وهذا) من باب الرحمة .

*(وعليه) أن يحد شفرته – أى سكينه – تنفيذا لوصية الرسول ﷺ التى يقول فيها: « **إن الله كتب الإحسان** [2] **على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة** [3]، **وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته – أى سكينه – وليرح ذبيحته**[4] » [5].

(مع) ملاحظة ما جاء فى الحديث الآتى: وهو أن:

* رسول الله ﷺ مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة [6]، وهو يحد شفرته[7]، وهى تلحظ إليه ببصرها .قال « **افلا قبل هذا ؟** » – أى: أفلا شحذت شفرتك قبل أن تضجعها حتى لا تشق عليها بالنظر إلى السكين – ثم قال له: « **أو تريد أن تميتها موتتين** » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط،ورجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم إلا أنه قال: « **أتريد أن تميتها موتات** » أى: أتريد أن تميتها

---

(١) لأنك إذا أنمتها على الجانب الأيمن ولن تستطيع ذبحها إلا إذا كنت أشولا – والعياذ بالله – وجرب هذا إن شئت ..

(٢) الإحسان: هو إتقان العمل .

(٣) القتلة بكسر فسكون: أى الهيئة والحالة التى يكون عليها القتيل .

(٤) أمر من الإراحة وهو ان يضجعها للذبح برفق وسهولة ..

(٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .. يعنى رواه الجماعة إلا البخارى ..

(٦) أى على جانبيها بعد أن أضجعها ..

(٧) أى سكينه ..

بسبب الرعب أكثر من موتة .. لأن كل لحظة تمر عليها وهى تنظر إلى السكين فى يده موتة فيكون قد حصل لها موتات كثيرة – ثم قال له: « **هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها** » وقال: صحيح على شرط البخارى .

* (ومن) السنة أن يقول الذابح قبل أن يحرك يده اليمنى بالسكين: " وجهت وجهتى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .. إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا [1] من المسلمين .. اللهم تقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمد حبيبك . ثم يقول عند الذبح [2]: بسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك وإليك، فتقبله من عبدك القائم بين يديك " .

(ويسن) أن يذبح المضحى أضحيته بيده أسوة برسول الله ﷺ إذا كان يحسن هذا.

(أما) إذا كان لا يحسنه، فإنه:

(يجوز) له أن يوكل غيره من الأمناء الذين يحسنون هذا .

(وليكن) جزارا ..

(ولكن) على شريطة أن لا يعطيه أجره من لحم الأضحية ..

(بل) عليه أن يعطيه أجره الذى اتفق عليه معه أولا .

(ثم) إن رأى أنه – فعلا – فى حاجة إلى قطعة لحم منها فليعطه .. ولا حرج فى هذا بنية الصدقة .

* (ومن السنة) أن يأكل المضحى ثلث أضحيته، ويتصدق بثلثها، ويهدى ثلثها .. قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ﴾ [الحج: ٣٦] .

*(ويستحب) أن يتصدق بأفضلها،ويهدى الوسط، ويأكل – هو – الأقل . وليس الأجود كما يفعل أكثرهم والله الموفق للصواب .. وهو سبحانه أعلم ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) استبدل اللفظ (بمن) ليناسب صنيعة الدعاء فقط .

(٢) أي: وهو يحرك يده بالسكين .. وينبغى أن يكون هذا فى سره إذا كان الذبح فى دورة المياه .. (وإذا) كان هناك جزار يقوم بهذه المهمة نيابة عنه .. فليقف هو خارج دورة المياه ويقول هذا بالنسبة للأدعية التى تقال قبل الذبح .



((خطبة عيد الأضحى المبارك))



الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله [1] .

والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .

الله أكبر،الله أكبر،الله أكبر .

الله أكبر

* الله أكبر ما لاحت علامات الفلاح علي من قصد بيته الحرام، الله أكبر ما تجلت عليهم أنوار الهداية لإقامة شعائر الإسلام.

الله أكبر ما ساروا في البر والبحر والجو تحرسهم عناية الملك العلام ..

الله أكبر ما فارقوا أموالهم وعيالهم لينالوا الرضوان الأكبر .

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .

* الله أكبر ما جَدُّوا في المسير حتي شاهدوا الكعبة البهية،

الله أكبر ما علت أصواتهم بالتلبية إجابة لنداء الخليل في البرية .

الله أكبر ما صلوا في مقام إبراهيم ونالوا المواهب السنية .

الله أكبر ما طافوا وسعوا وشربوا من ماء زمزم المطهر .

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .

* الله أكبر ما هامت بهم مطايا الأشواق إلي عرفات .

الله أكبر ما أبتهلوا فيه إلي الله وغفرت لهم جميع السيئات .

الله أكبر ما وقفوا بالمشعر الحرام شاكرين الله تعالي علي ما هداهم إلي معالم السعادات ..

الله أكبر ما وصلوا مني وحلقّ كل أو قصر .

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .

سبحان من أ غدق عليهم سحائب الرحمة والرضوان .

سبحان من أسعدهم بالسلام علي المختار وصاحبيه وأجزل لهم الإحسان .

---

(١) كما جاء فى مقدمة خطبة للشيخ على محفوظ - عليه رحمة الله - فى كتاب (هداية المرشدين) بتصرف كبير وإضافات .

سبحان من هنأهم بنيل المأمول وبلوغ المقصود وتمم لهم الحظ الأوفر .
الله أكبر، الله أكبر، الله اكبر .
سبحان الله والحمد لله، وهو أهل التنزيه والثناء .
سبحان الله والشكر لله، وهو ذو الفضل العظيم واسع الكرم والعطاء .. لا إله إلا الله .. لا رب غيره ولا معبود سواه .

(وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفضل علي عباده الصالحين بالتوفيق والسداد، فحجوا واعتمروا وكانوا بهذا من خير العباد .. الذين أكرمهم الله تعالي بالرحمات والبركات والنفحات، وطهرهم من الصغائر والكبائر وكل أسباب الفساد .

(وأشهد) أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذي كان ولا يزال هو خير من نفذ أوامر الله واجتنب نواهيه .. تنفيذا لأمر الله تعالي في قوله:﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: من الآية ١١٢] أي: كما أُمِرتَ ونُهيت .. فكان لهذا هو القدوة الحسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ..

اللهم صل وسلم عليه وعلي آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه .. فكانوا نجوما يُهتدي بهم، ويُقتدي بفعالهم .. وكانوا رجالا كما تحدث الله عنهم في قوله تعالي:

﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه -:

(هذا) يوم العيد الأكبر.. لمن وقف بالأمس بعرفات فمُحيت سيئاته وغُفرت ذنوبه.

(وحسبهم) أن يكونوا قد فازوا بهذا .. حتي يفرحوا بهذا ويعلنوا فرحتهم في هذا اليوم المبارك بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد هناك في مني حيث

يتقربون إلي الله تعالي بالهَدْي .. ويرجمون الشيطان الرجيم .. وهم يعلنون الحرب عليه وعلي أنصاره من المجرمين والمخالفين لشرع الرسول المصطفي الأمين – صلوات الله وسلامه عليه. وعلي كل من سار علي نهجه من الأصحاب والتابعين إلي يوم الدين ..

(وها نحن) هنا في بلادنا الإسلامية نشاركهم فرحتهم في مصلانا هذه .. ونحن ندعوا لنا ولهم بأن يحفظنا الله تعالي ويحفظ أمتنا من جميع أعداء الدين .. ومن اليهود الملاعين .

(كما) نسأله سبحانه وتعالي أن يكتب لنا الحج في العام القادم كما كتبه لهم في هذا العام حتي نفوز بما فازوا ونعود بمثل ما سيعودون به –إن شاء الله – وهم كيوم ولدتهم أمهاتهم .. (نعم):

*(هذا) يوم الهنا لمن بلغ المني وصلي بالروضة بين القبر الشريف والمنبر .

(وحسبهم) أن يكونوا قد فازوا بهذا لأنهم بالإضافة إلي شرف الزيارة – للحبيب وصاحبيه – سيكونون قد فازوا بثواب الصلاة في مسجده صلوات الله وسلامه عليه .

(فقد) ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة – رضي الله عنه –أنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام** »، وذلك لأن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة [1]

(ولاسيما) إذا كانوا سيزورون بعد ذلك البقيع الذى هو على بعد أمتار [2] من مسجد الرسول ﷺ .

(فهذا) البقيع المبارك يضم رفات أكثر من عشرة آلاف من كبار الصحابة الذين ملأت أعمالهم صحائف التاريخ المجيد ..

(وهو)كذلك يضم فريقا من آل بيت النبوة وشهداء أحد، وبعضا من شهداء بدر الذين جُرحُوا فى المعركة ووافاهم الأجل فى المدينة .

---

(١) كما ورد كذلك فى الحديث الصحيح

(٢) وكان قبل التوسعة الأخيرة على بضع مئات من الأمتار .

* (ولقد) كان الرسول ﷺ يجيء إلى البقيع كلما مات صاحب من أصحابه يصلى عليه ويقف حتى يوارى جثمانه التراب،وكان يزوره وحده أحيانا، ومع أصحاب له أحيانا أخرى .

(وعن) عائشة قالت: كان النبى ﷺ كلما كانت ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين،وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** » رواه مسلم .

* (وأول) من دفن فى البقيع هو الزاهد عثمان بن مظعون صاحب النبى ﷺ ودفن به أيضًا بناته ﷺ وولده الصغير إبراهيم،وزوجاته عدا خديجة [1] وعثمان بن عفان رضي الله عنه وحليمة السعدية مرضعة الرسول الكريم، وجعفر الصادق، ومالك بن أنس وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود،وسعد بن أبى وقاص، والعباس بن عبد المطلب، وسعد بن معاذ، وأبو سعيد الخدرى . هذا بالإضافة إلى كثير من الصحابة .. ومن جاء بعدهم من التابعين .. والصالحين – رضى الله عنهم أجمعين – .

(فإذا) كان إخواننا الحجاج الذين يفرحون اليوم معنا فى مصلى العيد ..

(قد) فازوا بكل هذا الخير هناك ..

(فإننا) نسأل الله تعالى أن يكرمنا بما أكرمهم به فى العام القادم حتى نفوز بما فازوا . إن شاء الله تعالى.

(ونحن) نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين سيُدفنون فى البقيع حتى نكون فى صُحبة الأصحاب والصالحين ..

(وحتى) نحشر معهم فى هذه البقعة المباركة – إن شاء الله – .. نعم .

* (هذا) يوم عيد الأضحى المبارك الذى لابد وأن نتذكر فيه قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام .. الذى نجاه الله تعالى ونجى أولادنا وأحفادنا إلى أن يرث الله

---

(١) فقد دفنت فى (مقبرة المعلاة بمكة المكرمة) .. لأنها ماتت قبل الهجرة .

الأرض ومن عليها من الذبح .

(ببركة) الطاعة .. والترحيب بتنفيذ أمر الله تعالى فيه ..(وكان إبراهيم الخليل عليه السلام قد رأى فى منامه أنه يذبح ولده إسماعيل – ورؤيا الأنبياء وحى – فأراد أن يشاركه ولده فى الترحيب بأمر الله تعالى .. فقال له كما يحكى القرآن الكريم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾. فكان جواب الإبن البار: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢–١٠٧].

*(وقد) قرأت حول تفسير هذا (١) أن إسماعيل عليه السلام بعد أن قال لأبيه:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: أراد أن يخفف عن أبيه لوعة الثكل، ويرشده إلى أقرب السبل إلى قصده، فقال: يا أبت أشدد وثاقى، وأحكم رباطى حتى لا أضطرب،واكشف عنى ثيابى حتى لا ينتضح عليها شيء من دمى، فينقص أجرى، وتراه أمى، فيشتد حزنها، وتفيض دموعها، واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقى ليكون أهون على فإن الموت شديد،ووقعه أليم، واقرأ على أمى السلام، وإن أردت أن ترد قميصى عليها فافعل، فإن فى ذلك تسرية لهمها وسلوة لها فى مصابها،وهو ذكرى لوليدها وتشتم منه عبيره وتتنسم فيه أريجه،وتعود إليه حين تبحث حولها فلا تجدنى، فتفتش عنى فلا ترانى .

*فقال له والده إبراهيم الكريم: نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ! ثم ضمه إلى صدره وأخذ يقبله، وتباكيا وانتحبا .

ثُم اسلم إبراهيم ابنه، فصرعه على شقه، وأوثقه بكتافه،وأمسك السكين وأخذ يصوب النظر إليها مرة ويحدق فى ابنه مرة أخرى، ثم تدفقت عبراته، وتتابعت زفراته رحمة به، وإشفاقا عليه،وأخيرا وضع السكين على حلقه،وأمَّرها فوق عنقه ولكن السكين لا تفعل شيئا .. كانت تمر على رقبة إسماعيل كلمس الحرير . أتدرون لماذا ؟ لأن الله تعالى سلب من السكين قوتها . كما سلب من النار قوتها يوم أن قال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

(١) فى قصص القرآن ص ٥ .. بتصرف ..

* فقال إسماعيل: يا أبت، كبنى على وجههى فإنك إذا نظرت إلى أدركتك رحمة بى، تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكين على قفاه فلم تفعل السكين – كذلك – شيئا .. وأدركت إبراهيم الحيرة،وشق ذلك على نفسه فتوجه إلى الله تعالى – وهو اللطيف الخبير – أن يجعل له مخرجا .. وأن يرحم ضعفه .. فكان طبيعيا – بعد أن نجح إبراهيم مع ولده البار فى هذا الإمتحان العسير – أن يستجيب الله تعالى له ويكشف غمته .. فنودى من قبل الله تعالى: ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤–١٠٥] فكان بعد ذلك الفداء – الذبح العظيم – الذى كان فداء لإسماعيل عليه السلام كما كان فداء لآبائنا وجميع أحفادنا إلى يوم الدين .. فى شخص إسماعيل الإبن البار .. الذى لابد وأن يكون بره هذا .. درسا للأجيال المسلمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فتكون بسبب هذا الدرس من أهل البر بالوالدين .

(فعن) أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال: « **الصلاة على وقتها** »، قلت: ثم أى؟ قال **بر الوالدين** » قلت: ثم أى ؟ قال: « **الجهاد فى سبيل الله** » " متفق عليه . (هذا) ولما كنا فى هذا اليوم المبارك سنقوم بعد صلاة العيد – إن شاء الله تعالى – بنحر الأضاحى أو يذبحها تنفيذا لقول الله تعالى لحبيبه المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ فإن الأضحية من أعظم الأعمال التى ينبغى علينا أن نتقرب بها إلى الله تعالى فى هذا اليوم المبارك .

(وقد) روى عن على رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « **يا أيها الناس ضحوا واحتسبوا بدمائها [1]، فإن الدم وإن وقع فى الأرض [2]، فإنه يقع فى حرز الله عز وجل[3]** » رواه الطبرانى فى الأوسط .

---

(١) أى تقربوا بدمائها إلى الله عز وجل وادخروا ثوابها عنده .

(٢) بحسب ما يرى الناس ويشاهدون .

(٣) أى أن الله يحفظه فى حرز ليكون فى ميزان حسنات المضحى يوم القيامة ..

* (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في يوم أضحى: « **ما عمل آدمى فى هذا اليوم أفضل من دم يُراق إلا أن يكون رحما تُوصل** » رواه الطبرانى فى الكبير .

(وهذا) الحديث يشير إلى ضرورة صِلة الأرحام فى هذا اليوم المبارك .. لأنها أفضل عند الله من إراقة الدم ..

(وعلى) هذا فإنه ينبغى علينا أن نصل أرحامنا فيه ..

(وليكن) هذا عن طريق الصدقة أو الإهداء، من لحم الأضحية فهم أولى بالمعروف من غيرهم .. والثواب بالنسبة لهم سيكون مضاعفا .

(فعن) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا كان أحدكم فقيرا فليبدأ بنفسه،وإن كان فضل** [1] **فعلى عياله،وإن كان فضل فعلى ذوى قرابته، أو قال ذوى رحمه، وإن كان فضل فها هنا، وها هنا** » رواه أحمد ومسلم .

(وورد) عنه – صلوات اله وسلامه عليه -: « **أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح** [2] » رواه الطبرانى والحاكم وصححه .

** (فلنكن) أيها الأخوة المسلمون من المضحين فى هذا اليوم المبارك، ومن المتصدقين كذلك والمهدين من الأضاحى .. على سبيل الشكر لله تعالى على نعمة الفداء الذى كان سببا فى إنقاذنا جميعا من هذا الذبح الذى استبدله الله سبحانه وتعالى بهذا الذبح العظيم الذى اقتدى الله به – بل وافتدانا فى شخص – إسماعيل عليه السلام فى هذا اليوم البارك .

(والذى) صار سنة بعد ذلك .(فقد) ورد أن أصحاب الرسول ﷺ سألوه: يا رسول الله ما هذه الأضاحى ؟ قال: « **سنة أبيكم إبراهيم – صلوات الله عليه وسلامه-** » قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله ؟ قال: «**بكل شعرة، حسنة**» قالوا: فالصوف ؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة** » رواه أبو داود .. وقال الحاكم إسناده صحيح .

---

(١) أى زائد عن حاجته ..

(٢) أى المضمر العداوة فى باطنه .

(وليكن) كل هذا تعبيرًا عن فرحتنا الحقيقية بيوم عيد الأضحى المبارك يوم الفداء ..

(ونحن) نسأل الله تعالى أن يتقبل من إخواننا الحجاج حجهم .. ونسكهم .. وزيارتهم ..

وأن يتقبل منا هنا صيامنا،وقيامنا، وذكرنا لله .. وتقربنا إلى الله تعالى بالأضاحى التى نسأل الله تعالى أن يجعلها مع جميع الأعمال الصالحة .. خالصة لوجهه ..

والله ولى التوفيق .


«خطبة أخرى
في عيد الأضحى المبارك»



الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه ..
والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .
والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .
والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .
*الله أكبر فى كل زمان ومكان .
الله أكبر ما دامت الحياة برحمة الرحمن .
الله أكبر ما سبح كل شيء وهلل الإنسان .
الله أكبر ما كانت الحياة يسودها الأمن والأمان .
الله أكبر فوق كل ظلم وعدوان .

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله على الدوام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩، ١٠] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المنزل عليه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] .

*(وعن) جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن بصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا مثله مثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة،وبعث دعيا، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا: أولوها يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم،وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعى محمد ﷺ فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمد ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس [1] " رواه البخارى .

---

(١) أى فرق بين أهل الجنة وبين أهل النار ..

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين ﴿ عَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾[الأعراف: من الآية ١٥٧]. .. والذين حجوا واعتمروا واستناروا بزيارة قبر حبيبهم المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه –، فكانوا هداة مهديين، وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) فى يومنا المبارك هذا .. فى عيد الأضحى المبارك يوم الفداء .. يوم العاشر من ذى الحجة الذى جاء بعد أن أكرمنا الله تبارك وتعالى بالتقرب إليه بصالح الأعمال من صيام وقيام وذكر،وصدقة فى التسع الأول من ذى الحجة التى كان تاسعها يوم عرفة الذى هو أعظم الأيام عند الله تعالى بالنسبة لأيام السنة، والذى سئل النبى ﷺ عن فضل صيامه فقال: « **يكفر السنة الماضية والباقية** »(١)، والذى ورد أن الله تعالى ينزل فيه – نزولا يليق بذاته سبحانه وتعالى – إلى السماء الدنيا فيقول لملائكته:

" انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى . أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم " .

(وإذا) كنا فى اليوم العاشر الذى هو يوم عيد الأضحى المبارك والذى سنتقرب إلى الله تعالى فيه بالأضاحى التى هى سنة أبينا إبراهيم الذى سمانا المسلمين من قبل.

(فإنه) ينبغى علينا ونحن نقوم – إن شاء الله – بذبح الأضاحى إحياء لهذه السنة .. أن نتذكر من خلالها قصة الذبيح إسماعيل الذى افتداه الله تعالى فى مثل هذا اليوم المبارك بالذبح العظيم الذى افتداه الله تعالى به كما افتدانا وافتدى أبناءنا

---

(١) رواه مسلم .

وأحفادنا إلى يوم الدين .. لأنه لو لم ينزل هذا الفداء من السماء لصار كل واحد منا فى مثل هذا اليوم المبارك يتقرب إلى الله تعالى بذبح ولد من أولاده تقربا إلى الله تبارك وتعالى كما فعل أبونا إبراهيم الخليل عليه السلام .

(وإذا كنت) قد أشرت فى كلامى إلى أن الفداء نزل من السماء ..

(فإننى) أحب أن ألفت قلوبكم .. إلى أنه قد ورد أن الفداء هذا الذى هبط به جبريل عليه السلام من السماء هو نفس الكبش الذى قبله الله تعالى من هابيل، والذى ظل يرتع فى رياض الجنة حتى افتدى الله به إسماعيل عليه السلام .. كما تحكى الآيات التى يقول الله تعالى فيها فى سورة المائدة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣١] .

*(هذا) مع ملاحظة أن أهم درس لابد وأن نكون قد انتفعنا به فى هذا اليوم المبارك هو أن نكون أهلا لأن يفتدينا الله تعالى ويفتدى أولادنا وأحفادنا .

(بل) ويفتدى آمتنا بكل خير يكون سببا فى نجاتنا من كل سوء .. على المستوى العام والخاص ..

(وذلك) لن يكون إلا بطاعة الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] .، ثم يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] .

(فلابد) إذن أن نطيع الله ورسوله .. بمعنى أن ننفذ أوامرهما ونجتنب نواهيهما

فى القرآن والسنة .. حتى لا نضل أو نذل وحتى نكون بسبب هذه الطاعة إن شاء الله من أهل هذه الأمة المحمدية التى جعلها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس وجعل رسوله المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – خير خلق الله على الإطلاق فى الدنيا والآخرة ..

* (مع) ملاحظة كذلك أن الله تعالى ما جعلنا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ إلا لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله [1] . أما إذا كان العكس هو الصحيح فإننا سنكون والعياذ بالله كهؤلاء الآخرين الذين لعنوا (على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [2]

(هذا) بالإضافة إلى أن الطاعة لله ورسوله معناها أننا فعلا قد عرفنا ما لنا وما علينا نحو ربنا، ونحو نبينا،ونحو ديننا، ونحو أمتنا .. لأننا بهذه المعرفة سنكون من الملتزمين .. وسنكون من الحريصين على أن يرضى الله تعالى عنا حتى نكون أهلا لجنته، وأهلا لأن نكون من الذين تحدث الله تعالى عنهم فى قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] . ثم يقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] .

** (ثم) عن الطاعة لله ورسوله فإن معناها الحب الصادق لهما ..

(وأعنى) بهذا أنه ليس منطقيا أن يزعم الإنسان منا أنه يحب الله – تبارك وتعالى – وهو يجاهر بمعصيته أو يخالف أوامره .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كنت حقا صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

** (ولاسيما) ونحن جميعا فى حاجة إلى الله وليس الله تعالى فى حاجة إلينا ..

---

(١) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى الآية ٧٨-٧٩ من سورة المائدة.

(وقد) قرأت حول هذا المعنى .. أن رجلا ذهب إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، وقال له: إنى مسرف على نفسى فاعرض عليَّ ما يكون زاجرا لها فقال له ابن أدهم واعظا وموقظا إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة .. فقال هات ما عندك يا إبراهيم .. فقال: " إذا أردت أن تعصى الله، فلا تأكل شيئا من رزقه " فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال له ابن أدهم: " إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ " .

فقال الرجل: لا يا إبراهيم هات الثانية . فقال: " إذا أردت أن تعصى الله، فلا تسكن بلاده "، فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك لله ؟ فقال له ابن أدهم: " إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟" .

فقال الرجل: لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال:: " إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانا لا يراك فيه فاعصه فيه "، فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم وهو أعلم بالسرائر ؟ فقال إبراهيم ابن أدهم: " إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده، وتعلم أنه يعلم سرك وجهرك وتعصيه ؟ " .

فقال الرجل: لا يا إبراهيم هات الرابعة، فقال: " الرابعة: إذا جاءك مَلَك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود "

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] .

فقال الرجل: نعم يا إبراهيم، هات الخامسة فقال: " الخامسة: إذا جاء الزبانية(١) ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، وقل لهم اتركونى فلن أذهب معكم "، فعند ذلك قال الرجل بأعلى صوته: كفى يا إبراهيم: أنا أستغفر الله وأتوب إليه .. ولزم العبادة حتى فارق الحياة ": فمن خلال هذا النص الواضح فى مضمونه .. يتأكد لنا أننا لابد وأن نكون من المطيعين لله ورسوله إذا أردنا أن نكون أهلا لعون الله تعالى لنا.. فهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] . وهذا الذى وقفنا عليه ينطبق كذلك على المعنى المراد من الصدق فى إتباع الرسول ﷺ .

---

(١) وهم ملائكة جهنم .

(وهناك) أمر آخر، ولابد وأن نطيع الله تعالى فيه، ألا وهو طاعة أولى الأمر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وذلك على شريطة أن تكون أوامرهم فى طاعة الله ..

(وإلا) فإنه لا طاعة الله لمخلوق فى معصية الخالق .. وهذا على المستوى العام والخاص.

(وحسبى) فى ختام هذا التذكير .. ونحن فى مصلى عيد الأضحى المبارك .. يوم الفداء .. يوم الطاعة . التى هى أساس الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .. أن أذكركم ونفسى بحديث عظيم، يرويه العرباض بن سارية رضي الله عنه فيقول: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا** (١) **فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين** (٢) **المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** (٣) **وإياكم ومحدثات الأمور** (٤) **فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** (٥) » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال حسن صحيح.

نسأل الله تعالى أن أن ينفعنا بكل ما استمعنا إليه وأن يجعله حجة لنا لا علينا .. حتى نكون – إن شاء الله – من المطيعين لله ولرسوله ولولاة الأمور الراشدين .

(وأن) يكتب لنا الحج والعمرة فى العام القادم إن شاء الله .

(وأن) يتقبل منا جميعا صالح الأعمال .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى وإن تأمر عليكم عبد .
(٢) وذلك لأن سنتهم إنما هى امتداد لسنة رسول الله ﷺ
(٣) وهى آخر الأضراس فى أقصى الأسنان .
(٤) جمع محدثة وهى ما استحدث فى دين الله عز وجل بعد رسول الله ﷺ مما يخالف سنته .
(٥) وهذا حكم صريح على جميع البدع بأنه ضلالة وفى النار ..



خطب شهر ذي الحجة

الخطبة الثالثة

((ما ينبغي على الإخوة الحجاج أن يلاحظوه بعد عودتهم كيوم ولدتهم أمهاتهم))



الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤].

والقائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا** » رواه مسلم .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين .. الذين كانوا على صلة دائمة بالله تعالى فى غُدوهم ورَواحهم،وحِلهم وترحالهم .. وفى الجلوة والخلوة .. فكانوا لهذا ومن أجل هذا من الرجال الحقيقيين .. الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨]

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه .

(والآن) نحن فى اللقاء الثالث من شهر ذى الحجة ..

(وبعد) أن عشنا فرحة عيد الأضحى المبارك بكل ما فيه من صَلاة وصِلات .. وبركات ونفحات وقُربات وأُضحيات .

(أريد) ومن خلالكم أن أقول للأخ الحاج كلاما هاما ... وأنا أتصور أنه قد عاد بسلامة الله سالما غانما بما عاد به من حسنات من الممكن أن يظل منتفعا بها طوال حياته .. إذا كان سيظل مستمرا على ما كان عليه هناك من التزام بالأخلاقيات الكريمة التى هى الأساس فى جميع العبادات والمعاملات المقبولة عند الله تبارك وتعالى ..

*(وأريد) أن أقول له – على سبيل النصيحة –: إذا كنت أيها الأخ الحاج قد وُفِّقْتَ فى هذا العام المبارك لأداء فريضة الحج مع إخوانك المسلمين .. الذين

أكرموا مثلك. فكنت هناك بتوفيق من الله - تبارك وتعالى - من المحافظين على الصلوات الخمس وفى أوقاتها فى الكعبة المشرفة التى تحسب الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، وفى الحرم النبوى بألف صلاة [1] .

(هذا) بالإضافة إلى أداء المناسك من طواف، وسعى والوقوف بعرفة، والذهاب إلى منى لرمى الجمرات .. وذبح الهدى .. الخ.

* (وإذا) كنت قد التزمت طوال مدة حجك بالبعد عن الرفث والفسوق والجدال .. حتى تعود من هناك بما بشرك به النبى ﷺ فى قوله: « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » رواه البخارى ومسلم .

* (وإذا) كنت قد تحملت فى سبيل الله .. وفى سبيل ذلك الكثير من النفقات .. بالإضافة إلى مشقة السفر الذى ورد فيه أنه قطعة من العذاب والذى ورد فيه كذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت عنه: " لولا أن رسول اله ﷺ قال: « **إن السفر قطعة من العذاب** [2] » لقلت إن العذاب قطعة من السفر " .

* (فإنه) ينبغى عليك، أو يجب عليك أن تتقى الله تعالى فى حجك حتى لا يضيع ثوابك الذى حصلته فيه ..

(وأن) تتقى الله تبارك وتعالى فى ما بذلته من جهد .. حتى لا يكون تعبك هذا بدون فائدة ..

(وذلك) بالإستمرار فى طاعة الله تعالى التى عاهدت الله تعالى هناك على أن تكون مستمرا فى أدائها إلى آخر لحظة فى حياتك ..

(و إلا) كنت والعياذ بالله من الكذابين المنافقين الذين لا عهد لهم ..

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [من الآية ١٠ من سورة البقرة] .

(وكن) على عكس هذا من الصادقين مع الله ومع نفسك حتى تكتب عند الله صديقا "

---

(١) كما ورد فى حديث شريف رواه الطبرانى فى الكبير، وابن خزيمة فى صحيحه .. (الترغيب والترهيب) ج٢ من ٣٦١ .

(٢) الحديث أخرجه مالك وأحمد والشيخان عن أبى هريرة ..

(وأعنى) بهذا أن تكون مرتبطا هنا بكل خير عاهدت الله عليه هناك .

(وأنت) تذكر دائما وأبدا أن الله لا تخفى عليه خافية وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ..

(ولا شك) أنك عندما ستذكر هذا على الدوام .

(فإنك) ستكون مراقبا لله سبحانه وتعالى فى كل أقوالك وأفعالك ..

(وإنك) ستكون أيضًا – إن شاء الله – من الأتقياء الذين يخشون الله تبارك وتعالى.

(وحسبك) أن تقرأ معى قول الله تعالى:﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: ٣٧–٤١] ..

* (هذا) مع ملاحظة أن أى عمل صالح ستعمله هنا بعد عودتك سيكون دليلا صادقا على أنك قد انتفعت فعلا بحجك المبرور الذى ليس له جزاء إلا الجنة .. إن شاء الله .

* (وكن) "أيها الأخ الحاج مؤكدا لهذا المفهوم فى ميدان عملك .. فلا تكن مهملا فى وظيفتك ولا تكن مرتشيا، أو معطلا لمصالح الجماهير .

(ولا تكن) غير متواجد فى مكان عملك .. بسبب انشغالك بأمور أخرى لا تمت إلى طبيعة عملك بصلة .. حتى لا تتهم بأنك من المزوغين .

(ولا شك) أن كل هذا بالإضافة إلى تعطيل مصالح الناس .. سيسيء إلى الحجاج بصفة عامة .

* (وكن) كذلك أمينا فى تجارتك،وفى بيعك وشرائك .. بمعنى أن لا تكون مخادعا أو غاشا أو سارقا من الميزان، أو مطففا فى الكيل ..

* (وكن) حسن الخلق مع جيرانك الذين لن تكون مؤمنا صادقا إذا أسأت إليهم .

(فعن) أبى شريح الكلبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن** » قيل يا رسول الله لقد خاب وخسر، من هذا ؟ قال « **من لا يأمن جاره بوائقه** » قالوا: وما بوائقه ؟ قال: « **شره** » رواه البخارى .

*(وكن) حسن العشرة لزوجك، وحسن التربية لأولادك .

(بمعنى) أن تكون غير ظالم لهم بتقصيرك فى حقوقهم،وعدم الإهتمام بشئونهم بتلك الصورة التى نشاهدها من بعض الأزواج والآباء الذين لا يدركون أبعاد المسئولية المشار إليها فى قول الرسول ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله** » رواه أبو داود .

*(وكن) قدوة حسنة لأولادك بصفة خاصة حتى لا يروا منك غير الصفات الحميدة التى ستكون مؤكدة لحسن خلقك ..

(وأعنى) بهذا أن لا تكون من هؤلاء الآباء الفاشلين الذين لا خلاق لهم .. والذين يرتكبون أمام أبنائهم ما ليس محمودا ..

(كأن) يضربوا أمهاتهم .. وهم يرددون الألفاظ البذيئة التى قد تصل إلى سب الدين .. وتحطيم بعض أساس البيت ..

(وكأن) يطلب الوالد المخبول هذا من ولده أن يشترى له بعض المشروبات الروحية، أو الأدخنة المضرة به وبكل من فى البيت .. بالإضافة إلى تدريب الأبناء على فعل هذا المنكر .

(وقد) يتدرب الإبن هذا من خلال والده على الكذب ..

(وكأن) يقول له الوالد هذا .. إذا سأل أحد عنى فأخبره بأننى لست موجودا ..

(وهكذا) إلى آخر تلك الأخلاقيات المشينة التى ينشأ الأبناء عليها من خلال آبائهم الضالين .. وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

وينشأ ناشىء الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

(وقد) ورد فى الأثر: (لا يستقيم الظل والعود أعوج) .

(وإياك، إياك) أيها الأخ الحاج العائد: أن تكون: مرائيا فى أعمالك .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **قال الله – عز وجل: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برئ وهو للذى أشرك)** »[1] أى: أن عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برىء منه .

---

(١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

(وإياك أن تكون): من الذين يكتمون العلم .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار** » [1] .

* (وإياك أن تكون): من الذين يكذبون على الله ورسوله .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من كذب على متعمدا فليتبوأ** [2] **مقعده من النار** » [3] .

*(وإياك أن تكون): غير آمر بالمعروف، وغير ناه عن المنكر .. حتى لا تكون من الملعونين المشار إليهم فى قول الله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] . وكن على عكس هذا من المشار إليهم فى قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

(وعن) تميم الدارى رضي الله عنه عن النبى ﷺ : قال: « **الدين النصيحة** » قاله ثلاثا، قال: قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: « **لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » [4] .

*(وإياك أن تكون): غير مطيع لله ورسوله ..

(لأن) الله تعالى رغبنا فى عكس هذا، فقال: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء: ٦٩] .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى** » .قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: « **من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى** » [5] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والحاكم .
(٢) يقال تبوأ منزلا أى: نزله .
(٣) أخرجه الشيخان وغيرهما .
(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .
(٥) رواه البخارى .

*(وإياك أن تكون): من الذين يدعون إلى ضلالة .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .. ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا** »[1].

(وكن) عكس هذا .. من الذين يدلون على الخير .

(فقد) ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من دل على خير فله أجر فاعله _ أو قال – عامله** » .

*(وإياك أن تكون) من الذين يذهبون إلى الكهنة والعرافين لكى يسألوهم ..

(فعن) واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة، فإن صدقه بما قال كفر** »[2].

(وعن) صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ قال: « **من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما** »[3] .

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: « **من أتى عرافا أو ساحرا، أو كاهنا يؤمن بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** »[4] .

*(وإياك أن تكون): من الذين يحلفون بغير الله تعالى:

(فعن) ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما – عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** »[5] .

(وعن) بريدة أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من حلف بغير الله فقد كفر**[6] **أو أشرك** »[7].

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير، ورواته ثقات ..

(٥) رواه مالك والبخارى ومسلم .

(٦) قال اشافعى: وأخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية .. نعم لو اعتقد تعظيمه كما يعظم الله كفر. ا. هـ .

(٧) رواه الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما .

*(وإياك أن تكون): من الذين يحسدن الناس على ما آتاهم الله من فضله .

(لأن) الله تعالى نهى عن هذا فقال: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب** »[١] .

(وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا** »[٢] .

*(وإياك أن تكون): من أهل الكبر، والعُجْب، والخيلاء ..

(لأن) الله تعالى نهى عن هذا فقال: ﴿وَلا تُصَعِّرْ[٣] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا[٤] إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ[٥] فَخُورٍ وَاقْصِدْ[٦] فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩] .

(وعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال لرجل: " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر[٧] »، فقال: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ؟ قال: « **إن الله جميل يحب الجمال .. الكبر بَطر الحق وغمط الناس**[٨] »[٩] .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: (العز إزارى، والكبرياء ردائى فمن ينازعنى عذبته)[١٠] .

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه مسلم .

(٣) صعر وجهه تصعيرا، أى أماله من الكبر .. والعياذ بالله .

(٤) المرح شدة الفرح .

(٥) المختال: أى المتكبر .

(٦) أى توسط فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينة والوقار .. (واغضض) أى اخفض .

(٧) أى أنه سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس على مثقال ذرة من الكبر لما أدخلهم الجنة .

(٨) بطر الحق، أى دفعه .. وغمط الناس، أى احتقارهم .

(٩) رواه مسلم والترمذى .

(١٠) رواه مسلم .

(وإياك أن تكون): من الذين يسخرون بالحق، ويتنابزون بالألقاب.. ويغتابون.

(لأن) الله تعالى نهى المؤمنين عن كل هذا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا[1] أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[2].

*(وإياك أن تكون) نماما: أي: من: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(فعن) حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات[3]»[4].

*(وإياك) أن تهجر أخاك المسلم فوق ثلاث ..

(فعن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «لا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[5]. أي: بغير سبب شرعي.

(وهي) مكروهة في الثلاثة، وفيما زاد حرام إلا لضرورة.

(وحكى) أن رجلا هجر أخاه فوق ثلاث فكتب إليه هذه الأبيات[6].

يا سيدي عندك لي مظلمة ... فاستفت فيها ابن أبي خيثمة

---

(١) أي تعييرها، والنبز التلقيب بالألقاب المكروهة والتحسس بالحاء، والتجسس البحث عن العورات.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) القتات: أي النمام .. كما جاء في رواية مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم، وروراه مسلم بلفظ (نمام).

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) انظر شرح الأربعين النووية ص ١٠، ١١.

فإنـــه يـــروى لنـــا عـــن جـــده	مـا قـد روى الضحاك عـن عكرمـة
عـــن ابـــن عبـــاس عـــن المصـــطفى	نبينـــــا المبعـــوث بالمرحمـــــة
إن صـــدود الإلـــف عـــن إلفـــه	فـــوق ثـــلاث ربنـــا حرمـــه

* (وإياك) أن تكون عاقا لوالديك:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه ليعتقه** »[1].

(وعن) أبى بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** » ثلاثا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** » وكان متكئا فجلس فقال: « **ألا وقول الزور وشهادة الزور** ». فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[2].

* (وإياك) أن تكون قاطعا لرحمك.

(فعن) عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **أسرع الخير ثوابا: البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة: البغى وقطيعة الرحم** »[3].

(وعن) عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ : « **الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله** »[4].

* (فلاحظ) كل هذا أيها الأخ الحاج حتى لا تقع فى محذور من المحاذير المنهى عنها:

(فيفسد) عليك حجك.. وتكون كهذا الذى حج بمال حرام ..فقال له أحدهم:

إذا حججت بمال شابه سُحت

فما حججت ولكن حَجت العِيرُ .

والله أسال أن يحفظك ويحفظ حجك حتى تظل منتفعا بثوابه فى حياتك وبعد مماتك إن شاء الله .

والله ولى التوفيق .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢)رواه البخارى ومسلم

(٣) رواه ابن ماجه ..

(٤) رواه البخارى ومسلم .





خطب شهر ذي الحجة

الخطبة الرابعة

((أهم نتائج الأعمال الصالحة))

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

والقائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا[١] فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: **قال الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر** » ثم يقول الرسول ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [٢].

اللهم صل وسلمً عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين .. العاملين المخلصين.. الذين زرعوا فحصدوا،وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اله بكل صدق وإخلاص،وسخاء لا مَنَّ فيه ولا أذى فكانوا أهلا لشرف الدنيا وكرامة الآخرة .. وكانوا رجالا كما تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه –.

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الرابع من شهر ذى الحجة الذى رأيت أن أدور معكم فيه حول: " أهم نتائج الأعمال الصالحة، فى الدنيا والآخرة".

(وذلك) حتى يكون التذكير هذا سببا فى حرصنا على اغتنام فرصة حياتنا الأولى التى ما خلقنا فيها عبثا .

(وإنما) لنأخذ منها زادا لآخرتنا .. كما يشير إلى هذا الإمام الغزالى عليه – رحمة

---

(١) أى فى سبيلنا .

(٢) رواه البخارى ومسلم .. والآية من سورة السجدة رقم ٧ وتمامها ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

الله– فى قوله: " إن الله تعالى خلق الإنسان من نوعين .. من جسد وروح، وجعل الجسد منزلا لتلك الروح لتأخذ زادًا لآخرتها لمدة من هذا العالم وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد، وآخر تلك المدة، هو أجل هذه الروح، فإذا جاء الأجل: فُرق بين الروح والجسد " .

(مع) ملاحظة أنه عندما سَيُفرق بين الروح والجسد .

(فإن) هذا سيكون معناه أن الإنسان هذا سيكون قد انتقل من دار العمل إلى دار الحساب ..

(ولهذا) فقد ورد فى حديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: « **اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سَقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** » [1] .

*وورد كذلك أنه – صلوات الله وسلامه عليه – قال: « **الكيس – أى العاقل – من دان نفسه وعمل لما بعد الموت** » [2]، وسئل ﷺ : أى المؤمنين أفضل ؟ فقال: « **أحسنهم خلقا** » قيل: أى المؤمنين أكيس [3] ؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادا** » [4].

(وقد) قرأت توضيحا لهذا، وترغيبا فى المسارعة بتنفيذه ..

(أن) سفيان الثورى رضي الله عنه قال ذات يوم لأحد أصدقائه: هلم بنا إلى المؤدبة – يعنى رابعة العدوية – يقول جعفر بن سليمان رفيق سفيان فى هذه الزيارة فلما دخلنا عليها رفع سفيان يديه وقال: اللهم إنى أسألك السلامة: فما كان من رابعة حين سمعت هذا الدعاء إلا أن بكت.. فتعجب سفيان من بكائها فسألها: ما يبكيك يا رابعة ؟ فقالت: أنت السبب لقد عرضتنى للبكاء .. أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها.. فكيف وأنت متلطخ بها ؟ قال سفيان: واحزناه .. فقالت رابعة: لا تكذب .. قل: وا قلة حزناه .. لو كنت محزونا لما شغلتك الدنيا يا سفيان.. ثم قالت تعظه .. يا سفيان .. إنما أنت أيام معدودة .. فإذا ذهب يوم

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وقال شارح الجامع: إسناده حسن .

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

(٣) أى اعقل الناس .

(٤) روى عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ذهب بعضك . ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ..

(وكانت) تقول: لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا .. قيل لها: وكيف ؟ قالت: لأنها تفنى ..

(وسألها) متفلسف: من أين أتيت ؟ قالت: من العالم الآخر .. قال: وإلى أين أنت ذاهبة ؟ قالت: إلى العالم الأخر ..قال: وماذا تفعلين فى هذه الدنيا ؟ قالت: آكل خبزها، وأعمل للآخرة ..

(فإذا) كانت هذه هى الدنيا وإذا كان هذا هو شأنها ..

(فإنه) ينبغى علينا أن نعتبر أنفسنا ضيوفا فيها .. إلى أجل معلوم يعلمه الله – سبحانه وتعالى – وحده .. ثم بعد انتهاء هذا الأجل سنرحل حتما – كل فى موعده – إلى العالم الحقيقى الذى هو الدار الآخرة التى يقول الله – تعالى – عنها فى قرآنه: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ[1] لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، كما يقول سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] .

** (وهذا) هو المفهوم الحقيقى الذى لابد وأن يكون أساسا فى وعظنا وإرشادنا، أو فى كل تذكير نرى أنه من الضرورى أن ننتفع به قبل فوات الأوان .. وقبل أن نقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه على لسان هذا القائل الذى ظل لاهيا أو مستهترا إلى أن جاءه الموت فقال: ﴿رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] .أو قال: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١] .

** (هذا) ولما كان الهدف من هذا التذكير، هو التمهيد للموضوع الأساسى فى الخطبة وهو أهم نتائج الأعمال الصالحة ..

(فإننى) أرى أن أبدأ الآن فى شرح المراد من آية كريمة فى سورة النحل، يقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ – أى فى الدنيا – ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] أى: فى الآخرة .

---

(١) أى لهى الحياة الحقيقية .

(فهذه) الآية الكريمة وبإيجاز تشير وبكل وضوح إلى أن الأعمال الصالحة لابد وأن يكون لها عائد كبير من الحسنات فى الدنيا والآخرة .

(هذا) بالإضافة إلى الحياة الطيبة المستقرة فى الدنيا،والجزاء الأوفى فى الآخرة على كل عمل صالح يقربنا أو سيقربنا إلى الله تعالى به وسواء كان العمل الصالح هذا من جانب ذكر أم أنثى ..

(ولأن) الإسلام أساسا لم يفرق بين الذكر والأنثى فى نتائج الأعمال الصالحة

(وإلى) هذا يشير الله تعالى مؤكدا هذا فى قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(فليكن) هذا سببا فى تنافس الأخت المسلمة مع الأخ المسلم فى الخيرات .

(فهذا) أمر مشروع ولا غبار عليه .. كما يشير الله تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]... وقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨].

* وأيضا إليكم أيها الا خوة الفضلاء هذه الرؤيا المنامية (١) التي رآها النبي ﷺ ، والتي يرويها عبد الرحمن بن سمره رضي الله عنه فيقول: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صُفَّة (٢) بالمدينة،فقام علينا فقال: « **إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلًا من أمتي، أتاه ملك الموت ليقبض روحه .. فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه** »

(وهذا) يشير إلي أهم نتائج البر بالوالدين، وهو أنه يدفع عن البار بأبويه أسباب الهلاك التي كان من الممكن أن تكون موتًا

---

(١) ورؤيا الأنبياء وحى.
(٢) اسم مكان فى المدينة .

(وهذا) أيضًا بالنسبة للقضاء المعلق [1]..

(أما) بالنسبة للقضاء المبرم فلا مفر منه. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: من الآية ٧٨].

(ثم) يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته [2] الشياطين .. فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه » .

(وهذا) يشير إلى أهم نتائج ذكر الله – عز وجل –، وهو أنه يحصن المسلم من مكائد شياطين الإنس والجن .. الذين لا يفترقون عنه، ولا يقتربون منه .. إلا إذا غفل عن ذكر الله – عز وجل – .. كما يشير الله سبحانه وتعالى إلى هذا فى قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ [3] عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم » .

(وهذا يشير إلى أهم نتائج الصلاة، التى تؤدى على أساس من الإطمئنان والإتقان ..

(إن) هذه الصلاة ستكون من أهم أسباب النجاة من النار .. كما يشير إلى هذا قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ [4] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] أى: أن الساهين [5] عن الصلاة هم أهل الويل .. وليس العكس .

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا ..كلما دنا من حوض مُنِع وطرد .. فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه** »:

(وهذا) معناه أن الذي يصوم شهر رمضان صياما حقيقيا ..

---

(١) كأن يمر الإنسان بجوار جدار أوشك على الإنهيار .. وبعد أن يبتعد قليلا عنه يسقط الجدار الذى كان من الممكن أن يكوْن تحت أنقاضه لولا لطف الله .

(٢) أى أحاطت به .

(٣) أى يغفل .

(٤) الويل: أى العذاب .

(٥) وقد فسر بعضهم السهو عنها بتأخيرها عن وقتها .

(لن) يكون هناك عند الله من الذين سيظمأون ..

(لأنه) سيكون من الذين سيدخلون الجنة من باب الريان.

(فعن) سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال: « **إن للجنة بابًا يقال له الريان: يقال يوم القيامة: أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب** »[1] .

(فكلمة) الريان، قد تشير إلى أنه سيكون فى رى مستمر لأنه كان – بالإضافة إلى صيامه – يسقى الصائمين ..

(وقد) ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ : « **ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة** »[2] .

ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى والنبيون جلوس حِلقًا حِلقًا .. كلما دنا منهم طرد .. فجاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيده وأجلسه إلى جنبى » .

(وهذا) معناه أنه لابد لكى يتحقق هذا بالنسبة للأخ المسلم أن يكون على فقه بأحكام الغُسل من الجنابة حتى يؤديه بالإضافة إلى جميع أحكام العبادات على أكمل وجه .. حتى يكون بسبب هذا من الذين سيأخذ الغُسل بأيديهم لكى يجلسهم بجوار الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه - .. وهذا شرف ينبغى أن يناله .. وبكل جدارة .

** (ثم) يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة،وعن يمينه ويساره وفوقه ظلمة، وهو متحير .. فجاءه الحج والعمرة، فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور** » .

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يخرج من كل تلك الظلمات .. بأن يبادر بالحج والعمرة .. إذا كان مستطيعا هذا ..

(و إلا) كان من المحرومين من الأنوار التى هى عكس الظلمات .

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) من حديث رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى وابن حبان .

(فعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **يقول الله – عز وجل –: إن عبدا صححت له جسمه، ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلى لمحروم** »[1] .

ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها .. فجاءته صدقته . فصارت سدا بينه وبين النار وظلا على رأسه » .

(وهذا) معناه، أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون كهذا الرجل الذى وقاه الله تعالى من النار .. بسبب الصدقة – التى لا منَّ فيها ولا أذى – والتى صارت بالنسبة له (سدا بينه وبين النار وظلا على رأسه) .

(وفى) الحديث الشريف الذى رواه مسلم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – مشيرا إلى أهمية التنفيس عن المكروبين والتيسير على المعسرين: « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة .. ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة .. والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه** »[2] .

ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صِلته لرحمه، فقالت يا معشر المؤمنين .. إنه كان وصولا لرحمه فكلِّموه وصافحوه » .

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون وصولا لرحمه[3] الذين هُم أقرباؤه.

(وذلك) بالعطف عليهم والمودة لهم ..إذا أراد أن يكلمه المؤمنون ويصافحوه كما حدث لهذا الرجل المشار إليه فى النص .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى.

(٢) من حديث صحيح رواه مسلم .

(٣) وهم الأخ والأخت، والخال والخالة، والعم والعمة ..ومن جاء منهم من الذرية .

(وقد)ورد عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره**[1]**: فليصل رحمه** »[2] .

(وفى) الحديث المتفق عليه: « **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** » .

(وقد) ورد الترهيب من عكس هذا فى حديث متفق عليه:

(عن) عائشة رضي الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « **الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله** ».

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية .. فجاءه أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم ..وأدخله فى ملائكة الرحمة** » .

(وهذا) معناه أنه ينبغي على الأخ المسلم إذا أراد أن ينقذ من الزبانية الذين هم ملائكة العذاب .. لكى يكون بعد ذلك فى ملائكة الرحمة:

(أن) يكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ..

(فعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان** »[3] .

(فهذا) الحديث يشير إلى ضرورة أن يكون الأخ المسلم أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر إذا رآه .

(بمعنى) أن يغيره بيده إذا كان مسئولا يستطيع أن يقيم حدود الله .

(أو) بلسانه إذا كان عالما بالحكم الذى يستطيع أن يقنع به المخالفين ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) النسأ: أى التأخير، والأثر أى الأجل،ولعله كناية عن البركة فى الأجل .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم .

(أو) بالقلب .. إذا لم يكن لا هذا، ولا ذاك .. إنه ينبغى عليه إذا مر على المنكر ولم يستطع تغييره لا باليد ولا باللسان .. أن يستنكره ولو بقلبه [1] .

(بمعنى) أن يتضرع إلى الله تعالى أن يغير هذا المنكر .

(وذلك) أضعف الإيمان أى: أقل درجاته .

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله – عز وجل – حجاب فجاءه حسن الخلق فأخذ بيده وأدخله على الله – عز وجل** » .

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم إذا أراد أن يزيل الحجاب الذى بينه وبين الله – عز وجل .. ولكى يكون بعد ذلك فى مستقر رحمته – سبحانه وتعالى .

(أن) يكون حسن الخلق . حتى يكون بهذا كذلك مستكملا لإيمانه ..

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لأهله** » [2] .

(وعن) جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا** » [3] .

(وعن) أبى ذر ﷺ قال: أن النبى ﷺ قال: « **يا أبا ذر: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف** [4] **ولا حَسب** [5] **كحسن الخلق** » [6] .

ثم يقول الرسول ﷺ فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله . فجاءه خوفه من الله – عز وجل – . فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه » .

---

(١) وهو يقول: متضرعا إلى ربه: اللهم إن هذا عمل باطل فغيره .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) الحديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

(٤) أى عن الأذى .

(٥) والحسب: ما يحسب للرجل من المفاخر .

(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره .

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم – إذا أراد أن يكون من المؤمنين الذين سيأخذون صحفهم بأيمانهم – أن يكون من الذين يخافون من بطش الله – تبارك وتعالى – .

(مع) الرجاء فيه – سبحانه وتعالى – ..

(ففى) القرآن الكريم يقول – تبارك وتعالى –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(وعن) أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجدك ؟» قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوا وأمنه مما يخاف**»[1] .

** ثم يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قد خفَّ ميزانه – أى: من الحسنات – فجاءه أفراطه – أى الذين ماتوا قبله من الأولاد وهم صغار – فثقلوا ميزانه** » .

(فهذا) الحديث يشير أولا إلى أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يعلم أن الميزان هذا .. هو الذى سيحدد مصيره يوم القيامة . لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ۞ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١٠٤].

(كما) يقول سبحانه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ[2]﴾ [الأعراف: ٨، ٩] .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث غريب، وابن ماجه وابن أبى الدنيا .

(٢) وكالحون .: أى تقلصت شفاهم وبدت أسنانهم من إحراق النار وكانوا بآياتنا يظلمون: أى

(وأيضا) يشير النص الذى ندور حوله ثانيا إلى ضرورة أن يكون الأخ المسلم صابرا على فقد أولاده فإنه لن يفوز بهذا الخير الذى كان سيكون ثقلا فى ميزان حسناته [1] إلا بالصبر والتسليم لقضاء الله تعالى.

(وقد) قرأت أن أحد الصالحين كان عنده عشرة من الأولاد .. فمات نصفهم وبقى نصفهم .. فسأله أحدهم: كم عندك من الأبناء ؟ فقال: لى عند الله خمسا وله عندى خمسا .

* ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم؛ فجاءه رجاؤه فى الله – عز وجل – فاستنقذه من ذلك ومضى** ».

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون من الذين يرجون رحمة الله عز وجل .

(فعن) أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **قال الله عز وجل: يا بن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك: يا ابن آدم: إنك لو أتيتنى بقُراب [2] الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقُرابها مغفرة** »[3].

* ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكاها من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك** »

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم .. أن يكون دائما وأبدا من المؤمنين الذين يخشون غضب الله تعالى عليهم .. وهم فى نفس الوقت من الذين يرجون رحمته سبحانه ..

(وقد) قرأت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع .. وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله تعالى ..

غبنو أنفسهم حظوظها من ثواب الله .

(١) أى: لو كان من الصابرين الراضين.

(٢) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا .

(٣) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

(وهو) كما ورد من العشرة المبشرين بالجنة .

(فلنكن) إن شاء الله من المتشبهين بهؤلاء الرجال حتى نكون معهم فى الجنة إن شاء الله ..

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة – أى الخوصة – فى يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن** » .

(ففى) هذا النص يشير النبى ﷺ إلى ضرورة أن نحسن الظن بالله عز وجل..

(وعن) جابر رضي الله عنه أن سمع النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** »[1] .

(وذلك) حتى يكون إن شاء الله من الذين سيمرون على الصراط وهم من الثابتين .. دون أن يرتعدوا أو يسقطوا من فوقه فى النار والعياذ بالله ..

(مع) ملاحظة أن حسن الظن بالله لن يكون مقبولا عند الله إلا إذا صحبه عمل صالح

(فقد) ورد فى الحديث: « **وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم يقولون نحن نحسن الظن بالله تعالى . وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل** »[2] .

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى نص الرؤيا: « **ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا .. فجاءته صلاته علىّ فأقامته على قدميه وأنقذته** » .

(وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكثر من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – تنفيذا لأمر الله فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٦٥] .

(وحسبك) إن نفذت هذا – إن شاء الله أنك ستثبت على الصراط ..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) وهو من الأحاديث المشهورة .. إن شاء الله .

(وستكون) من الذين سيصلى الله تعالى عليهم أضعاف أضعاف ما صلوا على النبى ﷺ : فقد ورد فى الحديث أن من صلى على النبى مرة: صلى الله تعالى عليه عشرا، ومن صلى عليه عشرا: صلى الله عليه مائة، ومن صلى عليه مائة صلى الله عليه ألفا وهكذا ..

(مع) ملاحظة: أن الصلاة من الله رحمة،ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء .

** ثم يقول – صلوات الله وسلامه عليه – فى النص الأخير من هذه الرؤيا: **«ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه .. فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »** .

**(ففى) هذا النص الأخير يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة ..

(لابد) وأن نكون من المنتفعين بها والحريصين على تنفيذ المراد منها .

(وهى) أن لا إله إلا الله هى: مفتاح كل خير .. وأنه بدون هذا المفتاح – كما أشار النص – لن تفتح أبواب الجنة بالنسبة لهذا الذى وصل إليها ..

(ولهذا) فقد ذكر النبى ﷺ أن الذى أنقذه من هذا الموقف وفتح له أبواب الجنة: (هو) شهادة أن لا إله إلا الله .

(وعن) عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **من شهد**[1] **أن لا إله إلا الله وحده لا شريك**[2] **له وأن محمدا عبده ورسوله،وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق: أدخله الله الجنة على ما كان من عمل** » زاد عبادة: « **من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء**»[3] رواه البخارى واللفظ له، ومسلم .

---

(١) أى أقر واعترف بلسانه، مع العلم بما يشهد واعتقاده لمضمونه..
(٢) وهذا تأكيد لمضمون كلمة التوحيد .. ولنفى كل شائبة شرك وتعديد .
(٣) أى: أنها تفتح له كلها فيدخل من أيها أراد .

*وفى رواية لمسلم والترمذى: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله: حرم الله عليه النار** »[1] .

(فلنكن) أيها الأخوة المسلمون من المنتفعين بكل هذا التذكير الذى استمعنا إليه من أول الخطبة ولاسيما بالنسبة لحديث الرؤيا الذى هو من أصح الأحاديث[2] كما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ..

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى جعلها حراما عليه فلا يدخلها .

(٢) رواه الحافظ أبو موسى المدينى .. وقال هذا حديث حسن جدا . (انظر الوابل الصيب من الكلم الطيب) ص٧٦ .



خطب شهر ذي الحجة

الخطبة الخامسة

«الإخلاص في العمل وأهميته»



الحمد لله القائل:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ[1] وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »[2].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين .. العاملين المخلصين .. الذين كانوا يعملون لوجه الله – تبارك وتعالى – فى جميع عباداتهم ومعاملاتهم ..فكانوا لهذا وبسبب هذا من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله – سبحانه وتعالى – عنهم فى قوله:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

(وها نحن) كما هو معلوم لنا جميعا فى اللقاء الخامس من شهر ذى الحجة الذى رأيت أن أركز معكم فيه على موضوع هام . كلنا لابد وأن نتفع به إذا أردنا أن يتقبل الله تعالى منا أعمالنا ألا وهو: الإخلاص فى العمل وأهميته .. أى: بالنسبة لجميع العبادات والمعاملات .. التى لابد وأن نكون على أساس من الإخلاص لله رب العالمين .. الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .. وهو سبحانه

---

(١) جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام .. الثابت عليه .. والحنيف عند العرب: ما كان على دين إبراهيم عليه السلام واصل الحنف الميل، (والقيمة) أى الملة المستقيمة، (والدين) هنا، أى العبادة بجميع أنواعها .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

كما قال عن نفسه فى قرآنه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ [1] فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: من الآية ٤] .

*(ولهذا) فإنه حسب الأخ المسلم أن يتذكر هذا حتى يتعامل مع الله مباشرة وبدون خداع أو تزييف .. لأن الله تعالى يرفض هذا:

الله يدرى كل ما تضمر ... يعلم ما تخفى وما تظهر

وإن خدعت الناس لم تستطع ... خداع من يطوى ومن ينشر

(وقد) ورد فى السنة المطهرة ما يشير إلى كل هذا: (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » [2] رواه مسلم .

*(وروى) البخارى ومسلم: « **لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة [3] لخرج عمله كائنا ما كان** » .

*(وأخرج) الشيخان، أن الرسول ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء .. أى ذلك يكون فى سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** » .

*(وعن) سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك**». رواه البخارى.

(وعلى) هذا: فإنه ينبغى أن يكون هناك إخلاص فى العمل ..

(وهو) كما ورد فى الأثر: (سر بين العبد وربه) .

(وهو) أيضًا كما قال أحد الصالحين: (مالا يكتبه الملكان،ولا يفسده الشيطان، ولا يطلع عليه الإنسان) .

---

(١) أى يدخل فى الأرض .

(٢) يتحقق مقصد العمل له وحده .

(٣) الكوة بالفتح والضم لغة فيها: أى نقب بالبيت،وقوله: «كائنا ما كان » أى: على أى وجه كان

**(وحتى) يتضح كل هذا لنا ..

(فإننى) أرى أن أبدأ الآن فى شرح المعنى المراد من حديث شريف متفق عليه:

*(عن) أبى عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **انطلق ثلاثة نفر [1] ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت [2] إلى غار فدخلوه .. فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار [3] فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .. قال رجل منهم اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق [4] قبلهما أهلا ولا مالا .. فنأى بى [5] طلب الشجر يوما .. فلم أرح عليهما حتى ناما .. فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثتُ [6] . والقدح على يدى — انتظر استيقاظهما حتى برق [7] الفجر — والصبية يتضاغون [8] عند قدمى — فاستيقظا فشربا غبوقهما: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك [9] ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة.. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه**»

**وهذا المشهد الأول يشير إلى بركة بر الوالدين الذى أمر الله تعالى به بعد الأمر بعبادته — سبحانه وتعالى — مباشرة، فقال: ﴿وَقَضَى [10] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] .

---

(١) من ثلاثة إلى عشرة .

(٢) أى البيتوتة إلى كهف منقور فى جبل .

(٣) أى سدت عليهم بابا الغار .

(٤) أى لا أقدم شراب اللبن لأحد قبلهما .

(٥) أى أبعدنى .

(٦) أى انتظرت .

(٧) أى حتى ظهر الفجر .

(٨) أى يصيحون .

(٩) أى ابتغاء ذاتك .. وطلبا لثوابك ..

(١٠) قضى: أى أمر .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **رغم أنف [1] ثم رغم أنف، ثم رغم أنف: من أدرك أبويه عند الكبر: أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة** » رواه مسلم .

(هذا) بالإضافة إلى أهم ما جاء فى ختام هذا المشهد الأول، وهو انه كان ابتغاء وجه الله تعالى ..

(ولهذا) فقد ارتفعت الصخرة قليلا، غير أنهم لم يستطيعوا الخروج منه .

(ثم) قال الآخر – كما يحكى النبى ﷺ فى نص الحديث الذى ندور حوله:

« **اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى**» وفى رواية: « **كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت [2] بها سنة من السنين [3] فجاءتنى، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت .. حتى إذا قدرت عليها** » وفى رواية: « **فلما قعدت بين رجليها [4]، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم [5] إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى، وتركت الذهب الذى أعطيتها: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منه**» .

*(وهذا) المشهد الثانى كذلك لابد وأن ننتفع به بمعنى أن نلاحظ كيف استطاع هذا الآخر أن يقهر نفسه فى هذا المشهد بالذات .. وفى هذا الوضع الذى وصفه ..

(إنه) لابد وأن يكون بطلا بمعنى الكلمة ..

(ولا شك) أنه ما نجح فى هذا الإمتحان العسير إلا بسبب الخوف من الله – تبارك وتعالى –.. وابتغاء وجهه سبحانه .. ولهذا فقد ارتفعت الصخرة شيئا

---

(١) كناية عن الذل .. كأن أنفه لصق بالزعام .. أى التراب ..
(٢) أى نزلت بها ..
(٣) أى جاعت واحتاجت ..
(٤) أى جلست جلسة الجماع بين رجليها .
(٥) أى لا تزل البكارة إلا بالتزويج والنكاح الحلال .

قليلا.. غير أنهم لم يستطيعوا الخروج منه .. وصدق الله تعالى فهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[1] لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

** (ثم) قال الثالث – كما يحكى النبى ﷺ فى نص الحديث الذى ندور حوله: « **اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له [2] وذهب، فثمَّرتُ له أجره حتى كثرت منه الأموال .. فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق [3] . فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بى .. فقلت: لا أستهزى بك فأخذه كله فاستاقه [4] فلم يترك منه شيئا: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون** » متفق عليه .

** (وهذا) المشهد الأخير بالذات .: لابد وأن يكون درسا كبيرا لجميع المستأجرين حتى لا يأكلوا نتاج عرق الكادحين المطحونين من العمال وغيرهم لأن أكل حقوق الناس بالباطل .. معناه الخراب السريع الذى سيبعثر كل شيء .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

جمع الحرام على الحلال ليكثره　　　دخل الحرام على الحلال فبعثره

(ولاسيما) إذا كان الحرام هذا أكلا لحقوق العباد .

(فقد) قرأت أن الله تعالى يسامح فى حقه ولا يسامح فى حقوق العباد ..

** (هذا) مع ملاحظة أن الصخرة هذه بالنسبة لنا ليست صخرة بهذا المفهوم..

(فقد) تكون قضية يطالب المظلوم فيها بحقه .

(وقد) تكون أزمة، أو مصيبة وقع فيها .. وهو يطلب من الله – تبارك وتعالى – أن يخرجه منها كما أخرج أصحاب الصخرة الثلاثة ..

(ولكن) كل تلك الاستغاثات لا بد وأن تكون على أساس من الإخلاص الذى كان سببًا فى استجابة الدعاء من أصحاب الصخرة ..

---

(١) أى فى سبيلنا .

(٢) أى فى ذمة المستأجر .

(٣) أى العبيد .

(٤) أى: أمامه ..

(فخرجوا يمشون) بعد أن كانوا في حكم المقبورين .

(نحن) كذلك نريد أن نكون هكذا من المخلصين .. ونريد أن يكون العمل الصالح الخالص لوجه الله – تبارك وتعالى – هو الوسيلة لنا إلى الله – تبارك وتعالى – .. تنفيذا لأمر الله – تبارك وتعالى – في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

فقد قال العلماء: إن الوسيلة الحقيقية إلى الله .. والفوز بثوابه وعونه .. هي: العمل الصالح الخالص لوجهه – سبحانه وتعالى – ..

(فافهم) كل هذا أخا الإسلام وإياك أن تكون من المخرفين الذين يتخبطون في ظلمات الجهل، وينقادون إلى الخرافات والأوهام ..

(بل) وإياك أن تكون من أهل الرياء .. (فقد) قال العلماء: (مثل الذى يعمل للرياء والسمعة .. كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه [1] حصاة.. فأخذ الناس يقولون – كلما نظروا إلي كيسه المنتفخ بما فيه – ما أملأ كيس هذا الرجل ..!! ولكنه إذا أراد أن يشترى به شيئا لا يعطى به شيء . ثم قال العلماء: وهكذا الذى يعمل للرياء والسمعة . لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة .. وإلى هذا يشير الله تعالى في قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا[2]﴾ [الفرقان: ٢٣] .

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قال رجل يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يُرى موطني [3] فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

---

(١) أي كيس نقوده .
(٢) والهباء المنثور هو الغبار الذى يُرى في شعاع الشمس .
(٣) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب .

* (وعن) أبى سعيد بن أبى فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**» رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وابن ماجه .

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **قال الله – عز وجل –: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى، فأنا منه برئ، وهو للذى أشرك** [1] » رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

* (وعن) أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن أول الناس يقضى يوم القيامه عليه رجل استُشهد** [2] **فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك** [3] **حتى استشهدت .. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرئ فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القران ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُ ، وقرأت فيك القران . قال: كذبت ولكنك تعلمتَ ليقال عالم ، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملتَ فيها ؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك قال: كذبت ، ولكنك فعلتَ ليقال هو جواد فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار**» رواه مسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما استمعنا إليه حتى نكون من المخلصين لا من المرائين.

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى أن عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برئ منه ..

(٢) أى قاتل فى سبيل الله .

(٣) أى فى سبيل الله





«تنبيهات هامة»



*أولها:

أن هذه الخطب ليست للحفظ وإنما هى للفهم والدراسة.. مع حفظ النصوص القرآنية والنبوية الواردة فى كل خطبة.. ومع ضرورة فهم الأحكام الفقهية التى فيها.

*(ثم) بعد ذلك على الأخ الخطيب أن يحسن التوكل على الله .. وأن يصعد المنبر ذاكرا لله ومصليا على رسول الله ﷺ وهو يسأل الله تعالى بحاله قبل مقاله: أن يشرح له صدره وييسر له أمره ..

(ولسوف) يكون – إن شاء الله – بصدق النية مع الله تعالى موفقا فى أداء رسالته التى هى أعظم رسالة

*وثانيها:

أن يكون الأخ الخطيب وهو يرتقى المنبر ملاحظا أمرا هاما ، وهو انه يرتقى منبر رسول الله ﷺ وانه لابد وان يكون أهلا لهذا الشرف الذى لن يكون أهلا له إلا بالتخلق بأخلاق هذا الرسول العظيم فى وعظه وإرشاده .. ومع ضرورة التواضع وعدم الغرور بنفسه أو بعلمه .. حتى يُنتفع برؤيته قبل روايته .

(وهذا) هو خلق المؤمن الذى (رؤيته شفاء ، وموعظته دواء، وينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر) كما وصفه احد المؤمنين .

* وثالثها:

ان يكون الاخ الواعظ واضح المعانى سهل الكلمات .. حتى يخرج المستمع بعد الصلاة بالثمرة المرجوة من هذا اللقاء ، وهى الموعظة والأحكام التى ينبغى عليه أن يكون مرتبطا بها ومنفذا لها .. و إلا كان اللقاء هذا حجة عليه لا له ..

(وعلى) الأخ الواعظ أن يكون قدوة حسنة لكل المستمعين إليه فى تنفيذ الأوامر وإجتناب المنهيات و إلا كان – والعياذ بالله – من الذين يقولون ما لا يفعلون .. والذين ستسعر النار بهم يوم القيامة .

* ورابعها:

أن يلخص الخطبة الأولى فى الخطبة الثانية .. حتى يخرج المستمع بالمضمون المفيد الذى يستطيع أن يذكر الناس به ..

* (وعليه) أيضًا بعد الصلاة أن يجلس مع الأخوة المستمعين حتى يوضح لهم ما لم يتسع وقت الخطبة لتوضيحه .. أو لشرح غريب ألفاظه .. أو الإجابة على أى سؤال سيوجه إليه بيسر وبدون غلظة أو تشديد ..

(ولابد) لكى يكون موفقا فى هذا أن يقرأ كثيرًا أهم ما يتعلق بالعبادات والمعاملات والعادات من أحكام ..

(حتى) لا يُتهم بالجهل والعياذ بالله .

(وعليه) أيضًا أن لا يفتى بدون علم .

(بل) عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.. فإن هذا لن يكون عيبا فيه.

(ولا مانع) أن يؤجل الإجابة إلى لقاء آخر .. إن شاء الله .

* وخامسها:

أن يتخير الأدعية المناسبة لختام كل خطبة .

(مع) ملاحظة أن الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ كثيرة .

** (ولهذا) فقد رأيت أن أزوده ببعض هذه الأدعية، التى أرجوا أن يحفظها حفظا جيدًا مع الحرص على الشكل العربى لها حتى لا تتغير المعانى ..

* (فعن) أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبى ﷺ : « **اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » متفق عليه . وزاد مسلم فى روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه ..

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول: « **اللهم إنى أسألك الهدى، والتقى والعفاف والغنى** » رواه مسلم .

* وعن طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبى ﷺ ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: « **اللهم اغفر لى، وارحمنى واهدنى، وعافنى، وارزقنى** » رواه مسلم، وفى رواية له عن طارق أنه سمع النبى ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربى ؟ قال: « **قل: اللهم اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، وارزقنى، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك** »

* (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك**» رواه مسلم .

*وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **تعوذوا** [1] **بالله من جهد البلاء** [2] **ودرك الشقاء** [3]، **وسوء القضاء** [4]، **وشماتة الأعداء** [5] » متفق عليه وفي رواية قال سفيان: أشك أني زدت واحدة منها .

*وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصلح لي ديني** [6] **الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي** [7]، **وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي** [8]، **واجعل الحياة زيادة لي في كل خير** [9]، **واجعل الموت راحة لي من كل** [10] **شر** »رواه مسلم .

*(وعن) أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم** [11]، **والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** » نوفي رواية: «**وضله الدين** [12]، **وغلبة الرجال** [13]» رواه مسلم .

*(وعن) عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملتُ ومن شر ما لم أعمل** » رواه مسلم .

---

(١) أي ادعوا .
(٢) أي من شدة المشقة وما لا طاقة له بحمله .
(٣) أي لحاق الشدة وإدراك العسر .
(٤) أي المقضي، إذ حكم الله كله حسن .
(٥) أي الحزن بفرح عدوه والفرح بحزنه .
(٦) أي وفقني للقيام بأدابه لاعتصم به في أمري
(٧) أي زمان حياتي بإعطائي .. الكفاف فيهما أحتاج إليه يكون حلا معينا في طاعة الله وحسن الخاتمة .
(٨) أي زمان إعادتي باللطف والتوفيق على العبادة .
(٩) أي من إتقان العلم وإتقان العمل .
(١٠) أي من الفتن والمحن والإبتلاء بالمعصية والغفلة .
(١١) أي: من الكبر والضعف .
(١٢) أي ثقله وشدته .
(١٣) أي الظلمة منهم .

** (وهكذا) أيها الأخ الواعظ تستطيع أن تجمع أدعية الرسول ﷺ من كتب السنة الصحيحة – كتلك التى جمعتها لك من كتاب رياض الصالحين – لكى تدعو بها فى ختام كل خطبة – بلغة المفرد أو بلغة الجمع – مع مراعاة أن يكون الدعاء مناسبا لموضوع الخطبة .

** (وفى) الختام أوصى الأخ الواعظ بأهم ما ينبغى عليه أن يلاحظه وينفذه وهو: أن يكون حسن المظهر والمخبر ..

(وأعنى) بهذا أن يكون مقتديا برسول الله ﷺ فى مظهره – إن شاء الله – ولابد بصفة خاصة أن يكون ملتحيا .. لأن اللحية واجب – والواجب ما يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه – ولا يليق بعالم يعظ الناس من فوق منبر الرسول ﷺ أن يكون مخالفا لرسول الله ﷺ فى مظهره ومخبره .

*(وعليه) أيضًا أن يكون عاملا بما يعظ الناس به و إلا كان والعياذ بالله من المشار إليهم فى قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٢، ٣] وأيضا: لأنه إذا لم يكن عاملا بما يقول، فإنه سيكون غير واعظ حقيقى، ولن يكون وعظه فى قلوب مستمعيه:

مواعظ الواعظ لن تقبلا	حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ	خالف ما قد قاله فى الملا
أظهر بين الخلق إحسانه	وخالف الرحمن لما خلا

* (وليحذر) الأخ الواعظ:

* أن لا يكون شاربا للدخان – فى الجلوة أو الخلوة – لأنه حرام بإجماع العلماء والعقلاء ومتفق على أنه مضر بالصحة والأهل .. بإجماع الأطباء .. وأيضا لأنه متلف للمال الذى هو عصب الحياة .

* وأن يكون مجتنبا لمجالس السوء واللهو واللعب – لأن جلوسه فى تلك الأماكن المشبوهة مع شياطين الإنس سيكون معناه أنه راض عنهم وعن أفعالهم المسيئة التى تحدث غالبا فى مثل تلك الأماكن .. والتى منها لعب الميسر، وشرب البيرة .. وربما شرب الخمور – والعياذ بالله .

* وعليه أن يشغل أكثر وقته بطاعة الله – تبارك وتعالى – .. مع ضرورة أن يقرأ كثيرًا لأنه مرجع لجميع المسترشدين من المسلمين والمسلمات .

** والله أسأل أن يجعلنا وإياه أهلا لشرف الدعوة إلى الله ورسوله إلى آخر لحظة فى حياتنا .. بكل إخلاص وتوفيق .. اللهم آمين،

** هذا، وأحب أن يعلم الأخ الواعظ أننى وبتوفيق من الله – تبارك وتعالى – .. قد بدأت الكتابة فى (الجواهر المنبرية) التى بين يديه . ابتداء من أول شهر رجب ١٤١٨ هـ الموافق أكتوبر ١٩٩٨ – وكان الإنتهاء من الكتابة فى يوم الجمعة ٣٠ من شوال ١٤١٨ هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٩٩ م .

(ولسوف) أحرص – إن شاء الله – ما حييت على تزويد الأخ الواعظ بأجزاء متشابهة من (الجواهر) التى نسأل الله تعالى أن ينفع بها .. وأن يجعلها حجة لنا لا علينا .

اللهم آمين،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

القاهرة – المعادى ش ١٠ منزل رقم ٨٤ .

بجوار مسجد الفتح – بالمعادى ش ٩

وإلى اللقاء – إن شاء الله تعالى – مع الجزء الثانى من (الجواهر المنبرية) الذى لن يقل أهمية عن الجزء الأول .

والله ولى التوفيق،

أهم مراجع
(الجواهر المنبرية) الجزء الأول

القرآن الكريم .
تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن).
تفسير ابن كثير .
تفسير الجلالين وحاشية الصاوى عليه .
مختصر تفسير الطبرى – مع الهامش – طبعة دار التراث العربى القاهرة .
التفسير الوسيط – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .
الدين الخالص للإمام محمود خطاب السبكى – عليه رحمة الله – .
فقه السنة .. لفضيلة الشيخ سيد سابق .
الفقه الواضح .. لفضيلة الدكتور / محمد بكر إسماعيل .
البداية والنهاية لابن كثير .
الترغيب والترهيب ..للإمام المنذرى .. مع الهامش لفضيلة الشيخ الدكتور خليل الهراس ..– عليه رحمة الله – طبعة مكتبة الجمهورية العربية – بالقاهرة ..
رياض الصالحين – للإمام النووى .
مفتاح الخطابة والوعظ .
مختار الصحاح .
معجم ألفاظ القرآن الكريم .
الإبداع فى مضار الابتداع .. لفضيلة الشيخ على محفوظ – عليه رحمة الله –.
هداية المرشدين – للشيخ على محفوظ – عليه رحمة الله – .
شرح الأربعين النووية .


الفهرس



دليل موضوعات الجواهر المنبرية

الجزء الأول



